السلسلة البوليسية الأكثر مبيعًا عالميًا

بنجامين ستيفنسن

EVERYONE IN **MY FAMILY** HAS **KILLED** SOMEONE







كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما




 الجزء 1



ترجمة: شمس أحمد عبد الله

رواية

كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما

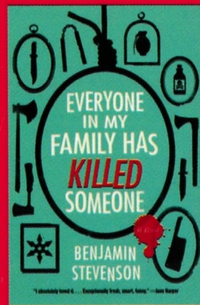




كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما. بعضنا، من أصحاب الإنجازات الكبيرة، قتل أكثر من شخص. لا أحاول أن أكون دراميًّا، لكنها الحقيقة. لسنا عائلة من المرضى النفسيين؛ بعضنا جيد، والبعض الآخر سيئ، وبعضنا فقط سيئ الحظ.

أنا إرنست كانينجهام. نادوني "إرن" أو "إرني".

كنت أتمنى لو أنني قتلت الشخص الذي قرر أن يكون لمُّ شملِ عائلتنا في منتجع للتزلج، لكن الأمر أكثر تعقيدًا من ذلك بكثير.



هل أنا أيضًا قتلت شخصًا ما؟ نعم، فعلت ذلك. من كان؟ سنعرف.

كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما: أخي، أختي غير الشقيقة، زوجتي، والدي، والدتي، زوجة أخي، زوج عمتي، زوج والدتي، عمتي.. وأنا.

تصميم الغلاف كريم آدم



www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما





مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

- العنوان الأصلي:
Everyone in My Family Has Killed Someone
- العنوان العربي: كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما
- حقوق النشر:
Text Copyright © Benjamin Stevenson, 2022
First published by Michael Joseph Australia.
This edition published by arrangement with Penguin Random House Australia Pty Ltd
- الطبعة الأولى: يناير / 2025م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- تأليف: بنجامين ستيفنسن
- ترجمة: شمس أحمد عبد الله
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: مريم عبد الجليل
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 2024/32640م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-489-2



السلسلة البوليسية الأكثر مبيعًا عالميًّا

بنجامين ستيفنسن

EVERYONE IN **MY FAMILY** HAS **KILLED** SOMEONE

كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما

ترجمة: شمس أحمد عبد الله

رواية



الإشادات

كل فرد في عائلتي قتل شخصًا ما

«لن يرغب القرَّاء في وضع هذه القصة جانبًا... لا شكَّ أن هذا الكتاب سيكون من الكلاسيكيات المستقبلية».

- ***Big Issue***

«يا له من كتاب جديد، ذكي، ومضحك بشكل استثنائي - لم أقرأ شيئًا مثله من قبل».

- **جين هاربر**

«أفضل شيء قرأته منذ زمن طويل. لقد أحببته بالطبع. ذكي للغاية، مليء بالمنعطفات الدرامية، مضحك، ومصمم بدقة كصانع الساعات المتعطش للدماء».

- **ستيوارت ماكبرايد**

«إذا كنت تبحث عن شيء مختلف، لا تنظر إلى ما هو أبعد من كتاب كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما الذكي والمبتكر تمامًا... إنه من أكثر الكتب المنتظرة لهذا العام».

- ***Weekend Australian***

«بالطبع أحببته. ساحر، ممتع وجذاب. لا أعتقد أنني قرأت شيئًا يشبهه. كانت قراءة ممتعة للغاية».

- **ماريان كيز**

«ذكي، غير متوقع، ولا يمكن تفويته».

- **كارين سلوتر**

«المنعطفات الدرامية أنيقة، ومخطط لها بشكل رائع، ومليئة بالمفاجآت... من أفضل الأشياء التي قرأتها لهذا العام».

- **WrittenbySime**

«جذبني هذا الكتاب من الفصل الأول. مضحك بشكل لذيذ، مظلم ومثير».

- **أليكس بافيسي**

«كانت هذه قراءة ذكية ومثيرة للغاية. إنها قراءة ضرورية لكل من يحب قواعد روايات الجريمة، لكنها لا تزال مليئةً بالتحولات المفاجئة. لقد جعلتني أضحك وأقلب الصفحات بالقدر نفسه. عمل رائع، سيد ستيفنسن».

- **إس. جي. بينيت**

«أكثر الروايات الأصلية التي ستقرؤها هذا العام... كتاب مضحك وذكي يُكرِّم روايات الجريمة البريطانية الكلاسيكية».

- **كانبيرا ويكلي**

«إذا كنت من محبي الغموض الكلاسيكي وتبحث عن شيء جديد ومبتكر، ستحب هذا الكتاب بالتأكيد. لأن هذا ما فعلته».

- **أنا داونز**

«أفضل افتتاحية لرواية جريمة قرأتها على الإطلاق. أحببت كل صفحة منها»

- **جاك هيث**

«لغز لكل من يظن أنه يعرف تمامًا كيف تعمل ألغاز الجرائم. هذا أفضل كتب ستيفنسن حتى الآن».

- **غابرييل بيرغمويسر**

«مع مجموعة من الشخصيات المصممة بعناية، وحبكة تتألف من أجزاء متساوية من الدهاء، والفكاهة، والإبداع، هذا كتاب يعد بإرضاء القراء من جميع اتجاهات كتابة الغموض».

- **Arts Hub**

«رواية مثيرة من نوع ‹من الجاني›، مع تحول بارع في النوع الكلاسيكي للجريمة. إنها من نوع الكتب التي تنتهي من قراءته وترغب في قراءته مرة أخرى على الفور».

- **كايل بيري**

أليشا باز.

أخيرًا، هذه لكِ.

على الرغم من أنها كانت ملكك دائمًا، وستظل هكذا دائمًا.

«هل تعد بأن يتحرَّى محققوك عن الجرائم المقدمة لهم بصدقٍ وأمانة، معتمدين على الذكاء الذي ترغب في منحهم إياه دون الاعتماد عليَّ أو الاستعانة بالوحي الإلهي، أو الحدس الأنثوي، أو الطقوس السحرية، أو الترهات، أو المصادفة، أو قضاء الله وقدره؟».

قسم العضوية لنادي التحري، عام 1930، وهو مجتمع سري يضم كُتاب الروايات البوليسية، منهم أجاثا كريستي، وجي. كيه. تشيسترتون، ورونالد نوكس، ودوروثي إل. سايرز.

اطوِ
الصفحة

1) يجب أن يكون المجرم شخصًا مذكورًا في الجزء الأول من القصة، ولكن لا يجب أن يكون أي شخص سُمح للقارئ بمتابعة أفكاره.

2) تُستبعد تمامًا أي عوامل خارقة للطبيعة أو الماورائيات.

3) يُسمح بوجود غرفة أو ممر سري واحد فقط، كحد أقصى.

4) لا يجوز استخدام أي سم لم يُكتشف حتى اليوم، ولا أي جهاز يتطلب شرحًا علميًّا مطولًا في النهاية.

5) ملاحظة المؤلف: حذفت تعبيرات تاريخية قديمة قد تكون غير مناسبة ثقافيًّا.

6) لا يجب أن تساعد المصادفة المحقق على الحل، ولا ينبغي أن يكون لديه حدس غير مبرر يتضح أنه صحيح.

7) لا يجوز أن يرتكب المحقق الجريمة بنفسه.

8) لا يجب أن يعثر المحقق على أي دليل لا يُعرض فورًا على القارئ.

9) صديق المحقق الغبي، الذي يمثل دور واتسون، يجب ألا يخفي أي أفكار تدور في ذهنه؛ ويجب أن يكون ذكاؤه أقل قليلًا، ولكن بشكل طفيف، من القارئ العادي.

10) يجب عدم إدخال التوائم أو الأشباه بشكل عام، إلا إذا أُعِدَّ القارئ لذلك بشكل مسبق.

الوصايا العشر لأدب الجريمة لرونالد نوكس، 1929

التمهيد

كل شخص من عائلتي قتل أحدًا ما. بعضنا، من أصحاب الإنجازات الكبيرة، قتل أكثر من واحد.

لا أحاول أن أكون دراميًّا، لكنها الحقيقة، وعندما واجهت الأمر بكتابة هذا، على الرغم من صعوبة كتابته بيد واحدة، أدركت أن قول الحقيقة هو الطريقة الوحيدة لفعل ذلك، قد يبدو ذلك بديهيًّا، لكن روايات الغموض الحديثة تنسى ذلك أحيانًا. لقد أصبحت تلك الروايات أكثر تركيزًا على الحيل التي يمكن للمؤلف استخدامها: ما يخفيه في جعبته بدلًا مما يضعه في يده. الصدق هو ما يميز ما نسميه بألغاز ‹العصر الذهبي›: كألغاز أجاثا كريستي وتشسترتون. أعلم ذلك لأنني أكتب كتبًا عن كيفية كتابة الكتب. هناك قواعد، هذا هو الأمر. رجل يدعى رونالد نوكس كان جزءًا من المجموعة، وكتب مجموعة من هذه القواعد ذات مرة، رغم أنه أطلق عليها ‹الوصايا›. ستجدها في الجزء الأول من هذا الكتاب في الاقتباس الذي يتخطاه الجميع دائمًا، لكن صدقني، من المفيد العودة له. في الواقع، ينبغي لك طي الصفحة عند جزء الاقتباس هذا. لن أرهقك بالتفاصيل هنا، لكن الأمر يتلخص في التالي: القاعدة الذهبية لعصر الألغاز الذهبي هي اللعب النزيه.

بالطبع، هذه ليست رواية. كل هذا حدث بالفعل. لكن، في النهاية، لدي جريمة قتل لأحلها. في الواقع، عدة جرائم. لكنني أستبق الأحداث في السرد.

المغزى هو أنني أقرأ الكثير من روايات الجريمة. وأعرف أن معظم الكتب هذه الأيام تحتوي على ما يُعرف بـ ‹الراوي غير الموثوق›، حيث يكون الشخص الذي يروي القصة كاذبًا في أغلب الأوقات. كما أدرك أنه في أثناء سردي لهذه الأحداث قد يُنظر إليَّ بالطريقة نفسها. لذلك، سأبذل جهدي لأفعل العكس. اعتبرني راويًا موثوقًا. كل ما سأخبرك به سيكون الحقيقة، أو على الأقل، الحقيقة كما عرفتها في الوقت الذي اعتقدت فيه أنني أعرفها. أنا أعدك بالالتزام بهذا.

كل هذا يتماشى مع الوصيتين الثامنة والتاسعة من وصايا نوكس، فأنا في هذا الكتاب أعتبر نفسي واتسون والمحقق معًا، حيث ألعب دور الكاتب والمحقق، وبالتالي فأنا ملزم باكتشاف الأدلة وألا أخفي أفكاري. باختصار: اللعب النزيه.

في الواقع، سأثبت لك ذلك. إذا كنت هنا فقط من أجل التفاصيل الدموية، فستجد أن الوفيات في هذا الكتاب إما أنها تحدث وإمَّا يُبلغ عن حدوثها في الصفحات: 27، 65، 87، ثم حالتين في الصفحة 96، وثلاث حالات في الصفحة 104. بعدها تهدأ الأمور قليلًا، لكنها تعود في الصفحات 209، وتقريبًا في الصفحة 247 وفي الصفحات 260، 270، 292 وفي مكان ما بين الصفحتين 285 إلى 292 (من الصعب تحديدها)، 304، وأخيرًا 355. أعدك أن هذا هو الصدق، ما لم يتلاعب مصمم الطباعة بالصفحات. هناك ثغرة واحدة كبيرة في الحبكة كافية لتمر شاحنة من خلالها. أميل إلى الإفصاح عن الأمور. لا توجد مشاهد جنسية.

ماذا بعد؟

أعتقد أن اسمي سيكون مفيدًا. أنا إرنست كانينجهام. إنه اسم قديم الطراز بعض الشيء، لذا يناديني الناس إرن أو إرني. كان يجب أن أبدأ بذلك، لكنني وعدت بأن أكون جديرًا بالثقة، وليس بالضرورة كفؤًا.

بالنظر إلى ما أخبرتك به، من الصعب معرفة من أين أبدأ. عندما أقول الجميع، دعونا نرسم خطًّا لهذه العبارة عند فرعي من شجرة العائلة. على الرغم من أن ابنة عمي إيمي أحضرت ذات مرة شطيرة زبدة الفول السوداني الممنوعة إلى نزهة للشركة، وكاد مندوب الموارد البشرية أن يفقد حياته، لكنني لن أضعها على بطاقة البينجو.

لسنا عائلة من المرضى النفسيين. بعضنا جيد، والبعض الآخر سيِّئ، وبعضنا فقط سيِّئ الحظ. أي واحد منهما أنا؟ لم أكتشف ذلك بعد. وبالطبع، هناك أيضًا مسألة بسيطة تتعلق بقاتل متسلسل يعرف باسم اللسان الأسود قد تورط في كل هذا، ومبلغ 267,000 دولار نقدًا، لكننا سنتحدث عن ذلك لاحقًا. أعلم أنك ربما تتساءل عن شيء آخر الآن. نعم، قلت الجميع، ووعدت بعدم استخدام الحيل.

هل قتلت أحدًا ما؟ نعم، فعلت ذلك.

مَن كان؟

لنعرف.

أخي

الفصل الأول

تسلل شعاع ضوء وحيد عبر الستائر أخبرني أن أخي قد وصل لتوه إلى ممر سيارتي. عندما خرجت، كان أول ما لاحظته أن المصباح الأمامي الأيسر لسيارة مايكل معطل. أما الثاني فكان ملطخًا بالدماء.

اختفى القمر، ولم تشرق الشمس بعد، لكن حتى في أثناء هذا الظلام كنت أعرف تمامًا ماهية تلك البقع الداكنة، المتناثرة على المصباح الأمامي المحطم للسيارة والملطخة بجانب انبعاج ضخم في قوس العجلة.

لست ممن يسهرون ليلًا عادةً، لكن اتصل بي مايكل قبل نصف ساعة. كان هذا النوع من المكالمات التي تدرك، وأنت تقرأ الوقت بعينين نصف مغمضتين، إنها ليست مكالمة يخبرونك فيها بفوزك باليانصيب. لدي بعض الأصدقاء الذين يتصلون بي أحيانًا من سيارة الأجرة في طريق عودتهم للمنزل، ليحكوا عن ليلة ممتعة. مايكل ليس واحدًا من هؤلاء.

في الواقع، هذا ليس صحيحًا. لن أكون صديقًا لأشخاص يتصلون بي بعد منتصف الليل.

- أنا بحاجة إلى رؤيتك. الآن.

كان يتنفس بصعوبة. لم تظهر هوية رقم المتصل، كان الاتصال من هاتف عمومي أو ربما بار. قضيت النصف ساعة التالية مرتجفًا

رغم ارتدائي معطفًا ثقيلًا، أمسح دوائر تكثف الماء على نافذة منزلي الأمامية لأرى وصوله بشكل أفضل. كنت قد تخليت عن مراقبة الطريق وعدت للأريكة حين أضاءت أضواء سيارته جفوني باللون الأحمر.

سمعت هديرًا عندما أوقف السيارة، ثم أطفأ المحرك لكنه ترك الأجهزة الكهربائية تعمل. فتحت عينَيَّ، وتأملت السقف للحظة، كما لو كنت أعلم أنه بمجرد أن أقف، ستتغير حياتي، ثم خرجت. كان مايكل جالسًا في السيارة، ورأسه على المقود. قطعت ضوء الكشاف الوحيد إلى نصفين بينما كنت أسير أمام غطاء المحرك لأطرق على نافذة السائق. خرج مايكل من السيارة. كان وجهه رماديًّا فاتحًا.

قلت وأنا أشير إلى المصباح الأمامي المكسور: «أنت محظوظ، قد يسبب لك الكنغر مشكلة كبيرة».

- لقد صدمت أحدًا.

«آه - ها». كنت شبه نائم، فلم ألاحظ تمامًا أنه قال أحدًا وليس شيئًا. لم أكن أعرف ما يجب قوله في هذه المواقف، لذا اعتقدت أن الموافقة على كلامه ربما كانت فكرة جيدة.

- رجل. صدمت رجلًا. إنه في الخلف.

استيقظت تمامًا الآن. **في الخلف**.

قلت: «بحق الجحيم، ما معنى أنه **في الخلف**؟».

- إنه ميت.

- هل هو في المقعد الخلفي أم في صندوق السيارة؟

- ما أهمية هذا.

- هل كنت تشرب؟

تردد: «ليس كثيرًا. ربما. قليلًا».

«المقعد الخلفي؟». خطوت خطوة نحو الباب ومددت يدي لفتحه، لكن مايكل مد ذراعه ليمنعني. توقفت عن الحركة وقلت: «نحتاج إلى نقله إلى المستشفى».

- لقد مات.

مررت يدي في شعري. «لا أصدق أننا نتجادل حول هذا الأمر. مايكل، هيا. هل أنت متأكد؟».

- لا مستشفى. انحنت رقبته مثل أنبوب. نصف جمجمته مقلوبة.

- أفضل سماع ذلك من طبيب. يمكننا الاتصال بصوف...

قاطعني مايكل: «لوسي ستعرف». ذكره لاسمها، بطريقة يائسة، جعل المغزى واضحًا: **لوسي ستتركني.**

- سيكون كل شيء على ما يرام.

- لكنني كنت أشرب.

ذكرته: « قليلًا فقط».

ساد الصمت: «نعم. قليلًا فقط».

بدأت قائلًا: «أنا متأكد أن الشرطة ستتفه...». لكن كلينا كان يعرف أن مجرد ذكر اسم كانينجهام في مركز للشرطة سيكون كافيًا لاهتزاز الجدران بالأرواح التي سنستحضرها. آخر مرة كان أي منا في غرفة مليئة بالشرطة كانت في الجنازة، وسط بحر من الزي الرسمي الأزرق. كنت آنذاك طويلًا بما يكفي للالتفاف حول ذراع أمي، ولكن صغيرًا بما يكفي لأظل ملتصقًا بها طوال اليوم.

تخيلت هُنيهة ما قد تفكر فيه أودري عنا الآن، نحن مجتمعون في صباح بارد، نتجادل بشأن حياة شخص ما، لكنني سرعان ما أبعدت تلك الفكرة.

- هو لم يمت لأنني ضربته. شخص ما أطلق النار عليه، ثم صدمته.

«آه-ها». حاولت أن أبدو وكأني أصدقه، لكن هناك سببًا يجعل سيرتي الذاتية في مجال التمثيل تتضمن أدوارًا غير ناطقة في مسرحيات المدرسة: حيوانات المزرعة؛ ضحايا القتل؛ الشجيرات. مددت يدي نحو مقبض الباب مرة أخرى، لكن كان لا يزال مايكل يمنعني.

- أنا فقط أمسكته. ظننت... لا أعرف، كان ذلك أفضل من تركه في الشارع. وبعدها لم أستطع التفكير فيما يجب فعله، وانتهى بي المطاف هنا.

لم أقل شيئًا، فقط أومأت برأسي. **فالعائلة مثل الجاذبية.**

فرك مايكل يديه على فمه وتحدث من خلالهما. ترك مقود السيارة أثرًا أحمر صغيرًا على جبهته. وقال أخيرًا: «لن يهم أين نأخذه».

- حسنًا.

- يجب أن ندفنه.

- حسنًا.

- توقف عن قول هذا.

- بالتأكيد.

- أقصد أن تتوقف عن الموافقة على كلامي.

- إذًا يجب علينا أخذه إلى المستشفى.

نظر مايكل نحو المقعد الخلفي، ودخل السيارة وشغل المحرك: «هل أنت في صفي أو لا؟ سأصلح الأمور. أركب».

كنت أعلم بالفعل أنني سأركب السيارة. لا أعرف حقًّا السبب. جزء مني ظن أنني إذا ركبت السيارة، سأتمكن من التحدث معه بعقلانية، أعتقد ذلك. لكن كل ما كنت أعرفه حقًّا هو أن أخي الأكبر كان يقف

أمامي، ويخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام. ولا يهم كم تبلغ من العمر -خمس سنوات أو خمس وثلاثين- إذا قال لك أخوك الأكبر إنه سيصلح الأمور، فأنت تصدقه. **إنها الجاذبية.**

ملاحظة سريعة: في هذا الجزء، كنتت أبلغ في الواقع من العمر ثمانية وثلاثين عامًا، وأبلغ الواحد والأربعين عندما نلحق بالزمن الحالي، لكنني فكرت أنه إذا اختصرت بضع سنوات، فقد يساعد ذلك ناشري في تقديم هذا الجزء إلى ممثل مشهور.

ركبت السيارة. كانت هناك حقيبة رياضية من نايكي، غير مقفلة، في موضع القدم عند مقعد الراكب. كانت مليئة بالنقود، لم تكن مرتبة بأشرطة مطاطية أو أحزمة ورقية كما في الأفلام، بل مبعثرة، وكأنها تتقيأ على الأرض. كان شعورًا غريبًا أن أضع قدمي فوقها، لأن كميتها كانت هائلة، ومن المفترض أن الرجل في المقعد الخلفي قد مات من أجلها. لم أنظر في المرآة الخلفية. حسنًا، ألقيت بعض النظرات السريعة، لكنني رأيت فقط كتلة سوداء من الظل بدت أشبه بثقب كوني أكثر من كونها جثة حقيقية، وازداد خوفي في كل مرة بدت فيها كأنها ستصبح أكثر وضوحًا.

رجع مايكل بالسيارة إلى الخلف. اهتزت كأس صغيرة أو شيء ما على لوحة القيادة، **سقط وتدحرج** تحت المقعد. كانت هناك رائحة ويسكي خفيفة. ولأول مرة، شعرت بالامتنان لأن أخي مدمن على تدخين الممنوعات في السيارة، لأن دخان الحشيش العالق في الأقمشة أخفى رائحة الموت. أحدث الصندوق الخلفي صوت رنين، وكان قفله مكسورًا، عندما تخطينا الرصيف.

خطرت لي فكرة مروعة. كان لديه مصباح أمامي محطَّم وصندوق خلفي مكسور: كأنه اصطدم بشيء مرتين.

سألت: «إلى أين نحن ذاهبون؟».

- هاه؟

- هل تعرف إلى أين أنت ذاهب؟

«أوه. إلى الحديقة الوطنية. الغابة». نظر مايكل إليَّ، لكنه لم يستطع التحديق إلى عيني، فألقى نظرة خفية إلى المقعد الخلفي، ثم بدا وكأنه ندم على ذلك، وركز نظره إلى الأمام. بدأ يرتجف: «في الحقيقة لا أعرف. لم أدفن جثة من قبل».

قدنا السيارة لأكثر من ساعتين عندما قرر مايكل أنه قد سلك ما يكفي من الطرق الترابية، قاد سيارته التي تصدر ضجيجًا وتشبه الصقلوب[1] إلى منطقة خالية من الأشجار. كنا قد انحرفنا عن طريق الحرائق قبل بضعة كيلومترات، وسلكنا منذ ذلك الحين الطرق الوعرة. كانت الشمس على وشك الشروق. كانت الأرض مغطاة بثلوج ناعمة متلألئة.

قال مايكل: «هذا المكان مناسب. هل أنت بخير؟».

أومأت برأسي. أو على الأقل هذا ما ظننته. لا بدَّ أنني لم أتحرك على الإطلاق، لأن مايكل نقر بأصابعه أمام وجهي، مما أجبرني على التركيز. استدعيت أضعف إيماءة في تاريخ البشرية، وكأن فقراتي كانت أغلالًا صدئة. لكنها كانت إيماءة كافية لمايكل.

قال: «لا تخرج».

حدقت إلى الأمام مباشرة. سمعتُه يفتح الباب الخلفي للركاب ويتحرك بصعوبة، وهو يجر الرجل -الثقب الكوني- إلى خارج السيارة.

---

(1) الصقاليب هم مسوخ من جنس الجبابرة، ذوو عين واحدة وسط الجبهة، وهم في الأساطير الإغريقية عمال مهرة يصنعون الصواعق وأسلحة الآلهة ويحققون الأعمال الكبيرة والضخمة.

كان عقلي يصرخ ليجعلني أفعل شيئًا، لكن جسدي خانني. لم أستطع التحرك.

بعد بضع دقائق عاد مايكل، يتصبب عرقًا، والأوساخ تغطي جبهته، وانحنى فوق عجلة القيادة. «تعال ساعدني في الحفر».

استجابت أطرافي لأمره. توقعت أن تكون الأرض باردة، وأن أسمع صوت تكسر الجليد الصباحي، لكن اخترقت قدمي الغطاء الأبيض مباشرة حتى كاحلي. نظرت من كثب. لم تكن الأرض مغطاةً بالثلوج، بل كانت مغطاة بشباك العنكبوت. كانت الشِّباكُ ممتدة بين العشب العالي الكثيف، على ارتفاع قدم تقريبًا عن الأرض، متقاطعة مع بعضها بعضًا بكثافة وببياض نقي للغاية، حتى بدت وكأنها صلبة. ما كنت أظنه جليدًا متلألئًا كان في الواقع بريق الخيوط الدقيقة في الضوء. خطوات مايكل اخترقت الشبكة مثل ثقوب في مسحوق ناعم. كانت الشبكات تغطي الساحة الخالية بأكملها. كان المشهد رائعًا وهادئًا. حاولت تجاهل الشكل المتكتل في منتصف الساحة المغطاة بالشبكات، حيث انتهت آثار أقدام مايكل. تبعته، وكان الأمر أشبه بالخوض في ضباب عائم في الهواء. قادني مايكل بعيدًا عن الجثة، على الأرجح حتى لا أنهار.

كان لدى مايكل مجرفة صغيرة، لكنه جعلني أستخدم يديَّ. لا أعرف لماذا وافقت على الحفر. طوال الطريق، كنت أظن أن خوف مايكل، تلك الجرعة الصغيرة من الارتجاف التي أظهرها عندما غادرنا، ستزداد وستجعله يدرك حجم ورطته وسيستدير بالسيارة.

لكن بدلًا من ذلك، سلك الاتجاه الآخر. عندما كنا نبتعد عن المدينة باتجاه الفجر، أصبح أكثر هدوءًا، وأكثر رزانة.

وضع مايكل منشفة قديمة فوق معظم الجثة، لكنني استطعت رؤية كوع أبيض يبرز مثل غصن سقط فوق الشبكات.

كان مايكل يخبرني كلما نظرت باتجاهه: «لا تنظر».

استمررنا في الحفر بصمت لمدة خمس عشرة دقيقة أخرى حتى توقفت.

قال مايكل. «استمر في الحفر».

- يتحرك.

- ماذا؟

- **إنه يتحرك!** انتظر. انظر.

وبالفعل، ارتعش السطح المغطى بالشباك. وأصبح أكثر وضوحًا من مجرد نسمة ريح تمر عبر الساحة الخالية. تحول الانطباع من كونه ثلجًا صلبًا إلى محيط أبيض متماوج. كان بإمكاني تقريبًا أن أشعر به عبر الخيوط، وكأنني العنكبوت الذي نسج هذا، وكأنني العصب المركزي.

توقف مايكل عن الحفر ونظر إلى الأعلى: «عُد للسيارة».

- لا.

مشى مايكل نحو الجثة وأزال المنشفة. تبعته، ورأيت الجثة بالكامل لأول مرة.

كانت هناك بقعة داكنة لامعة فوق أحد الوركين. **شخص ما أطلق النار عليه، ثم صدمته.** هذا ما قاله مايكل، لم أكن متأكدًا؛ لم أرَ إطلاق نار إلا في الأفلام.

رقبة الرجل كانت متورمة، وكأنه قد ابتلع كرة جولف. كان يرتدي قناع بالاكلافا[1] أسود، لكنه لم يرتده بالشكل الصحيح تمامًا. كان القماش منتفخًا في أماكن غير مناسبة. عندما كنت طفلًا، كان المتنمر

(1) قناع وجه مغطى بالكامل بالصوف أو نوع قماش ثقيل مع ترك مجال لثقب كبير في الوجه أو للعينين فقط. (المترجمة)

في مدرستي يضع كرتين من كرات الكريكيت في جورب ويضربني بهما. هذا هو الشكل الذي بدا عليه قناع البالاكلافا. شعرت أن القماش هو الشيء الوحيد الذي يحافظ على رأسه مجتمعًا. كان به ثلاث فتحات، اثنتان للعينين، اللتين كانتا مغلقتين، وواحدة للفم. كانت هناك فقاعات حمراء صغيرة متجمعة على شفتيه، تنبض. الفقاعات كانت تتزايد وتنسكب على ذقنه. لم أتمكن من رؤية ملامحه، لكنني استطعت الاستنتاج من ذراعيه الملطختين بالبقع والضرر الناتج عن أشعة الشمس، والأوردة المنتفخة على ظهر يديه، إنه كان أكبر من مايكل بعشرين عامًا على الأقل.

انحنيت، وشبكت يديَّ، وأعطيت بعض الضغطات البدائية على صدره. انهار صدر الرجل بطريقة عرفتُ أنه لا ينبغي لها أن تحدث، مباشرة عند عظمة القفص الصدري، وكل ما فكرت فيه للحظة هو أن صدره كان أشبه بحقيبة أموال، مفتوحة من المنتصف.

قال مايكل: «أنت تؤذيه». ووضع يده تحت ذراعي وسحبني إلى الأعلى، قبل أن يوجهني بعيدًا.

حاولت التوسل له للمرة الأخيرة: «علينا أن نأخذه إلى المستشفى».

- لن ينجو.

- ربما يستطيع.

- لن ينجو.

- علينا أن نحاول.

- لا أستطيع الذهاب إلى المستشفى.

- لوسي ستتفهم.

- لا.

- لا بدَّ أنك استفقت من حالة السكر الآن.

- ربما.

- أنت لم تقتله.. قلت إن شخصًا ما أُطلق عليه النار. هل المال له؟

تأوه مايكل.

- من الواضح أنه سرقه. هذا منطقي. ستكون بخير.

- مئتان وستون ألفًا.

أيها القارئ، أنت وأنا نعلم بالفعل أن المبلغ في الواقع مئتان وسبعة وستون ألفًا، لكن ما أثار دهشتي هو أنه، بالرغم من عدم امتلاكه الوقت للاتصال بالإسعاف، وجد وقتًا ليحصي المال بشكل تقريبي. وإلا لقال مئتين وخمسين كرقم تقريبي لو كان يخمِّن. لقد قالها أيضًا بطريقة بدت وكأنه يستعطفني. لم أتمكن من معرفة ما إذا كان يعرض عليَّ جزءًا من المال، أو أنه كان يذكر حقيقة يعتقد أنها مهمة لاتخاذ القرار.

بدأ يتوسل. كان يعرض عرضه: «اسمع، يا إرن، إنه مالنا...».

ثم تحدثت معه بلهجة حازمة أكثر من أي مره طوال حياتي: «لا يمكننا تركه هنا بهذا الشكل. لن أفعل هذا».

فكر مايكل للحظة، ثم أومأ برأسه. وقال: «سأذهب لأتفقده».

سار مايكل نحو الجسد وانحنى بجانبه. مكث هناك لبضع دقائق. كنت سعيدًا بالمجيء؛ ما زلت أعتقد أنه التصرف الصحيح. الأخ الأكبر لا يستمع بسهولة لأخيه الأصغر، لكنه كان بحاجتي هناك. وقد جعلت الأمور تسير على الطريق الصحيح. كان الرجل حيًّا طوال الوقت، وسنأخذه إلى المستشفى. لم أتمكن من رؤية الكثير، حيث كان مايكل طويلًا، لكنني كنت أرى ظهره في وضع القرفصاء وذراعيه ممدودتين نحو رأس الرجل فقد كان يعلم أنه يجب دعم الرقبة في حال حدوث

إصابة في العمود الفقري. كانت كتفا مايكل النحيفتان تتحركان صعودًا وهبوطًا. كان يقوم بالإنعاش القلبي الرئوي، يحاول إعادة الرجل إلى الحياة مثل من يحاول تشغيل جزازة العشب. كنت أرى ساقيَّ الرجل. لاحظت وجود حذاء مفقود. مايكل كان هناك لفترة طويلة الآن. كان هناك شيء خاطئ. نحن في الصفحة 30.

وقف مايكل وسار نحوي مرة أخرى. قال: «يمكننا دفنه الآن».

لا يُفترض أن يقول هذا. لا. لا. كان كل ذلك خطأ. تراجعت وسقطت للخلف. خيوط لزجة كانت تتشابك حول ذراعي. «ماذا حدث؟».

- لقد توقف عن التنفس.

- توقف عن التنفس؟

- توقف هكذا فقط.

- هل هو ميت؟

- نعم.

- هل أنت متأكد؟

- نعم.

- كيف؟

- لقد توقف فقط عن التنفس. اذهب وانتظر في السيارة.

أختي غير الشقيقة

الفصل الثاني

سأصل إلى قصتي، لكن يجب أن أخبرك عن قصص أخرى أولًا. أتمنى لو أنني قتلت الشخص الذي قرر أن يكون لم شمل العائلة في منتجع للتزلج.

عادةً ما أكون حازمًا في رفض أي دعوة تأتي مرفقة بجدول إكسل، ولكن المبالغة في التحضير هي من اختصاص عمتي كاثرين. كانت الدعوة عبر البريد الإلكتروني لاجتماع عائلة كانينجهام/جارسيا، مكتملة بثلج متحرك من تصميم البكسل، تتضمن عبارة أن الحضور إلزامي. أنا معروف في الأوساط العائلية بأنني جاهز دائمًا بعذر ما –ليس لأنهم اهتموا فعلًا بغيابي في السنوات الثلاث الماضية- سواء كان ذلك العذر حيوانًا مريضًا، سيارة معطلة، أو مخطوطة يتطلب تسليمها وقت محدد.

كاثرين لم تترك أي مجال للتهرب هذه المرة. وعدتنا في الدعوة بعطلة نهاية أسبوع ممتعة وفي مكان منعزل حيث يمكننا جميعًا أن نلتقي. لقد كتبت عبارة **جميعنا** بخط عريض، وكذلك كلمة **إلزامي**. وعلى الرغم من مهارتي في التملص، فإنني لا أستطيع الجدال فيما يتعلق بالكلمات المكتوبة بخط عريض. وبينما لم تكن **جميعنا** تعني أنا تحديدًا، كنت أعرف من المقصود، وهذا يعني أنني سأذهب. بالإضافة إلى ذلك، بينما كنت أملأ البيانات في جدول إكسل، مثل ما الذي يصيبني بالحساسية، مقاس حذائي، كيف أحب أن تُطهى شريحة اللحم الخاصة

بي، ولوحة أرقام سيارتي، سمحت لنفسي بتخيل قرية تغطيها الثلوج وعطلة نهاية أسبوع مليئة بالمدافئ المشتعلة وأكواخ الخشب.

عوضًا عن ذلك، كنت أعاني البرد في ركبتيّ وتأخرت ساعة عن طعام الغداء.

لم أدرك أن الطريق لن يكون مُمهَّدًا. كان اليوم صافيًا وأشعة الشمس الضعيفة تذيب قليلًا من الثلج المتراكم، مما جعل إطارات سيارتي الهوندا سيفيك تنزلق. لذلك اضطررت إلى العودة واستئجار سلاسل للإطارات بسعر باهظ عند سفح الجبل، ثم الركوع في الوحل الممزوج بالثلج على جانب الطريق لأضع السلاسل، بينما كانت إفرازات أنفي تتجمد على شكل متدليات الكهوف[1]. كنت سأظل هناك لولا أن امرأة توقفت بسيارتها من اللاند روفر المجهزة بأنبوب غليون[2]، ومدت لي يد العون لكن نظرتها كانت تحمل طابعًا طفيفًا من الحُكم عليَّ. بعد أن بدأت التحرك مرة أخرى، راقبت الساعة تتقدم ببطء بينما كنت أُبدل بين تشغيل التدفئة واستخدام المكيف لإزالة الضباب عن النوافذ، لكن مع وجود السلاسل لم أتمكن من تجاوز سرعة الأربعين. كنت أعرف تمامًا مدى تأخري - بفضل جدول الإكسل الذي أرسلته كاثرين.

أخيرًا رأيت المنعطف، هرم من الصخور المفككة مع لافتة بعنوان «منتجع سكاي لودج الجبلي» «Sky Lodge Mountain Retreat» تشير إلى يميني. تخيلت أن اللافتة تحتوي على فاصلة، لذا قرأتها بدلًا من ذلك «سكاي لودج الجبلي، فلتبتعد» «,Sky Lodge Mountain Retreat!»، وهو ما اعتبرته نصيحة جيدة قبل تجمع عائلة كانينجهام.

(1) مصطلح يقصد به التكونات المعدنية الطبيعية المتدلية من أسقف الكهوف الرطبة. (المترجمة)

(2) جهاز لحماية محرك السيارة يُصنع من مواد عالية الجودة لضمان حماية المحرك من الأمطار الغزيرة والمياه والثلوج. (المترجمة)

لم يكن معي أحد في السيارة لأخبره بنكتتي، لكنني كنت أعلم أن إيرين كانت ستجدها مضحكة في يوم من الأيام، لذا ضحكت في رأسي وأخذت الفضل عليها على أي حال. أنا مدرك دعابة أن أسماءنا، إيرني وإيرين، تكاد تكون تلاعبًا بالألفاظ. عندما كان يسألنا الناس كيف التقينا، كنا نقول: «التقينا أبجديًّا». أعلم، إنها نكته مثيرة للاشمئزاز.

الحقيقة أبسط بكثير؛ لقد ترابطنا بسبب نشأتنا في أسر تتكون من أحد الوالدين فقط. عندما التقينا، أخبرتني أن والدتها توفيت بسبب السرطان عندما كانت صغيرة، وتربت على يد والدها. سأخبرك عن والدي لاحقًا. لكنها كانت تعرف عنه بالفعل عندما التقينا؛ فالسمعة السيئة يسهل البحث عنها على جوجل.

عند المنعطف كان هناك مبنى غير قانوني يبدو كأنه حانة، بناءً على اللافتة التي كُتب عليها **بيرة** بدهان بسيط. كانت هناك أكوام من الزلاجات متكئة على الحائط. كان هذا النوع من الأماكن التي يمكنك أن تلعق فيه النوافذ عوضًا عن شراء مشروب منه، وكان الطاهي المساعد عبارة عن ميكروويف. سجلت هذا المكان في ذهني كملاذ محتمل. يوجد اجتماع عائلي في عطلة نهاية الأسبوع، وكنت أتوقع وجود سلسلة من الوجبات المتتابعة تتخللها انسحابات تكتيكية إلى الغرف الخاصة. لذا، كان من المفيد أن تكون لدي خيارات أخرى.

وأجل، بالمناسبة، إيرين ليست ميتة. أدرك أنه عند الإشارة الغامضة إلى حبيبة قديمة، قد يبدو الأمر وكأنني سأكشف لاحقًا أنها كانت ميتة طوال الوقت، لأن هذا ما يحدث في هذا النوع من الكتب، لكن هذا ليس الحال. كانت قادمة بالسيارة في اليوم التالي. كنا لا نزال متزوجين من الناحية التقنية. وبالمناسبة، أرقام الصفحات لا تتوافق مع ذلك.

بعد المنعطف بوقت قصير، أدركت أنني لم أعد على التل، بل كنت أنحدر نزولًا، وسرعان ما اخترقت الأشجار لأجد نفسي على حافة وادٍ مذهل، عند قاعدة هذا الوادي تجد **سكاي لودج**. يُروج له كأعلى مكان إقامة يمكن الوصول إليه بالسيارة في أستراليا، الذي، ولأكون عادلًا، أشبه بالتفاخر بكونك أطول فارس في العالم. يشمل المكان ملعب جولف مكونًا من تسع حفر محفورة في جانب الجبل، وبحيرة مليئة بأسماك السلمون المرقط لصيدها أو التجديف عبرها، بالإضافة إلى توافر معاني مثل **الاسترخاء** بجانب الموقد **وتجديد الشباب**، وإمكانية الوصول إلى منتجع التزلج المجاور (لا تشمل الإقامة تذكرة التلفريك بالطبع)، وتجد حتى مهبط طائرات خاص. أقتبس كلامي من المنشور السياحي، لأنه قد تساقط الثلج بغزارة خلال الليل، وكل شيء، بداية من الطريق أمامي إلى ملعب الجولف الذي أصبحت مساحته الآن بمعدل 400 ضربة جولف، وصولًا إلى التندرا[1] المسطحة على بعد بضع مئات من الأمتار من بيت الضيافة الذي افترضت أنه البحيرة، كان مغطى بالطبقة الطازجة نفسها من الثلج. الوادي يبدو في الوقت نفسه مسطحًا، حادًّا، صغيرًا ولا نهائيًّا.

انزلقت برفق إلى أسفل التل، من دون استعجال. الثلج الأبيض الناصع يتميز بقدرته في التشويش على قدرة إدراك العمق، ولولا المجموعة الصغيرة من المباني نصف المدفونة في الأسفل كمرجع، ربما لم أكن لألاحظ حدة الانحدار إلا بعد فوات الأوان، عندما تصبح الفرامل عديمة الفائدة وتحبسني في انزلاق سريع إلى الأسفل، حيث كنت سأصل في الموعد المحدد تمامًا لتناول الغداء لكن كشخص ميت.

---

(1) في الجغرافيا الطبيعية هي نوع من المواطن البيئية حيث يمتنع نمو الأشجار بسبب درجات الحرارة المنخفضة جدًّا وقصر طول مدة النمو. (المترجمة)

كان مركز المنتجع عبارة عن بيت ضيافة متعدد الطوابق، مطليٌّ باللون الأصفر الزاهي ليبرز وسط الجبل، بمدخل بأعمدة. ينفث دخانًا من مدخنة من الطوب دعمت الجدار الجانبي كقضيب، وعلى سطحه كمية من الثلج تمثل الحلم لأي شخص يقوم بالإعلانات. خلف خمسة صفوف من النوافذ، عدة من النوافذ توهجت بضوء أصفر ناعم، مثل تقويم قدوم الكريسماس. كان بيت الضيافة مسبوقًا بسلسلة من اثني عشر شاليهًا، بُنيت في صفين من ستة، بأسقف من حديد مموج تصل إلى الأرض، متماشية مع سفح الجبل، مما سمح بوجود نوافذ تمتد من الأرض إلى السقف في الجهة الأمامية، لتوفر إطلالات مباشرة على قمة الجبل الصخرية. كنت سأقيم في واحدة من هذه الشاليهات التي تشبه أسنان القرش، لكنني لم أكن متأكدًا أيًّا منها هو رقم 6، وهو رقم إقامتي في جدول كاثرين، لذا قدت سيارتي إلى أن وجدت عدة سيارات متوقفة بجانب بيت الضيافة.

لقد تعرفت على بعضها: سيارة مرسيدس إس.يو.في خاصة بزوج أمي، التي كانت بها **لافتة طفل** في السيارة غير حقيقية في النافذة الخلفية، لأنه كان يعتقد أن الشرطة توقفه بشكل أقل عندما يرونها؛ سيارة فولفو ستيشن خاصة بعمتي كاثرين، التي كانت مغطاة بالثلوج بالفعل لأنها قد وصلت قبل يوم؛ سيارة لوسي ‹**نوع السيارة محجوب**›، التي كانت تندمج مع الثلج، السيارة التي كانت تعرضها كثيرًا على انستجرام وتتفاخر بها باعتبارها «مكافأة عملها». وكانت سيارة اللاند روفر الخاصة بمنقذي هناك أيضًا - بالطبع كانت موجودة؛ في كتاب كهذا قد يكون من الأفضل أن تكون أرقام لوحتها ‹**M33T-QT**›. لقد تعرفت عليها من أنبوب الغليون البلاستيكي الكبير.

كانت كاثرين تهرول عبر الساحة قبل أن أخرج من السيارة، تميل إلى عرج طفيف ناتج عن حادث سيارة في منتصف العشرينات من عمرها. كانت تمثل التعريف المثالي للشقيقة الصغيرة بالنسبة لأبي، حيث كان فارق العمر بينهما كبيرًا لدرجة أنه عندما أنجبت والدتي أولادها من عائلة كانينجهام وهي في الثلاثينات من عمرها، كنت أنا أقرب في العمر إلى عمتي مما كانت عليه أمي بالنسبة لأخت زوجها. لذا، في أثناء نشأتي، أتذكر كاثرين كشخصية شابة، مليئة بالطاقة والمرح. كانت تجلب لنا الهدايا وتبهجنا بقصصها الرائعة. أعتقد أنها محبوبة أيضًا، يتحدث عنها الناس في حفلات الشواء العائلية عندما لا تكون موجودة. ولكن مع مرور الزمن، تصبح أكثر حكمة، والآن أعلم الفرق بين أن تكون محبوبًا وبين أن يتحدث عنك الناس. قاطعتني ذكرى طريق مبلل ومحطة حافلات. الحادث الذي كسر الكثير من عظامها وسحق ساقها، لكنه أيضًا عدَّل مسار حياتها. الآن، الشيء الوحيد الذي تحتاج حقًّا إلى معرفته عن كاثرين هو أن جملتيها المفضلتين هما: ‹أين كنت طوال هذا الوقت؟› و‹بخصوص بريدي الإلكتروني السابق›.

كانت ترتدي قميصًا حراريًّا باللون الأزرق فاتحًا تحت سترة منتفخة من ماركة نورث فيس، وبنطالًا مضادًا للماء يُصدر صوتًا خفيفًا عند الحركة، وحذاءً للمشي بدا صلبًا مثل الخبز القديم. كل شيء كان جديدًا ونظيفًا وكأنه خرج للتو من المتجر. بدت وكأنها دخلت متجر مغامرات وأشارت إلى تمثال عرض الأزياء وقالت: «هذا هو». زوجها، أندرو ميلوت (لكننا جميعًا نناديه آندي)، الذي تبعها لكنه حافظ على مسافة بينهما، كان يرتدي ملابس غير مناسبة للطقس، حيث يرتدي الجينز وسترة جلدية، بدا وكأنه قضى وقته في متجر المغامرات نفسه وهو يراقب

ساعته. دون أن آخذ حقائبي أو معطفي، قررت أن التعرض للهواء البارد أفضل من مواجهة لسان كاثرين، فأسرعت لاعتراض طريقها.

«لقد تناولنا الطعام بالفعل»، كان هذا كل ما قالته، وأعتقد أن هذا من المفترض أن يكون نقدًا وعقابًا في الوقت نفسه.

«كاثرين، أنا آسف. واجهت مشكلة في الجبل بعد مدينة جندابابن. تساقط الثلج من جديد». أشرت إلى السلاسل على إطارات سيارتي: «لحسن الحظ، ساعدني شخص ما في تركيبها».

قالت باستنكار: «ألم تتحقق من توقعات الطقس قبل أن تغادر؟». بدت غير مصدقة أن شخصًا قد يرتكب مثل هذه الخيانة في حق الالتزام بالمواعيد لدرجة أنه لم يضع الطقس في اعتباره.

اعترفت بأنني لم أفعل.

- كان عليك أن تأخذ ذلك في الحسبان.

اعترفت بأنها كانت على حق.

ضغطت كاثرين على أسنانها غضبًا. كنت أعرفها بما يكفي لأدرك أنها أرادت فقط التعبير عن رأيها، لذا بقيت صامتًا. قالت في النهاية: «حسنًا إذًا». ثم اقتربت وأعطتني قبلة جليدية على خدي. لم أعرف قطُّ كيف أبادل تحية التقبيل على الخدين، لكن قررت أن أطبق نصيحتها وأخذ الطقس في الاعتبار -مزاجها العاصف- فقررت أن أطلق صوت مواه في الهواء بجانب وجهها. وضَعت مجموعة من المفاتيح في يدي وقالت: «غرفتنا لم تكن جاهزة بالأمس، لذا أنت في الغرفة رقم أربعة الآن. الجميع في غرفة الطعام. تسعدني رؤيتك».

انطلقت عائدة لبيت الضيافة قبل أن أتمكن من القيام بمحادثة صغيرة، لكن آندي انتظر وسار معي، مقدمًا لي إيماءة تحية بكتفه بدلًا

من إخراج يديه من جيوبه لمصافحتي. كان البرد قارسًا، لكنني كنت ملتزمًا بالتواصل الاجتماعي الآن، لذا كان عليَّ ترك سترتي في السيارة. كانت الرياح قاسية؛ لقد وجدت كل فجوة في ملابسي، اقتحمتني وفتشتني وكأنني مدين لها بالمال.

قال آندي: «آسف على ذلك. يجب أن تتساهل معها». هذا هو آندي باختصار، يريد كلًا من التحالف الرجولي والدفاع عن زوجته: هو من النوع الذي يقول: «نعم، حبيبتي». في حفلات العشاء، ثم يهز رأسه ويقول عندما تكون في الحمام «أوف، النساء، صحيح؟». كان أنفه أحمرَ، ولكن من الصعب تحديد ما إذا كان السبب هو الكحول أو درجة الحرارة، وكانت نظارته ضبابية قليلًا. لحيته الصغيرة السوداء الفاحمة بدت وكأنها قد أُخذت رهينة من رجل أصغر سنًّا؛ كان في أوائل الخمسين.

قلت: «لم أقم برقصة استدعاء المطر الليلة الماضية لأزعجها».

«أعرف يا صديقي. إنها فقط عطلة نهاية أسبوع صعبة على الجميع. لذا، كما تعلم، ليس عليك السخرية منها لمجرد أنها تحاول أن تجعل الأمور أسهل قليلًا». توقف قليلًا وقال: «ليست مشكلة كبيرة، لا تدع الأمر يؤثر على استمتاعنا ببعض الجعة خلال هذه الرحلة».

«لم أسخر منها. لقد تأخرت فقط». رأيت أختي غير الشقيقة، صوفيا، تدخن سيجارة على الشرفة ونحن نقترب. رفعت حاجبيها وكأنها تقول، الوضع **أسوأ في الداخل**.

تقدم آندي بضع خطوات في صمت، ورغم أنني توسلت من أعماقي ألا يفعل، أخذ نفسًا وقال: «نعم، لكن»، وقررت أن لا شيء أكثر حزنًا من رجل يحاول الدفاع عن امرأة تستطيع الدفاع عن نفسها: «لقد بذلت قصارى جهدها في تلك الدعوات، ولم يكن عليك السخرية من جداولها».

- لم أقل شيئًا.

- ليس الآن. بل عندما أعدت إرسالها. كتبت تحت بند الحساسية ‹جداول البيانات›.

قلت: «أوه». سمعت صوفيا ذلك وسخرت، مطلقة سحابة من الدخان من أنفها. إيرين، التي ليست ميتة، كانت ستعجب بهذا أيضًا. لم يكن آندي بحاجة لأن يقول بصوت عالٍ ما كتبته تحت بند «أقرب الأقربين» **-إنه لم شمل عائلي، لذا أي شخص هنا هو قريبنا، إلا إذا حدث انهيار جليدي-** حتى أشعر بأنني أحمق تمامًا. استسلمت: «سأكون أكثر تساهلًا».

ابتسم آندي، سعيدًا بأن فضائله الزوجية، حتى وإن لم تكن مشبعة بالعاطفة، كانت على الأقل تفي بالغرض.

توجه إلى الداخل، وهو يقلد حركة الشرب في أثناء مغادرته ليشير إلى أنه سيطلب لي مشروبًا، مؤكدًا على ولائنا الذكوري، بينما توقفت لألقي التحية على صوفيا. كونها من غواياكيول في الإكوادور ذات المناخ الحار، كانت تكره البرد، وقد رأيت على الأقل ثلاث ياقات تلتف حول عنقها تحت المعطف الذي ترتديه. بدا رأسها كبرعم زهرة يخرج من حلقة من البتلات المطوقة. رغم تدفئتها، كانت تحتضنها إحدى ذراعيها الملفوفة حول خصرها لتشعر بالدفء. كنت أعلم أنني أكثر اعتيادًا على البرد منها، فقد أغرقت نفسي في حمامات جليدية عدة مرات على مر السنين (معلومة طريفة: يبدو أن درجات الحرارة المنخفضة تزيد من خصوبة الذكور)، لكنني لم أرغب في إطالة الحديث، فقد كان البرد يتغلغل إلى جسدي.

قدمت لي سيجارتها رغم معرفتها أني لا أدخن؛ كانت فقط تحب القيام بهذا الشيء دائمًا.

لوَّحتُ بيدي لطرد الدخان بعيدًا.

قالت بسخرية: «بداية جيدة».

- اصنع الصداقات مبكرًا، هذا ما أقوله دائمًا.

«سعيدة بوصولك أخيرًا. كنت أنتظرك لتنقذني - كنت أعلم أنك ستشغل الجميع عني. هنا». قدمت لي قطعة صغيرة مربعة من الورق المقوى، مطبوعًا عليها جدول. في كل مربع كانت هناك جملة قصيرة تتعلق بأحد أفراد العائلة: **مارسيلو يصرخ على نادل؛ لوسي تحاول بيعك أي شيء. رأيت اسمي -إرنست يُفسد شيئًا ما- في العمود الأيسر الأوسط.**

سألت وأنا أقرأ العنوان. «بينجو؟ بينجو اللقاء العائلي».

رفعت بطاقتها؛ استطعت رؤية علامة صليب عليها بالفعل: «ظننت أنها ستكون ممتعة. صنعتها لك ولي فقط. (تجعد أنفها بازدراء). الآخرون مزعجون».

خطفتُ البطاقة منها. كانت تحتوي على عبارات مختلفة عن بطاقتي، بالإضافة إلى بعض الأحداث العامة. كانت قواعد اللغة متلاشية، وحروف عشوائية كبيرة للتأكيد، وأقواس عبثية، ولا تستعمل النقطة في نهاية الجملة. بعض العبارات تحمل سخرية أكثر من غيرها. يمكن الاعتماد عليَّ في الوصول متأخرًا، تمامًا كما يمكنك الاعتماد على أن مارسيلو سيوبخ موظفي الضيافة، لكن المربع السفلي في الزاوية اليمنى كُتب عليه: **انهيار جليدي**. نظرت إلى بطاقتي؛ كتب في المكان نفسه: **عظمة مكسورة (أو موت أحدهم)** مع وجه مبتسم غير متناسق.

أما المربع الذي مرت عليه صوفيا بالفعل فكان يقول: **إرنست متأخر.**

أعدتُها لها. «هذا غير عادل».

- من الأفضل أن تواكب هذا. هل نبدأ؟

أومأتُ برأسي. أنهت صوفيا سيجارتها ورمت عقبها من الشرفة في الثلج. لكن وسط البياض النقي غير الكثيف، بدا العقب في غير محله بشكل واضح. نظَرت إليَّ بنظرة يائسة، ثم نزلت بتثاقل عن الشرفة، وانحنت لالتقاطه ووضعته في جيبها.

قالت وهي تقودني للداخل: «تعلم، ستضطر أن تبدو لطيفًا إذا أردت الخروج من هذه العطلة حيًّا».

أقسم بالرب إن هذا ما قالته. حتى إنها غمزت لي، وكأنها هي من تروي تلك القصة اللعينة.

الفصل الثالث

كان بيت الضيافة نفسه عبارة عن كوخ صيد متنكر في هيئة فندق الريتز[1]: كل سطح، درابزين، ومقبض باب مزين بالخشب المصقول البارز؛ هناك إضاءة خافتة من مصابيح كهربائية مثبتة على الحائط، مصنوعة من زجاج متجمد على هيئة زهور، البهو يحتوي على سجادة حمراء، مع ثريا تتدلى من السقف لتتألق بجوار الممشى في الطابق الثاني. في الواقع، كل شيء فوق مستوى الخصر كان أنيقًا بما يكفي لتعويض الجزء السفلي المتضرر من الثلج: يشبه هذا الفندق مكالمة الفيديو التي ترتدي فيها قميصًا أنيقًا دون سروال تحتي. السجادات، بالية بفعل الخطوات الثقيلة للأحذية المغطاة بالثلج، مفروشة فوق أرضية خشبية منتفخة تصدر صريرًا وكأنها لم تُثبت بالمسامير جيدًا، السجاد المُرقع وثقوب الفئران التي وضع عليها اللاصق باستعجال دليل على أن المبنى يُدار وفق مبدأ أن الحلول السريعة أسهل من استدعاء عامل بناء إلى الجبل. ناهيك بالرطوبة؛ حيث انبعثت رائحة في المكان بأكمله تشبه رائحة سيارتي بعد أن تركت فتحة السقف مفتوحة خلال عاصفة رعدية. الارتفاع يضيف عدة نجوم إلى تصنيف أي فندق، وبينما

---

(1) هو فندق فخم من فئة 5 نجوم يقع في 150 بيكاديللي في لندن، إنجلترا. يُعد الفندق رمزًا للمجتمع الراقي والرفاهية، وهو أحد أكثر الفنادق شهرة ومكانة في العالم. (المترجمة)

يستحق هذا الفندق بالكاد نجمتان فقد كان يتظاهر أنه أربع نجوم، إلا أنه امتلك سحرًا دافئًا.

تلاشت كل الأحاديث بمجرد دخولي إلى غرفة الطعام، حيث كان الجميع في منتصف تناول الحلوى، واستُقبلتُ بسيمفونية من أصوات الملاعق وهي تطرق الأطباق. كانت والدتي، أودري، جالسة في رأس الطاولة، تنظر إليَّ بتمعن. شعرها فضي كخيوط الصيد، مربوط على شكل كعكة، وتعلو عينها اليمنى ندبة. ترددت - ربما كانت تفكر فيما إذا كان هذا أنا أم شقيقي (فقد مر وقت طويل منذ أن رآها أحدنا) - ثم دفعت كرسيها بعيدًا عن الطاولة وأسقطت سكين الطعام بصوت مسموع. كانت هذه أحد أساليبها لوقف الجدال، التي أتذكرها من طفولتي.

مارسيلو، زوج أمي، كان جالسًا إلى يسارها. مارسيلو رجل ممتلئ، أصلع، ولديه ثنية صغيرة فوق مؤخرة رقبته لطالما افترضت أنه يعتني بها كما لو كان يجب عليه تنظيفها في حالة تراكم العفن عليها. وضع يده الثقيلة على معصم أودري. ليس بطريقة متسلطة؛ لا أريد أن أشوه طبيعة علاقة والدتي أو أن أثير أحكامًا مسبقة تجاه الأزواج غير البيولوجيين. كما ترى، زوج أمي دائمًا ما كان يرتدي ساعة رولكس رئاسية بلاتينية تعود لأواخر الثمانينيات –وعندما بحثت بفضول عن سعرها المذهل، اكتشفت أنها تزن نحو نصف كيلوجرام– مما يعني أن كل ما يفعله بيده اليمنى كان، حرفيًّا، ثقيلًا. تذكرت أن إعلان هذه الساعة كان مثيرًا للسخرية: يجب أن يكون الإرث ثقيلًا بما يكفي ليحمل التاريخ. كان مارسيلو يرتديها منذ اللحظة الأولى التي أتذكره فيها. افترضتُ أنني لست من ضمن المرشحين لوراثتها. وبالرغم من سخافة الشعار، كان أفضل من بعض الشعارات الأخرى التي رأيتها –مثل عمق

ثلاثمئة متر، زجاج مضاد للرصاص: آمن كخزنة بنك– التي توحي بأن جميع أصحاب الملايين هم مدربون غوص بدوام جزئي.

قالت أودري وهي تُبعد يد مارسيلو بحركة تحمل صوتًا خشنًا: «لقد انتهيت». كان لا يزال طبقها ممتلئًا للنصف.

تمتمت صوفيا: «أوه، انضجي قليلًا». كانت تجلس بجوار لوسي (زوجة أخي، التي قد تتذكر ذكر مايكل لها في الفصل الأول)، والتي كانت تجلس مقابل مارسيلو. كان واضحًا أن لوسي اعتنت بمظهرها خصيصًا لهذه العطلة؛ حصل شعرها الأشقر على قصة حديثة بأسلوب البوب، وبطاقة السعر كانت بارزة من ياقة سترتها الصوفية الجديدة. لا أعلم إذا استمدت صوفيا جرأتها بسبب وجود لوسي كدرع واقٍ، أم إنها لم تلاحظ مدى قرب والدتي من أدوات المائدة الحادة، لكن مثل هذا الردّ الوقح كان ليكون انتحاريًّا لو جاء من أحد أفراد العائلة. بدلًا من ذلك، الشيء الوحيد الذي مات حينها كان عزم أمي على مغادرة الطاولة، وعادت لمقعدها بتثاقل.

أكمل آندي وكاثرين صفّ الأعضاء الملتزمين بالمواعيد في العائلة. جلست بهدوء بجانب صوفيا، أمام طبق مغطى. اتضح أن أحدهم قد حفظ لي الطبق الرئيس، لحم بقري مطبوخ وفقًا للمواصفات المحددة، ويبدو أن كاثرين كانت تحدق إلى الغطاء على الطبق لبعض الوقت لأنه لا يزال دافئًا. كان لدى لوسي طبق إضافي أمامها، مما يعني أنها أخذت طبقي الترحيبي، وتساءلت عما إذا كانت فقط جائعة أم إن ذلك التصرف كان متعمدًا.

هناك شيء يجب أن تعرفه عني أنا أحب النظر إلى كل شيء من منظورين. أحاول دائمًا رؤية جانبيَّ العملة.

قال آندي وهو يصفق بيديه معًا محاولًا كسر حاجز الصمت، وهو أمر غبي لا يحاول فعله إلا شخص قد تزوج من هذه العائلة: « إذًا، ما رأيكم في هذا المكان، ها؟ هل تحقق أحدكم من السطح بعد؟ سمعت أن لديهم جاكوزي. يمكنكم الانطلاق للعب الجولف من السطح أيضًا. موظف الاستقبال أخبرني أنه إذا فزت في مسار محطة الطقس، سيعطونك مئة دولار. من مستعد؟». بحث عن الحماس بالنظر بعناية إلى مارسيلو، الذي بدا وكأنه يرتدي ملابس لرحلة الجولف عوضًا عن ملابس الطقس البارد، فقد كان يرتدي سترة بنمط مربعات حتى أنا كنت أعلم أنها مصنوعة من القطن، وليست من الصوف، وبالتالي كان هذا بمنزلة رغبة حقيقية في الموت في هذا الطقس الرطب والبارد. شعرت أن المرأة التي كانت تقود سيارة الدفع الرباعي المزودة بأنبوب غليون قد حكمت علي، لكن على الأقل جلبت معي سترة من قماش الصوف القطبي.

تابع آندي وهو ينظر حول الطاولة: «إرن؟». دفعته كاثرين التي كانت بينه وبين مارسيلو ليصمت. كان الحديث مع العدو ممنوعًا.

أكلنا جميعًا في صمت، لكنني كنت أعلم أن كل شخص على الطاولة يفكر في الشيء نفسه الذي كنت أفكر فيه: إن صاحب فكرة بداية هذه العطلة قبل موعدها بيوم -رغم أننا جميعًا كنا نعلم أن السبب الحقيقي لوجودنا هنا لن يصل حتى الغد- يستحق أن يُقيد على مزلجة ويُرسل في طريق مختصر إلى أسفل الجبل.

يمكنك أن تعرف الكثير عن شخص ما من خلال قدرته على تحمل الصمت غير المريح. سواء تحمله حتى ينتهي أو سارع إلى إنهائه. الصبر كان يبدو صفة مفقودة لدى هؤلاء الذين تزوجوا من العائلة، حيث كانت لوسي هي التالية في بدء الحديث.

سأخبرك قليلًا عن لوسي. تدير لوسي عملًا تجاريًّا مستقلًا عبر الإنترنت، وأقصد بذلك أنها تخسر المال عبر الإنترنت من حين لآخر. أنها تعتبر نفسها مالكةَ مشروعٍ صغيرٍ بالطريقة نفسها التي يعتبر بها آندي نفسه نسويًّا؛ تعلن عن ذلك بصوت عالٍ وبكثرة، وهي الوحيدة التي تؤمن بذلك.

لن أذكر اسم الشركة لأنني لا أريد التعرض للمساءلة القضائية، لكنني أتذكر أنها حصلت على ترقية إلى منصب نائب الرئيس التنفيذي الإقليمي (أو شيء من هذا القبيل) مؤخرًا، مع قرابة عشرة آلاف آخرين. لقب بلا مبرر، إلا إذا كانت كلمة نائب تُعطى بسبب عيبها الخاص المتعلق بإلحاحها على أصدقائها لشراء تفاهات ليسوا بحاجة إليها، في هذه الحالة كانت تستحق أن تكون الرئيس. هذا هو السبب أيضًا في حصولها على السيارة التي رأيتها أمام المنزل، التي وفقًا لمنشورها على انستجرام كانت مكافأة مجانية من البرنامج. كنت أعلم أن السيارة في الواقع مجرد عقد إيجار، وأن ‹الهدية› عبارة عن مساهمة شهرية مقيدة بشروط صارمة للغاية، إذا خُرقت، ستزول صفة «المجانية» وتترك على عاتق المالك قروض باهظة. بمعنى آخر، السيارة مجانية إلى أن تصبح غير ذلك.

كنت متأكدًا أن لوسي لم تعد مستوفيةً للشروط وكانت تدفع تكاليف السيارة من جيبها الخاص. لكن هذا كان جوهر الأمر: ألا يسمح للواقع بالتفوق على صورة النجاح. صديقي يعمل كبائع سيارات أخبرني أنه اضطر إلى منع نوع معين من النساء من التقاط الصور مع السيارات في ساحة العرض، تتظاهر تلك النساء بحصولهن على سيارة للتو ليعرضنَّها على الإنترنت. كن يغادرن غاضبات، في سيارتهن الصغيرة التي تنفث الدخان، مع قوس أحمر ضخم غير مستخدم في الخلف. لهذا

السبب، ستفهم أنني لم أذكر طراز سيارة لوسي، لأنها مرتبطة تحديدًا بشركة معينة.

لوسي تلتزم بفن الخطابة؛ تصفه بأنه عمل تجاري وتتوتر كلما قال أحدهم تلك الكلمة بعينها. لذلك، احترامًا لها، لن أستخدمها. سأكتفي بالقول إن المصريين هم من ابتكروها.

في محاولة للاندماج مع العائلة، كانت إيرين تحضر حفلات لوسي بإخلاص، وتشتري أرخص شيء من المنتجات التي كانت تروج لها لوسي في ذلك الشهر. وعندما تعود للمنزل، كانت تكتب فاتورة باسم المطعم الذي تجمعوا فيه وقيمة تعكس مدى الملل أو العناء الذي واجهته في الحفلة، وتتركها على وسادتي: فاتورة ضريبة الأقارب: **أداة لتجعيد الرموش 15 دولارًا؛ ثلاث أضعاف تكلفة معدل الدرس التجميلي الذي استمر أكثر من ساعة، الوقت الإضافي يكلف 1.5 دولار المبلغ الإجمالي 52.50 دولار، اسم المطعم: بيلا إيطاليـ**ن.

قالت لوسي: «هل وصل الجميع إلى هنا بسلام؟ رصدتني كاميرا رادار السرعة– مئتين وعشرين دولارًا لمجرد أني تجاوزت السرعة بنحو سبع وحدات. هذا أمر سخيف». كان شعور الارتياح واضحًا عليها تقريبًا لأن الموضوع ليس ترويجًا لشيء تبيعه، رغم أن ذلك لم يساعدني في بطاقتي البينجو (لوسي تحاول بيع أي شيء لك).

علَّق مارسيلو: «زيادة الإيرادات، إنهم يزيدون الدوريات لاصطياد السائحين، بينما يتغاضون عن السكان المحليين. ولهذا السبب تحديد سرعة أربعين لهذا الطريق. طريق كهذا يجب أن تكون سرعته سبعين، لكنهم يرغبون في اختبار صبرك».

سألت لوسي بأمل: «تعتقد أن هناك قضية في الأمر؟».

«لا على الإطلاق». لم أظن أن مارسيلو قصد أن يكون عدم اهتمامه -على الرغم من صدقه- بهذا البرود، لكنه جمد الأجواء على الطاولة.

كانت كاثرين صاحبة المحاولة التالية: «هل ذهبتم إلى الشاليهات الخاص بكم؟ إنها جميلة. أقمنا هناك الليلة الماضية والمناظر الصباحية...». توقفت وكأنها لم تجد كلمة في العالم توفي جمال الشروق ومهارتها في اختيار مناظر جبلية بأسعار تنافسية.

قال مارسيلو ببطء: «لم أدرك أننا سنحتاج إلى **المشي** بين الفندق ومكان الإقامة».

دافعت كاثرين وكأنها تمتلك أسهمًا في هذا المنتجع، «صدقوني، إنها أجمل بكثير من الغرف الموجودة بالأعلى. إضافة إلى ذلك، أردت أن يحصل على مساحة أكبر، تعلمون؟ ليستطيع التمدد فيها، مع إطلالة جميلة. وليس غرفة ضيقة بالكاد تكفي...».

قالت لوسي: «أظنه لن يكترث ما دام أن هناك أغطية جديدة وبيرة باردة».

تمتم مارسيلو: «هذا لا يعني أننا لا نستطيع البقاء هنا».

- حصلنا على خصم لحجز ست شاليهات، تذكرون؟

لم أستطع مقاومة توجيه النقد إلى لوسي: «ربما يدفع مخالفة السرعة الخاصة بكِ». لكن باستثناء لمحة ابتسامة وامضة من صوفيا، تم تجاهلي.

أخرج مارسيلو محفظته من جيبه. «كم تريدون لتغيير الغرفة؟».

قالت صوفيا: «ستتمكن من المشي، يا أبي، سأحملك على ظهري إن أردت».

استطاعت تلك الجملة أخيرًا انتزاع ابتسامة ساخرة منه. تذمَّر بأسلوب مسرحي، وتشبث بكتفه الأيمن: «أنا مصاب». كانت صوفيا، وهي جراحة، قد أجرت بنفسها عملية استبدال كتف مارسيلو قبل ثلاث سنوات، وقد شُفي تمامًا منذ ذلك الحين. كان واضحًا أنه يتظاهر بذلك. ومهما يكن، يبدو أنه شُفي تمامًا عندما سيوجه لكمة نحوي في الفصل الثاني والثلاثين.

عادةً، لا يُسمح للجراح بإجراء عملية لأحد أفراد عائلته. لكن مارسيلو معتاد على الحصول على ما يريد، وأصرَّ أنه لن يضع ثقته إلا بين يدي ابنته. ومن المفارقات أن رغبة المستشفى في استقطاب متبرع ثري جعلتها تغض الطرف عن الأمر في مقابل بناء جناح جارسيا في مركز طب العيون.

مزحت صوفيا وهي تلتقط قطعة لحم: «اهدأ أيها العجوز، لقد سمعت أنك حصلت على جراح من الدرجة الأولى».

كان انفعال مارسيلو مبالغًا فيه أيضًا؛ ممسكًا قلبه وكأنه أصيب بسهم، كان بإمكانه رفعها على كتفيه وحملها حول المكان. وربما كان سيفعل ذلك، لولا أن كتفه بالطبع كانت مصابة بشدة. كانت العاطفة بينهما تكاد تكون محسوسة. مارسيلو كان أبًا لابنة واحدة فقط، وبينما كان لطيفًا معي ومع مايكل (فعندما تزوج أمي كان من الواضح أنه استمتع بوجود أولاد ليربيهم)، ستظل صوفيا دائمًا ابنته الصغيرة. حتى مظهره الصارم كمحامٍ كان يتلاشى أمامها، حيث يتصرف بطريقة مرحة ليجعلها تضحك، كما يفعل الآباء عادة مع بناتهم.

قال آندي بحماسة بسبب فرصة التحدث هذه: «أو يمكننا سرقة زلاجة ثلجية، رأيت اثنتين منها متوقفتين بالخارج وسألت إن كانوا يؤجرونها.

قال لي البستاني إنها مخصصة للصيانة فقط. ربما نستطيع أن نعرض عليه شيئًا لتسهيل الأمور». ثم فرك إبهامه مع إصبعيه الآخرين.

قالت كاثرين: «ماذا دهاك، هل أنت في الثانية عشرة من عمرك؟».

- عزيزتي، فكرت فقط أن الأمر سيكون ممتعًا.

- المتعة تكمن في المناظر والأجواء والرفقة، وليس في السباق وضرب كرات الجولف من السطح والتجول بمركبة تؤدي إلى الموت.

اقترحت: «أعتقد أن الأمر يبدو ممتعًا». أعادت كاثرين تسخين وجبتي مرة أخرى بنظرتها الغاضبة.

بدأ آندي يقول: «شكرًا، إرن...». لكن أودري قاطعته بسعال عالٍ. فالتفت إليها: «ما المشكلة؟ هل سنتظاهر جميعًا أنه ليس هنا؟». قال ذلك متجاهلًا وجودي.

حذرته كاثرين: «أندرو...».

- هيا! متى كانت آخر مرة رأيتم بعضكم فيها؟

خطأ كبير، يا آندي. كنا جميعًا نعرف إجابة هذا السؤال. وكانت والدتي من قالتها بصوت مسموع: « في المحاكمة».

فجأة، أجد نفسي مجددًا في قفص الشهود، أستمع إلى محامٍ يحتفظ بيدٍ في جيبه بينما يستعمل في يده الأخرى مؤشر ليزر يتنقل به في الغرفة وكأن هيئة المحلفين قطط، يفترض نظريات ضخمة أمام صور من الورق المقوى لغابة مليئة بالشِّباك.

لا زلت أحلم بها أحيانًا، مع أسهم وخطوط وصناديق ملونة متشابكة على الصور. تقف والدتي وتغادر القاعة في منتصف إجابتي عن سؤال، وكل ما أستطيع التفكير فيه هو مدى إصرارهم بقدر المستطاع على

أن تكون الأبواب الخشبية لقاعات المحاكم هي الأطول، الأثقل والأعلى صوتًا. لأنه من المؤكد أن شيئًا أكثر تواضعًا يتناسب مع هذه البيئة، لكن يبدو أن المهندس المعماري كان يعمل ككاتب سيناريوهات في هوليوود ويريد مداخل ومخارج درامية. في الواقع، أنا أفكر فقط في تلك الأبواب المزعجة لأنه من خلال هذا التفكير لن أضطر للنظر إلى أخي في قفص الاتهام.

أنت قارئ فطن، لذا ربما لاحظت بالفعل وجود بعض المقاعد الفارغة على طاولة الغداء العائلية. لقد أخبرتك بالفعل أن إيرين ستأتي بالسيارة غدًا. ولن تحضر ابنة كاثرين الوحيدة -هذه هي إيمي، التي كانت وراء حادثة شطيرة زبدة الفول السوداني- لأنها تعيش في إيطاليا، وأهمية هذا الاجتماع بالنسبة لها كانت تتطلب قيادة تستغرق من خمس إلى سبع ساعات ليس أكثر. لكن من غير المفاجئ أن مايكل ليس في هذا التجمع أيضًا. قد أكون، نوعًا ما، المسؤول عن هذا.

أنت الآن تعرف بعض الأمور: لماذا ترفض والدتي التحدث معي؛ لماذا لم يصل أخي بعد؛ لماذا يتطلع إلى الحصول على أغطية نظيفة وبيرة باردة؛ لماذا لم أستطع ابتكار عذري المعتاد للتهرب من عطلة نهاية الأسبوع؛ لماذا تزينت لوسي؛ ولماذا كتبت كاثرين عبارة جميعنا بخط عريض في دعوتها.

لقد مرّت ثلاث سنوات ونصف منذ أن ركعت بين خيوط العنكبوت وشاهدت أخي يقتل رجلًا كان يحتضر. وثلاث سنوات منذ أن غادرت أمي قاعة المحكمة بينما كنت أشرح لهيئة المحلفين كيف فعل ذلك. وأقل من أربع وعشرين ساعة، سيصل إلى **سكاي لودج** كرجل حر.

الفصل الرابع

منذ يوم الجنازة، وأنا أدرك شعور أن تكون منبوذًا، حيث العلم الأمريكي المطوي يعلو بتشاؤم التابوت والمقاعد المشغولة بالضباط مع قفازاتهم البيضاء وأزرارهم الذهبية اللامعة، تُظهر جنازة الشرطي الجانبَين الأروع والأسوأ للرابط الأخوي. كيف يمكنها أن تمنح للكثيرين مكانة وفخرًا -رأيتُ ضابطًا، يضع قبعته السداسية الشكل في مرفقه، يفتح سكين الجيش السويسري وينحت رمز اللانهائية على خشب التابوت، رباطًا أبديًّا- مغلق بإحكام أمام الآخرين. أتذكر جدالًا في البهو بين عائلتَيَّ الرجل الميت -واحدة بالدم والزواج، والأخرى بالزي الأزرق- كل عائلة تصر على أنها تعرف ما هو الأفضل له: الحرق أو الدفن. كانت معركة عقيمة، انتهت بفوز الدم ودفن الجثة. قانونيًّا كان ذلك منطقيًّا، لكني أفترض أيضًا أن رجال الشرطة يجلسون في سيارات الدورية ويخوضون محادثات من نوع ‹إذا متُّ› مثل الجنود الذين يطوون رسائل الأصدقاء في جيوب الصدر، فمن يعلم؟

كانت جنازة مزدحمة، أشبه بموقع تصوير يضج بالنشاط أكثر من كونها كنيسة تملؤها الأجواء المهيبة. كل ذلك الاهتمام - المصورون أمام الكنيسة، الرؤوس المتجهة والنظرات الجانبية، الهمسات المصدومة: يا إلهي، هؤلاء هم أطفاله- علمت حينها بوجود الفرق بين أن يُراقبك الناس وأن تكون مرئيًّا حقًّا. كل هذا التلصص الجانبي -**أطفاله**- يشكِّل فقاعة

حولك، تحتجزك بداخلها. أتذكر رؤيتي للكريمة المخفوقة وهي تتساقط من على فستان أمي الأسود النظيف تمامًا في أثناء خروجنا من الكنيسة، وفجأة أدركت أمرين، باليقين نفسه الذي يعرف به الطفل شيئًا ما. أبي قد رحل. وكنا معًا داخل تلك الفقاعة.

أن تكوني أمًّا لأبناء دون أب لم يكن بالأمر السهل. كان على أودري أن تكون متعددة الأدوار: أمينة السجن، السجينة المتذمرة، الحارسة المرتشية، وضابطة الإفراج المتعاطفة، كل تلك الشخصيات اجتمعت في شخص واحد. مارسيلو كان محامي والدي قبل أن يبدأ شركته الخاصة، ومنذ وفاة والدي، أصبح يتردد علينا كثيرًا، افترضت أنه كان يشعر بالشفقة على والدتي. لا تظن أن مارسيلو ظهر كرجل يرتدي قميصًا داخليًّا وبيده أداة كهربائية (مارسيلو علق رفوف الكتب مرة بزاوية منحدرة لدرجة أن والدتي اشتكت بأنها تشعر بدوار البحر)، بل كان الشخص الذي يحمل دفتر الشيكات ليدفع لأحدهم ليقوم بذلك. عندما طلب مارسيلو الزواج من والدتي، وابنته الصغيرة بجانبه، أخذتنا والدتي لتناول البرجر وسألتنا إذا كنا نريد أن يصبحا جزءًا من فقاعتنا. حقيقة أنها سألتنا كانت كافية لإقناعي. أما مايكل، أراد فقط أن يعرف ما إذا كان مارسيلو غنيًّا، قبل أن يلتهم شطيرة البرجر بالجبن.

خلال نشأتنا، كانت هناك أيام شعرنا فيها بأننا ضدها، كما هو الحال غالبًا مع المراهقين؛ أحيانًا تصبح خمس دقائق من ألعاب الفيديو أهم من خمسة عشر عامًا من الرعاية. لكن بغض النظر عن عدد الأبواب التي أُغلِقت بقوة أو الجدالات الصاخبة، كان الأمر دائمًا –ودائمًا– نحن الثلاثة ضد العالم الخارجي. حتى عمتي كاثرين لم تتمكن من أن تكون جزءًا منا بشكل كامل- ربما لأنها كانت أخت أبي. كانت أمي موجودة دائمًا

من أجلنا، وكانت تتوقع منا أن نكون هناك من أجل بعضنا بعضًا بغض النظر عن أي شيء.

حتى ضد القانون، على ما يبدو.

جزء مني تفهم سبب مغادرتها لقاعة المحكمة، لأنها شعرت أنني خرجت من فقاعتنا ووقفت إلى جانب الآخرين.

أعلم أنك ربما تفكر أن ثلاث سنوات ليست مدة حكم طويلة بالنسبة إلى جريمة قتل، وأنت محق. الرجل –كان اسمه آلان هولتون، إذا كنت مهتمًا– كان قد تعرض لإطلاق النار، وكان من الصعب إثبات ما إذا كان السبب الرئيس في وفاته هو الرصاصة أو مايكل.

نعم، مايكل صدم آلان بسيارته عندما تعثر في الطريق بعد تعرضه لإطلاق النار، ونعم، ارتكب خطأً فادحًا بعدم نقله مباشرة إلى المستشفى، لكنه امتلك دفاعًا لا تشوبه شائبة بفضل مارسيلو جارسيا (المشهور بشركة المحاماة التابعة له «جارسيا آند برودبريدج» (Garcia & Broadbridge)، التي أصبحت الآن واحدة من أكبر الشركات في البلاد، وبأنه يرفض المشي أربعين مترًا في الثلج)، الذي اعتمد بشكل كبير على سمعة آلان كونه مجرمًا محترفًا، وعلى غموض مطلق النار الذي لم يتم التعرف عليه، بالإضافة إلى مسدس لم يتم العثور عليه.

وجود مارسيلو في محاكمة قتل، كان في حد ذاته، وجودًا مذهلًا، وأعتقد أنه وضع الرجل الذي استخدم المؤشر الليزري في لعبته الخاصة، لكن هذا لا يعطي دفاع مارسيلو بطاقات الفوز الكافية. لقد جادل بأن من غير المتوقع في تلك الظروف أن يتخذ مايكل أي قرارات عقلانية.

في حين أن مايكل أخفق في أداء واجب الرعاية تجاه آلان (وهذا مهم، لأنه في أستراليا، بمجرد أن **تبدأ** في مساعدة شخص ما فإنه يصبح

مسؤوليتك القانونية، وهو ما تعلمته خلال المحاكمة) عندما وضعه في سيارته ولكنه لم ينقله إلى المساعدة الطبية، وهذا لأنه كان يخشى على حياته، يا سيدي القاضي، لأنه لم يعلم ما إذا كان مطلق النار لا يزال موجودًا بالخارج أو إذا كان من المحتمل أن يتعرض لهجوم أو ملاحقة. وبالتالي، ومن دون الدخول في التفاصيل التقنية، حُكِم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات.

شهادتي كلفتني الكثير، وبحلول الوقت الذي قُبلت فيه المرافعة النهائية - وتم التفاوض على حكم السجن خلف الأبواب المغلقة في غرفة القاضي- لم يكن لذلك أهمية. لقد اتخذت العديد من الخيارات السيئة في حياتي، ليس أقلها قبول دعوة آندي لتناول مشروب في الحانة بعد الغداء، ولا زلت لم أقرر ما إذا كانت الشهادة واحدة منها. بالطبع، كان يجب أن أتعلم كيف أتعايش مع الصمت، ولكن توجب عليَّ أيضًا تعلم كيف أتعايش مع الكلام، ولست متأكدًا أيهما أسوأ. أحب أن أخبرك أنني فعلت ذلك لأنَّه كان الشيء الصحيح لفعله. لكن الحقيقة هي أنه في الهمهمة المنخفضة لأخي -**لقد توقف عن التنفس**- كان هناك شيء مختلف. ويمكنني استعمال جملة تقليدية هنا مثل **لم يعد يبدو مثل أخي**، لكن في الواقع، كان العكس. لقد شعرت بأنه كان من عائلة كانينجهام. رأيت حقيقته دون طبقات. وإذا كان لديه مثل تلك الهمهمة، مثل كتفيه وذراعيه المتوترتين وهما يسلبان الحياة من شخص ما، فهل هذا الشيء موجود بداخلي أيضًا؟ أردت طرد ذلك التفكير. لذا توجهت إلى الشرطة. كنت آمل أن هناك جزءًا من والدتي قد يتفهم لماذا فعلت ذلك. وعندما يأتي الغد، كنت آمل أن يكون هناك جزء مني قد فهم ذلك أيضًا.

سأعترف أنني كنت مترنحًا قليلًا بينما كنت أخطو بصعوبة عبر الثلج باتجاه شاليهي. كان آندي متحمسًا بما فيه الكفاية لوعدي له بالحصول على صديق للشرب، لدرجة أنه كان مستعدًا لتغيير ولاءاته، وقد جاملته ما دام كان هو من يدفع. آندي هو بستاني متخصص. يزرع العشب في ملاعب الكريكيت وكرة القدم بالطول والمواصفات الصحيحة. إنه رجل ممل للغاية في زواج ممل للغاية، وهذا ما يدفعه ليكون كريمًا دائمًا عندما يتعلق الأمر بدفع المشروبات.

أحضرت حقيبة بعجلات ذات مقبض قابل للسحب، وهي مريحة في المطارات لكن ليست كذلك على جوانب الجبال. تمكنت من تحريكها بحركة قفزة الأرنب، رفعها ثم إسقاطها، بالإضافة إلى حقيبة رياضية حملتها على كتفي. على الرغم من أننا كنا في منتصف الظهيرة فقط، فإن الجبل بدأ يظلم مع حجب القمة للشمس، وبالرغم من دفء الجعة في جسدي، شعرت بالتغيير الفوري في الجو. كان الأمر أشبه بما سمعت أنه يحدث على كوكب المريخ؛ فهو يتجمد على الفور بمجرد حلول الظلام. أما آندي، فقد فكر في تجربة الجاكوزي بعد مشروباتنا، وأملت أنه قد غيَّر رأيه، وإلا فسيتعين عليهم النحت لتحريره من الجاكوزي.

بالرغم من برودة الجو، كنت قد تعرقت بشدة بحلول الوقت الذي تمكنت فيه من حمل حقائبي إلى شاليهي المدفون جزئيًّا. كان الثلج يصل إلى مستوى الورك، لكن العمال قد جرفوا ممرًّا يصل إلى بابي، حيث انحرفت حقيبتي عنه مرارًا وأنا أجرها. كان للواجهة الزجاجية للشاليه مظلة بارزة، وبالتالي لم تتسبب انجرافات الثلج في حجب المناظر الطبيعية. بينما كنت أتحسَّس مفاتيحي، لاحظت قطعة ورق ممزقة مثبتة بغصن في كومة من الثلج بجانب الباب. التقطتها. كان شخص ما قد كتب رسالة بخط أسود من نوع تيكستا، وبدت الكلمات

وكأنها تنزف بسبب رطوبة الورق، مما أعطى إحساسًا مخيفًا. كانت تقول: «**الثلاجة سيئة. احفر**».

كان هناك حرف ص كبيرًا في الزاوية السفلية اليمنى: صوفيا. انحنيت وأزلت الغبار عن الكومة بيدي، كاشفًا عن أغطية ست علب بيرة فضية كانت قد دفنتها لي. منذ محاكمة مايكل، كانت صوفيا الوحيدة التي بقيت على تواصل معي. كنت أعلم أن إقصائي كان قاسيًا عندما توقفت حتى لوسي عن إرسال بريد إلكتروني لدعوتي إلى ندواتها المجانية. لكن صوفيا تواصلت معي. ربما لأنها، مثلي، كانت دخيلة. لقد أُدخلت في عائلة جديدة، في بلد جديد، بواسطة والدها. أقول «أُدخلت»، لأنه لا أحد يتسلق سلم القانون التجاري بإيلاء اهتمام كافٍ لأطفاله، حتى إذا كان مارسيلو محبًّا عندما يكون حاضرًا، لذا أعني في الحقيقة «تُركت». وبينما لم يكن بإمكانها أن تقول إنها لم تكن مرحبًا بها في منزلنا، أعتقد أنها كانت تشعر دائمًا بالفقاعة غير المرئية التي تفصلنا. بعد المحاكمة، التي سوت الأمور بيننا، تحولنا من إخوة غير أشقاء مهذبين إلى أصدقاء حقيقيين. ولهذا السبب دعتني، أنا فقط، إلى لعبتها الخاصة بالبينجو.

أعدتُ الثلج فوق المشروبات، كنت سعيدًا بوجود قدر من الدفء على الجبل، ثم دخلت إلى الداخل. كان الشاليه عبارة عن غرفة واحدة، ولكنه كان يعطي شعورًا مائلًا غريبًا –كأنك واقف على متن سفينة مائلة– بسبب انحدار السقف. هذا الشعور غير المريح تم التعويض عنه بالمنظر البانورامي: كان هذا أول جزء من الرحلة كما تم الإعلان عنه. لا أجد حرجًا في أن أثني على عمتي هنا وأقول إن المنظر كان ساحرًا. خاصةً مع آخر خيوط لأشعة الشمس وهي تتلوى فوق الحافة، وظل القمة الطويل وهو يمتد عبر المنحدر.

كان السقف يزيد ارتفاعه عن ثلاثة أمتار عند جانب النوافذ، مكوَّنًا من عوارض خشبية كأضلاع قفص صدري، ثم يتضاءل تدريجيًّا عبر الشاليه، ليغطي منطقة الجلوس، والتلفزيون، والسجاد الموجود بوفرة، ومدفأة من الحديد المصبوب. كان يبدو السقف وكأنه يصل إلى مستوى الثلج فقط وليس إلى الأرض، إذ فوجئت بوجود جدار خلفي؛ مبطّن بخزائن مملوءة بأدوات مطبخ فندقية، وتجويف مكعّب مخصص للحمام، حيث اختاروا مرة أخرى التضحية بالراحة من أجل المنظر: كان الاستحمام في وضع الانحناء واحدًا من تلك التضحيات. على بُعد ثلث المسافة عبر الغرفة، كان هناك سُلَّم يؤدي إلى غرفة نوم علوية. تم ضبط التدفئة مسبقًا من قِبل الموظفين –ويبدو أن المدفأة كانت مجرد ديكور لأنها لم تكن مشتعلة– شعرت بوخز في بشرتي بينما كنت أتأقلم مع درجات الحرارة الداخلية. كانت الرائحة الرطبة للفندق الرئيسي قد استُبدلت برائحة تشبه رائحة خشب البلوط، ربما من شمعة تحمل اسم **مدفأة ريفية.**

تركت حقيبتي ذات العجلات في منتصف الأرضية، وكنت أضع حقيبة الرياضة في إحدى الخزائن عندما رنَّ الهاتف بجانب التلفزيون. كان هاتفي يحمل الرقم 4. لم تكن هناك لوحة أرقام للاتصال بالخارج، فقط عمود من أزرار الاتصال السريع وأضواء صغيرة، تحمل أرقام الشاليهات، وواحد مخصص للحارس. في تلك اللحظة، كان الرقم 5 مضاءً. كان المتصل هو مارسيلو.

«أودري ليست بخير». لقد قال **أودري** ولم يقل والدتك. «سنتناول الطعام عن طريق خدمة الغرف الليلة وسنراك في الصباح».

تجاوز عشاء العائلة كان أمرًا مناسبًا لي؛ الغداء وحده استهلك أغلب الصبر الذي خططت للاحتفاظ به لتمضية عطلة نهاية الأسبوع بأكملها.

أخذت زجاجة ماء فاترة من الثلاجة –وكانت بالفعل سيئة، كما قالت صوفيا– وشربتها دفعة واحدة، لأنني قرأت في مكان ما أن قضاء يوم في الثلج قد يسبب لك الجفاف أكثر من يوم على الشاطئ. بعدها نبشتُ لإيجاد إحدى علب البيرة المدفونة، استلقيت على الأريكة، وقبل أن أدرك، غفوت.

استيقظت على صوت طرق عنيف على بابي. بالطبع فعلت ذلك. لا بدَّ أنك قرأت كتبًا من هذا النوع من قبل.

شعرت بلحظة من الذعر لأنه تراودني في بعض الأحيان أحلام – حسنًا، ذكريات– أنني أختنق، وفي أثناء انتشالي من النوم جعلتني النافذة الكبيرة والشعور بالفضاء أظن، لوهلة، أنني نمت في الخارج. تقاطعت الأفق مع السماء السوداء العميقة تحت سطوع مذهل للنجوم، خالية من ضباب المدينة أو الغيوم. كان صوت الرياح في الخارج أشبه بأنين، وأنفاس الثلج تتطاير من فوق الحافة وتدور في السماء. بالقرب مني، أضيئت الجبال بشكل خافت بسبب تسرب أضواء الهالوجين للمُتزلجين الليليين في الوادي المجاور، وكان المنحدر مرقطًا بظلال شاحبة تشبه عظام الأصابع لأشجار جرداء من أوراقها. استمرت درجة الحرارة في الانخفاض، متسللة نحو الغرفة؛ كان بإمكاني تقريبًا أن أشعر بأنفاس الزجاج النابضة وهي تواجه التدفئة الداخلية.

فركت عيني، ونهضت ببطء متثاقلًا نحو الباب. فتحته.

كانت صوفيا واقفة عند العتبة، يداها معقودتان حول مرفقيها، وندفات من الجليد في شعرها الأسود المبعثر بفعل الرياح. قالت: «حسنًا؟ هل جلبت المال؟».

الفصل الخامس

حسنًا، انظر. الأمر كالتالي. لم أكذب. طلب مني مايكل الاحتفاظ بالمال.

عندما أعادني للمنزل في ذلك الصباح -كنت صامتًا في مقعد الركاب، أزيل خيوط العنكبوت اللزجة عن ذراعي- قال إنه ربما من الأفضل أن أحتفظ بالمال مؤقتًا. استطعت أن أفهم فكرته: أن آلان إما أخذ المال وإما كان من المفترض أن يسلمه لشخص ما، لكن حدث خطأ ما في الطريق. سواء كان لمايكل أي دور في الجزء المتعلق **بالخطأ الذي حدث** أم لا، لم أكن متأكدًا، لكن إذا فقد أحدهم البعض من مئات الآلاف، فربما سيرغب في استعادتها. كنت بمنزلة طبقة إضافية -غطاء أمان- في حال كان المسلح قد رأى سيارة مايكل. إذا كان هناك مسلح بالفعل، بالطبع.

أخذت الحقيبة بصمت وتفهم. ربما لمَّح مايكل بأنه سيدفع لي مقابل الاحتفاظ بها، لكني كنت أكافح بصعوبة في سماع أي شيء، فقط صوت صدى تحت الماء في رأسي يصاحب حركة شفتيه. في حالة من الذهول، دخلت منزلي، ألقيت الحقيبة على السرير، تقيأت واتصلت بالشرطة.

بعد عشرين دقيقة كنت مكبل اليدين في مؤخرة عربة نقل، أُرشد محققين متثائبين إلى المنطقة الخالية. أعلم أنهم لم يأخذوني على محمل الجد في البداية، لأنهم توقفوا في طريقهم أمام مطعم ماكدونالدز

للوجبات السريعة، ولم أسمع قطُّ عن شخص شهد جريمة قتل واضطر إلى الانتظار من أجل شطيرة ماكمافن. كان ذلك قبل أن يبدأ كل شيء. قبل أصوات صافرات الإنذار وسيارات الإسعاف وعربات الأخبار المغلقة، وحتى قبل أن تهبط مروحية في وسط الحقل. قبل أن تنتشر المقالات التحليلية حول جريمة القتل، بل والأكثر شيوعًا، المقالات حول الحقل المغطى بخيوط العنكبوت (ظاهرة طبيعية غريبة تسببت فيها العناكب التي انتقلت من منطقة فيضان قريبة). قبل أن أُحتجز في غرفة التحقيق، كانوا قريبين جدًّا مني، ومعهم صورًا ممزوجة برائحة أنفاسهم المشبعة بماكدونالدز، يقولون لي إن مايكل أفشى أمري ويجب عليَّ الاعتراف.

عندما أطلقوا سراحي، بعدما افترضت أن ذلك كان الحد الأقصى للمدة التي يمكنهم احتجازي فيها، اكتشفت أن مايكل لم يقل أي شيء على الإطلاق. كانوا يحاولون فقط معرفة ما إذا كنت أكذب لأنفذ بجلدي. أعادوني للمنزل. سألتهم إن كانوا يرغبون في التوقف عند كنتاكي في الطريق، لأنني لم أكن على عجلة من أمري. لكن اتضح أنهم جمهور صعب الإرضاء.

لم أدرك أنني نسيت أخبارهم عن المال إلا عند عودتي للمنزل ورؤيتي للحقيبة السوداء على سريري حيث تركتها.

أقسم لك، لقد افترضت فقط أنهم سيفتشون المنزل. في البداية، كنت أكثر تركيزًا على الآن وعلى محاولة تذكر أي منعطف سلكناه وما الوقت تحديدًا الذي أخذني فيه أخي، ومتى أنزلني، ومتى طلب مني الانتظار في السيارة. ثم فكرت أنهم بالفعل حصلوا على المال، وأنهم سيطرحون الأسئلة عنه في النهاية، لكنهم لم يفعلوا. وفجأة، في اليوم التالي وجدت نفسي أوقع على ورقة تؤكد أن أقوالي صحيحة ودقيقة، وما زلت لم أذكر أمر المال. ولم يذكره مايكل أيضًا –وربما حتى الآن

لا يعرف أنني الشخص الذي وشي به، لذا أفترض أنه يعتقد أنني ما زلت في صفه وأحمي المال لأجله. ثم وجدت نفسي في قاعة المحكمة، ولم يذكر أحد بعد موضوع المال، ولم يتطرق له مايكل أو مارسيلو ليوقعوني في مأزق خلال المحاكمة، كما كنت أتوقع. وأدركت أنني قد تجاوزت المرحلة التي يمكنني فيها ذكره دون أن أزيد الأمور تعقيدًا، لذا لم أذكر الأمر. أصدر القاضي الحكم، وعدت للمنزل والحقيبة لا تزال فيه، لكن العالم قد تغير. أخي في السجن، وأنا أملك حقيبة تحتوي على 267,000 دولار. أعرف المبلغ بالضبط الآن، لأنه أتيحت لي الفرصة لعده.

كان ذلك سببًا آخر لعدم رغبتي في تفويت عطلة نهاية الأسبوع هذه. لقد أخبرت صوفيا بخطتي قبل بضعة أسابيع. كنت أنوي إعطاء مايكل الحقيبة غدًا. لم أكن أفكر في ذلك كاعتذار، لأنني لم أفعل شيئًا خاطئًا، لكن ربما كان نوعًا ما عرضًا. لم يكن غصن زيتون لإعلان السلام، لكنه كان أخضرَ بالتأكيد (مجازيًّا على الأقل، لأن المال لم يكن كله من فئة المئة). وكان تقريبًا كل المبلغ لا يزال هناك أيضًا. يا لي من أخ صالح للغاية.

سألت صوفيا: «هل يوجد معك كل المبلغ؟». كانت تنظر إلى الحقيبة الممزقة أمامها على الأريكة. مترددة في الجلوس، متوترة بشأن لمسها.

اعترفت: «معظمه».

- معظمه؟

- حسنًا... كانت هناك بعض الطوارئ. لقد مرت ثلاث سنوات. لا أعرف حتى إذا كان قد عَده.

- لقد قلت إنه عَده.

بدأت أدرك: «ربما فعل. آمل أنه لا يتذكر الرقم بالضبط».

- تعرف ما الذي سأفكر فيه لو كنت في السجن لمدة ثلاث سنوات وأنا أعتقد أن أخي سرق مني حقيبة مليئة بالنقود؟ سأفكر فيها كل يوم، إلى آخر سنت.

- أظن أنه يعتقد أنني أنفقت كل المال، لذا سيكون مسرورًا لاستعادته...

- ..معظمه..

- ...معظمه على الأقل.

أطلقت صوفيا زفيرًا مبالغًا فيه، مصحوبًا بارتعاش شفتيها، وتوجهت إلى النافذة. نقرت بإصبعها على الزجاج وراقبت الجبل للحظة. ثم سألت بهدوء، بنبرة جادة الآن: «لماذا أخذته؟».

كانت قد رأت بوضوح من خلال كل هذا الهراء الذي أقنع نفسي به حول الاحتفاظ بالمال لأنني قد فوت الفرص المناسبة لتسليمه. لأنني كنت أشعر بالخجل؛ أو لأنني اعتقدت أن الأمر سيكون معقدًا للغاية. كانت تدرك أن هناك شيئًا آخر. هل كان الأمر ببساطة جشعًا؟ لم أكن متأكدًا. لم أكن أتوقع أن يحتضنني مايكل ويقسم معي المال غدًا، لكنني سأكون كاذبًا (وقد وعدت بألا أكذب) إذا لم أقل إنني شعرت ببعض الطمأنينة لوجود هذه الحقيبة في خزانتي طوال السنوات الثلاث الماضية، خاصة مع كل ما حدث مع إيرين. كان مالًا للرحيل والابتعاد. مالًا للطوارئ. مالًا للبدء من جديد. لم أكن أريده، لكنني كنت سعيدًا بوجوده.

كررت كلماتي المعتادة: «لم آخذها، لقد كنت عالقًا معها».

عبست صوفيا بخيبة أمل. كانت تعرف أنني تدربت على تقديم تلك الأعذار.

الحقيقة كانت: لقد أخذت رزمتَيَّ نقود ووضعتهما في درج ملابسي الداخلية قبل أن أغادر ذلك الصباح. الحقيقة كانت: حتى عند اللحظة التي قلب فيها مارسيلو مجريات المحاكمة رأسًا على عقب، كنت أظن أن مايكل سيغيب لفترة أطول بكثير، لذلك لن تكون هناك أهمية للنقود. الحقيقة كانت: أحد الأسباب القليلة التي منعتني من إنفاق المزيد منها هو أنني لم أكن أعرف من أين جاءت أو ما إذا كانت قابلة للتتبع؛ وإلا لكنت على الأقل قد وضعتها في حساب وأنفقت الفائدة. الحقيقة كانت: ما زلت لم أقرر ما إذا كنت سأعيد النقود إلى مايكل غدًا.

أحضرتها معي تحسبًا في حالة سؤاله عنها. أخبرت صوفيا أنني أنوي تسليمها لأكون مسؤولًا، ولأمنع نفسي من التراجع.

هناك نظرة تظهر على الناس عندما يتخذون قرارًا بشأن أمر ما. ليست شيئًا ماديًّا، بل أشبه بحاسة سادسة، كالشعور بوخز على طول رقبتك عندما يحدق أحدهم إليك. حدث ذلك حينها. تبدلت ذرات الهواء. كانت صوفيا قد اتخذت قرارًا بشأن شيء ما.

قالت: «ماذا لو أخبرتك أنني أحتاج إلى بعضٍ منها؟».

رن الهاتف، فأفزعنا. بالطبع حدث ذلك، لا بدَّ أنك قرأت كتبًا من هذا النوع من قبل. رقم 2 الصغير أضاء. توقف بعد رنتين، قبل أن أتحرك للإجابة. نظرت إلى الساعة. الحادية عشرة والربع. إذا كنت تتبع الصفحات، ستعرف أن شخصًا قد مات للتو. فقط لم أكتشف بعد من هو.

قالت: «فكر في الأمر». أدركت حينها أنها كانت تنتظرني لأقول شيئًا.

- كم تحتاجين؟

عضت شفتها: «ربما خمسين». ثم أخذت حفنة من الحقيبة، ورفعتها وكأنها تزنها. ثم أضافت: «ألفًا». وكأن هناك احتمالًا أنني سأظن أنها ستزورني في منتصف الليل من أجل خمسين دولارًا.

- مايكل يعرف أن لدي المال.

«هو يعرف أنه تركه معك، لكنه لا يعرف أنك تمتلكه». كانت قد تدربت على هذا، كانت حججها على أتم الاستعداد كما كانت أعذاري كذلك: «يمكنك إخباره أن الشرطة أخذتها. يمكنك إخباره أنك تبرعت بها. يمكنك إخباره أنك حرقتها».

كنت أستطيع التظاهر بأنني لم أفكر في كل هذه الخيارات بنفسي، لكنني لن أفعل. فأنا شخص موثوق، تتذكر؟

سألتها: «ما نوع المشكلات الذي أقحمتِ نفسك فيه؟». ما لم أقله هو إن هناك أشخاصًا أغنى وأكثر قانونية يمكنها أن تلجأ إليهم. والدها، واحد من هؤلاء. وخمسون ألف دولار مبلغ كبير، بالتأكيد، لكنها جراحة وتملك أملاكًا؛ إذا كانت تريد خمسين ألف دولار (قالت ‹ربما خمسين›، مما يعني بالنسبة إليَّ أنها تحتاج بالضبط خمسين)، فهذا هو المبلغ الذي تحتاجه لسد الفجوة بين ما يمكنها الحصول عليه بمفردها والمبلغ المطلوب. وهي تريد المال نقدًا، مما يعني بسرعة، بهدوء، وخارج السجلات. كانت في ورطة أكبر بكثير مما كانت تعترف به.

- لست بحاجة إلى المساعدة، أنا بحاجة إلى المال فقط.

- المال ليس ملكي.

- وليس ملكه أيضًا.

- هل يمكننا التحدث عن هذا في الصباح؟

وضعت المال جانبًا، لكنني رأيتها تختلس نظرة على الملاحظات في ذهنها لتتأكد من أنها قالت كل ما جاءت لقوله، وكأنها في مقابلة عمل وطرح عليها المحاورون السؤال المهيب: «إذًا، هل لديك أي أسئلة لنا؟».

لا بدَّ أنها قررت أنها استعرضت جميع نقاطها الأكثر إقناعًا، لأنها سارت إلى الباب وفتحته. واندفعت نسمة هواء باردة.

- انظر فقط إلى الطريقة التي يعاملونك بها. وما زلت تعتقد أنك مدين لهم؟ في يوم من الأيام ستدرك أن العائلة ليست بمن يجري دمهم في عروقك، بل فيمن تُضحي بدمك لأجلهم..

وضعت يديها في جيوبها وسارت بتثاقل في الليل.

عدت للداخل ونظرت إلى المال في حالة ذهول، محاولًا تحليل كل ما حدث للتو.

تساءلت إن كانت صوفيا على حق. ربما رغم أن عائلتي قد تعمدت إبعادي، ما زلت أشعر بأنني مدين لهم. هل هذا السبب الذي أحضرني هنا؟ كان سؤالًا كبيرًا جدًّا بعد كثير من الجعة واقتراب منتصف الليل، لذا تخلّيت عن فكرة تحليل الذات. التقطت الهاتف واتصلت بالغرفة رقم 2.

«ألو؟» لدهشتي، جاء صوت صوفيا عبر الخط. «إرن؟».

تفحصت أضواء الهاتف، وقد تأكدت تمامًا أنني اتصلت بالرقم 2: «أوه، مرحبًا صوفيا». ربما كنت قد أسأت قراءة الضوء اللامع سابقًا؛ ليس ممكنًا أن تكون قد اتصلت بي وهي في شاليهي في الوقت نفسه. «آسف، كنت فقط أتحقق أنك عدت بسلام. في هذا الليل وما إلى ذلك، لا أريدك أن تتعثري في شق جليدي ويفوتك لم الشمل العائلي».

«تسمي هذا لمَّ شمل عائلي؟ بسبعة أشخاص فقط؟» ضحكت، وسمعت صوت تشويش خفيف في الهاتف: «أيًّا كان، يا أصحاب البشرة البيضاء».

حاولت الضحك معها، لكنني كنت غارقًا في التفكير في مدى الطبيعية التي كنا نتظاهر بها، جعلني هذا التفكير متصلبًا، ولم أتمكن إلا من إخراج صوت مكتوم وغريب.

قالت: «حسنًا، إرن، شكرًا على الاطمئنان عليَّ. وعدني أنك ستفكر في الأمر؟».

لم يكن عليَّ أن أعدها -لم أكن أفكر في شيء غير ذلك- لكنني فعلت. تبادلنا التمنيات بليلة سعيدة، وأغلقت الخط. أنهيت الجعة، وتركت الستائر مفتوحة للشروق، ثم صعدت إلى السرير في الطابق العلوي. تقلبت على جانبي ونظرت إلى الحافة الحادة التي تتلاشى في السماء اللامتناهية، وشعرت كم أنا صغير. تساءلت عما يفعله الآخرون في هذه اللحظة. صوفيا، مثلي، في منتصف جبل، تفكر في حقيبة مليئة بالمال؛ إيرين، في نُزُل ذي ملاءات خشنة في منتصف الطريق، تفكر في شيء لا يعلمه سوى الرب؛ ومايكل، ينظر إلى السماء نفسها من نافذة السجن لآخر مرة، ربما يفكر فيما يود أن يفعله بي.

غفوت، آملًا بشكلٍ ساذج أن الأمور كلها ستجد حلًّا بنفسها غدًا.

الفصل السادس

عندما استيقظت، كان هناك تدفق ثابت من الأشخاص الذين يرتدون سترات منتفخة يسيرون أمام نافذتي. بدا أنهم يتجهون نحو تجمع صغير، على بعد بضع مئات من الأمتار أعلى المنحدر على ملعب الجولف المغطى بالثلج. ربما ثلاثون شخصًا. انطلقت مركبة ثلجية بجانب التجمع، وصوت المحرك يعوي. لوَّح شخص أعلى التل بذراعيه. لم أستطع أن أحدد ما إذا كان يقصد **تعالوا هنا أم ابقوا بعيدًا.** أطلقت شعلة مسار مضيء في السماء وانفجرت، مما عكس الضوء الأحمر على الأرض المغطاة بالكريستالات الثلجية. ينتقل الضوء جيدًا عبر الثلج، ومع تلاشي الشعلة، لاحظت أن الثلج لا يزال يتلألأ: ليس فقط باللون الأحمر، بل مختلطًا مع اللون الأزرق. لم يكن يتلألأ، بل يومض؛ يعكس مجموعة من الأضواء الملونة التي يجب أن تكون قادمة من بيت الضيافة. الشرطة.

أحرقت يديَّ وأنا أنزلق على سلم العلية مثل رجال الإطفاء، وبدأت في دفع المال إلى داخل الحقيبة. لحسن الحظ، بدا أن انتباه الناس كان مُنصبًّا بالكامل على التل وتمكنت من إعادة المال إلى الحقيبة ووضعه في الخزانة، وارتداء بعض السراويل قبل أن يلاحظ أحد أي شيء لا ينبغي له رؤيته. أكملت ارتداء ملابسي بأسرع ما يمكن، فتحت الباب ولمحت الشخص الوحيد على الجبل الذي كان يرتدي الجينز وهو يمر.

ناديت من الباب: «آندي!». وقفزت لارتداء حذائي الأيسر. توقف والتفت، ولوح، ثم انتظر. أسرعت نحوه بتمايل كأنني عاجز بسبب الثلج. كنا في هواء رقيق لدرجة أنني كنت ألهث عندما وصلت إليه. تصاعد بيننا ضباب أنفاسنا، مما جعل نظارته تكون غيومًا. «ما الذي يحدث؟».

أشار إلى أعلى التل وبدأ في المشي: «مسكين». نظرة الفضول في عينيه بدلًا من الخوف أجابت عن سؤالي: هل هو واحد منا؟ قبل أن أطرحه، مشيت بجانبه، ممتنًا لأنني اتصلت مصادفة بصوفيا الليلة الماضية وعرفت أنها عادت لكوخها. البقاء خارجًا طوال الليل كان سيكون مميتًا، حتى في ليلة هادئة مثل الليلة الماضية. ارتعشت. سيكون ذلك موتًا فظيعًا.

كان هناك رجل ميت ذو خدين تحولا إلى السواد بفعل الصقيع مستلقيًا على ظهره في الثلج. كان مغطى بالكامل -سترة تزلج سوداء، قفازات سوداء، أحذية سوداء- باستثناء وجهه، وللحظة، ومضت في ذهني فكرة عن كتلة داكنة أخرى في منتصف منطقة خالية بيضاء. طردت الفكرة بعيدًا، أمعنت النظر فوق كتف الرجل أمامي. كان هناك بضعة عشر من المتفرجين، فما تعد به الدراما يجذب الناس خارج غرفهم كما يجذب الدخان الدبابير.

كان هناك شرطي واحد أمامنا، في مثل سني أو ربما أصغر، يرتدي قبعة صوفية مع أذنين متدليين ومعطفًا ذا ياقة صوفية، يحاول إبعاد الناس. إذا كنت صادقًا، كان يبدو مرتبكًا، وكأنه لا يملك أي فكرة عما يفعله. انطلق آندي للانضمام إلى كاثرين، التي وصلت قبلنا، على الرغم من أن ذلك لم يكن على جدولها. بدا أن الجميع قد تبادلوا موافقة صامتة على أن عشرة أمتار كافية للحفاظ على مسرح الجريمة، وقد تشكلت نصف دائرة بشكل طبيعي. لم تتساقط الثلوج بكثافة طوال الليل، لذا

كانت الجثة ومجموعة من آثار الأقدام الثلاثة البارزة التي تقود إلى التل نحوها محفوظة بوضوح.

من بين آثار الأقدام، كانت هناك ثلاث مجموعات تتجه لأعلى التل، لكن واحدة فقط عادت. أصبحت المسارات العائدة متموجة، مع وجود ثقوب صغيرة متفرقة بجانب آثار الأحذية: افترضت أنها تعود للشخص الذي عثر على الجثة وهو يركض للعودة للإبلاغ عن الأمر، في حالة من الذعر، يتمايل نزولًا نحو التل، ويضع يده هنا وهناك. كانت المجموعة الثانية من آثار الأقدام واضحة، وطولية. افترضت أنها تعود للشرطي الموجود حاليًا مع الجثة.

توجهت المجموعة الثالثة من آثار الأقدام إلى أعلى المنحدر مثل الآخرين. لكن بعد ذلك خرجت عن المسار: تتحرك للأمام والخلف، صعودًا ونزولًا، كل ذلك في مساحة بضعة أمتار مربعة. كان الأمر كما لو كان شخص ما محاصرًا داخل صندوق غير مرئي، يرتد عن الجدران. انتهت تلك المجموعة من آثار الأقدام عند الجثة. لم يكن هناك رحلة عودة.

كان الناس من حولي يتمتمون، ويخرجون هواتفهم، ويأخذون صورًا وفيديوهات. لكن لم يبدُ على أي منهم الحزن. لم تكن هناك أذرع مواساة أو أفواه مغطاة بيد واحدة في صدمة خفيفة. بدا أن الجميع يقومون بما كنت أفعله: ينظرون إلى الجثة بدافع الفضول التأملي. ربما كان ذلك لأن الجثة كانت مجمدة، لذا شعرت وكأنها جزء من الجبل أكثر من كونها شخصًا حقيقيًّا كان يتنفس قبل اثنتي عشرة ساعة. كان المشهد غريبًا، لكن ليس عنيفًا. لكن بالتأكيد يجب أن يصرخ أحدهم، ويحاول دفعنا للصعود إلى التل للوصول إلى أحبائه. **تساءلت ألا يوجد من يعرفه؟**

«هل يوجد طبيب هنا؟» كان الشرطي قد استسلم في محاولته لتفريق الحشد. كرر سؤاله وهو يتأمل في الحشود، مما كشف عن مهاراته في

الملاحظة التي كانت في المستوى الأدنى لشخص معصوب العينين أو لشارلوك هولمز. كان منتجعًا جبليًّا حصريًّا في ذروة الموسم – نصف هؤلاء الملعونين كانوا أطباء.

لمحتُ صوفيا، المقابلة لي في نصف الدائرة، وهي ترفع يدها.

انحنت كاثرين إلى آندي وهمست بشيء في أذنه، ثم هزت رأسها.

أشار الشرطي إلى صوفيا لتقترب منه، ثم قادها إلى مكان بعيد عن المسارات. في البداية، وقفوا على بعد بضعة أمتار من الجثة، وأشارت صوفيا إلى الرجل، ثم أومأ الشرطي برأسه وجلست على ركبتيها بجانب الجثة. هزت رقبته بيديها وأمالتها في اتجاه واحد، ثم. فتحت شفتيه باتساع. فتحت سحاب السترة ووضعت يديها تحتها. أشارت للشرطي لينضم إليها، فركع بجانبها، وسمح لها بتردد بأن ترشده في لمس الجثة بالطريقة نفسها. عندما شعرت صوفيا أنها أظهرت للشرطي ما يكفي، أغلقت سحاب السترة ونهضت. دار بينهما حديث قصير، لكن الرياح حملته بعيدًا إلى السماء. رأيت سحابة رمادية كئيبة تتقدم فوق التل.

نادت صوفيا وهي تلوِّح بذراعيها في الهواء. «إرني، آندي. **تعالا إلى هنا**». نظرت إلى الشرطي طلبًا للموافقة، وقد حاكى حركتها. آندي وأنا تجنبنا المسارات، لكن آثار الأقدام على التل كانت تزداد ازدحامًا بالرغم من ذلك. خارج تجمع المتفرجين، شعرت أن الرياح كانت تشتد. خدودي كانت تلسعني. لم أستطع أن أحمل نفسي على النظر إلى الأسفل عندما وصلنا؛ ركزت بدلًا من ذلك على صوفيا، لكنها كانت شاردة في التفكير، تنظر إلى الجثة.

صرخ الشرطي فوق صوت الرياح العاتية: «علينا نقل الجثة، يجب أن نبعدها عن الأنظار. رأيت سقيفة في الطريق. سيكون الجو باردًا بما فيه الكفاية الآن».

أومأنا أنا وآندي برأسينا. أشار الشرطي عبر المنحدر.

«علينا أن نصعد» -لوحت صوفيا بذراعيها في حركة دائرية مبالغ فيها- «ونلتف حوله! للحفاظ على مسرح الجريمة!».

كانت تريد أن تلتف حول المسارات، رغم أن الثلج كان قادمًا، ومن المحتمل أن ذلك لن يغير شيئًا. وهذا يعني أنها كانت قلقة بشأن أمر أهم من مجرد نقل الجثة: فقد اعتقدت أنها كانت مسرح جريمة، على عكس الشرطي. بالتأكيد لم يكن يُمشط المنطقة أو يلتقط الصور. قد يضطر إلى الاعتماد على صور التي التقطها الضيوف الفضوليون، وفي هذه الحالة سيكون سعيدًا لأنه لم يطردنا بعيدًا.

كان هناك اتفاق غير معلن بيني وبين آندي، بأننا سنقف عند قدمي الجثة، لنمسك بالكاحلين، بينما ستمسك صوفيا والشرطي بالمعصمين. حاولنا جاهدين إبقاء الجثة في الهواء، ولكن بينما كنا نتزلج على المنحدر وسط الثلوج التي تصل إلى عمق قصبة الساق، كانت رأسه تتدلى أحيانًا إلى الخلف وتحفر واديًا في الثلج الطازج. لم يكن ثقيلًا للغاية، لكن كان من الصعب التعامل معه. أدخلت أصابعي في جانب حذائه لتحسين قبضتي. كانت الأحذية متينة ومغطاة بطبقة معدنية. كانت صوفيا تمشي للخلف، تحاول تثبيت معصمه على صدرها، لكن استدار الشرطي، مواجهًا الرياح، وذراعاه خلفه عند مستوى الخصر. كنت أسمع تأوهات آندي بجواري. استدار نحوي في منتصف الطريق ورأيت فكّه مشدودًا بتركيز جاد. كان اللعاب يتطاير في لحيته.

رآني أنظر إليه. «أنت بخير يا صاح؟ هل تحتاج إلى استراحة؟».

هزرت رأسي. ولم أقل: **أنا بخير. لقد فعلت هذا من قبل.**

الفصل السابع

كانت هناك كومة من الألواح الخشبية في ورشة الصيانة تعمل كطاولة تشريح. وتوجد حولنا عدة مقاعد مبعثرة بالأدوات، وعربة ثلجية فُككت نصف أجزائها، وعدد من المولدات على طول الجدار البعيد بجانب كومة من الإطارات، وتشكيلة من أحذية التزلج المعلقة على المسامير، التي تشبه مضارب التنس. لم تكن هناك تدفئة، ومع وجود الجدران المعدنية والأرضية الخرسانية، كان الأمر أشبه بدخولنا إلى ثلاجة. ستكون تلك مشرحة مؤقتة مناسبة. الفائدة الوحيدة من البرودة الشديدة هي غياب الرائحة من الجثة.

وضعنا الجثة على كومة الألواح الخشبية، التي كانت صغيرة قليلًا، مما جعل أطراف الرجل تتدلى من الجوانب. أخذنا لحظة لالتقاط أنفاسنا بصعوبة. حاولت ألَّا أنظر إلى وجهه الباهت. كنت قد قرأت عن لسعة الصقيع، وعن الأطراف السوداء -الأنوف، الأصابع- التي تسقط، لكنني لم أشاهد ذلك من قبل عن قرب. قرر الشرطي أخيرًا أن يلتقط بعض الصور. أخذ آندي يفرك إصبعه على الجزء الخلفي من ساقه. ارتجفت صوفيا، وغطت يديها بفمها ونفخت فيهما، ثم تذكرت أنها لمست الجثة فأنزلت يديها إلى جانبها. أنهى الشرطي التقاط صوره واستدار نحونا.

قال الشرطي: «شكرًا يا شباب». أدارت صوفيا عينيها لتذكره بأنها ساعدت أيضًا في نقل الجثة من الجبل. تلعثم في كلماته التالية لكنه

لم يصحح نفسه، بل ضغط على نفسه ليكمل الحديث: «عادةً ما كنت لأحرك الجثة، ولكن مع اقتراب العاصفة، لا أريد أن أصبح مضطرًّا للحفر لاحقًا».

كان الشرطي أطول مني ببضع بوصات، ربما بسبب حذائه السميك، ويزيد عني ببضعة كيلوجرامات، ربما بسبب معطفه السميك، لكن كان عليَّ تجاهل وجنتيه الممتلئتين. لم يكن لديه مسدس على وركه. لا أعلم لماذا لاحظت ذلك، فقط فعلت. كانت عيناه خضراوين داكنتين، وقد تراكمت بلورات الجليد على رموشه. بدا واضحًا أن الصباح تسبب في إزعاجه، لأن نظرته كانت تنتقل بسرعة في أرجاء السقيفة قبل أن تستقر على الجثة، مما جعله يبدو وكأنه معطل التفكير تمامًا.

قلت له لأحاول إعادته إلى الواقع: «أنا إرني، إرنست كانينجهام. هذا أندرو ميلوت. لقد قابلت صوفيا. أيضًا كانينجهام-جارسيا».

صححت صوفيا بابتسامة: «جارسيا-كانينجهام».

قال آندي، الذي ظل طوال الوقت عاجزًا عن الحركة مثل الشرطي، محدقًا إلى الجثة: «لنخرج، شرطة وصل، من هذا المكان اللعين. هذا المكان يشعرني بالقشعريرة».

أعاد الشرطي انتباهه إلينا، «أوه. اسمي داريوس. الضابط كروفورد، أعتقد، لكن داريوس مقبول. الشكليات تكون لمن أعرفهم بشكل سطحي فقط».

مدَّ يده لتحيتنا. أشرت إلى داخل معصمه، حيث كان الكُم يحمل بقعة داكنة. كانت هناك علامة مشابهة على معصمه الآخر أيضًا؛ بقعة من حمل الجثة.

قلت له، رافضًا المصافحة: «لديك دم على معطفك، ضابط كروفورد». لا يؤمن أفراد عائلة كانينجهام بالتعامل بالأسماء الأولى مع رجال تنفيذ القانون.

شحب وجه كروفورد. نظر إلى معصميه وتنفس بعمق.

سألت: «هل أنت بخير؟».

- أنا، أمممم، لم أتعامل مع الكثير منها.

- تقصد الجثث؟

قاطعتنا صوفيا: «جرائم قتل».

أطلق كروفورد ابتسامة خفيفة: «حسنًا، ربما، لكن دعينا نبقي الأمر سرًّا في الوقت الحالي». عندما كنا في الثلج بدأ كالأحمق، ولكن عن قرب كان يبدو أسوأ. رؤية الدم لم تجعله يشعر بالغثيان فقط، بل جعلته يدرك أنه تجاوز حدود قدراته أيضًا.

همس آندي بكلمة: «قتل؟». إلى صوفيا. بالرغم من التمثيل الصامت، فقد استطعت سماع نبرة الدهشة في صوته. أومأت برأسها بجدية.

واصل كروفورد. «أعتقد أنه يجب أن أسألك إن كنت تعرف الرجل. هل كنت تعرفه؟».

سألت: «هل هذا استجواب؟». قضيت ساعات طويلة جالسًا خلف المرايا ذات الاتجاهين لأجيب عن الأسئلة دون أن أعرف من يسأل ولماذا: «لماذا لا تستجوب من وجد الجثة؟».

هز كروفورد رأسه: «أنا فقط أحاول معرفة ما إذا كنت تستطيع التعرف على هويته. استطعت الوصول من جيندي[1] إلى هنا بسرعة،

(1) اختصار كلمة جيندابين وهي بلدة تقع في جنوب شرق نيو ساوث ويلز، أستراليا. مشهورة بجبالها ومنتجعات التزلج التي تجذب السياح سنويًّا. (المترجمة)

ولكن سيأتي محققون متخصصون يمكنهم القيام بمهمة إعداد قائمة المشتبهين. لكني أعتقد أنه ينبغي لي اكتشاف ما إذا كان يقيم هنا أو جاء من فوق التل - ربما كان متزلجًا ليليًّا ضلَّ طريقه».

قالت صوفيا: «إنه لا يرتدي ألواح التزحلق». أدركت أنها كانت شاحبة للغاية، بيضاء كالثلج على الأرض.

«نعم، أفهم. لكن أسدوا لي معروفًا - ألقوا نظرة أقرب». أرانا صورة مقرَّبة على هاتفه لوجه الرجل الميت. كان مُسودًّا في أغلبه، بما في ذلك شفتيه: «هل يبدو مألوفًا؟».

هززنا رؤوسنا نحن الثلاثة. لم أتعرف عليه، وبالنظر من كثب، أدركت أن ما على وجهه لا يشبه لسعة الصقيع على الإطلاق. رفعت صوفيا يدها فجأة واندفعت خارج الباب. شاهدناها تذهب ونحن في حالة من الحيرة، حتى وصل إلينا صوت التقيؤ الواضح محمولًا مع الرياح. وقفنا أنا وآندي نحاول أن نقرر ما إذا كان من الأفضل أو المحرج أن نخرج لمساعدتها، وفي النهاية اتفقنا على عدم القيام بأي شيء.

سأتوقف هنا لأشير إلى أنني أعلم أن بعض الكُتَّاب غير قادرين على جعل امرأة تتقيأ دون أن يكون ذلك تلميحًا على الحمل. هؤلاء الكُتّاب أنفسهم يعتقدون أن الغثيان هو الدليل الوحيد على الحمل، ناهيك باعتقادهم بأن القيء يخرج من فم المرأة بعد ساعات فقط من حدوث الإخصاب بالشكل الذي يخدم الحبكة. وبـبعض الكُتَّاب، أعني الذكور. لا أريد أن أخبرك ما هي الأدلة التي يتوجب عليك الانتباه لها جيدًا، لكن صوفيا ليست حاملًا، حسنًا؟ يُسمح لها بالتقيؤ بإرادتها.

قال كروفورد لآندي ولي: «حسنًا». بدا سعيدًا بردة فعلنا تجاه الصور، وشعر أن التزامه تجاه التحقيق قد اكتمل، وحتى بدا أكثر ارتياحًا بالقرب من الجثة. «أعتقد أن هذا كل شيء في الوقت الحالي». توجه إلى

المقاعد وبدأ يبحث إلى أن وجد قفلًا نحاسيًّا مفتوحًا مع مفتاح يتدلى منه. تبعناه إلى الخارج بينما كان يغلق الباب المعدني بإحكام ويعبث بالقفل: «أود أن أقول لا تذهبوا إلى أي مكان...».

أنهيت الجملة عنه: «...لكن لا يمكنك ذلك».

قالت صوفيا، وهي تخرج من جانب السقيفة وتمسح فمها: «إرنست فعل هذا من قبل». ثم أضافت بتردد: « الجثث». كمحاولة للتفسير. «لا يصبح الأمر أسهل أبدًا».

أطلق كروفورد زفرة ثقيلة، بدا متعبًا. افترضت أنه ضابط ريفي قضى معظم حياته المهنية وقدماه على المكتب أو بإعطاء جرامات السرعة للسياح مثل لوسي. بدا أكثر انزعاجًا من أن يومه المريح قد تعطل، عوضًا عن الانزعاج بشأن أمر الجثة. قال: «حسنًا، لقد أبلغت عن الأمر. أفهم أنكم تنتظرون ضيفًا آخر؟».

قلت: «وما علاقة ذلك بأي شيء؟».

نظر إلى السماء الملبدة بالغيوم بشيء من الشك وأغلق القفل: «أنا فقط أضع النقاط على الحروف. سأكون في بيت الضيافة إن احتجتم إلي، لكن نأمل أن يصل المحققون قريبًا، حسب حالة الثلج وحركة المرور».

اشتكى آندي بينما كنا نسير نحو أسفل التل، «جريمة قتل؟». رغم أن الحشد قد تفرق، كان هناك بعض الأشخاص المبعثرين في جميع أنحاء المنتجع الذين شاهدونا ونحن نضع الجثة في السقيفة. كنت سعيدًا بأن السقيفة دون نوافذ، وإلا لرأينا على تلك النوافذ بعض الجباه المتجمدة. قال: «كان من الواضح أنه كان في الخارج طوال الليل وتجمَّد حتى الموت. أنت لم تعودي طبيبةً بعد الآن، وتدخلت لتخبري ذلك الشرطي أنها جريمة قتل؟».

لم أكن أعرف أن صوفيا لم تعد جرَّاحة. تساءلت عما إذا كان لذلك علاقة بما كانت كاثرين تهمس به في أذن آندي عندما رفعت يدها بناءً على طلب الضابط كروفورد. تساءلت عما إذا كان لذلك علاقة بحاجتها إلى الخمسين ألف دولار. استرقت النظر لصوفيا. لأرى إذا كان آندي يقصد إهانتها، لكنها لم تهتم بتاتًا. لم يتغير تعبير وجهها، ولم تكشف عن أي شيء.

فكرت بصوت عالٍ، محاولًا فهم الأمر بنفسي: «دم؟». «الضابط كروفورد كان لديه دم على أكمامه من حمل الجثة. إذا مات الرجل بسبب التعرض للبرد طوال الليل، لماذا ينزف؟ هل تقولين إنه تعرض لهجوم؟».

جادل آندي: «وجهه أصبح داكنًا بسبب لسعة الصقيع. بحق الجحيم ما الذي أخبرتِ به ذلك الشرطي؟».

إذا كان لعائلتنا شعار، فسيكون:

Non fueris locutus est Scriptor vigilum Cunningham

ويعني باللاتينية: «**عائلة كانينجهام لا تتحدث مع الشرطة**». لا أتحدث اللاتينية، ولا أخجل من الاعتراف بأنني بحثت عن ذلك في جوجل. كان آندي منزعجًا بالنيابة عن كاثرين من تعاون صوفيا. ‹بالنيابة عن› كان موقفًا نموذجيًّا يتخذه آندي. كان يجب أن يكون اسمه الأوسط «وكيل».

قالت صوفيا: «الدم كان من إصابة في رقبته. وأنت كنت تحمل قدميه - لم تحصل على نظرة جيدة بما يكفي. ما كان على وجهه لم تكن لسعة صقيع، إنه رماد».

قلت: «رماد؟ مثل الفحم؟ هنا في الخارج؟».

- إنه يسد قصبته الهوائية، ويتكتَّل على لسانه. إذا مزقنا جسده، أنا متأكدة أننا سنجده في رئتيه، أعلم أن هذا غير منطقي فجسده لا يحتوي على أي علامات حروق، ولا يظهر على الحقل الثلجي علامة الذوبان، دون ذلك لقلت إن سبب الوفاة واضح.

كان من الواضح على آندي عدم الاقتناع. «فلتنيري عقولنا».

- لقد مات في حريق.

الفصل الثامن

كل ما يمكنني أن أتمناه، عندما أموت هو أن أكون موضوع حديث متداول في أثناء الإفطار. تناولنا وجبتنا مع العامة –يبدو أن كاثرين حجزت الغرفة الخاصة لغداء الأمس– وكانت قاعة الطعام تعج بالأحاديث. التقطت بعض من مقتطفات الحديث بينما كنت أشق طريقي بين المقاعد الخشبية الطويلة: **متجمد بالكامل! لقد علقت في المخبأ**[1] **عند الحفرة الثامنة العام الماضي أيضًا، لكن ليس بالسوء الذي واجهه هذا الرجل، ربما يحتاج لتحسين ضربته القصيرة؛ سمعت أنه لا يقيم هنا حتى؟؛ لن أترك جيسون وهولي بعيدين عن نظري.**

انضممت إلى الطابور، أتجاوز غلايات الطعام الساخنة، ملأت صحني. لم يقترب أحد من لحم الخنزير المقدد، على الأرجح لأن الناس كانوا يواجهون فكرة موتهم ويتجنبون الدهون المشبعة. أخذت كميتي من الطعام، ثم انضممت إلى عائلتي، وجلست بجوار لوسي ومقابل صوفيا. كان هذا أقرب إلى والدتي مما كنت أفضل، لكنني ظننت أنه سيكون من غير اللائق أن أترك فجوة وأجلس على الجانب الآخر من آندي وكاثرين. بينما كانت كل الطاولات الأخرى تتبادل النظريات حول

---

(1) المخبأ في لعبة الجولف بموجب القواعد يعرف بأنه منطقة معدة خصيصًا لاختبار قدرة اللاعب على لعب الكرة من الرمال. (المترجمة)

ما حدث للرجل على الجبل، وهو ما ظننت أنها ستكون فرصة لصوفيا لطرح نظريتها حول القتل، لكنها وعلى نحو غير معهود كانت هادئة، رأسها منخفض، تدفع الطعام حول طبقها بدلًا من تناوله. بدلًا من ذلك، كان عليَّ أن أستمع إلى مارسيلو وهو يدافع عن نفسه بلطف ضد أحدث فكرة استثمارية طرحتها لوسي، وهي خطة سخيفة لدرجة أنها تحتاج إلى مصعد من كثرة مستوياتها. كنت أعتاد السخرية منها بسبب ذلك، حتى أدركت أن هذه الشركات تستغل النساء من خلال تسليح أنفسهن بالأفكار النسوية –مثل الاستقلال المالي والعملي– لتصنيع شعور زائف بالقيمة الذاتية. كانت لوسي، مع وجود زوجها في السجن، هدفًا مثاليًّا للإدمان على هذا النجاح الوهمي.

مارسيلو، وبشكل يستحق الاحترام، كان يتعامل مع هجوم سيدة الأعمال القوية بكل هدوء، منتظرًا أن تتعب وتستسلم. قال لها: «أنا سعيد أنك تستمتعين بكونك جزءًا من شيء ما، لكن كوني حذرة. مثل السيارة التي أعطوها لكِ». لم يستطع مارسيلو مقاومة توجيه طعنة صغيرة لها: «سمعت أن عقدها صارم للغاية – قد تجدين نفسك عالقة في عقد إيجار باهظ الثمن».

ردت لوسي وهي تتنهد: «أنا أعلم ما أفعله، في الواقع، لقد دفعنا ثمنها مسبقًا». لقد أضافت هذا الجزء الأخير بفخر ولكن من الواضح أن مارسيلو لم يصدقها. ثم بقت صامتة بعد ذلك.

نظرت حولي في الغرفة فرأيت الضابط كروفورد جالسًا بمفرده بجوار النافذة، يحدق إلى قمة الجبل. هل كان ينتظر وصول المحققين الحقيقيين حتى يتمكن من العودة للمنزل؟ لست متأكدًا. كانت جميع الأضواء مشتعلة داخل قاعة الطعام، لكن مع السماء الملبدة بالغيوم بإمكانك القول إننا في وقت الغسق. ربما كان يراقب طريق المدخل،

قلقًا من أن يبقى عالقًا هنا. أدركت أنه يستطيع من زاويته رؤية سقيفة الصيانة؛ كان يراقبها. شعرت بالتوبيخ الداخلي لعدم منحه التقدير الكافي. ربما كان يعمل على تحليل ما أخبرته به صوفيا. كنت أفكر في الأمر أيضًا، أتذكر آثار الأقدام والطريقة التي تحرك بها في تلك المساحة الصغيرة المربعة: صندوق غير مرئي. أدركت الآن أنني كنت أشاهد آخر تحركات رجل محترق. يؤدي رقصة جنونية ذهابًا وإيابًا دون أي إدراك للاتجاه، بينما كان محاطًا بالنيران. ومع ذلك: لم تذب قطرة واحدة من الثلج.

قال آندي بحماسة لكاثرين، مقاطعًا أفكاري بصوته المرتفع: «كل ما أقوله، هو أننا الآن صرنا نعرف من خلال عملة البيتكوين ما يجب علينا الانتباه إليه. نحن لا نتحدث عن الضعف أو ثلاثة أضعاف مثل الأسهم التقليدية. هذا يمثل تغييرًا حقيقيًّا في قواعد اللعبة». لاحظت صوفيا تُسحب قطعة من الورق من جيبها، وترسم عليها علامة إكس بحركة تباهٍ، ثم أعطتني غمزة بعينها. أدركت حينها أنني لم أكن أتابع بطاقة البينجو الخاصة بي. لم أستطع شطب عرض لوسي لأنها كانت تتحدث مع مارسيلو، وليس معي. كان بإمكاني شطب المربع السفلي الأيمن (عظمة مكسورة أو موت شخص ما)، لكنني قررت أن هذا تصرف حقير، على الأقل أمام الناس - رغم أنني كنت أرغب في الفوز.

كان هناك هرم من الكرواسون في منتصف الطاولة. مد آندي يده للحصول على قطعة، لكن صفعت كاثرين يده.

اشتكى: «لقد غسلت يدي».

«بعض الأشياء لا يمكن غسلها». لفت كاثرين قطعة من المعجنات بمنديل وأسقطتها في طبقه. التقط أدوات المائدة الخاصة به وهو عابس.

قال مارسيلو لأودري: «لا تقلقي. سيصل قبل العاصفة». كانت تفتقر طاولتنا إلى الحديث بشدة لدرجة أن الجميع أنصت بانتباه لما قيل. حتى أنا.

سألت لوسي: «هل سنبقى؟».

هز مارسيلو رأسه وكأنه يتحدث عن أمر بديهي: «هل تعتقدين أنهم يخلون المنتجع في كل مرة يصطدم فيها شخص بشجرة في أثناء التزلج في منحدر بلاك دايموند[1]؟».

رفع كتفيه، بثقة شخص يعتقد أنه إذا كنت ناجحًا في شيء، فأنت ناجح في كل شيء: «الناس يموتون في الطبيعة. دون المهارات والمعرفة اللازمة... إذا لم تحترم الجبل، ماذا تتوقع؟». لقد رأيت مارسيلو يصرخ على مراهق بسبب رغوة على اللاتيه الخاص به: إذا كان لا يحترم الباريستا، فإني أشك أنه يحترم الجبل.

قالت كاثرين وهي ترتشف عصير البرتقال: «لا يمكننا استرداد المال». ثم نظرت إلى صوفيا وكأنها الأكثر احتمالًا للاعتراض: «سنظل هنا».

أكمل مارسيلو نظريته. «وما الفائدة حتى من المغادرة؟ نحن على الأرجح أكثر وعيًا بالمخاطر الآن».

ألقينا أنا وآندي نظرة على صوفيا. أنا بدافع الفضول لأرى إن كانت سترد، وآندي بطريقة تحدٍّ. خدشت بالشوكة طبقها، لكنها لم ترفع بصرها إلينا.

قالت لوسي: «عندما يأتي مايكل لن يرغب في رؤية المكان مليئًا بالشرطة، وهم يطرحون أسئلة عن شخص ميت».

(1) في التزلج يُطلق على المنحدرات صعبة التسلق والمخصصة للمتزلجين المحترفين اسم بلاك دايموند. (المترجمة)

قال مارسيلو: «لن يكون لديهم أي سبب لطرح أسئلة عليه. لقد كان على بعد مئتي كيلومتر الليلة الماضية».

قالت: «أنا فقط لا أعتقد أنه من الجيد أن نذكره بـ...».

قطعت أودري الحديث بصوت حازم: «مايكل يستطيع اتخاذ قراره بنفسه عندما يصل إلى هنا». كانت لديها لمسة الأم التي تضع حدًّا للنقاشات. لذا يجب أن نبقى. جميعنا. كان الأمر غير قابل للتفاوض.

تحدثت صوفيا أخيرًا: «ماذا لو كان للأمر علاقةً **باللسان الأسود؟**». أطلق آندي ضحكة مفاجئة، مما أدى إلى تطاير رقائق الكرواسون على الطاولة. «أتعلمون أن السبب الأكثر شيوعًا للموت في الحريق ليس الاحتراق، بل الاختناق. النار تستهلك الكثير من الأكسجين في الهواء».

قال مارسيلو. «عزيزتي، لا نقول ذلك على الإفطار».

قال آندي وهو يضرب صدره محاولًا دفع المعجنات للأسفل: «هذا درامي للغاية».

سألت أنا ولوسي في الوقت نفسه: «من هو اللسان الأسود؟».

قال آندي، مشيرًا بحركة طعن على طريقة السايكوباتيين: «يبدو أنكم لستم على اطلاع بالأخبار الحالية، أليس كذلك؟».

قالت صوفيا: «أنا جادة، آندي، كما أخبرتك في الخارج، هناك شيء غريب بشأن...».

قال آندي: «لا تقحميني في هذا الأمر».

- إرن؟
- أصدقك، لكنني لم أحصل على نظرة فاحصة.
- لا أعتمد على إرنست – لديه سجل من الخيانة.

كانت صوفيا تتوسل الآن: «لوسي، بصدق. استمعي. مما قرأته، أعتقد أن هذا يطاب...».

«ترغب السيدة الصغيرة في أن تصبح بطلة عن طريق تشخيص، أليس كذلك؟ هل من المفترض أن نثق بكِ؟». كانت نبرة كاثرين لاذعة لدرجة أنها أدهشتني. الطريقة التي أطالت فيها نطق كلمة نثق: «لقد رأيتِ الجثة لمدة دقيقة، ربما دقيقتين؟».

- أنا من حملت ذلك الشيء اللعين أسفل الجبل. ثقوا بي. هناك شيء غير صحيح. الضابط كروفورد سيرغب أن يصل زملاؤه قريبًا، لأنني لا أعتقد أنه يدرك حجم ما ورط نفسه فيه.

عادةً ما يوجد نوعان من رجال الشرطة في هذه الكتب: **الأمل الوحيد والملاذ الأخير**. في هذه المرحلة، كان الأمل الوحيد لدرايوس كروفورد أن يكون «الملاذ الأخير». لم أكن مستعدًا للاعتماد عليه أكثر مما أعتمد على أصابع صانع قنابل. من الواضح أن صوفيا توصلت إلى الاستنتاج نفسه.

بدأت كاثرين في السخرية منها الآن. «هل تسمعين لتوك ما تتفوهين به؟». كان الأمر أشبه بمشهد في كافتيريا المدرسة. لو كان لديها حليب بالشوكولاتة، لربما كانت ستسكبه على رأس صوفيا. «هل أنت حتى واعية؟».

كان آندي سيحتاج إلى مناورة هيمليخ[1] لو استمر في الاختناق بالكرواسون. أخذ مارسيلو نفسًا حادًا، مصدومًا من تعليق كاثرين. لم أكن مستغربًا؛ فكاثرين كانت ممتنعة عن الكحول منذ حادثها، وأي شخص ليس في وعيه الكامل كان يغضبها.

---

(1) هو إجراء في الإسعاف الأولي يستخدم لعلاج انسداد مجرى الهواء العلوي بواسطة الأجسام الغريبة. (المترجمة)

تدخلتُ: «لم أركِ تتطوعين للمساعدة». قلت ذلك لأجل صوفيا لترى أن أحدًا كان يقف بجانبها. لم أكن سأطلب منها شرح الأمر على الطاولة، لأن ذلك سيؤدي إلى جدال كامل، لكنني كنت فضوليًّا لأعرف المزيد عن اللسان الأسود.

تحدثت كاثرين متجاهلةً كلامي، موجهةً حديثها إلى صوفيا: «لأنني افترضتُ أنه طلب أطباء حقيقيين، وليس أطباء موقوفين عن العمل».

لقد اكتشفتُ قبل نصف ساعة فقط، وأنا أنظر إلى الجثة، أن مهنة صوفيا الجراحية قد توقفت مؤقتًا. لذا، كنت لا أزال أحاول استيعاب الأمر. كنت أفترض فقط أنها نوع من أزمات منتصف العمر، أو تغيير في المسار المهني. لكن كاثرين كانت توجه اتهامًا. الاتهام نفسه الذي لا بدَّ أنها همست به لآندي وسط الحشد.

احمر وجه صوفيا. وقفت، وللحظة ظننت أنها على وشك أن تندفع عبر الطاولة، وربما كان الضابط كروفورد سيحظى بيوم أكثر ازدحامًا، لكنها بدلًا من ذلك طوت منديلها، وألقته على طبقها، وقالت بحدة قبل أن تغادر: «ما زلت مسجلة».

همستُ لكاثرين بعد أن خرجت صوفيا عن مجال سماعنا: «هل كان ذلك ضروريًّا حقًّا؟».

- أنا مندهشة أنها لم تخبرك. كنت أظن أنكما ملتصقان هذه الأيام. كما هو متوقع.

- تخبرني ماذا؟

ابتسمت كاثرين بتكلف: «إنها تواجه دعوى قضائية». وكل ما استطعت التفكير فيه كان: **ربما خمسون ألفًا**. «من قبل عائلة شخص توفي على طاولة عملياتها».

ردد آندي من خلف كاثرين صوت «**جلوج – جلوج**» مشيرًا إلى شربها الكحول. أدركت الآن سبب الحدة في كلمات كاثرين، متهمة صوفيا بأنها مدمنة على الشراب. فكرت في علبة البيرة التي كانت مدفونة خارج بابي. كانت تحب الشراب، نعم، لكنني لم أعرف أنها تسرف فيه. هل ارتكبت خطأ؟ لماذا لم تخبرني؟

حولت انتباهي إلى مارسيلو: «إذا كانت تواجه دعوى، هل ستدافع عنها؟».

نظر إلى كاثرين، وكأنه يستعطفها، لكنه واجه نظرتها القاسية. هز رأسه وقال بصرامة: «هي من ورطت نفسها».

فكرت أن هذا تصرف غير معتاد منه؛ فقد كنت أعتقد دائمًا أن صوفيا هي أميرته الصغيرة. فقلت: «تدافع عن مايكل في قضية قتل، لكنك لن تدافع عن ابنتك؟».

قالت لوسي: «لقد قضى مايكل عقوبته، ولا أشكرك على ذلك».

بصقتُ الكلام: «هل ستظلين إلى جانبه؟». كان ذلك أشد قسوة مما قصدت، لأنني رغم شعوري بالغضب، لم أكن غاضبًا حقًّا من لوسي. كان من المفترض أن نكون متحدين في هذا الأمر على الأقل، لكنها قررت بوضوح أن تدفن رأسها في الرمال، وأن تفرغ غضبها على كبش فداء وهو أنا، بدلًا من التعامل مع الألم الحقيقي لانهيار زواجها.

قامت أودري بإحدى حركاتها المعتادة بالنهوض عن الطاولة لإسكاتنا. الجميع استعد للمغادرة. لكنني لم أنته بعد. كنت غاضبًا بشدة. كروفورد كان يراقب عائلتنا بفضول؛ يبدو أننا تحدثنا بصوت أعلى مما أدركت. تساءلت عما إذا كان يعرف أننا من عائلة كانينجهام: بمعنى آخر، أننا مشتبه بنا بشكل تلقائي. لقد علم أن مايكل كان من المتوقع أن ينضم إلينا، لذلك افترضت أنه يعرف.

«لا أصدق أنني من يجب عليه قول هذا، لكن هل سنغادر كل وجبة حقًّا؟ ألا يمكننا أن نبقى معًا لدقيقة واحدة؟ هذا تجمع عائلي. ألا يجب أن نبدأ، أقصد، أن نجتمع أو أي شيء من هذا القبيل؟». لا أعرف لماذا قلت ذلك. ربما رؤية الرجل الميت أثرت عليَّ في النهاية، وكنت أرى في خروج صوفيا نوعًا من النبذ الذي شعرت به خلال السنوات الثلاث الماضية. ربما قررت لمن سأبوح بذلك. ربما أكلت الكثير من لحم الخنزير المقدد.

إذا لم يستطع رجل يحترق أن يذيب الجليد، فإن غضب والدتي، عندما وجهت كلامها لي مباشرةً لأول مرة في ذلك الأسبوع، كان بالتأكيد قادرًا على ذلك.

- اللقاء يبدأ عندما يصل ابني.

زوجتي

الفصل التاسع

لا أرغب في التحدث عن الأمر.

أبي

الفصل العاشر

أفترض أن الوقت قد حان لأخبرك كيف مات والدي.

كنت حينها في السادسة من عمري. رأينا الخبر على شاشة التلفاز قبل أن يتصل قسم الشرطة لإخبارنا. في الأفلام، يظهرون دائمًا على الباب مع نوع معين من الطرق الهادئ -تعرف ذلك النوع- لتعرف حينها ما نوع الأخبار السيئة التي تختبئ خلف الباب قبل أن تفتحه، ولا يرتدي رجال الشرطة قبعاتهم. أعلم أن هذا غباء، لكنني أتذكر نغمة رنين الهاتف وفكرت أنها كانت نغمة مهيبةً. كانت النغمة نفسها التي سمعتها آلاف المرات من قبل، لكن في تلك اللحظة بدت وكأنها استغرقت ملي ثانية أطول وكان صوتها أعلى بدرجة ديسيبل.

كان والدي دائمًا خارج المنزل ليلًا؛ كان ذلك جزءًا من طبيعة عمله. لدي ذكريات عاطفية عنه، أؤكد لك ذلك، لكن ما يشغل تفكير عندما أتذكره هي تلك الفراغات التي تركها. كان من الأسهل معرفة أين كان والدي من خلال الآثار التي خلَّفها بدلًا من معرفة أين كان بالفعل. الكرسي الفارغ في غرفة المعيشة. الطبق في الفرن. بقايا شعر الذقن في حوض الحمام. ثلاث حافظات فارغة في حزمة من ست علب في الثلاجة. كان والدي عبارة عن آثار أقدام، بقايا.

عندما رن الهاتف، كنت جالسًا على طاولة المطبخ. كان إخوتي في الطابق العلوي.

نعم، قلت **إخوتي**. سنتحدث عن ذلك لاحقًا.

كان التلفاز لا يزال يعمل، لكن أمي كتمت صوته منذ فترة، قائلة إنها لم تعد قادرة على الاستماع إلى المراسل. كانت هناك مروحية تسلط ضوء البحث على محطة بنزين –بدا وكأن سيارة شرطة اصطدمت بالمُجمد الكبير الأبيض المخصص للثلج، وكانت أكياس الثلج متناثرة على غطاء المحرك المَثنِي– لكنني لم أكن أعلم حينها أن هناك خطبًا ما.

يبدو أن أمي كانت تعرف أمرًا ما، لأنها وبالرغم من تظاهرها بعدم الاهتمام، لاحظت أنها تنظر نظرات جانبية نحو التلفاز. واستمرت في انتهاك رؤيتي للشاشة بشكل استراتيجي، فتقرر فجأة أنها بحاجة ماسة إلى تفحص تلك الخزانة بالتحديد، أو أنه الوقت المثالي لفرك تلك البقعة المعينة على الطاولة حتى تلمع باستخدام منظف جيف. ثم جاء ذلك الرنين. كان الهاتف مثبتًا على الحائط بجانب الباب. التقطته. أتذكر صوت ارتطام رأس أمي بإطار الباب. كانت تهمس: «تبًّا لك يا روبرت». كنت أعلم أنها لم تكن تتحدث **إليه**.

لا أعرف بالضبط كيف حدث الأمر. ولأكون صريحًا، فهو شيء لم أرغب حقًّا في النبش للبحث عنه، لكنني تمكنت من تجميع أجزاء القصة على مر السنين من خلال تقارير الأخبار، وتعليقات جانبية من والدتي، وذكريات من الجنازة، لذا سأخبرك بما أعرفه. في نسختي من الأحداث، هناك بعض الافتراضات الضرورية، مختلطة مع أجزاء أعتقد أنها شبه مؤكدة، وكذلك بعض الأمور التي أعرف أنها مؤكدة.

لنبدأ بالافتراضات. أفترض أن محطة البنزين كانت تحتوي على أحد أزرار الإنذار الصامت. أفترض أن العامل كان مهددًا بمسدس مصوب نحو وجهه مباشرة، لكنه تمكن من تحريك أطراف أصابعه المرتجفة على الجانب السفلي من المنضدة حتى وجد ذلك الزر. أفترض أن ذلك

الزر أرسل رسالة إلى مركز الشرطة، وبدورهم وجهوا الإنذار إلى أقرب سيارة دورية.

أما الآن، فلنتحدث عن الأمور شبه المؤكدة. أنا شبه متأكد أن إطلاق النار بدأ قبل أن تتوقف سيارة الدورية تمامًا. أنا شبه متأكد أن الإصابة برصاصة في الرقبة هي طريقة بطيئة ومؤلمة للموت؛ سمعت أنها تشبه الغرق. أنا شبه متأكد أن السائق كان أول من أصيب. وأنا شبه متأكد أن الرصاصة في رقبته كانت السبب في اصطدامه بالمُجمد المخصص للثلج.

أما ما أعرفه يقينًا هو أن الشرطي الجالس في المقعد الجانبي خرج من السيارة، ودخل إلى محطة الخدمة، وأطلق النار على والدي ثلاث مرات.

أعرف ذلك يقينًا لأنه كان الشرطي نفسه الذي توجه إلى أمي في الجنازة الرسمية وهو يحمل قطعة كبيرة من الكعكة، وقال: «سأريكِ أين أطلقت عليه النار». قبل أن يمسح إصبعه المغطى بالكريمة المخفوقة على بطنها ويقول: «هنا»، ثم يرسم دوامة لزجة بطيئة على وركها قائلًا: «هنا»، ثم يسحق بقية الكعكة في وسط صدرها قائلًا: «وهنا».

لم ترتجف أمي، لكنني أتذكر سماعها تطلق نفسًا طويلًا عبر أنفها، بينما عاد الضابط لمجموعة من أصدقائه الذين تبادلوا التهاني عن طريق صفعه على ظهره.

الجنازة التي حضرتها عندما كنت طفلًا لم تكن جنازة والدي. كانت جنازة الرجل الذي قتله. أمي قالت إنه يجب علينا الذهاب لأن هذا هو التصرف الصحيح الذي ينبغي فعله. قالت إن هناك كاميرات تلفزيونية، وأنهم سيتحدثون عنا إذا ذهبنا، ولكن سيتحدثون عنا أكثر إذا لم نفعل. وهنا تعلمت كيف هو شعور أن تكون منبوذًا. لم أعد كما كنت بعد الآن.

ليس فقط في الجنازة، بل في المدرسة أيضًا. ولاحقًا، عندما كان علي إخبار فتاة كنت أواعدها عن طفولتي. وعندما لم أرغب في إخبار فتاة أخرى عن طفولتي، لكنها بحثت عني على الإنترنت على أي حال. (إيرين، التي كانت لديها صدماتها الخاصة من والدها العنيف، كانت واحدة من أوائل من تفهموا أمري في هذه المرحلة). كانت توجد هذه المرة، عندما قاد محقق من كوينزلاند لمدة عشر ساعات إلى سيدني فقط ليتهم أحد أفراد عائلة كانينجهام بجريمة اعتداء وقعت في منطقته ولم يجد المتهم بعد. كنت حينها في السادسة عشرة من عمري ولم أخرج قطُّ من الولاية. أتصور أن رحلة العودة للشمال كانت طويلة لذلك الرجل، يصاحبه شعور الإحراج ليس فقط لأن المشتبه الرئيس كان مراهقًا بلا رخصة قيادة، بل أيضًا لأن مارسيلو أخبره أن يحتفظ بتحليله غير الموثوق الذي أحضره لشعر المتهم. ما أعنيه هو أنه بمجرد ظهور اسمنا في قائمة، حتى لو كان لشيء هش مثل مطابقة الشعر (الذي لم يعد مسموحًا به في المحاكم منذ التسعينيات لسبب وجيه)، فكأنما يتم تمييزنا. مثلما حدث عندما احتجزني المحقق ماكمافن في غرفة التحقيق بعد عقود ولم يصدق أي شيء مما كنت أقوله. لم أعد إرنست كانينجهام. أصبحت «**ابنه**». وأصبحت أمي «**أرملته**». لقد أصبح اسم عائلتنا وشمًا غير مرئي: كنا عائلة **قاتل الشرطي**.

أمي أصبحت القانون. لم تكن تهتم بالشرطة، ولذلك لم نهتم بهم أيضًا. أعتقد أنها في البداية أحبَّت مارسيلو فقط لأنه كان محاميًا لصغار المجرمين مثل والدي؛ لم يكن نهجه تجاه القانون يقوم على الاحترام، بل على استغلال الثغرات والخداع. شركته القانونية ما هي إلا مستوى متطور من الحيل: المجرمون هم نفسهم، فقط يقودون سيارات أفضل. حتى الآن، بقي ظل والدي يلوح في الأفق بشكل مؤثر، ولو كان ضابطًا

من المدينة هو الذي تعامل مع الجثة داكنة الوجه، وليس ضابط **الملاذ الأخير**، لكنت أعلم أن جميعنا سنكون مكبَّلين بالأصفاد. المشتبه بهم الرئيسون.

الآن تعرف كيف مات والدي. كان تحت تأثير شيء ما (وجدوا حقنة بجوار جثته)، يحاول سرقة محطة وقود للحصول على بضع مئات من الدولارات. أعلم، أنا أحمق لأنني دفنت هذه القصة في الفصل العاشر. لكنني أضعها هنا لأنها على وشك أن تكون مهمة. وأعتقد أنه من المهم أن تعرف كيف تعلمنا معنى أن نكون من عائلة كانينجهام: أن ننغلق على أنفسنا ونحمي بعضنا بعضًا. هذا هو الباب الذي شعرت به صوفيا وهو يغلق أمامها على مائدة الإفطار. وحتى أنا، التعريف الحي للمنبوذ، دافعت عنها بلا حماس، محاولًا الحفاظ على قدم واحدة داخل الدائرة. هكذا كانت طريقتنا. حتى رأيت لمحة من والدي في عينَي مايكل تلك الليلة في ساحة مليئة بشبكات العنكبوت، وحاولت الهرب بعيدًا عنها قدر الإمكان.

Non fueris locutus.......

لقد نسيت باقي الجملة.

الفصل الحادي عشر

كان مدخل السطح عبر ستة طوابق من السلالم من دون عتبات تصدر صوت أنين، ومغطاة بسجاد مهترئ. نظرت في الممرات بينما كنت أمر بكل طابق؛ بدا أن هناك نحو ثماني غرف في كل طابق. كانت لدي عدة أسباب للقيام بذلك. أولها: أردت تقدير عدد النزلاء. خمَّنت أن هناك نحو أربعين غرفة، مع بعض الغرف الفارغة، لذلك ربما كان هناك ما بين ستين إلى ثمانين شخصًا. ثانيًا: أردت معرفة ما إذا كان الضابط كروفورد من النوع الذي يطرق الأبواب. بدا متقززًا بعض الشيء فيما يتعلق بأمر الجثة، وشككت في أنه قد أجرى تحقيقًا في جريمة قتل من قبل، لكنني كنت أعتقد أنه سيكون قادرًا على استحضار مجموعة من الأسئلة الأساسية. تتطلب قضية الجثة على الأقل قدرًا ضئيلًا من الإلحاح، كما اعتقدت، لكنه بدا مصممًا على عدم القيام بذلك. بالنظر إلى أن قاعة الإفطار كانت تعج بالنميمة النشطة عوضًا عن الكآبة، كنت لا أزال أتساءل عما إذا كان أي **شخص** هنا يعرف من هو الرجل الميت، وإن كان أحد حتى يهتم بالأمر. ثالثًا: لطالما كانت لدي عادة محاولة إلقاء نظرة خاطفة على غرف الفنادق في أثناء ترتيبها، فقط لأنني أحب أن أرى ما بداخلها. كنت أعود لغرفة الفندق وأخبر إيرين أن الغرفة المقابلة في الممر الأسرَّة فيها موضوعة على جوانب مختلفة من غرفتنا، والتلفاز معلق على الحائط، أو أن الستائر بألوان مختلفة عن تلك التي

لدينا. يبدو أن هذه ملاحظة مملة للغاية (هيا أيها المحرر، احذف هذا الجزء، أنا أتحداك)، لكن اسأل نفسك: هل سبق أن مررت بجانب باب غرفة فندق مفتوحة ولم تنظر إلى داخلها؟ إنه أمر مستحيل.

الآن بعد التفكير في الأمر، هذا ما أزعجني كثيرًا بشأن الحالة المزاجية في أثناء الإفطار. كان الأمر كما لو أن الجميع كانوا يمرون بجانب باب دون أن ينظروا إلى داخله.

ربما أتحدث هنا عن الفضول الفطري للإنسان. أنا ذلك الشخص الذي جلس في سيارة أخيه التي تحتوي على جثة في الخلف فقط ليرى ماذا سيفعل. أنا الشخص الذي يصعد إلى السطح بحثًا عن إشارة الهاتف المحمول ليبحث في جوجل عن اللسان الأسود. أنا الشخص الذي يوشك على النظر إلى عدد كبير جدًّا من الأبواب. لربما يكون هذا مهمًّا في النهاية.

وُجدت لوحات صغيرة في كل طابق تشير بأسهم إلى أرقام الغرف المختلفة أو المرافق. مثل غرفة الطعام والبار في الطابق الأرضي، بالإضافة إلى غرفة التجفيف (الغرف المهمة دائمًا ما تمتلك أسماء مميزة في روايات الغموض)، بينما كانت توجد في الطوابق العليا غرفة غسيل، ومكتبة - التي افترضت أن بها المدفأة المذكورة في المنشور السياحي، ولذلك ألقيت عليها اللوم في إدخالي في هذه الورطة من البداية، وقررت أنها يجب أن توفر دفئًا وحميمية شبيهة بالأجواء الخيالية لتعويض موقفي الحالي- توجد صالة رياضية وغرفة أنشطة، التي كانت تحمل كلمات «بلياردو/ رمي السهام» بجوارها. ذكَّرت نفسي بالتركيز بشكل أقل على الجثة ومحاولة الاستمتاع بالجزء الخاص بالعطلة من هذا كله، بقدر ما كان الاسترخاء جزءًا منها حتى الآن. بينما كنت أشك كثيرًا في

أن ألعب أنا ومايكل لعبة اجتماعية مثل البلياردو، كنت متأكدًا من أننا يمكن أن نجد شيئًا أخويًّا نفعله معًا. ربما يحب أن يرمي السهام علي.

وأنا أواصل الصعود على السلم، تغير السهم الصغير بجوار **السطح** من الإشارة إلى الأعلى إلى الإشارة إلى الجانب، ورأيت عربة تنظيف في الممر المجاور. رائع. ألقيت نظرة سريعة داخل إحدى الغرف: غرفة تبدو كتوءم غرفتي، وثلاجة رديئة.

كانت هناك امرأة بالفعل على السطح، تدخن سيجارة بعد الإفطار. عرفت أنها ليست صوفيا حتى قبل أن تلتفت، لأن صوفيا مدخنة كسولة؛ تترك السيجارة تحترق حتى تصل إلى أصابعها إذا لم تكن منتبهة، ثم تقول ‹أوه› وتشعل أخرى. لوسي تدخن كما لو أنها تمتص الوقود، لذلك عرفتها من الأنفاس القصيرة واليائسة.

كان البرد منعشًا. وضعت يدي في جيوب معطفي بجانب عدة زجاجات شامبو صغيرة أخذتها من عربة التنظيف (لا أمانع فعل ذلك) واتجهت نحوها.

قالت وكأنها تمتص روحًا من السيجارة: «انتظر». كانت لدي صديقة في الجامعة كانت تمضغ العلكة، وتثبتها على لوح سريرها ليلًا وتعود لمضغها في الصباح. هكذا كانت لوسي تعامل السجائر: كأنها تستفيد منها لأقصى مدى. كنت أرى أنها تقنع نفسها بأن هذه هي سيجارتها الأخيرة. كما كنت أرى أنها كانت مقتنعة بذلك حقًّا، كما كانت تفعل في كل مرة. اتضح أنها تقريبًا على حق هذه المرة. لم يتبقَ لها سوى سيجارة واحدة أخرى.

قلت وأنا أخرج هاتفي كمبرر: «الإنترنت». (البطارية: 54%).

كان عليَّ أن أقف على السطح لأحصل على إشارة استقبال واحدة فقط، وحتى في ذلك الموقع كانت الإشارة غير مستقرة. وأنا مدرك تمامًا

أن هذا، نوعًا ما، شيء معتاد في مثل هذه الكتب. عليك أن تتجاوز هذا الأمر. وأعلم أن هناك عاصفة أمامية قادمة. كما أنني أعرف أنني تجاهلت حقيقة وجود مكتبة غريبة مع مدفأة في المبنى (التي، بالمناسبة، ستكون المكان الذي سأحل فيه هذا اللغز اللعين). في هذه المرحلة، الأمر يشبه تمامًا مراجعة كيفية كتابة لغز. وإذا كان هذا يعزيك، فلن ينفد شحن هاتف أحد حتى الصفحة 323. إذًا، مسألة الإشارة والبطارية عبارة عن كليشيه. لا أعلم ماذا أقول لك – نحن في الجبال، ماذا كنت تتوقع؟

قلت: «آسف على ما حدث من قبل». وبما أننا كنا جنبًا إلى جنب، تحدثت إلى الفراغ، ألقيت اعتذاري في فراغ الجبل. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يعرف بها الرجال كيف يظهرون التنازل، بالتظاهر وكأننا في مرحاض عام: «ما زلت أستوعب كل شيء، لكن لم يكن ينبغي أن أتحدث معكِ بهذه الوقاحة. لقد اكتشفت فقط اليوم، تعلمين، أنه بإمكاننا مساندة بعضنا بعضًا».

- ما رأيك أن تصلح زواجك، وسأصلح زواجي؟

كان ذلك تباهيًا كبيرًا لشخص يتشبث بالنيكوتين طلبًا للشجاعة. لكنني لم أرغب في بدء جدال آخر، لذلك قلت ببساطة: «هذا عادل».

وقفنا في صمت، نراقب الجبل. صوت طنين ميكانيكي خافت وبعيد صادر من التلفريك الخاص بالمتزلجين. لا يزال الوقت باكرًا بما يكفي لبعض الأشخاص ليرتدوا أحذيتهم، لكنني توقعت أن أكثر الأشخاص تحمسًا قد استيقظوا منذ ساعات بحثًا عن الثلج الطازج. كنت أرى الطرق تمتد عبر قمم الأشجار كالأوردة، ونهرًا يشق طريقه عبر الهضبة البيضاء أدناها، وصولًا إلى أسفل التل حيث تتحول الأرض من بياض نقي إلى بقع بنية متفرقة. عوى صوت صفير الريح عبر السطح، مما

أدى إلى تموج المظلات المثبتة المغروسة في مراكز صف من الطاولات الخشبية. كان آندي على حق: كانت هناك ثلاثة مربعات من العشب الصناعي بها نقط انطلاق الجولف على جانب واحد من السطح. في النهاية البعيدة، كان هناك منتجع صحي خلف سياج ألومنيوم، وغطاؤه نصف مفتوح، والضباب يغلف المياه.

لم تستطع عيناي مقاومة الانجذاب إلى المكان الذي عُثر فيه على الجثة. كان بعيدًا عن أي شيء: أقرب منحدر تزلج للمنتجع على الحافة، خط الأشجار أعلى التل، أو حتى الطريق المؤدي إلى المدخل. ضمن هذا الارتفاع، كانت الرؤية من منظوري واضحة بما يكفي لتكوين رأي. لم يكن هناك أي خيار أن يكون الرجل الميت قد تعثر ووصل إلى مكانه إلا إذا كان بالفعل في سكاي لودج: كان المكان بعيدًا للغاية.

قالت لوسي، بشكل فاجئني: «لقد رأيته، أليس كذلك؟». لقد لاحظت نظرتي تستقر على تلك البقعة المحددة من الثلج. نظرت إليها بتمعن لأول مرة. كانت تضع أحمر شفاه وردي فاقع وكحلت عينيها. كنت متأكدًا أن الهدف من مظهرها أن تبدو مثيرة، لكنها بدت شاحبة جدًّا من البرد لدرجة أن أي لون على وجهها بدا وكأنه يقفز خارجه، ما جعلها تبدو كأنها شخصية كرتونية. كانت ترتدي زيًّا آخر نظيفًا – كنزة صفراء ذات ياقة عالية ضيقة جدًّا تتناسب مع طبيعة ملابس الثلج. «عندما طلب منك الشرطي أنت وآندي حمل الجثة. لقد أبعدنا جميعًا ولم نتمكن من رؤيتها. لكنك رأيتها، أليس كذلك؟».

نظفت حلقي: «أعتقد ذلك. إذا كان هذا عيد الهالويين، فقد كنت مؤخرة الحمار».

- ماذا؟

- أنا من حملت قدميه.

قالت بشكل متوقع: «حسنًا؟ هل كان يشبه مايكل؟».

فهمت سبب نبرة اليأس في صوتها. ربما افترضت ذلك خلال الإفطار، وإلا لكان نقاش عائلتنا سيصبح أكثر كآبة، لكن مع ذلك، لم يخبرها أحد مباشرةً. «أوه، لوسي. لم يكن مايكل».

- ألم يشبهه على الإطلاق؟

«أنا أعني ذلك، لم يكن هو. وأنا على الأرجح الشخص الوحيد هنا الذي يشبهه، وأعتقد أنني ما زلت...» - فتشت نفسي بطريقة مسرحية لأؤكد أنني ما زلت على قيد الحياة - «نعم، ما زلت واقفًا. اسمعي، صوفيا فقط أخافتنا. هل نحاول اكتشاف ما الذي تقصده؟». رفعت هاتفي. كانت لوسي الشخص الوحيد الآخر على طاولة الفطور الذي لم يعرف من هو اللسان الأسود.

هزَّت رأسها. «لقد بحثت عنه بالفعل. كان ذلك منذ فترة، لكنه كان خبرًا كبيرًا في ذلك الوقت، تغطية إعلامية واسعة، وبالطبع اضطروا إلى ابتكار اسم جذاب للقاتل. شخص ما قتل زوجين مسنين في بريسبين. وامرأة أخرى في سيدني».

أدركت لماذا لم أسمع عنه. خلال السنوات القليلة الماضية لم أكن أستطيع تحمل قصص الأخبار الحديثة والبشعة، منذ أن أصبحت جزءًا من واحدة منها. سألت: «ما أسماؤهم؟».

بدأت تقلب في هاتفها، وتقرأ مقالًا بسرعة: «آه، أليسون همفريز و... لا أعرف. أوه. ويليامز للزوجين- مارك وجانين».

- قالت صوفيا إنهم اختنقوا؟ هل هذا يشبه... التعذيب؟

«إنها طريقة بطيئة للموت. ربما كنت سأفضل فقط ـ (صنعت إشارة مسدس بأصابعها وضغطت بها على جانب رأسها)- بـدلًا من المرور

بذلك. الناس قلقون من أنه نوع من القتلة المتسلسلين. لقد فعلها مرتين فقط. حسنًا، أعتقد أن هناك زوجين، لكن هل يعتبر ذلك مرة واحدة أم مرتين؟ يعني، من الواضح أن هناك ضحيتين، لكن من حيث اعتبار القاتل قاتلًا متسلسلًا، ما معايير ذلك؟

- هذا خارج مجالي.

- ألا تكتب عن هذه الأشياء؟

- أكتب عن **كيفية** الكتابة عن هذه الأشياء.

تابعت قائلة: «ربما يعتمد الأمر على المبالغة. ربما تكون جريمة قتل مثيرة أو اثنتين أكثر قيمة من سلسلة جرائم عادية. على أي حال هذا بالتأكيد بالنسبة للجرائد». قبل أن أتمكن من سؤالها إذا كان احتراق رجل حتى الموت في حقل ثلجي غير ذائب يُعتبر جريمة قتل مثيرة أم لا، «صوفيا فقدت عقلها. لا أعتقد أن هناك قاتلًا متسلسلًا مختبئًا في هذا المنتجع. أردت فقط أن أعرف إذا كنت تعرف الجثة، ربما من غداء الأمس، أو عندما كنت في البار مع آندي، أو فقط في محيط المكان؟».

بدا لي ذلك عذرًا مستعجلًا: «لماذا تريدين معرفة من هو؟».

- لأن لا أحد يعرف وهذا يجعلني متوترة. ولا يبدو أن أحدًا مفقود.

- أنا متأكد أن لديهم سجل ضيوف. ربما كان يقيم وحده.

- لقد تأكدوا من وجود كل من يُفترض أن يكون هنا.

- كيف تعرفين ذلك؟

- أتحدث مع الناس. مالك المنتجع. عليك تجربة ذلك أحيانًا.

اعترفت: «لم أتعرف عليه». أعلم أنني الراوي، لكن ما أثار اهتمامي هو أنني لست الوحيد الذي يحاول الوصول إلى حقيقة هذه الوفاة. روايات الجريمة دائمًا تركز على دوافع قائمة المشتبه بهم، ولكن فقط

من منظور المحقق الذكي. هل أنا حقًّا المحقق لمجرد أنك مضطر للاستماع إلى صوتي؟ أعتقد أن القصة بأكملها ستكون مختلفة لو كتبها شخص آخر. ربما أكون مجرد واطسون[1] في النهاية.

إذًا، ما الذي جعل لوسي فضولية للغاية، ولماذا هي هنا معي تحاول إيجاد الأدلة رغم انقطاع الاتصال بالإنترنت؟ لاحظت بالطريقة التي شدَّت بها فكها لمحة خفيفة من خيبة الأمل، واستنتجت شيئًا. قلت: «أنت تبحثين لأنكِ تريدين التخلص من كروفورد. أنت تعرفين أنه كلما طال الوقت في التعرف على جثة مجهولة، سيزيد عدد الشرطة القادمة. وإذا كان مايكل متوترًا، فسوف يدمر ذلك خطتك لعطلة نهاية الأسبوع».

همست: «لا أريد أي مشتتات». لم أستطع إخبارها أنه وفقًا لهذه السياسة، يجب أن تتخلص من أحمر شفاهها الفلوري: «مايكل يستحق أن يعود لعائلته. هذه فرصتي الأخيرة لأعطيه إياها».

أدركت أن هناك سببًا آخر لوجودها على السطح. كانت تبحث عن شريط واحد من إشارة شبكة الهاتف. تأمل أن تتمكن أحد الرسائل النصية من الوصول.

سألت: «أيوجد أي خبر منه».

- لا.

- منها؟

ضحكت لوسي. «أعتقد أنها حذفت رقمي. أنا الزوجة السابقة. وأنت؟».

- لم أكن أتوقع شيئًا.

---

(1) واطسون: شخصية خيالية من تأليف السير آرثر كونان دويل، من الشخصيات الرئيسية في سلسلة شيرلوك هولمز.

تنهدت: «أعتقد أننا في الفريق نفسه».

- هل ستشعرين بالقلق عند رؤيته؟

- أعلم أنه سيكون مختلفًا. لكنني خائفة من مدى اختلافه. لم أتمكن من النوم الليلة الماضية. كنت أحلم باستمرار أنه لن يعرف حتى من أكون. وأظل أتساءل عما تبقى من نسخته القديمة، إن كان ثمة شيء. أخشى ألا يكون هناك أي شيء على الإطلاق.

لم أخبرها أن خوفي كان عكس ذلك: إنه لم يتغير على الإطلاق.

وخطر لي أن لوسي لم تسألني قطُّ عن المال. لا بدَّ أنها لم تعرف عنه. فكرت أن هذا مبلغ كبير لتستطيع إخفاؤه في أثناء الزواج.

فاجأتني مرة أخرى عندما مدت يدها. استقبلتها: إنها هدنة. كانت يدها ترتعش بشدة لدرجة أنني كنت سأضطر إلى الإمساك بمرفقها لإبقائها ثابتة. تمتمت: «لم يكن عليك أن تفعل ذلك به». قبل أن تترك يدي. كانت كلماتها منخفضة جدًّا وهادئة حتى إنني بالكاد سمعتها.

فتحت فمي لأجادل، لكنها رفعت يدها: «لا أقول إنه خطؤك. لست ضيقة الأفق إلى هذه الدرجة. لكن لم يكن ليحدث أي من هذا لو لم تتخذ ذلك القرار. ربما كان سينتهي به الأمر في السجن، لكن كان سيحدث ذلك بطريقة مختلفة. أكرهك لذلك». لم تكن غاضبة؛ بل كانت هادئة وصادقة، لذا عرفت أنها تعني ما تقول: «أردت فقط أن أقولها لك وجهًا لوجه. لمرة واحدة فقط».

أومأت برأسي. كان لدي إحساس بأنها أرادت قول هذا لي- لمرة واحدة فقط، كما تحب أن تأخذ سيجارة واحدة أخيرة، لكنني كنت أفهمها. لقد فكرت كثيرًا في الأمر نفسه خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية. لم ألُمها.

كان هناك صوت ضجيج عبر السطح، هدير محرك سيارة يكافح مع تضاريس المنطقة، التقطته الرياح وحملته إلينا. نظرت إلى طريق الدخول ورأيت زوجًا من الأضواء الأمامية يظهر من بين الأشجار. لكنها لم تكن سيارة؛ كانت شاحنة نقل متوسطة الحجم، هذا النوع الذي تستأجره لنقل الأثاث. كانت غير عملية بشكل كوميدي بالنظر للظروف المحيطة وبدأت تتهاوى أسفل المنحدر. ربما تبعد خمس أو عشر دقائق.

قلت: «ها نحن ذا».

أخذت لوسي نفسًا عميقًا ثابتًا وأخرجت بارتباك ما ستُعتبر سيجارتها الأخيرة.

الفصل الثاني عشر

لم يكن الحشد الذي تشكل في موقف السيارات، أعلى التل من مدخل بيت الضيافة، مختلفًا تمامًا عن الحشد الذي تشكل في وقت سابق على الجبل: كانت نفس نصف الدائرة الحذرة، إلا أننا بدلًا من التجمّع لرؤية رجل ميت، كنّا هناك جميعًا لرؤية رجل نجا من الموت.

لم تكن لوسي الوحيدة التي تتساءل عن مدى تغير مايكل؛ فلم يزره أي منا في السجن. قد لا يُفاجئك أن دعوتي لزيارته ضاعت في البريد، لم يرغب مايكل في زيارات من أي شخص، ربما بسبب الإحراج أو الخجل. لقد قرر أن يتعامل مع السجن وكأنه شرنقة، يخفي نفسه بعيدًا فيها. كان هناك تواصل محدود مع بعض أفراد العائلة، لكن ليس وجهًا لوجه. مكالمات هاتفية. رسائل إلكترونية. لست متأكدًا إذا كان إرسال أوراق الطلاق بالبريد يُعد كتابة رسائل، ولكن إن كان كذلك، فقد كتب بعض الرسائل أيضًا. لكن الاتصال كان نادرًا. لذلك عودته كانت تعتبر بالفعل حدثًا مهمًا.

كان هناك صوت سحق للفرامل اليدوية وهي تُسحب. ثم انطفأ المحرك، وتنهدت الشاحنة على نظام التعليق الخاص بها، ولم يتبق سوى صفير الرياح الجبلية. سيكون صوت الرعد بمنزلة إضافة لتلك الأجواء، لكنني وعدت بعدم الكذب. لاحظت أن سلاسل إطارات شاحنة مايكل كانت مثبتة بإتقان.

رتبت لوسي شعرها وتفقدت رائحة أنفاسها في راحة يدها. أما والدتي فضمت ذراعيها.

فُتح باب الراكب الأمامي ونزل مايكل.

البعض منكم استوعب شيئًا للتو. لكنني سأترك هذا الشي ليأخذ وقته.

بعد ثلاث سنوات وبعض التغيير، سأعترف أنني توقعت أن يكون أخي نسخة شبيهة بتلك الموجودة على جزيرة نائية: شعر أشعث يتدلى على كتفيه، لحية كثيفة مثل الغابة، وأعين صغيرة قلقة تقولان: **إذًا هكذا يبدو التحضر**. حيث إنه بدلًا من ذلك، حصلنا على النقيض. نعم، كان لديه شعرًا أطول، ولكنه كان شعرًا مموجًا، وكان كثيفًا وممتلئًا. ربما حتى مصبوغًا. لا بد أنه وجد الوقت للاعتناء بمظهره لأنه كان حليق الوجه. وبينما كنت أتوقع خطوط مشقة إضافية في جبينه، كانت لديه بشرة ناعمة، خدود وردية، وأعين مشرقة. ربما يرجع ذلك للبرد القارس، أو ربما كان السجن -بعيدًا عن المبادئ- يمتلك نظام عناية بالبشرة مهدورًا حقه، لكنني كنت متأكدًا أنه بدا أصغر مما كان عليه عندما غادر. آخر مرة رأيته فيها كان جالسًا في قفص الاتهام، محدبًا، ويرتدي بدلة تشبه سترة تقييد للمجانين. أما الآن، فقد بدا منتعشًا. وكأنه بُعث من جديد.

كان يرتدي جاكيتًا من ماركة نورث فيس أسود اللون محشوًّا بالريش فوق قميص بأزرار وياقة، وكان شكله يوحي بأنه شخص دُفع له المال ليصعد قمة إيفرست. أخذ نفسًا عميقًا من هواء الجبال، استمتع به للحظة ثم أطلق نداءً عاليًا: «كووي». ارتدّ صدى صوته عبر الوادي.

قال بدهشة: «واو، كاثرين، اختيارك للمكان رائع». وهزّ رأسه وكأنه لا يصدق مدى جمال المكان، ربما أبدى دهشته بشكل مبالغ فيه، أو ربما كان صادقًا، لا أدري. بعد ذلك اتجه مباشرة نحو والدتي. أعتقد أنه يجدر بي أن أبدأ بتسميتها «والدتنا» الآن. أو ربما من الأفضل أن أكتفي بتسميتها «والدته»، وأبقى أنا على «أودري».

انحنى مايكل وعانق والدتنا، وقال بضع كلمات في أذنها. أمسكت به من كتفيه بكلتا يديها وهزته، وكأنها تتحقق مما إذا كان حقيقيًّا. ضحك مايكل وقال شيئًا آخر لم يصلني منه سوى همسات، ثم التفت إلى مارسيلو، الذي بدوره صافحه بقوة وربت على أعلى ذراعه بطريقة أبوية.

شق مايكل طريقه حول نصف الدائرة. كاثرين حصلت على عناق مع قبلة في الهواء. آندي نال مصافحة بينما قال: «شاحنة جميلة». وعلق أنه يأمل أن تكون قوية بما يكفي للصعود مجددًا إلى التل، كما يفعل الرجال المحرجون عندما يعتقدون أنه يجب عليهم التحدث عن السيارات. معدتي كانت تتلوى أكثر مع كل شخص يحييه مايكل، وهو يتحرك ببطء على طول الخط. مصطفين بهذه الطريقة، بدا الأمر وكأننا نلتقي بالملكة. شعرت بدقات قلبي في حلقي. كنت أعبث بياقتي؛ كانت الطبقات كثيرة جدًّا. كنت قلقًا من أنني سأكون أقصر قدمًا بعد أن أذوب في الثلج قبل أن يصل إلى نهاية الصف. منحته صوفيا عناقًا بذراع واحدة، وكأنهما أُجبرا على الاقتران في رقصة مدرسية، مع ترحيب سطحي: «أهلًا بعودتك، مايك». هذا كان لافتًا: أخي حمل العديد من الأسماء في حياته – ميكي، كونرز، هام، المتهم – لكن لا أحد يناديه بمايك. عندما وصل إلى لوسي، كانت قد قضمت نصف أحمر شفاهها وسقطت في ذراعيه وكأنها كسرت كعبها. دفنت رأسها في عنقه وهمست بشيء. كنت الوحيد الذي سمع رده: «ليس هنا». جمعت شتات نفسها، مبتعدة وهي تأخذ أنفاسًا سريعة ومخنوقة من أنفها في محاولة لإظهار الهدوء. وضعت صوفيا يدها على ظهرها. ثم وصل مايكل إلى نهاية الصف، أمامي.

مد يده: «إرن». كانت أصابعه مقززة كالسجن، مع وجود وسخ تحت الأظفار. ابتسامته بدت دافئة بشكل مقنع. لم أستطع أن أميز إن كان سعيدًا برؤيتي أم إنه مجرد ممثل بارع في مسرح السجن للهواة.

أمسكت بيده وخرجت مني كلمات مختنقة: «مرحبًا بعودتك للمنزل». رغم أنني لم أكن متأكدًا إذا كان يعتبر مكانًا كهذا منزلًا.

قال: «أنا متأكد أن كاثرين لديها الكثير من الخطط، لكنني آمل أن نجد وقتًا لشرب البيرة بهدوء». في رأسي، كنت أعتقد أنه يسأل عن المال، لكن نبرته لم تتطابق مع ذلك. كنت مدركًا أن صوفيا تراقبنا، تحاول تمييز كلماتنا، وكنت أشك أن مواساتها للوسي كانت مجرد وسيلة لتكون أقرب خطوة إلى محادثتهن: «لدي بعض الأمور التي أود أن أقولها، وأعتقد أنني مدين لك بها. آمل أن تقبل بذلك».

إذا أعدت صياغة تلك الكلمات بطريقة مختلفة -كلمات مثل ‹مدين لك› و«أمور لأقولها»- ستصبح تهديدًا، لكن صوته كان... متواضعًا. هذه الكلمة الوحيدة التي أستطيع أن أصفه بها. كل ما تخيلته عن هذه المواجهة لم يتحقق. كنت أعاني في التوفيق بين الرجل الذي أمامي والرجل الذي صنعته في ذهني: رجل مليء بالغضب، الألم، والانتقام. ظننت أنه قد يكون مجرد قناع أمام الآخرين، وأنه سيسقط عندما نكون وحدنا، لكن تلك لم تبدُ كالخدعة. سمها إخوة. سمها رابطة الدم. أحضرت حقيبة مليئة بالنقود على أمل أن يستمع إلي. أما هو، فقد أحضر مصافحة وابتسامة، وتمنى أن أبادله الشيء نفسه.

كنت أهز رأسي بسرعة كما كانت تتنفس لوسي. تمكنت من استخراج كلمة «نعم» من مكان ما بين مؤخرتي ولساني.

عندها فُتح باب سائق الشاحنة. هذا هو الجزء الذي ربما خمنه معظمكم عندما خرج مايكل من مقعد الراكب الأمامي.

قالت إيرين وهي تتمدد: «كانت رحلة طويلة حقًّا، كيف حال القهوة هنا؟».

الفصل الثالث عشر

بصراحة، لم تكن هذه مفاجأة كبيرة تستدعي فصلًا جديدًا. كنا جميعًا نعلم من الموجود في مقعد السائق. بالطبع كنا نعلم: وصلت لوسي بالفعل، وكأن كاثرين ستترك شيئًا مهمًّا مثل اصطحاب مايكل للمصادفة. لم يكن مفاجئًا رؤية إيرين، أو رؤيتها مع مايكل.

قبل اتهامي بتأخير كشف لحظة خروجها من الشاحنة، أقترح أن إيرين كانت تمتلك ببساطة إحساسًا فطريًّا بالتشويق، أو على الأرجح، أنها لم تكن ترغب في جعل وصول مايكل أكثر إحراجًا، لذا بقيت في الشاحنة حتى ينتهي من استقبال تحيته الملكية.

اكتشفت أمرهم بعد ستة أشهر من دخول مايكل السجن. أعتقد أنني كنت أول من علم، ثم تدفق الخبر تدريجيًّا لبقية العائلة. مع ذلك، كنت دائمًا أتخيل أن لوسي اكتشفت ذلك في الوقت نفسه الذي اكتشفت فيه: مرتدية رداءها، وتفتح بحماس ظرفًا أصفر كبيرًا، وهي تعلم أنه بريد من السجن بسبب حقيقة أنه فُتح بالفعل، ونُهبت محتوياته، ثم أعيد لصقه، كما قالت لي زوجتي خلال إفطار هادئ تمامًا إنها تخطط لقضاء المزيد من الوقت مع أخي مايكل.

حسنًا، لقد أطلت التحدث عن الأمر بالفعل.

إذا كنت تتساءل عن اختياري للكلمات، فمعظم وجبات إفطاري هادئة؛ لم أجد قطُّ أن الوجبات التي تحتوي على الكثير من الحليب يجب

أن تكون درامية. لقد مررت بثلاث وجبات إفطار مهمة في حياتي. أنت تعرف عن اثنتين منها. أما الأخرى فتتعلق بالسائل المنوي: علينا أن نتعرف على بعضنا بعضًا بشكل أفضل قبل أن نصل إلى تلك القصة.

يتهم الناس الزواج بفقدان شرارته، وكأنه يمتلك طاقة خارقة يمكن إساءة استخدامها أو فقدانها. وربما يمكن القول إنه إذا كانت زوجتي قادرة على صنع علاقة مع أخي المدان عبر الهاتف والبريد الإلكتروني فقط (لأنه لم يكن لديه زوار) دون أن ألاحظ، فإن زواجنا كان منتهيًا بالفعل. ولا تسمحوا لي بتصويرها هنا بمظهر الشخص السيئ، لأنها ليست كذلك، فلقد- انتهى الأمر، كان هذا هو الحال. في الليلة التي زارنا فيها مايكل، والجثة في مؤخرة سيارته، كنا بالفعل في غرف منفصلة. وإلا لربما كانت قد رأت المال عندما ألقيتَهُ على سريري. لكن المشكلة لم تكن في الشرارة. بل في القداحة، في الصوان[1]، في أعواد الثقاب. ولم تكن هذه الأشياء مفقودة، بل أُخذت. الأمر ليس أننا فقدنا شرارتنا، بل إننا لم نعد نملك بعد الأدوات لإشعالها.

تمتمت في أثناء الإفطار: «لا أريد أن يكون الأمر غريبًا». كانت تدير خاتم زفافها حول إصبعها وهي تقول ذلك. لم أعتبره رمزًا لزواج ينهار بقدر ما كان إدراكًا لمدى الوزن الذي فقدته. يمكن أن تكشف وجنتَيَّ الإنسان أو منطقة الوركين عن تقلبات قصيرة الأجل، لكن عندما تلاحظ ذلك في اليدين... كنت أعلم أن كلينا أصبح أنحف، لكنني كنت أضطر إلى سحب ذلك الخاتم من إصبعها وكأنني أقوم بتشغيل منشار. رؤية الخاتم فضفاضًا هكذا جعلتني أفكر فيما كنت أفعله بها. لا تفهمني على نحوٍ خاطئ، لم يكن هناك شيء قاسٍ بيننا: لا صراخ متبادل ولا صحون

(1) هو شكل رسوبي كريستالي من الكوارتز المعدني. أُستخدم على نطاق واسع لصنع الأدوات، إشعال الحرائق وكمصدر للنار في الولاعات الحديثة.

تتطاير. لكننا وصلنا إلى النقطة التي، حتى في وجودنا معًا، نفعل شيئًا ما لبعضنا بعضًا. ربما لو لم تكن تدير الخاتم لقلت شيئًا مختلفًا، لكنها كانت تفعل، ولذلك لم أقل شيئًا.

قلت: «يمكنك فعل ما تريدين».

أعطتني واحدةً من تلك الابتسامات التي تلمع فيها عيناك بطريقة تدل على أنك لا تبتسم حقًّا، وقالت لي ألا أخبر لوسي عن الأمر الآن.

لم أشعر بالحاجة إلى أن أسألها أي شيء آخر. لم يكن الإفطار الوقت المناسب لذلك. ثم بعد ذلك، حسنًا، لم أسأل قط. فكرت في الأمر، بالطبع. أحيانًا أتساءل ما إذا كانت تحب المخاطرة فقط. لقد قرأت أن هذا الأمر شائع حيث تقع النساء في حب السجناء المحكوم عليهم بالإعدام، وحتى يمتلك البعض منهم زوجات متعددة. أو ربما كان وجود شخص في السجن يشكل لها نوعًا من الراحة. لقد كانت علاقة ذات حدود حرفيًّا، حيث لم يكن عليها القلق بشأن الأمور الأخرى، تلك الأمور التي مزقتنا. لم يقدر مايكل على امتلاك عيوبي، فلم يكن له أي تدخل في حياتها. صدقني، لقد استعرضت كل الخيارات. ربما كانت تتبع أسلوب كانينجهام بكل إيمان، وبشكل ساخر، رأت أن فعل ذلك كان جزءًا من ولائها. ربما كانت تصدقه بدلًا عني. ربما كان لديه الشرارة. بينما كنت أشعر بالضغينة، وهو شعور كنت أحاول تجنبه، تساءلت إن كان السبب هو وجود شيء مشترك بينهما لا أستطيع مجاراته. هذا ما يسمى بالتلميح عما هو قادم.

كنت أفهم موقف مايكل بشكل أسهل. اعتقدت دائمًا أنه يريد أخذ شيء مني.

نزول إيرين من الشاحنة، بالرغم من أنه لم يكن مفاجئًا، فإنه لحظة مهمة بالفعل. لأن مايكل لم يكن لديه زوار حقيقيون في السجن، وبالتأكيد لم يكن لديه زيارات زوجية. كان هذا الأسبوع هو المرة الأولى التي أراهم

فيها معًا، وكانت أيضًا المرة الأولى التي يرون بعضهم فيها. كانت علاقتهم غامضة للغاية، ولكل منا أفكار مختلفة عما تعنيه حقًّا. سمِّني شخصًا مؤمنًا بالقدر، أو ربما كسولًا، لكنني كنت سعيدًا بالاستسلام: فكرت فيهما معًا، لكنني دائمًا توقفت قبل أن أعتبرهما زوجين. لوسي، بخزانة ملابسها المليئة بالعلامات التجارية وأحمر شفاهها الذي يشبه إشارات الاستغاثة، كانت بوضوح تعتقد أن هناك فرصة للمراوغة. أما الآخرون فتراوحوا بين عدم التصديق والقبول، معظمهم كان يميل إلى الشك.

عند النظر إلى الوراء، لا أعتقد أنني اكترثت للأمر كما أكتبه الآن، لأنني أدركت أنهم لم يقضوا الليلة معًا بعد، لقد أحضرت إيرين مايكل من مركز الإصلاح في كوما، على بعد نحو ساعتين بالسيارة، في ذلك الصباح. كانت ستبقى في النُّزُل ذي الملاءات الخشنة الذي تخيلتها فيه الليلة الماضية. لا أعرف لمَ هذا مهم –من يهتم إن كانوا قد قضوا الليلة معًا أم لا– لكنني سأعترف أن هذه الفكرة خطرت لي. أذكر هذا هنا لأنني أعتقد أنه إذا راودتني تلك الأفكار، فمن المحتمل أن لوسي كانت ملتصقة بها.

إيرين تحركت حول الدائرة بسرعة أكبر بكثير من مايكل، جزئيًّا لأن كان لديها عدد أقل من الأشخاص لتصافحهم، بينما كانت لوسي تتظاهر بشكل واضح بربط رباط حذائها. عندما وصلت إليّ، مددت يدي.

قلت: «أشياء جميلة». إنها مزحة خاصة بيننا؛ كنت أحاول أن أُضحكها.

لكنها لم تبتسم. بدلًا من ذلك، أمسكت بيدي وجذبتني إلى عناق بارد بذراع واحدة. كان نفسها دافئًا على أذني وهي تهمس: «إنه مال العائلة، إرن».

كانت كلمات مسروقة، مليئة بالإلحاح. مايكل قال لي الشيء نفسه ليلة دفنه لآلان. **إنه مالنا.** كنت أعلم ما يعنيه. لقد كسبه. لقد قتل من أجله.

كان يطالب به، ويعرض عليَّ حصة مقابل صمتي. لا أستطيع قول ما كنت أتوقعه من إيرين، عندما اقتربت من أذني، ربما اعتذارًا أو، شيئًا مثيرًا، أو مزيجًا من الاثنين: اعتذارٌ مثيرًا. لكني لم أكن أتوقع أن تكون رسول مايكل، بينما كان يبتسم ويقول إنه مدين لي بمشروب بارد. **إنه مال العائلة، إرن.** هل كان هذا تلميحًا لما قد يحدث إن لم ألتزم؟ لم أكن متأكدًا. النظرة في عينيها كانت صادقة، وليست تهديدًا. ربما كانت مجرد تحذير. لقد رحلت قبل أن أتمكن من أن أقرر، ولم أستطع سؤالها أمام الجميع على أي حال.

انقسمت العائلة بسرعة إلى مجموعات. اقتربت لوسي وصوفيا من مايكل ومني. على الأرجح، لم تكن لوسي تريد أن تترك مايكل بعيدًا عن ناظرها، وصوفيا ربما لم تريد أن أُفشي عن أي شيء بخصوص المال قبل أن أقرر ما إذا كنت سأعطيها أيًّا منه. انضمت إيرين إلى مجموعة أمي ومارسيلو. دون أن يبدو عليَّ الاهتمام، حاولت قراءة تعبير وجه أمي. كان غير مألوف بالنسبة لي، لذلك افترضت أنه لا بد أن يكون دافئًا ومرحبًا. انضمت كاثرين إلى مجموعة إيرين، وآندي، الذي وجد نفسه عالقًا مؤقتًا في المنتصف، انضم إلى مجموعتنا.

ربما أدرك مايكل أن تحديد نبرة الحديث كان أمرًا متروكًا له، وأنه في حالة عدم تحدثه فلن يتحدث أحد، كان يحاول إبقاء الأجواء خفيفة بإخبارنا كيف أجبر إيرين على التوقف عند كل محطة بنزين في الطريق ليتمكن من تجربة نوع مختلف من الشوكولاتة في كل واحدة.

«أيهم كانت الأفضل؟». كنت قد عقدت اتفاقًا صغيرًا مع نفسي لأكون مهذبًا مع مايكل بقدر ما كان مهذبًا معي، لذا فكرت في محاولة الانضمام إلى المحادثة.

أومأ برأسه: «النتائج غير حاسمة». ثم ربت على بطنه: «سأحتاج إلى الكثير من البيانات».

ضحكت لوسي بصوت عالٍ جدًّا.

سألت صوفيا: «ما قصة الشاحنة؟ ألم تفهم الجزء المتعلق بالمنتجع الجبلي في الدعوة؟ أنا مندهشة أنك استطعت الوصول إلى هنا».

- مكان الاستئجار أخطأ في الحجز- كان من المفترض أن تكون شاحنة صغيرة. لم يكن لديهم سوى تلك، وإلا كنا سنأخذ سيارة إيرين الهاتشباك[1]، وهذا لم يكن كافيًا لأغراضي، بما أن وحدتي التخزينية تتجدد غدًا وقد استنزفوني بالفعل بما فيه الكفاية. لذا، في الأساس، تحتوي الشاحنة على غرفة الجلوس الخاصة بي في الخلف. نحن كنا قلقين قليلًا، لكنها قوية.

ضحك آندي: «هل أحضرت كرسيًّا بذراعين إلى الثلج؟». كنت لا أزال أتساءل عن استخدامه لكلمة نحن.

سألت صوفيا: «كنت سأدفع المبلغ الإضافي فقط. هل أحضرت كل هذا لتوفير بعض المال؟».

تمتمت لوسي: «أعتقد أنه أمر منطقي جدًّا، كنت أعتقد أنني ما زلت أمتلك معظم أغراضنا...»

قاطعها مايكل بالحديث: «هذا ما كان لديهم. بالإضافة إلى ذلك، تأكدنا من إعطائنا خصمًا جيدًا، بالطبع. وسأحتاج إلى نقل أشيائي الأسبوع المقبل، لذا قد احتفظ بها لبضعة أيام إضافية. يستحق الأمر المخاطرة بإحضارها إلى هنا».

قلت: «بإمكانك تخزين أغراضك عندي إذا احتجت إلى ذلك». كان نصف كلامي لملء فراغ الحديث، والنصف الآخر لأنني لم أكن أستمع بتركيز كامل؛ كان جزء من انتباهي منصبًّا على لمحة من حديث إيرين

(1) سيارة صغيرة ذات بابين وأحيانًا أربعة مع باب خلفي ينقلب لأعلى يسمى الفتحة.

مع كاثرين. إليك نصيحة: لا تهمس أسرارًا تحتوي على الكثير من حرف الـ«س» – فالهسهسة تخترق الهواء. سمعت كاثرين تقول «غرف منفصلة»، لكنني لم أتمكن من معرفة ما إذا كانت تسأل أو تؤكد. تمنيت لو أنني لم أسمعها، لكنني فعلت. أدركت أن مايكل وصوفيا كانا ينظران إليّ بفضول. استغرق الأمر لحظة لأدرك ما قلته، وبمجرد أن فعلت، توقعت إلى حد ما أن يقول مايكل **أنا أقوم بذلك بالفعل.**

لكن بدلًا من ذلك، قال: «قد أقبل عرضك، يا أخي».

ثم تدخلت لوسي فجأة قائلة: «لقد أقلعت عن التدخين».

«أحسنتِ». نظر إليها مايكل كما ينظر الوالد إلى طفلٍ قاطعهم في أثناء شرب كأس من النبيذ ليعرض شقلبة، ليقول: أحسنت بالطريقة التي تعني انصرف. «إذًا، ماذا نفعل للحصول على المرح هنا؟ صدقوني، أنا متحمس للمطعم والبار، لكنني لن أقضي عطلة نهاية الأسبوع كلها محبوسًا بالداخل».

أنا وآندي قلنا في الوقت نفسه: «يوجد جاكوزي على السطح».

نادى مارسيلو ليجمعنا: «الجميع». لوسي تجاوزت آندي من الداخل بأسلوب يُشبه سباقات الفورمولا 1 لتكون بجانب مايكل. تأخرت أنا وصوفيا خلفهم.

همست صوفيا لتزعجني: «أنت تحمرُّ خجلًا، ما الأمر؟ هل أنت منبهر».

هززت رأسي: «أنا مشتت تمامًا. هذا ليس ما كنت أتوقعه».

تجعد أنف صوفيا: «أنا أيضًا. كويدادو». حتى لو لم أكن أفهمها، كانت صوفيا تحدثني ببعض الكلمات الإسبانية أحيانًا. كنت أعرف هذه الكلمة، بعد أن سمعتها عدة مرات: **احذر**.

عندما انضممنا إلى مجموعة مارسيلو، تحرك مايكل نحو إيرين، التي وضعت يدها في جيب سرواله الخلفي. عندما كنا متزوجين – عذرًا، نحن ما زلنا متزوجين؛ تقنيًّا، يجب أن أقول، عندما كنا معًا – لم تكن إيرين معجبة بالعواطف الجياشة في الأماكن العامة. لقد عاشت طفولة صعبة، وأحيانًا عنيفة، تربت فيها على يد والد لم يكن مرتبطًا بها، لقد كان يضربها في الخفاء ويحتضنها في العلن. نتيجة لذلك، وجدت صعوبة في رؤية الحب المبالغ فيه على أنه حب حقيقي، ترى أنه أكثر من مجرد تمثيل. لم تكن تثق به. أذكر هذا لأننا نادرًا ما كنا نتبادل القبلات في الأماكن العامة، وبالتأكيد لم نقم بأي حركات تدليل متعلقة بالجيب الخلفي. ربما كانت تضع راحة يدها على أسفل ظهري. لكن إظهار عاطفتها تجاه مايكل كان أمرًا متكلفًا. واستحواذيًّا. لم أكن متأكدًا مما إذا كان ذلك من أجلي أم من أجل لوسي. ربما بسبب شعوري بالغيرة أفرطت في التفكير ربما كان يمتلك أخي مؤخرة أفضل مني بببساطة.

قال مارسيلو بصوت مرتفع بما يكفي لتسمعه المجموعة لكنه كان موجه لمايكل وإيرين: «لقد قررنا، أنه ينبغي أن نخبركم بشيء ما معًا – وإلا فقد تسمعون ذلك من الآخرين».

- لست متأكدة...

- لوسي، من فضلك. مايكل، آخر شيء نريد القيام به هو تحميلك أي ضغط غير ضروري هذا الأسبوع. لكن إما أن نخبرك الآن، معًا، وإمًّا ننتظر حتى تبدأ الشائعات والقصص.

كانت والدتي تومئ برأسها بالموافقة، وهي حركة كانت دائمًا ذات وزن أكبر من كلمات مارسيلو. ألقى مايكل نظرة سريعة نحو البقية، لكنني أكاد أقسم إنه كان يبحث عن وجهي. ربما كان يعتقد أن الأمر له علاقة بالمال. أو شيء يتعلق به وإيرين.

قال مارسيلو: «هناك حادثة، عُثر على جثة رجل هذا الصباح. يبدو أنه ضل طريقه خلال الليل ومات بسبب الصقيع الشديد». جالت نظرات مارسيلو على المجموعة، لكنها استقرت على صوفيا، وكأنه يتحداها أن تتحدث: «هذا أبسط ما يمكنني قوله».

استنتج مايكل الأمر: «توجد شرطة هنا، رأيت سيارة دفع رباعي تخص الشرطة قرب سقيفة الصيانة. لم أعرها اهتمامًا، لكن وجودها منطقي. حسنًا، هذا الرجل المسكين».

هذه المرة صوفيا هي من تحدثت: «هناك شيء آخر يجب أن تعرفه». التفتت لوسي نحوها وحدقت إليها بغضب. حاول مارسيلو تنظيف حلقة بالسعال للتغطية على كلامها، لكن رفع مايكل يده نحوه، مما أدى إلى توقف مارسيلو عن التنفس، أعتقد أن السبب الوحيد لهذا هو عدم تعرضه لمثل هذا الموقف من قبل. أقسم إن صوت انغلاق فمه تردد في الوادي. «لا يعرفون من هو. على ما يبدو، ليس من بين النزلاء هنا. لا أحد يفعل شيئًا في الوقت الحالي، لكن هناك المزيد من المحققين في طريقهم. قد يرغبون في إجراء بعض الاستجوابات».

أومأ الجميع برؤوسهم موافقين، منبهرين بلباقة صوفيا الجديدة. لم أكن أصدق ذلك؛ أعتقد أنها كانت تحاول استفزاز مايكل. كلمات مثل المحققين والاستجواب. كانت تحاول إخافته.

قالت إيرين وهي تفكر بصوت عالٍ: «محققون لشخص مات بسبب التعرض للصقيع؟». مدركة أن هناك خطأً ما، ونظرت إلى مايكل بنظرة قلقة. ردت صوفيا عليها بابتسامة باهتة. لقد زرعت فيهم ما أرادت.

قالت والدتنا: «إذا لم ترغب في البقاء هنا، يمكننا الذهاب إلى مكان آخر، أردنا أن نضع القرار بين يديك».

قال مارسيلو: «لا يوجد ما تقلق بشأنه، من خلال تجربتي، وجودك في السجن يعتبر عذرًا جيدًا. بالإضافة إلى ذلك، الضابط هنا ليس ما نسميه ذا خبرة. الجثة أصابته بالارتباك. لذا، هو ينتظر رؤسائه. سيأتون، سيبقون خمس دقائق، ثم سيغادرون جميعًا».

بدأت كاثرين: «أما الإقامة فهي...». وكنت أعرف أنها على بعد نفس واحد من قول «غير قابلة للاسترداد».

قاطعتها: «اسمه كروفورد».

قالت كاثرين بالإشارة إلى أن الأمر لا يهم: «كروفورد. بالطبع، إنه لا يملك عقدة العدوانية التي يمتلكها ضباط المدينة. يبدو أن اسم كانينجهام لم يعد له صدى كما كان من قبل».

قفزت لوسي على عبارات بث الطمأنينة لأنها كانت تعتقد بوضوح أنه إذا تفرقنا، فسيكون الأمر مسألة مئة دولار وغرفة في نُزُل قبل أن تخسر مايكل للأبد: «أما بالنسبة لوجوده كشرطي، فهو غير موجود تقريبًا. إنه لا يطرح أسئلة. بالكاد رأيناه في الجوار».

قال مايكل: «هذا الشرطي الذي يُفترض أنه لا يفعل شيئًا، هل هذا هو؟». أشار إلى درجات بيت الضيافة، حيث كان الضابط كروفورد ينزل مسرعًا. تقدم نحونا بانفعال، باحثًا بين وجوهنا عن الشخص الجديد. ثم لمح أخي.

- مايكل كانينجهام؟

رفع مايكل يديه مازحًا وقال: «مذنب».

- سعيد بأننا متفقان. أنت رهن الاعتقال.

الفصل الرابع عشر

كانت كاثرين محقة: لم يعد لاسم كانينجهام صدى كما كان من قبل. لو كان كذلك، لربما فكر الضابط كروفورد في سلامته الشخصية بشكل أفضل قبل أن يخترق دائرتنا.

كانت لوسي أول من انفجر: «ماذا تظن أنك تفعل؟». لقد اندفعت أمام مايكل، مكونة حاجزًا جسديًّا.

قالت كاثرين وهي تعزز الدفاع بجانب لوسي وتسحب معها آندي المتردد: «هناك سوء تفاهم».

قال آندي وهو يحاول إخفاء ضحكة مهتزة صغيرة: «ليهدأ الجميع قليلًا». تذكروا أنه من عائلة كانينجهام لكن بالزواج، لذا كان لا يزال يحمل احترام المواطن العادي المعتاد تجاه للشرطة.

لاحظت أن كروفورد كان يحمل أصفاد متدلية من يده اليسرى كالسوط المتراخي: «ابتعدوا عن الطريق».

«ألا يمكنك فقط أن تترك» -كانت تلك أمي، لم تكن نشيطة بما يكفي لتكون جزءًا من الحاجز، لكن السم في كلماتها كان درعًا كافيًا- «عائلتنا اللعينة وشأنها؟».

فجأة، صدقت كل مقال إخباري قرأته عن أمهات يرفعن السيارات لإنقاذ أطفالهن. حسنًا، الأطفال اللاتي يحببونهم بالطبع.

هدأها مارسيلو قائلًا: «أودري، هذا لن يساعدنا». تقدم خطوة إلى الأمام وعرَّف الضابط كروفورد على ساعته الرولكس. «أنا محاميه. دعنا ندخل إلى الداخل، نجلس، ونتحدث».

- ليس من دون الأصفاد.

- أنت وأنا نعلم أن هذه ليست طريقة عمل الشرطة. لقد وصل للتو، كيف يمكنه أن...

قال مايكل: «أبي». لقد استغرق الأمر مني لحظة لأدرك أنه كان يتحدث إلى مارسيلو: «لا بأس».

لكن اتخذ مارسيلو حالة التأهب التامة: «لا يحق لك أن تطلق أحكام عرفية في هذا المنتجع فقط لأنك الشرطي الوحيد هنا. أعلم أنك في موقف غير مريح وأحدهم في الخارج قد فقد أبًا أو أخًا أو ابنًا - وستكون أسرتي وأنا سعداء بالمشاركة في مقابلات غير رسمية للمساعدة في التعرف على هويته. ولكن افتراض أن هناك أي شيء جنائي... هذا... إنه اتهام عجيب. إنه تمييز على أساس تاريخ العائلة. سنقاضيك. إذا كنت ترغب في احتجازه، ستحتاج إلى سبب وتهمة، وأنت لا تملك أيًّا منهما. الآن، أنا أعمل لمدة ست دقائق دون أجر، وأعتقد أننا تجاوزنا هذا الوقت. لذا هل انتهينا؟».

شعرت بالرغبة في الاعتذار لمجرد أنني كنت قريبًا من خطبة مارسيلو الغاضبة. لكن كروفورد أصر قائلًا: «لم ننتهِ بعد. لديّ الحق في استخدام تقديري، نظرًا لوجود جريمة قتل».

بدأت أصوات الهمهمة حول كلمة جريمة قتل حيث أخذ الجميع في تكرار الكلمة في حالة من عدم التصديق. أمسكت بصوفيا وهي تبتسم. مارسيلو قبض يديه. لم تكن أمي من النوع الذي يندهش، لكنها غطت فمها بيد واحدة.

قال مايكل بنبرة حادة: «حادثة ما».

زمجر مارسيلو في وجه كروفورد بحديث قانوني حتى أنا فهمته: «لقد انتهى أمرك، لقد دمرت أشخاص لمواقف أقل من هذه».

- ولقد واجهت أشخاصًا في مواقف أكبر من هذه.

قاطع حديثهم صوت دفع أبواب بيت الضيافة بعنف. كانت امرأة طويلة، في مثل عمري، ذات فك ذي سمرة ولكن بشرة باهتة حول عينيها- السُّمرة الناتجة عن ارتداء نظارات التزلج- تقف على الشرفة. كانت مكشوفة الذراعين، ترتدي قميصًا وفانِلة، غير متأثرة بالبرد. تعرفت عليها، لقد كانت السيدة التي تقود سيارة اللاند روفر البرمائية والتي أصلحت سلاسل إطاراتي.

- هل تحتاج إلى مساعدة، أيها الضابط؟ الناس متوترون بما فيه الكفاية.. ما كل هذا الصراخ؟

قال مارسيلو وقد بدا عليه التعب من احتمالية مواجهة طرف آخر ليجادله: «الأمر لا يعنيكِ».

- أنا أملك هذا المنتجع، لذا أعتقد أنه يعنيني.

- حسنًا، في هذه الحالة، هل يمكنك إخبار هذا البوارو[1] المزيف بالتوقف عن مضايقة ضيوفك؟ وإذا كنتِ تريدين تهدئة الذعر، فماذا عن عدم استخدام كلمة ‹جريمة قتل› في الأرجاء؟

رفعت المالكة حاجبها تجاه كروفورد: «هذه أول مرة أسمع فيها كلمة جريمة قتل. بحقك؟ هل تقصد الحذاء الأخضر؟».

بالنسبة للألقاب المستندة إلى الألوان، كان ‹الحذاء الأخضر› أسهل في الفهم من ‹اللسان الأسود›. كان هذا الاسم المتداول يطلق على رجل مات في أثناء تسلقه لجبل إيفرست؛ ولأن استرجاع الجثة كان خطيرًا

(1) هرقل بوارو: هو محقق بلجيكي خيالي ابتكرته الكاتبة أجاثا كريستي. يعتبر أحد أشهر شخصيات أجاثا وأكثرها استمرارًا.

للغاية، بقيت الجثة على مقربة من الطريق، حيث كان حذاؤه الأخضر اللامع بمنزلة معلّم للمتسلقين. وعلى الرغم من أن الجثة التي وُجدت هذا الصباح لم تكن ترتدي حذاءً أخضر -أنا أعلم ذلك، فقد حملت القدم اليسرى- فإنهم على ما يبدو قد استقروا على هذا الاسم كتعبير مختصر لضيوفنا المتجمدين الغامضين.

- لدي سبب للاعتقاد بأن موته قد يكون مشبوهًا.

ارتفع صوت كاثرين بنبرة متقلبة، ربما بسبب الشك أو تأثير ارتفاع المكان. وهي تشير إلى صوفيا. «لماذا؟ بسببها؟ يمكنك الحصول على رأي طبي أفضل من شامان[1]. ماذا قلتِ له؟ متى سيصل المحققون الفعليون؟».

أكدت صوفيا لكروفورد: «أنا طبيبة».

- هل نتجاهل حقيقة أنه، حتى لو كانت هذه الوفاة مشبوهة، فإن مايكل لديه حجة غياب؟

- أبي، دعني...

- مايكل، أنا سأتولى الأمر. هل أنت متأكد أنك تريد أن تسلك هذا الطريق، أيها الضابط؟ شكوكك مبنية على سجل جنائي حفرت حتى وجدته، مع القليل من التاريخ العائلي، وولاؤك لشارتك، لأن ‹الدم ينزف أزرقَ› وكل هذه الأمور. تحيزك ليس ظاهرًا فقط، بل يجعلك تبدو كالأحمق. بحق السماء، أخبرني كيف يمكن أن يكون لمايكل علاقة بالأمر وقد خرج من السجن هذا الصباح فقط؟

فاجأ انفجار مارسيلو الجميع وخطف الأنفاس. نظر كروفورد إلينا جميعًا؛ بدا وكأنه يحاول أن يجد أي بصيص من الدعم المتبقي. تجنبت النظر إليه. حتى صوفيا نظرت إلى الأسفل؛ بجانب إيمانها بالألسنة

(1) شخص يشتغل في التطبيب والكهانة والسحر مستعينًا بقدرته على التحكم بالقوى الفائقة للطبيعة. (المترجمة)

السوداء والأحذية الخضراء، فقد كانت تعرف متى يصبح وجه الشخص أحمر اللون.

قال مارسيلو وهو يمسك بيد أودري ويبدأ في التوجه نحو بيت الضيافة: «هيا بنا».

لكن مايكل لم يتحرك. تبادل ابتسامة متوترة مع إيرين.

لا أبالغ عندما أقول إنه، أخيرًا، دوى صوت الرعد.

قال كروفورد: «كنت أعلم، هل تريد أن تخبرهم أم أقوم أنا بذلك؟».

رفع مايكل يديه وتقدم بضع خطوات نحو كروفورد: «لم أؤذِ أحدًا، لكنني مستعد للتعاون معكم وللمساعدة في معرفة من فعل ذلك». كان ينظر إليّ وهو يقول هذا.

- مايكل! توقف! أيها الضابط، إنه لا يعرف حقو...

- هو ليس المحامي الخاص بي.

عادت أودري واقتربت لتضع يدها على كتفه: «ماذا تفعل؟ كنت في كوما الليلة الماضية. لا بأس، فقط أخبره».

- الجو بارد يا أمي. عودي للداخل.

«قل الكلمات. فقط قلها. أخبره». بدأت تضرب صدره بقبضة يدها النحيلة المغلقة. كما لو كانت تحاول أن تنتزع منه الاعتراف بالقوة. ثم، أظن بسبب مزيج من البرد والإجهاد، تراخت ركبتاها وسقطت بلطف في الثلج. حاول مايكل أن يمسك بها لكنه كان بطيئًا فلم يستطع فعل الكثير سوى توجيهها إلى الأسفل، حيث جلست على الثلج. هرع كروفورد، صوفيا، وأنا لمساعدتها على النهوض، لكنها أبعدتنا. كاثرين ولوسي بدأتا بالصراخ على الضابط كروفورد لأنه ترك سيدة عجوز تسقط في البرد.

قال كروفورد بصوت عالٍ بما يكفي لإسكات الجلبة: «السيدة كانينجهام، لقد أُفرج عن مايكل بعد ظهر أمس».

أمس؟ أتذكر الإدراك البطيء الذي بدأ يتسلل. لكن هذا يعني...

اندفعت عينا مايكل نحو إيرين. أعتقد أنني رأيت وجه لوسي ينهار من الداخل. وسقطت أول ندفة ثلج على رموشي.

كان مارسيلو يعيد التفكير بصوت عالٍ، محاولًا إيجاد أفضل خيار، بينما كان يرفع أودري: «هذا ليس دليلًا قاطعًا. حسنًا. حسنًا، إذًا لم يكن في السجن. بالتأكيد، لكن هذا لا يعني أنه كان هنا. لا يمكنكِ البقاء هناك، يا عزيزتي، ستبتلين. إذًا، فقط أخبرنا أين كنت الليلة الماضية، يا مايكل، وسينتهي الأمر».

- أفضل الذهاب معك، أيها الضابط.

كبل كروفورد مايكل بالأصفاد بعد أن ألقى عليه نظرة مطمئنة. حتى دون معرفة القصة الكاملة وراء سبب إخفاء مايكل، أدرك الضابط ‹الملاذ الأخير› أن هذا هو الخيار الأقل ضررًا. لاحظت أنه وضع الأصفاد بشكل فضفاض للغاية. ربما ليست فضفاضة بما يكفي للانزلاق منها، لكنها فضفاضة بما يكفي لئلا تشكل تهديدًا. ثم التفت إلى المالكة – انظر، أعلم أنه من حيث الترتيب الزمني لم تخبرني مالكة الفندق باسمها بعد، لكن الأمر يزعجني، لذا سأبدأ في تسميتها جولييت، لأنها ستخبرني بذلك قريبًا– وقال: «يجب أن أبقيه بمفرده، من أجل سلامة الضيوف».

فردت جولييت (انظر، قلت لك إن ذكر اسمها سيكون أسهل): «سيتمكن من الخروج من أي مكان تضعه فيه. لا توجد غرف أو شاليهات تُغلق من الخارج فقط –هذا بمنزلة خطر حريق. نحن فندق، ولسنا سجنًا».

قالت لوسي: «ماذا عن غرفة التجفيف؟». كان وجهها أكثر قتامة من السماء، وصوتها أجش، ولسانها مثقلًا بالغضب. سأكتشف لاحقًا، إنها عرفت بالفعل أن غرفة التجفيف لم تكن أكثر من مساحة بحجم خزانة مدفأة صغيرة تحتوي على مقاعد خشبية للأحذية ورفوف للمعاطف، وتنبعث منها رائحة العفن الرطب والعرق الذي لا تشعر به إلا عندما ترتدي شيئًا مضادًا للماء لدرجة أنه يحتفظ بكل شيء بداخله كما يمنع تسربه من الخارج. كان انتقامًا تافهًا، لكنه كان أفضل ما يمكنها فعله في وقت قصير. أضافت بنبرة مليئة بالتعجرف: «رأيت أن بها مزلاجًا منزلقًا من الخارج».

فقالت جولييت: «غرفة التجفيف ليست حقًّا مكانًا مناسبًا لنبقي الناس فيها».

نظر كروفورد إلى الأعلى، ومد يده بشكل مسطح وشاهد بعض ندفات الثلج الصغيرة تهبط على يده وتذوب. كان حريصًا على إنهاء الأمر والعودة للداخل. التفت إلى مايكل بنبرة معتذرة وقال: «لن يستمر الأمر سوى بضع ساعات».

أومأ مايكل برأسه.

عندها خطر ببالي أن هذه ستكون اللحظة المثالية لإيرين حتى تتحدث. إذا لم يكن السجن هو عذر مايكل، فقد تكون هي العذر. كنا نعلم جميعًا أنهما كانا معًا على أي حال، فما الفرق إذا كانت بينهما ليلة؟ عندما لم تقل شيئًا بعد، أدركت أن ما كانا يخفيانه يستحق أن يُحبس في غرفة التجفيف بتهمة الاشتباه في جريمة قتل، مما أثار فضولي.

ربما كان مارسيلو سيضرب كروفورد لولا أنه كان يحمل أمي على كتفه: «أين تعلمت أن تكون ضابط شرطة؟ لا شيء مما تفعله قانوني».

ضباط الشرطة في هذه الكتب، بينما يُعتبرون الملاذ الأخير أو الأمل الوحيد، يمكن أن يكون لديهم صفات شخصية مثل الالتزام بالقانون أو خرق القواعد. بدا أن كروفورد قد فاجأني مرة أخرى.

قال مايكل مكررًا: «أنا سعيد بالتعاون».

قالت إيرين وهي تعطيه عناقًا: «سيكون كل شيء على ما يرام». انزلقت يداها على طول عموده الفقري ودخلت في جيبه الخلفي، هذه المرة الجيب الآخر. ليس وكأنني لاحظت الأمر.

ثم سار الجميع باتجاه بيت الضيافة. تبعتهم، وقد جرفتني الموجة. كان مارسيلو يسير بالوتيرة نفسها، بعد أن سلم أودري إلى صوفيا، ويتحدث بلا توقف مع كروفورد بلغة سأعتبرها متلونة، سواء بسبب سيل المصطلحات القانونية أو الوصف البذيء لكيف أنه سيقوم بممارسة الجنس مع وجهه.

قال كروفورد في أعلى الدرج: «أحتاج منك أن تعطيني بعض المساحة». كان صوته حازمًا يشبه صوت رجال الشرطة الذين لا يكترثون للقوانين.

كان يتحدث إلى مارسيلو، لكننا جميعًا توقفنا. وبما أننا كنا على ارتفاعات مختلفة على الدرج، بدا الأمر وكأننا في مشهد مسرحي أو نلتقط صورة زفاف: «اذهبوا لتدفئة أنفسكم. سنتحدث قريبًا».

وضع كروفورد يده على ظهر مايكل وقاده نحو الباب.

قال مارسيلو موجهًا آخر تعليق حاد: «لن تتحدث إليه من دون وجودي».

قال مايكل: «هذا الرجل لا يتحدث باسمي. إنه ليس محاميّ». ثم استدار ورفع كلتا يديه المصفَّدتين، وشبك الجزء السفلي من يديه على شكل قبضة، وجعل إصبعيه السبابتين معًا، مشيرًا نحوي: «هو كذلك».

الفصل الرابع عشر والنصف

صحيح. لقد حدث الكثير، لذلك فكرت في أن أقدم لكم ملخصًا سريعًا.

أعلم: الأمر غريب بعض الشيء. لكني أريد أن نسلك جميعنا الاتجاه نفسه. إذا كنت واثقًا من قدراتك العقلية، يمكنك تجاوز هذا الجزء.

الكتب مثل هذه عادةً ما تستعرض خلفيات مجموعة من الأفراد الفاسدين، وتحبسهم في مكان واحد، ثم تقدم جثة يمكن ربطها بجوانب خلفية كل شخص كدافع محتمل. سأحاول ذلك.

الخلفية: قبل ثلاث سنوات، يصل أخي مايكل إلى باب منزلي ومعه رجل يُدعى آلان هولتون في المقعد الخلفي من سيارته. كان آلان ميتًا، ثم لم يكن، ثم مات مرة أخرى. رغم أنني كنت أعلم أن ذلك سيؤدي فعليًّا إلى طردي من العائلة -نظرًا لعدم ثقتنا بالشرطة بعد مقتل والدي في أثناء سرقة محطة بنزين- فإنني وقفت في صف القانون وسلمت أخي.

الموقع: لقد اجتمعنا جميعًا في منتجع «سكاي لودج» الجبلي للترحيب بعودة مايكل من السجن. إنه أعلى مكان إقامة يمكن الوصول إليه بالسيارة في أستراليا. هناك عاصفة قادمة، لأن هذا ما يحدث دائمًا بالطبع. لكن لا تظن أن الأمر مبتذل إلى درجة أننا محاصرون هناك، لأننا لسنا كذلك: نحن فقط بخلاء ومترددون. رغم ذلك، أعتقد أننا عالقون هناك الآن، نظرًا لأن مايكل محتجز في غرفة التجفيف ولا يمكننا تركه

خلفنا- ولكن هذا هو محور مجموعة الفصول القادمة، والمفترض أن يكون هذا مجرد ملخص.

المجموعة: هناك والدتي، أودري، التي تلومني على الوضع المتفكك الذي تعيشه عائلتنا حاليًّا؛ مارسيلو، زوج أمي، شريك في شركة المحاماة المرموقة «جارسيا وبرودبريدج»، الذي يرتدي على معصمه ما يساوي رسوم الجامعة، وقد مثّل مايكل في محاكمته بتهمة القتل، لكنه يرفض التعامل مع قضية الإهمال الخاصة بصوفيا؛ صوفيا، ابنة مارسيلو وأختي غير الشقيقة، التي تحتاج إلى خمسين ألفًا على الأقل لأمر ما، ربما أمر له علاقة بدعوى إهمال قد تفقد بسببها رخصتها الطبية، وهي جراحة حققت عدة إنجازات، بما في ذلك إعادة بناء كتف مارسيلو؛ كاثرين، عمتي شديدة التنظيم التي لا تشرب الكحول، وهي صاحبة فكرة تنظيم عطلة نهاية الأسبوع هذه من الأساس؛ آندي، زوج كاثرين، الذي يرتدي خاتم زواجه كما يرتدي البعض وسام القلب الأرجواني[1]؛ لوسي، زوجة مايكل السابقة، التي وقفت إلى جانبه في أثناء المحاكمة لكنه طلقها وهو في السجن لأنه أقام علاقة خاصة مع... إيرين، زوجتي الحالية، رغم أننا منفصلان، التي وجدت العزاء في رسائل أخي (وعلى ما يبدو، في أحضانه لليلة واحدة) بعد أن، وأعتقد أن هذا واضح، دمرتنا صدمة نفسية سابقة؛ مايكل، الذي كذب بشأن خروجه من السجن في ذلك الصباح وطلب مني سابقًا الاعتناء بحقيبة تحتوي على 267,000 دولار نقدًا؛ مالكة المنتجع، جولييت، التي تقوم بمهمة المساعدة على الطريق والاستقبال في الوقت نفسه؛ الضابط داريوس كروفورد، شرطي غارق في موقف يتجاوز قدراته إلى درجة أنه ربما خرج منه من الطرف الآخر للصين ليجد نفسه يطفو من جديد؛ وأنا، المنبوذ من العائلة والعالق

(1) وسام عسكري أمريكي يُمنح باسم الرئيس لأولئك الذين أصيبوا أو قُتلوا في أثناء خدمتهم في 5 أبريل 1917 أو بعده مع الجيش الأمريكي. (المترجمة)

مع حقيبة من المال الملطخ بالدماء. هذه هي الشخصيات. أعتقد أننا مؤهلون تمامًا لنكون المجموعة المطلوبة من الأشخاص الفاسدين.

الجثة: هذا الصباح، عُثر على رجل ميت في منتصف ملعب الجولف المغطى بالثلوج. صوفيا تعتقد أن هذا من عمل قاتل متسلسل يُدعى اللسان الأسود، وأن الضحية لم تمت بسبب التعرض للبرد. وفقًا لما قالته لوسي، لا يوجد أي شخص مفقود من قائمة نزلاء الفندق. إذا كنت تعتقد أن إخبارها لي بهذا أمر يثير الشكوك، سأذكرك أن جولييت، المالكة التي لديها حق الوصول إلى قائمة النزلاء، هي من اخترعت الاسم المستعار الحذاء الأخضر. مما يعني أن ثرثرة لوسي قد تكون صحيحة. المشكلة هي أن أيًّا منا لا يمكن أن يكون مرتبطًا بهذه الجثة بدافع، لأننا لا نعرف من هو هذا الرجل أصلًا.

1. كان هناك شخص في شاليه صوفيا عندما كانت في شاليهي؛ وقد اتصل على هاتف غرفتي.
2. صوفيا هي الوحيدة التي لديها حجة غياب، لأنها كانت معي في شاليهي في الوقت الذي مات فيه الحذاء الأخضر، وهو أمر ليس من المفترض أن تعرفه، لكنني أخبرتك به على أي حال.
3. مارسيلو ألغى العشاء لأن والدتي كانت مريضة. لم أتواصل مع آندي، كاثرين، أو لوسي طوال الليل.
4. صوفيا، آندي، وأنا رأينا وجه الحذاء الأخضر، لكن كروفورد لم يقضِ الصباح بجوار تابوت مفتوح ليسمح للجميع برؤيته، لذا قد نكون الوحيدين الذين رأوه. لم يتعرف أي منا عليه.

5. لا أزال لا أعرف من أين جاءت حقيبة المال. وقد بدأ يخطر ببالي أن شخصًا ما قد يكون خلفها.
6. كانت هناك ثلاث مجموعات من آثار الأقدام باتجاه الحذاء الأخضر، واحدة فقط عائدة، ولم تتساقط الثلوج خلال الليل.
7. ذوق لوسي في المكياج لا ينافسه سوى ذوق إيرين في الرجال وذوق مايكل في اختيار المركبات المناسبة للتضاريس.
8. لم أنسَ أنني أشرت سابقًا إلى «الإخوة» بصيغة الجمع.
9. مايكل يفضل أن يُشتبه به في جريمة قتل على أن يقول الحقيقة حول مكان وجوده وإيرين في الليلة السابقة.
10. نحن على بعد 75 صفحة من الوفاة التالية.

وفي وسط كل هذا، هناك أنا. شخص يكتب كتبًا عن كيفية كتابة الكتب، بلا خلفية قانونية، وقد عُينت للتو، لأسباب لم أفهمها بعد وبطريقة مشكوك في قانونيتها، كمستشار قانوني لمتهم بالقتل –أو ربما قاتل متسلسل إذا أخذت بكلام لوسي حول الشروط الدراماتيكية للقاتل المتسلسل– من المفترض أنه يكرهني.

إذا كنت مقتنعًا أنني لا زلت ألعب بطريقة نزيهة، سنكمل.

الفصل الخامس عشر

كان بإمكاني اللحاق بأودري بسهولة، لكن تدفق الجميع إلى البهو كمجموعة، وكنت أريد الانتظار حتى يتفرقوا. عندما أُقتيد مايكل إلى غرفة التجفيف، لقد أخبرني إنه سيرسل في طلبي –لقد استخدم بالفعل تلك الكلمات، وكأنني مهرج في بلاط ملك– بمجرد أن يحصل على بعض الوقت للتفكير. كنت أشتبه أنه يريد وقتًا لاختلاق حجة مقنعة.

تفرق الجميع إلى البار أو المطعم أو غرفهم. كان اعتقال مايكل عرضًا ممتعًا بالنسبة لبقية الضيوف: كانت توجد الكثير من بقع الجبهات الدهنية على نوافذ الواجهة. قاد مارسيلو أودري إلى الطابق العلوي، كانت مطوية في جناح معطفه أسفل ذراعه الخفيفة، ويتحدث بنبرة مهدئة. أمي ليست كبيرة بما يكفي لتجد من السلالم عقبة، لكنها كبيرة بما يكفي لتكون صديقة جيدة للدرابزين، لذا تحركوا ببطء. كنت أتوقع أن يطارد مارسيلو كروفورد، يمطره بوابل من الكلام الناري، لكنه تخلى عن تلك المعركة وعوضًا عن ذلك بدأ يضرب هاتفه (حالة البطارية: مجهولة). تخيلت أنه يحاول الحصول على إشارة للاتصال بشخص يمكنه طرد كروفورد.

انتظرت حتى وصلوا إلى بَسْطَة الطابق الأول، الذي قررت أنها ربما كانت واسعةً بما يكفي لحصارهم لإجراء حديث. فقد مضى وقت طويل منذ أن تحدثت إلى والدتي وجهًا لوجه، وهي قد تعرف شيئًا.

بينما كنت على وشك اللحاق بهم، وضع أحدهم يده على كتفي من الخلف. لم يكن التصرف عدوانيًّا، لكنه كان يحتوي على شد خفيف للخلف. التفت لأرى كاثرين وهي تعتذر بابتسامة متصنعة، بالطريقة التي يعتذر بها الناس عندما تحاول وجوههم التظاهر بالأسف عما سيقولونه. إنه التعبير نفسه الذي غالبًا ما يتخذه آندي خلف زوجته عندما تشرح سبب مغادرتهم حفلة مبكرًا.

سألت كاثرين: «هل هذا التوقيت الأفضل؟». وهي تمارس طريقتها المعتادة في إبداء القلق والمسؤولية، ولكن مع لمسة طفيفة من التعالي. صحيح أنها كانت أصغر من والدتي باثنتي عشرة سنة على الأقل، لكنها بدأت تتودد إلى أودري. لم تكن كاثرين تسخر أو تتصرف بغير إخلاص تجاهها، لكن الأمر كان واضحًا: كانت تعتقد أن والدتي بدأت تتقدم في السن.

قلت، وأنا أهز رأسي بموافقة جادة: «أوه، أنا أتفق معك. لننتظر المزيد من الجثث». ثم تذكرت أنني وعدت آندي بأن أكون أكثر هدوءًا. في النهاية، هي فقط تحاول المساعدة. خففت من حدة نبرتي وشرحت: «إذا كنت سأساعد مايكل، سأحتاج إلى معرفة كل ما أستطيع. سيتوجب عليَّ التحدث معها في نهاية المطاف».

بدت كاثرين وكأنها تقبلت حجتي على مضض: «فقط حاول ألا تثير أعصابها». ها هو القلق مرة أخرى على ضعف أودري بدلًا من سعادتها: «هذا إذا تحدثت معك على أي حال، وهو ما لن تفعله على الأرجح».

- علي أن أحاول.
- وما خطتك؟

هززت كتفي. «لا أعرف. التذلل؟ فهي أمي في النهاية. سأحاول الوصول إلى جانبها الأمومي».

ضحكت كاثرين. كان من الصعب معرفة ما إذا كانت ضحكتها قاسيةً أم متعاطفةً، لكنها رفعت يدها عن كتفي، متخلية عن محاولة إيقافي: «إذا كانت هذه هي خطتك كاملة، آمل أنك قد جلبت لوح لعبة الويجا معك».

كانت أودري في المكتبة، تقلب في رواية لماري ويستماكوت دون أن تقرأها فعليًّا، جالسة على كرسي جلدي بظهر عالٍ أحمر اللون ومرصع. كان سيكون الكرسي المثالي للجلوس عليه في أثناء المشهد النهائي لحل القضية. رغم وجود كلمة مكتبة على الباب، كانت الغرفة كابوسًا لعشاق الكتب: كتب جيب تالفة بفعل الماء، متعفنة، صفراء، بأوراق هشة مثل رقائق البطاطس الجافة تحيط بالغرفة، مثبتة على رفوف مصنوعة من زلاجات خشبية قديمة وألواح التزلج على الجليد. أما المدفأة الحجرية المزينة بالكتيبات في الزاوية، فكانت تحتوي على جمرات مشتعلة متلهفة، كما لو أن المهندس المعماري لم يكن واعيًا تمامًا بخطر احتراق الكتب.

النار أبقت الغرفة دافئة للغاية، لكنها كانت أقل رطوبة مقارنة ببقية الفندق. لم تكن هناك بنادق على الرف، وبالتأكيد لا شيء من نوع بندقية تشيخوف: كان من الصعب عليَّ أن أقتل أحدًا باستخدام الحمامة المحنطة أو الميدالية الحربية المؤطرة التي كانت هناك بدلًا البنادق.

عندما رأتني، أغلقت والدتي الكتاب، وقفت وأدارت ظهرها، متظاهرة بالانشغال بالتفتيش بين بقية كتب المؤلفين الذين تبدأ أسماؤهم بحرف «و» على رف التزلج.

قلت: «أودري، لا يمكنك تجاهلي إلى الأبد».

أعادت الكتاب إلى الرف – برأيي كان التصنيف الخاطئ، لأن ماري ويستماكوت هو اسم مستعار لأجاثا كريستي، ولكن ما أهمية الاسم؟ – ثم استدارت وعقدت حاجبيها عندما رأتني أقف في مدخل الباب.

- جئت لتتباهى؟ لتخبرني أنك كنت محقًّا بشأنه؟

- في الواقع، جئت لأرى ما إذا كنتِ تشعرين بتحسن.

استغرقت ثانية -إما لتستوعب أنني أمد يدي للتواصل، وإمَّا لتتذكر العذر الذي قدمته لإلغاء العشاء، لست متأكدًا- ثم أطلقت من حلقها صوتًا مستهزئًا.

كانت تتملص: «أستطيع أن أعتني بنفسي». على الأرجح أفصح هذا عن إحباطها من الإفراط في الاهتمام بها، وهو ما كانت تراه تهديدًا لاستقلاليتها بلا شك. تخيلت أن كاثرين كانت تزعجها بشأن عمرها وقوتها في الفترة الأخيرة، ولقد زدت الأمر سوءًا بتفقدي حالها: «هل هذا كل شيء؟». حاولت التحرك من حولي.

«مايكل آذى شخصًا ما، يا أمي. فعلت ما اعتقدت أنه الصواب». قلت عمدًا «اعتقدت» في المنتصف، رغم أنني كنت أعلم أنني كنت على حق: «وأفعل ما أعتقد أنه الصواب الآن».

هزت رأسها: «أنت تتحدث مثل والدك». لم يكن هذا مديحًا.

كنت فضوليًّا؛ فنادرًا ما كانت تتحدث عن أبي: «كيف؟».

- روبرت كان يمكنه تبرير أي شيء. كان يعتبر كل سرقة هي الصفقة الكبيرة، الأخيرة. كان يقنع نفسه بأنه بريء أيضًا.

- «بريء؟» لم يكن أبي بريئًا؛ فقد مات في تبادل لإطلاق النار مع اثنين من رجال الشرطة، وقتل أحدهما. إلا إذا كانت تقصد أنه كان يقنع نفسه أن كل جريمة ارتكبها كانت من أجل عائلته، ضرورية،

وأنه كان رجلًا صالحًا بما يكفي ليبتعد عن الجريمة التالية. تمامًا مثل سجائر لوسي. «أبي كان شخصًا سيئًا. أنت تعلمين ذلك، أليس كذلك».

- كان أحمق. لو كان مجرد شخص سيئ، لكنتُ قد تعايشت مع ذلك. لكن شخصًا سيئًا يعتقد أنه جيد - هذا ما ورطه في المشكلات. والآن تجبرني على مشاهدتك ترتكب الأخطاء نفسها التي ارتكبها هو، وتتوقع مني أن أبتسم وأتظاهر بأن كل شيء على ما يرام؟ فقط عندما كادت عائلتنا أن تتماسك... والآن يجب علينا التعامل مع **هذا**.

ضايقتني كلماتها. أخطاء والدي نفسها؟ هل كانت تتهمني بالتورط في مقتل الحذاء الأخضر؟ أصابني الذهول من التلميح. ثم، لأنني كنت مجروحًا ولأنني لم أقل ذلك لها وجهًا لوجه من قبل، انفجرت قائلًا: «مايكل قاتل».

- لقد قتل شخصًا. لكن هل هذا يجعله **قاتلًا**؟ الناس يقتلون ويحصلون على ميداليات. الناس يقتلون لأن هذا هو عملهم. مايكل ليس نادرًا أو مختلفًا. هل تسميه قاتلًا؟ هل تظن الشيء نفسه عن كاثرين؟ عن صوفيا؟ إذا اضطررت إلى اتخاذ القرارات نفسها التي اتخذها، لأي سبب كان، ماذا كان سيجعلك ذلك؟

- ليس الأمر نفسه.

- أليس كذلك؟

- أعتقد أن هناك جثةً في الخارج ستخالفك الرأي.

- مايكل لم يقتله.

«وهذا ما أصدقه». قلتها بسرعة، وأدركت أنني كنت أصدقها: «لكن شخصًا ما فعلها. ويبدو أن هذا حدث بالتزامن المناسب مع نهاية الأسبوع، موعد وصول مايكل. هناك شيء يتعلق بنا، أعلم ذلك».

أثارت هذه الكلمات غضبها. كان هناك شيء آخر في قلقها، في نظراتها خلفي.

أخذت فرصة وتقدمت نحوها، خافضًا صوتي: «هل تعرفين من هو الرجل الميت؟».

وفي خطر أن أفسد الأمور عليكم، كانت تخبرني الحقيقة هنا: «لا أعرف. لكنه ليس واحدًا منا. هذا كل ما يهم».

- ما الذي لا تخبرينني به؟

«إذًا تريد أن تجد القاتل، أليس كذلك؟ لأنه من الأسهل استدعاء شخص يحمل سكينًا أو مسدسًا ليمكنك مطاردته، شخصًا **سيئًا** بوضوح بحيث يمكنك تجاهل ما تعرفه حقًّا؟ ماذا سيحدث إذا وجدته؟ هل سيدفع الثمن؟ لا بأس إن مات الشرير في نهاية الرواية - في الواقع، من **المفترض** أن يحدث ذلك. ماذا لو كان هذا ما فعله مايكل بآلان؟ وأنك فقط خلطت بين نهاية قصة مايكل وبداية القصة». كانت تحتاج إلى بضع أنفاس بعد تلك الخطبة. هضمت الحقيقة في كلماتها. «نحن هنا بسببك. مايكل في تلك الغرفة **بسببك**. أنت من فعل هذا. أنت تمامًا مثل والدك. لقد كان يعرف ما الذي تركه لنا لنقاتله، ومع ذلك تركنا نقاتل وحدنا، ودفعنا الثمن. كلنا دفعناه». كان صوتها غاضبًا للغاية: «لو أنه فقط ترك لنا سلاحًا لنقاتل به. لكنه لم يفعل. لا شيء في البنك. وأنت فعلت الشيء نفسه مع مايكل».

للحظة، ظننت أنها تتهمني بالاحتفاظ بأموال مايكل، وكنت على وشك أن أسألها كيف عرفت عن هذا الأمر، حين أدركت أنها كانت ببساطة

تقول إن والدنا تركنا فقراء بعد موته. في الحقيقة، لم نكبر في فقر مدقع. لكنني لم أكن أعرف حقًّا كيف كان الأمر عندما ربّتنا بمفردها. على أي حال، ربما قصدت ذلك كاستعارة.

تجاهلت حجتها وتمسكت بالحقيقة الواضحة كالشمس: «أبي كان قاتلًا مثل مايكل. الفرق الوحيد هو أنه كان مدمنًا أيضًا».

صاحت أودري: «لم يكن مدمنًا!».

- لقد وجدوا إبرة معه، أمي. توقفي عن الكذب على نفسك!

جاء صوت من خلفي: «توقف عن إخافة والدتك». لقد كان مارسيلو، وهو يحمل كوبًا من شيء بنيّ يخرج منه البخار. قالها مازحًا، لكنه التقط بسرعة حدة الأجواء في الغرفة. أزاحني من المدخل برفق بساعِده. مرت أودري بجانبه، وأخذت المشروب وهي تسير بسرعة في الممر.

رفع مارسيلو حاجبيه: «هل كل شيء على ما يرام؟».

أومأت، لكن تعابيري كانت خالية من المشاعر لدرجة أنه فهم ما كان يدور في داخلي.

كان يستطيع أن يرى أنني كنت حذرًا: «أعلم، أن كل شيء قد انقلب رأسًا على عقب. من وجهة نظري، مايكل يريد بوضوح التحدث معك. هذا الهراء المتعلق بمن هو محاميه لن يستمر لأكثر من الساعات القادمة، ولكن إذا كان سيساعدنا في كسب الضابط كروفورد إلى صفنا، حتى يرى أننا نتعاون، فلا بأس من مجاراته. أوه، لا تظن أنني أستسلم. سأدمره لاحقًا، أعدك. لن يبقى منه شيء. لكنني أعلم متى أهاجم ومتى أدافع. وأعتقد أنني على مقاعد الاحتياط الآن. يجب أن تتحدث إلى مايكل أولًا، لأن هذا ما يريده مايكل. نحن نلعب لعبته، وليس لعبة كروفورد.

وجدت نفسي أتساءل إذا كان خلط الاستعارات الرياضية سمة شائعة بين أزواج الأمهات، أم إنها مجرد سمة تخص مارسيلو.

سألت: «لكن أنت المحامي الحقيقي. وأنت جيد أيضًا. لقد حصلت له على ثلاث سنوات فقط في تهمة قتل.. هذا إنجاز جيد جدًّا. لماذا لم يعد يثق بك؟».

هز كتفيه: «لا أعرف. يبدو أنه لا يثق بأحد بشكل كافٍ. ربما سيخبرك لماذا».

سألت: «عندما تقابل عميلًا لأول مرة، كيف تعرف الفرق بين من هو البطل ومن هو الشرير؟ أعني، أعلم أنك لا يجب أن تكون متحيزًا، لكن لا بدَّ أنك تعتقد أن بعض الناس حالات ميؤوس منها، بينما لدى الآخرين بعض الأمل؟».

- لهذا السبب اخترت العمل في القانون التجاري.. لا أحتاج إلى القلق بشأن ذلك. كلهم أشرار.

- أنا جاد.

«أعلم، يا رفيقي». ضغط على كتفي. مارسيلو كان دائمًا يجد كلمة بديلة لـ‹ابن› عند الحديث معي، وكأنه لم يكن مرتاحًا تمامًا لاستخدامها، حتى الآن. ‹يا رفيقي› كانت من الكلمات الأكثر جدية، ترقية من ‹يا صاح›: «أنت تسأل عن والدك».

- أودري قالت إنه كان شخصًا سيئًا يعتقد أنه جيد.

فكر مارسيلو في ذلك للحظة: «لا أستطيع الإجابة عن هذا».

شعرت أنه يستطيع، لكنه لا يريد التحدث.

فاجأت نفسي بطرح هذا السؤال: «كنتما صديقين. كيف كان؟ هل كنتما قريبين؟».

حك مارسيلو مؤخر عنقه، وبدا أنه يجد الكلمات ببطء: «نعم. كنت أعرفه جيدًا». تظاهر بتفقد ساعته. لم يكن الموضوع مريحًا له – أفترض ذلك لأنه تزوج من زوجة موكله المتوفي. «من الأفضل أن ألحق بوالدتك». أوقفته: «هل يمكنك أن تسدي لي معروفًا؟ (أومأ). لديك باحثون، مساعدون قانونيون، وعلاقات في الشرطة – كل هذه الأمور، أليس كذلك؟ هل يمكنك التحقق من ضحايا اللسان الأسود؟ تقول لوسي إن الضحايا امرأة تدعى أليسون همفريز وزوجين يدعيان مارك وجانين ويليامز. أي شيء قد يكون مفيدًا».

توقف لوهلة. ربما كان يتردد في تشجيعي على المضي في هذا الطريق: «من كان الأول مرة أخرى.. ويليامز و...؟».

- أليسون همفريز.

«فهمت. بالطبع، يا بطل». بدأ يشعر براحة أكبر. لحسن الحظ، لم يضربني على ذراعي بمودة، وإلا كنا سنضطر إلى الخروج ولعب لعبة الإمساك، ولم أحضر قفاز البيسبول الخاص بي: «سأتحقق من الأمر».

لم ألحق به إلى الخارج، واخترت أن أقضي بضع دقائق في المكتبة بمفردي لأجمع شتات أفكاري. وجدت نفسي أنظر إلى الميدالية فوق المدفأة، أفكر فيما قالته أمي: بعض الناس تتم مكافأتهم على القتل. كانت الميدالية من البرونز الداكن، بإطار موضوع على مخمل أزرق داخل لوحة زجاجية، ومعها شريط صغير مستطيل من الورق، يشبه ذلك الموجود بداخل كعكة الحظ، مثبت تحتها. كان الورق يحمل شبكة من النقاط، لكنها لم تكن شفرة مورس أو أي شيء تعرفت عليه. تحت كل ذلك كان هناك لوح محفور عليه: «مُنحت لنقل رسالة إنقاذ حياة وسط نيران كثيفة، 1944». وكانت الميدالية نفسها منقوشة عليها الكلمات: **للشجاعة ونحن نخدم أيضًا.**

اهدأ. لم أستعمل سبعين كلمة في وصف ميدالية لمجرد أنها لم تكن مهمة. أدركت أن أمي كانت تنظر إلى الأمور بعين منحازة، لكنها كانت على حق. ليس كل القتل متساويًا؛ هذا ما كانت تعنيه تلك الميدالية. كانت أودري تخبرني أنها تعتقد أن مايكل كان لديه سبب وجيه لفعلته.

لقد قالت، **أنت فعلت هذا.** وتحت كلماتها الجافة سمعت مرة أخرى كل ما قالته لي لوسي على السطح: **كان يمكن أن يحدث الأمر بطريقة مختلفة.** أدركت أنني أصدقها. لقد أرسلت مايكل إلى السجن – ماذا لو أن غضبه كان قد انتشر وتحول إلى شيء أسوأ؟ شعرت بالخجل من شعوري بالذنب –مايكل كان يستحق السجن– لكنني شعرت بهذا على أي حال. إدراكي أن أيًّا من هذا لم يكن خطئي لم يمنحني سوى القليل من الراحة. كان الأمر يشبه تلك اللحظات الحاسمة. ماذا صنعت منه؟

أنت السبب في هذا.

أنا كنت السبب في حدوثه **بالطريقة التي حدث بها.** سواء سميته عار الشهادة ضد الدم منذ البداية، أو العقاب العاطفي من قبل أمي، أو شعوري بالذنب بسبب ولائي المزروع لعائلة كانينجهام، إلا أن ضميري لم يعد قادرًا على التحمل. قررت: سأبدأ البحث. سأمهِّد طريقي للعودة للعائلة بتبرئة مايكل، أو دق المسمار الأخير والأكيد في نعشه. سمِّني خائنًا، متحالفًا مع الشرطة، لكن كان لدي شعور بأن أحدنا كان متورطًا. كان الأمر واضحًا بالنسبة إلي: الطريقة الوحيدة لإعادة لم شمل عائلتي هي أن أكتشف من منهم كان القاتل.

حسنًا، كلنا قتلة.. لقد أخبرتك بذلك بالفعل. أعني مؤخرًا فقط.

أمي

الفصل السادس عشر

كان الناس –وغالبًا الأزواج الذين أُرسلوا لقضاء بعض المهام- يركضون نحو سياراتهم وسط المطر الجليدي الشرس الذي يهطل بشكل مائل وبشدة. بالكاد استطعت رؤية موقف السيارات وسط الفوضى، لكنهم جميعًا كانوا يتحركون بالحركة نفسها الممزوجة بين القفز والترنح، محاولين حماية وجوههم بأذرعهم. كانت الرياح تعصف بالثلج المتناثر عن الأرض أيضًا، مما أضاف ضبابًا دوارًا تحت مستوى الركبة يشبه زبد البحر على الأمواج المتلاطمة. كانت الأرض مستوية، لكن الجميع قاوموا الرياح وكأنهم يتسلقون منحدرًا. رأيت ومضات برتقالية من حين لآخر –أبواب السيارات تُفتح– بينما يشقون طريقهم في العاصفة الرمادية. يتبعون نمط أقرب للتتابع، كانت الدفعة التالية التي تجرأت على الخروج تتجمع تحت المظلة، ينفخون في أيديهم بينما يراقبون العاصفة. يمكنني فقط أن أفترض أنهم كانوا يتساءلون فيما بينهم عمَّا إذا كان ما بداخل السيارة يستحق المخاطرة، ويفكرون في كيفية تقديم هذه المهمة الجليدية كمطاردة بطولية تستحق الثناء.

كنت أجلس في البار –الذي كان بإمكانه مساعدتك في الحصول على قهوة– مع صوفيا. كنا جالسين على مقاعد مرتفعة، بجوار النافذة الأمامية، وكنا نراقب العاصفة تزداد في شراسة. مارسيلو في مكان ما أعمق داخل المبنى، يتجادل مع جولييت حول كيفية الحصول على

غرفة في بيت الضيافة. أما والدتي فإما أنها كانت معه، وإمَّا أنها كانت تتجادل بشكل مستقل مع كروفورد. لم أفهم تمامًا بعد ما يعنيه كوني محاميًّا لمايكل، لذا كنت أشحن نفسي بالكافيين قبل الاقتراب من غرفة التجفيف، التي أغلقها كروفورد لأن مايكل لم يكن مستعدًا لرؤية أي شخص بعد، وتولى كروفورد الحراسة جالسًا على كرسي خارجها. لوسي تجلس بمفردها على الجانب الآخر من الغرفة. أمامها نصف لتر من البيرة وقت الظهيرة، لكنها تدير الكأس فقط بينما يتكثف الماء حوله. لم تكن إيرين هناك، فقد توجهت إلى شاليهها قبل أن تضرب العاصفة. كاثرين تشرب إبريقًا من الشاي وتنظر إلى مجلد مغلف بالبلاستيك. تساءلت كم عدد جرائم القتل التي ستدفعها لأن تشرب نصف لتر من البيرة أيضًا. كنت أشك أنها تحتاج إلى المزيد. افترضت أن المجلد كان يحتوي على جدول أعمالها. لم أكن لأتفاجأ إذا كانت قد طبعت توقعات الطقس وكانت تحاول معرفة كيف أساءت قراءتها. سأمنحك فرصتين لتخمين مكان آندي.

قررت مجموعة الأزواج الواقفة على الشرفة الاندفاع إلى سياراتهم بسبب حدوث انقطاع في المطر المتجمد. نقرتُ على الزجاج وقلتُ: «ها هم انطلقوا»، كما لو أنني أعلق على سباق خيل. «في المؤخرة لدينا ‹كان يجب أن أخرج في وقتٍ سابق›، يليه بقليل ‹أُفضل أن أتجمد حتى الموت على أن أعترف بخطئي›، والذي يبعد عدة خطوات عنه ‹أنا هنا فقط بسبب الأدوار التقليدية للعلاقات›، أما في المقدمة بفارق بسيط ‹هل أنت متأكدة أنك لا تستطيعين العيش من دونه، عزيزتي؟›».

دخل آندي بخطوات سريعة، يهز الجليد من لحيته بينما كان يخلع معطفه ويعلقه على الخطافات بجانب الباب. جلس بشكل مريح أمام

كاثرين، وضع حقيبة صغيرة على الطاولة وقال: «هل أنت متأكدة أنك لا تستطيعين الاستغناء عن هذا، عزيزتي؟».

ضحكت صوفيا بصوت عالٍ جدًّا، وعندما نظرت إليها كاثرين بنظرة حادة، حولت انتباهها بسرعة إلى النافذة متظاهرة بالاهتمام بالعاصفة.

سألت: «ماذا يحدث بينكما؟». لم يكن عليَّ أن أُشير لصوفيا لتعرف عمَّن أتحدث، لكنها رغم ذلك رفعت كتفيها كما لو أنها لم تفهمني: «بحقك. كاثرين. لقد كانت تنتقدك بشكل مستمر هذا الصباح. لم أكن أعلم حتى إنكما مقربتان بما يكفي لتخوضا هذا النوع من الجدالات».

ردت صوفيا بتملص: «هل كانت كذلك؟ لم ألاحظ». لم أكن مقتنعًا. احتقار كاثرين كان مثل نظرة والدتك؛ تعرف تمامًا متى تكون نظرتها موجهَّة نحوك. لكنها بوضوح لم تكن تريد التحدث عن الموضوع. «إذًا، أصبحت محاميًا الآن؟».

- أعتقد ذلك.

- ألا يوجد لديك، عشر خطوات لحل جرائم القتل أو ما شابه؟ فقط قم -حرَّكت يديها في الهواء كأنها تؤدي خدعة سحرية - بالقليل من كل هذه الخطوات.

- إنها قواعد، وليست خطوات. وليست قواعدي حتى. بالإضافة إلى ذلك (انحنيت وهمست بنبرة تآمرية) أنا لا أحب قصص الإثارة القانونية.

- ما خطتك القادمة إذًا؟

- حسنًا، أعتقد أنه إذا التحقت بكلية الحقوق، وقمت بفترة تدريب تطوعي وتخرجت بمرتبة الشرف، فسأخرج مايكل من تلك الغرفة خلال، آه... نحو ثماني سنوات.

«هل يستطيع فعل ذلك؟ أعني، أن يقوم بترشيحك؟». أخذت جرعة كبيرة من كوبها، فارتجف الكوب عندما أعادته إلى صحنه: «ولماذا أنت؟».

قلت: «لا أعرف». وكانت تلك الإجابة هي الحقيقة بشأن كلا السؤالين، لكن ما قاله لي مايكل في الخارج - لدي أشياء أود أن أقولها وأعتقد **أنني مدين لك بها** - بقي عالقًا في ذهني. «يمكن لأي شخص تمثيل نفسه في المحكمة دون أن يكون مؤهلًا، أليس كذلك؟ ربما هذا مجرد امتداد لهذا الأمر. أو ربما ليس قانونيًّا على الإطلاق. لكن كروفورد لا يتبع القواعد هنا حقًّا أيضًا. لست متأكدًا حتى من أنه يفهمها، وربما مايكل يستغل ذلك لصالحه. إذا لعب مايكل وفقًا لذلك، يحصل على ما يريد. مارسيلو يرى أن إقناع مايكل بالتحدث إليّ فكرة جيدة، لذا أنا ألعب لعبتهم في الوقت الحالي».

- كيف يمكن أن يكون حبسه في صندوق متعرق هو ما يريده؟
- في الوقت الحالي، أخمن شيئين: إذا كنتُ فعلًا محاميه، يمكنه التحدث إليَّ كما يشاء، وبخصوصية، أليس كذلك؟ كروفورد عليه أن يسمح بذلك. قال إنه يريد التحدث إليّ في الخارج. لذا ربما مايكل يريدني هناك.
- وما هو تخمينك الثاني؟
- الأول نفسه. إذا كان يريدني في الغرفة، فربما يحاول إبقاء شخص آخر خارجها.
- هل هو خائف؟

هززت كتفي. كانت تلك هي كل النظريات التي أمتلكها. فركت صوفيا عينيها وتثاءبت، ثم عادت لتركيز نظرها إلى خارج النافذة مرة أخرى. في السابق، لم أستطع رؤية الطريق إلى البديل المؤقت للمشرحة على

التلة، أو الطريق المنحدر نحو البحيرة، أما الآن فلم أعد أرى حتى موقف السيارات. كل شيء كان مغطى باللون الرمادي على مدى بضعة أمتار فقط. كان رقص الثلج في الهواء على خلفية هذا اللوح الفارغ يشبه النظر من خلال المجهر –مثل هذه الخلايا الرمادية الصغيرة– وللحظة تخيلت الجبل عليَّ في مرحلة تكوين الجزيئات. بعد أن تمر العاصفة، سيكون شكل الأرض مختلفًا: ستصبح الثلوج كتلة بيضاء نقية يصل ارتفاعها إلى الركبة، وكأنها وُضعت في طبقة سميكة واحدة. أدركت أننا كنا نشاهد الجبل يعيد بناء نفسه، ذرة بعد ذرة.

قلت محاولًا فتح الموضوع: «تبدين وكأنك بالكاد نمتِ». في الخارج، كنت أعتقد أن شحوبها كان بسبب البرد أو الصدمة من رؤية الجثة، لكن في الداخل، بدت هزيلة حقًّا. كان يمكنني رؤية هذا من خلال وجهها المرهق، ويمكنني سماعة بسبب ارتجاف فنجان القهوة الذي كشف عن ارتعاش يديها. فكرت في إشارة آندي التي توحي بالشرب، ولسان كاثرين الحاد.

رفعت صوفيا حاجبها، مستوعبة بسرعة: «حقًّا؟ هل سنفعلها بهذه الطريقة؟».

قلت محاولًا أن أبدو عفويًّا بدلًا من فضولي: «فقط حدِّثيني عن الليلة الماضية. لا أعرف، كحجة غياب، أو أي شيء. لا أعرف حقًّا من أين أبدأ».

تنهدت، وسحبت إصبعها عبر رغوة القهوة ولعقتها، دون أن تجيب.

لجأت إلى التوسل: «على الأقل ساعديني على التمرن».

- إليكِ التسلسل الزمني: اتصل بي والدي ليخبرني أن العشاء قد أُلغي لأن أودري لا تشعر أنها بخير، لذا تناولت بعض الوجبات الخفيفة هنا لأنني لم أستطع تحمل فكرة تناول الطعام في غرفة الطعام، وبصراحة، كنت أحاول جمع بعض الشجاعة من خلال

شرب الكحول لآتي وأتحدث إليك. وبعد ذلك، عندما رأيتك، عدت إلى غرفتي. هل تريد أعذارًا؟ لقد كان صباحًا صعبًا للغاية، وهذا هو السبب في أنني أبدو بحالة مزرية. شكرًا لك، بالمناسبة، على التلميح بأن أي امرأة تبدو مرهقة قليلًا يجب أن تكون قاتلة. دعني أذكرك أنني أيضًا الشخص الوحيد هنا، بما في ذلك الضابط كروفورد، الذي قال من البداية إن هذه جريمة قتل؟ والأهم من ذلك، أنك تعرف أنني عدت مباشرة لغرفتي، لأنك اتصلت بي تقريبًا فور دخولي. أنت هي حجة غيابي، أيها الأحمق.

قلت وأنا أفكر في الأمر: «أعتقد ذلك». إذا لم تتخطَ الملخص، ستعرف أنني كنت على وشك أن أدرك أن أحدهم قد يكون خلف المال، وقد أدركت ذلك للتو. «فقط أخبريني، من الذي تدينين له بالمال؟».

جلست فجأة منتصبة ونظرت حول الغرفة. همست: «بحق الجحيم، توقف عن التحدث بصوت عالٍ عن الأمر، ماذا تقصد بقولك هذا على أي حال؟».

- المال الذي طلبتِه. أعتقد أنك قد تكونين مدينة به لشخص ما.

- إرني، اسمع، لا أريده بعد الآن. ليس في حالة إذلالك لي بهذا الشكل. ما كان يجب أن أطلبه. سأتمكن من النجاة.

- لماذا تحتاجين إلى خمسين ألف دولار إذا لم تكوني تسدّين دَيْنًا؟

كان صوتها واضحًا؛ هذه كانت المرة الأخيرة التي ستقول فيها ذلك. «لا أدين به لأي أحد. هل يمكننا التحدث عن شيء آخر؟».

قلت: «كان هناك شخص ما في شاليهك الليلة الماضية».

ضيقت عينيها وجعدت خديها كأنها تذوقت شيئًا سيئًا. لقد فاجأتها. لم أتمكن من معرفة ما إذا كانت متفاجئة لأنها لم تكن تعلم بوجود شخص في غرفتها، أم لأنها فوجئت بأنني علمت بذلك.

شرحتُ: «بينما كنتِ في غرفتي، هل تتذكرين كيف رن هاتفي؟ كانت المكالمة من غرفتك - أعلم ذلك لأنني عندما اتصلتُ مرة أخرى، أنت من أجاب. أعتقد أن أحدهم كان يبحث عن شيء ما، ويبدو أنهم ضغطوا على الاتصال السريع».

- تقصد بأحدهم الحذاء الأخضر؟ هل تعتقد أنه كان في غرفتي؟ يبحث عن المال؟

- لقد فكرت في ذلك.

- تعتقد أنني قتلت محصل ديون لأحمي نفسي.

- أو أن أحدهم قتله ليحميك.

توقفت للتفكير في ذلك لثانية. لم أكن محققًا، لذا كان من الصعب عليّ التمييز إن كان هذا التوقف بسبب شعورها بالإهانة أو التفكير. مالت برأسها قليلًا وقالت: «قبل أن أرد على هذا الاتهام الفاضح: هل قررت بعد؟».

«تقصدين بشأن الــم...». تذكرتُ همسها لي بأن أخفض صوتي: «لم يكن لدي الوق...».

- إذًا، لم تقرر بعد؟

- لم أقرر بعد.

نَقرت بأصابعها على الطاولة: «هل كون حياتي في خطر سيساعدك هذا في اتخاذ القرار؟».

مددت يدي ووضعتها على يدها، لأوقف حركتها. وبكل الجدية التي استطعت حشدها، والتي لم تكن كثيرة بالنسبة لي، قلت: «هل هي كذلك؟».

رفعت رأسي ولاحظت أنها كانت تحاول كبت ابتسامتها. ثم انفجرت بالضحك: «هيا! استمع لنفسك. محصلو ديون؟ ماذا، هل تقصد عصابات المافيا؟ هل لدينا حتى مافيا في أستراليا؟ أعتقد أنك تحكم عليّ بناءً على عرقي لأنني من أمريكا الجنوبية». عبست بأنفها بشكل ساخر.

قلت: «هذا يخص الكارتيل[1] أكثر من المافيا، سيكون الأمر متعلقًا بتهريب المخدرات، وليس محصل ديون. إذا كنا نصنفك بالطريقة النمطية، يعني».

مدت معصميها بسخرية: «أوه، حسنًا، في هذه الحالة. فلتضع القيود لي».

- أنا آسف. أنا متعب. هذا ليس عذرًا، ولكن من الصعب التفكير بوضوح هنا.
- لقد وضعتك في موقف محرج. أفهم ذلك – يبدو أن طلبي للمال كان أمرًا مريبًا خاصًا أن ظهور الحذاء الأخضر مجمدًا كان في اليوم التالي لطلبي. استمعِ، طلبت منك المال لأن هناك حقيبة مليئة به، ولا أعتقد أن مايكل يستحقها، ونعم، كان سيساعدني في أمر ما. ولكنه أمر شخصي. هل يمكننا من فضلك التحدث عن شيء آخر؟

«قد لا تعجبك المواضيع الأخرى التي تدور في ذهني». أثار ذلك ضحكة خفيفة منها. أصبحنا أصدقاء مجددًا. «إذًا، هل تودين التظاهر

(1) منظمة دولية لتهريب المخدرات، وغسل الأموال، والجريمة المنظمة. وهي منظمة ذات أصول إسبانية.

بأنك مهتمة بكيف نمتُ أو إذا استمتعتُ بالبودكاست الذي استمعتُ إليه في طريقي إلى هنا، والإجابة عن كليهما هي ‹كنت مضطربًا›، أم تودين الاختيار بين موضوعيّ اللسان الأسود أو الشيء الآخر؟».

«بصراحة، الأمر ليس بتلك الأهمية». كانت تضرب بملعقتها على جانب كوبها في أثناء حديثها؛ ربما كان الإيقاع يساعدها على نسيان الذكرى. بدا الأمر أشبه بفعل مصطنع لإظهار اللامبالاة أكثر من كونه حركة تلقائية: «لقد فقدت مرضى من قبل».

- إذًا، الشيء الآخر.

- ولا تظن أنني أقول ذلك باستخفاف، لأنني لا أفعل. إنه مؤلم. في كل مرة. لكن الجراحة تأتي مع تعقيدات. لدينا تكنولوجيا مذهلة، وأدوية أفضل، لكن لا تزال هناك مخاطر حتى في أصغر الإجراءات. يمكن أن تصاب بانسداد من كسر في الذراع – هل تعلم ذلك؟

- هل هذا ما حدث؟

- انظر، أنا إنسانة. أقوم بعملي. بعض الأيام تكون أفضل أيامك، وأحيانًا تكون الأسوأ.

- هل تقصدين أنك ارتكبتِ خطأ؟ أنت جراحة رائعة، يا صوفيا. مارسيلو وثق بك في عملية كتفه، وهو بحاجة إليها لضرب يده على الطاولة بشكل درامي في المحكمة. هذا أشبه بعملية جراحية على حنجرة بيونسيه.

« أنت تبالغ بعض الشيء، على ما أعتقد. ووالدي حسنًا، أنت تعرف أنه يحب السيطرة على الأمور». رن صوت الملعقة مجددًا: «لقد أعدت التفكير في الأمر بما يكفي. يمكنني أن أقول بصدق إنه لا، لم أرتكب أي خطأ. لقد اتخذت الخيارات الصحيحة في اللحظة المناسبة. لو كان عليَّ

أن أفعل ذلك مرة أخرى اليوم، سأفعل الشيء نفسه. المراجعة ستبرئني. فقط الأشخاص المعنيون بما حدث، حسنًا، لديهم علاقات قوية مع إداريي المستشفى، لذا فإن الأمر يتأخر. وهذا ما جعل الناس يتحدثون».

وجهت عيناها إلى كاثرين. لم أستطع التمييز إذا كنت أتخيل الأمر، لكن بدا أن عيني كاثرين تبتعدان عنا، وكأن نظرة صوفيا كانت مثل كرة بلياردو بيضاء، ترتد باتجاه الكرة السوداء لكاثرين. كاثرين لم تكن في المجال الطبي، وبالتأكيد لا يمكن وصفها بأنها ذات تأثير. نظرت إلى الباقين. وجد آندي مع مجموعة من أوراق اللعب في مكان ما (أو ربما كان يحتفظ بها معه طوال الوقت لخدع سحرية للهواة، لن أستبعد ذلك) وكان يلعب بمفرده لعبة السوليتير. في الجانب الآخر من الغرفة، كانت لوسي تدخن سيجارة بين شفتيها. قبل أن تتهمني بالكذب بشأن سيجارتها الأخيرة، جاء نادل وأخبرها أنه يجب عليها الخروج للتدخين في الخارج. نظرت بحسرة إلى النافذة التي تهتز بفعل الرياح العاصفة، وأعادت السيجارة لجيبها.

ظل ذهني عالقًا مع كاثرين. سألت: «عندما يراجعون شيئًا كهذا، هل الكحول من الأمور التي يبحثون عنها؟».

- لماذا تقفز إلى هذا الاستنتاج؟

- حسنًا، أنت تعرفين شعور كاثرين تجاه الكحول. وقد انتقدتك عدة مرات. في البداية، اعتقدت أنها منزعجة لأنك أفسدت عطلة نهاية الأسبوع بنظرياتك حول القتل، لكن الآن أرى أنها تصوّرك على أنك شخص غير موثوق، مدمنة مترنحة، وهو ما نعرف كلانا أنه ليس صحيحًا. يبدو أنها تأخذ الأمر بشكل شخصي. (أخذت صوفيا نفسًا لترد، لكنني غيرت رأيي). لا، عذرًا. اسمعي، من الواضح أنني يجب أن أتعلم كيف أحاور الناس دون اتهامهم في

كل منعطف. كل ما أقوله هو أنك تعرفين أنها متعمقة مع مجموعة مدمني الكحول المجهولين منذ الحادث -إنها تحظى باحترام كبير وتعرف كل تفاصيل الأمر. في الواقع، يمكن أن تكون حليفًا جيدًا. إذا كان هناك شيء من هذا القبيل. نحن هنا من أجلك.

قهقهت صوفيا: «إنها متكبرة ومتباهية، أليس كذلك؟ ذاكرتك ليست جيدة إذا كنت تعتقد أن هذا هو الوقت الذي نظفت فيه نفسها من الإدمان. أوه، بالتأكيد، ربما لبضعة أسابيع. كانت جامحة، يا رجل. كان على أبي وأودري أن يقطعا علاقتهما بها تمامًا حتى تتمكن من التغيير. سأبحث عمَّن ينصحني في مكان آخر».

تداخل حادث كاثرين وعواقبه وإعادة تأهيلها في ذهني. كان من المفاجئ سماع أنهم كانوا منفصلين: «لكن لم تجيبي عن سؤالي».

قالت صوفيا، تاركةً الملعقة أخيرًا: «لقد شربت كأسًا واحدة من **النبيذ**، قبل ثماني ساعات على الأقل، ومع الطعام. لكن عندما يحدث شيء كهذا، يبدؤون في البحث خلف كل حجر. وإذا قال متدرب إنه رآك في حانة -التي كانت مطعمًا، بالمناسبة- في الليلة السابقة، ولا يستطيع التأكيد على ذلك، لكنه بدا وكأنك تشرب بكثرة، فإن ذلك لا يساعد. ربما لم يرَ المتدرب الأمر بشكل صحيح، أو ربما لديه ضغينة، أو ربما شخص ما شجعه بلطف»- فركت إبهامها بأصابعها- «لتضخيم الأمور... الناس لديهم مصالح في هذا. الأمر كله سياسي. الدرس هو: لا تذهب للعشاء في المكان الذي يستخدمه جميع طلاب الطب كمكان للشرب. قولك إنك ذهبت من أجل الطعام، وهو ما فعلته، مثل قولك إنك تقرأ مجلة بلاي بوي من أجل المقالات».

قلت: «إيان فليمينج [1]نُشر على بلاي بوي». غير متأكد إن كان ذلك يعزز وجهة نظرها. فكرت للحظة، واستحضرت شيئًا من ذاكرتي: «ومارغريت أتوود [2] أيضًا، في الواقع».

- بالضبط! كما قلت، لقد تناولت وجبة. لم أكن تحت تأثير الكحول. لم يكن هناك خطأ. انظر، لا يقومون باختبار الكحول للأطباء كما يختبرون الرياضيين. إذًا، ما حجتهم؟ أن متدربًا رآني أشرب كأسًا من النبيذ؟ أي وفاة تُحال إلى الطبيب الشرعي خلال ثلاثين يومًا، بالتأكيد، لكن هذا إجراء اعتيادي لمراجعتها. ليس لديهم ما يعتمدون عليه. لن يجدوا شيئًا مريبًا.

بدا لي أن هذا كان مثل سيل من التبريرات التي يقدمها شخص يفكر في الدفاع عن نفسه، لكنني تجاوزت ذلك. سألت: «لماذا لا يمثلك مارسيلو؟ بالتأكيد، لدى المستشفى محامون. لكنه يتفوق عليهم».

- كما قلت: الأمر سياسي. بالإضافة إلى ذلك، أنت محامٍ الآن – هل تفعل شيئًا الأسبوع المقبل؟

ضحكت بسخرية على ذلك: «لماذا تأخذ كاثرين الأمر على محمل شخصي؟».

- كاثرين غاضبة... حسنًا، لأن هذا هو وضعها الطبيعي، ولكن تحديدًا لأنها سمعت الشائعات وجاءت إليّ بالأسئلة نفسها التي طرحتها عليَّ. عرضت عليَّ المساعدة، وعندما شرحت لها ما شرحته لك، لم

(1) كاتب وصحفي بريطاني بالإضافة إلى كونه ضابطًا بحريًا في الحرب العالمية الثانية. (المترجمة)

(2) كاتبة وشاعرة وناقدة أدبية وناشطة كندية في المجال النسوي والاجتماعي. وأحد أهم كتاب الرواية والقصص القصيرة في العصر الحديث. (المترجمة)

تتقبل الأمر جيدًا. ربما تعتقد أنني لا أستحق الإنقاذ. ولا أريد أن أكون مشروعها الصغير على أي حال».

هززت رأسي. فما قالته كان يشبه كاثرين.

- الآن، صدق أو لا تصدق، لدي بعض الأسئلة لك.

- هذا عادل.

- لماذا تفعل هذا؟ يوجد شرطي هنا؛ دعه يقوم بالتحقيق.

- كلانا يعلم أنه إذا لم يكن يومه الأول، فهو يومه الثاني. و -نقرت على النافذة بإصبعي- لن أعتمد على دعمه للوصول إلى هنا.

- ما زال ذلك لا يعني أنه من واجبك حل هذه المشكلة.

- مايكل يطلب مساعدتي. وأعتقد أنني مدين له بذلك.

- مدين، مدين، مدين. تستخدم هذه الكلمة كثيرًا. العائلة ليست بطاقة ائتمان.

ملاحظة: أعلم أن هذا في الأساس هو مشهد ‹لماذا لا تبتعد فحسب›، وربما مع بعض اللمسات الصحية من ‹هذا لا يخصك›. كنت مدركًا، كما كنت في ذلك الوقت، أن هذا غالبًا ما يكون تكنيك لإيقاف محقق فضولي (أنا) من اكتشاف شيء يتعلق بالشخص الذي يطلب منه التراجع (في هذه الحالة، صوفيا). لا يجب الخلط بين هذا وبين مشهد ‹أنت خارج القضية›، الذي سيكون مشكلة كروفورد، وليس مشكلتي. لكن دوافع صوفيا كانت واضحة بالنسبة لي. إذا ابتعدت وغادر مايكل هذا المنتجع مكبلًا بالأصفاد، ستبقى الأموال معي. ولن أحتفظ بها لمدة ثلاث سنوات أخرى، ناهيك بخمس وعشرين؛ سأصرفها. أو أتبرع بها. لم أفسر محاولتها على أنها محاولة لصرف الانتباه عن نفسها، بل لإزالة قطعة مايكل من اللعبة، مما يترك الأموال متاحة. ولو كانت تحاول تلفيق

التهمة له، لكانت ستحاول بجدية أكبر، باستفزازي بدلًا من تحذيري. كنت مقتنعًا بأنها كانت تمتلك دافعًا أنانيًّا، لكنه ليس قاتلًا.

جاء صوت من عند الباب: «إرنست؟». التفت لأرى جولييت تنظر إلى داخل البار. «الضابط كروفورد يقول إن الأمر أصبح على ما يرام الآن».

أشرت برأسي بالموافقة، وقفت وقلت لصوفيا، تقريبًا بنبرة اعتذارية: «عليَّ أن أستمع إليه. على الأقل لأتحقق من حجة غيابه الليلة الماضية».

ضربتني على ذراعي بطريقة مرحة: «أوه، فهمت الآن. إرني، أيها الغيور الأحمق».

- أنا لست...

- أنت كذلك. لا تهتم بشأن الحذاء الأخضر. تريد فقط معرفة أين كان مايكل وإيرين حقًّا الليلة الماضية.

أنت تعرف نحن في أي مشهد الآن. إنه يسمى ‹الجنس دائمًا هو الدافع›.

اعترفت: «لقد كذب علي. علينا، أنا فضولي».

- مرتين في الواقع.

- ماذا؟

- لقد كذب عليك مرتين. الأثاث؟ وحدات التخزين؟ بحقك؟ هذا الرجل وحش. أراهن أن كل أغراضه ما زالت في منزل لوسي على أي حال، كما تركها. كانا لا يزالان معًا عندما ذهب إلى السجن، تذكر؟

هزت رأسها كما لو كانت تقول شيئًا بديهيًّا.

- لا أفهم.

- أسأله ما الذي يوجد حقًّا في الشاحنة اللعينة، إرني.

الفصل السابع عشر

انتظرتني جولييت في الممر. في البداية ظننت أنها ربما أخذت نقص مهاراتي بالميكانيكا كعلامة على أنني غبي جدًّا لدرجة أنني لم أتمكن من اتباع الأسهم التي تشير إلى غرفة التجفيف حتى أدركت أنها كانت تقودني عكس اتجاه الأسهم. لم يكن لدي أدنى فكرة إلى أين نذهب. أحيانًا تحتوي مثل هذه الكتب على خرائط خلف الغلاف الأمامي، وقد يكون تخطيط المنتجع مفيدًا في هذه اللحظة.

قلت بينما كانت تجرني بين عربات التدبير المنزلي التي تخرج منها مناشف بيضاء منفوشة: «لم نتعرف بشكل صحيح، الناس ينادونني إرني».

- (1)

- إنه اختصار لاسم إرنست.

قالت بحدة: «حسنًا، هذا هو الاسم الذي يجب أن يناديك به الناس إذًا، أليس كذلك؟».

تنحيت جانبًا لتجنب صينية خدمة الغرف التي بدت كأنها مسرح جريمة، حيث احتوت على علبتين مجعدتين من مشروب طاقة وورقة تغليف شوكولاتة: «ستنسجمين مع والدتي. هي أيضًا تجدني مملًّا».

(1) تقصد جولييت أن اسم إرني على نفس ايقاع urn إناء رماد الجثث المحروقة.

توقفت عند باب من دون رقم -لذا، استنتجت أنها ليست غرفة ضيوف- في نهاية الممر، وأدخلت مفتاحًا في القفل. استدارت نحوي قبل أن تفتحه: «أعلم أنك متلهف لرؤية أخيك. لكن الأمر لن يستغرق وقتًا طويلًا». لاحظت أن شفتيها كانت متشققة بفعل الرياح، بالطريقة التي تكون بها شفاه متسلقي الجبال، متقشرة ومليئة بالشقوق، وكأنك تستطيع غرس فأس جليدية فيها وتسلقها: «آه، أنا جولييت، بالمناسبة». أخيرًا، قدمت نفسها. لقد تنفس محرري الصعداء الآن: «لقد ساعدتك في إصلاح سلاسل سيارتك».

قالتها وكأنها معلومة جديدة، فقلت: «أتذكر»، لتصحيحها، لكن خرجت العبارة بنبرة أعمق مما قصدت. وبالنظر إلى الوراء، بدت النبرة أكثر شهوانية مما توقعت. فحصتني لثانية إضافية.

- من الواضح أنني تركت انطباعًا. لقد دعوتني بالفعل لمقابلة والدتك. وتوقف عن التحديق إلى شفتي.

لم أخبرها أنني كنت أفكر في تقشيرها، وليس تقبيلها، لكن في كلتا الحالتين، شعرت بالحرج فقد بدأ بالاحمرار في التسلل لوجهي.

فتحت الباب، كاشفةً عن مكتب فوضوي يتوسطه مكتبان ملتصقان ببعضهما. كان يمكنني وصف نظام حفظ الملفات فقط بأنه يشبه الإعصار؛ جبال ووديان من الأوراق تغطي الأرض. الجدران كانت محاطة بأرفف كتب، التي كانت على الأقل تحتوي على أوراق مصنفة داخل مجلدات برتقالية زاهية، لكن تلك المجلدات، التي كانت تمثل الشكل الوحيد للتنظيم، كانت مكدسة أفقيًا. اعتقدت أن من الغريب لشخص لا يعرف كيف يرتب رفَّ كتب أن يحكم على عجز مهاراتي في إصلاح المركبات، لكنني تجاهلت الأمر لأنني كنت لا أزال أشعر بالحرج بعد ملاحظتها عن أمر الشفاه هذا. في وسط كل مكتب كان هناك جهاز

حاسوب ضخم يمكنك استخدامه كأثقال رياضية، موصول بلوحات مفاتيح بيضاء باهتة اللون، تلك التي تكون عادةً مخصصة للإكسسوارات البلاستيكية القديمة أو أغطية الأسِرة الخاصة بالمراهقين.

جلست جولييت على كرسي جلدي أسود وبدأت تضغط على مفاتيح الحاسوب الصلبة بيد واحدة، مشيرةً إليَّ باليد الأخرى لأقترب.

سألت: «منذ متى وأنت هنا؟». لأعرف المزيد عنها وأيضًا لأكتشف إلى أي قرن يعود جهاز الكمبيوتر الخاص بها.

قالت بصوت رتيب، وهي تكافح للتركيز على تحريك الفأرة القذرة والمتحجرة من سطح المكتب محدثةً صوت فرقعة: «لقد نشأت بين هنا ومدرسة داخلية في جينداباين. إنه عمل عائلي. جدي وبعض أصدقائه بنوه بعد الحرب –أعتقد أنهم أرادوا الابتعاد عن الناس. انتقلت إلى كوينزلاند في العشرينات من عمري فقط، لقد اخترت المكان الأكثر دفئًا فحسب. استلم والداي المكان ثم ماتا، حسنًا، هناك نوع من الحتمية في الأمور العائلية، لأنني عدت قبل ست سنوات لبيعه، وأظن أنني علقت هنا بسبب الثلوج».

قلت: «العائلة مثل الجاذبية».

- شيء من هذا القبيل.
- في أي حرب قاتل جدك؟ رأيت وسامه في المكتبة.
- الحرب الثانية. وها! لا. هذا وسام فرانك.
- فرانك؟
- في الحقيقة **F-287**، لكن جدي كان يسميه فرانك. الطائر.

ضحكت: « تقصدين الحمامة المحنطة؟ هل تمزحين معي؟».

- يسمى وسام ديكين. يمنحونه للحيوانات.

فكرت في الكلمات المحفورة -نحن أيضًا نخدم- بدت منطقية الآن. كانت قطعة الورق الصغيرة على الأرجح هي الرسالة المشفرة التي طارت عبر خطوط العدو، ملفوفة حول ساق الطائر. كانت كمغامرة مثالية لفيلم ديزني.

تابعت جولييت: «المفضل لدي هو قطُّ السفينة لقد حصلت على واحد لأنه رفع روحي المعنوية وأكل غزوًا من الفئران. لا أمزح. كان بوبس يحب ذلك الطائر -لقد درب مجموعة كاملة منهم، لكن فرانك كان مميزًا. كان يحمل خريطة تحتوي على جميع مواقع الرشاشات، وقوائم بأعداد الجنود، وأسماء، وإحداثيات، وقد أنقذ الكثير من الأرواح. جدي حنطه عندما عاد للمنزل. إنه شيء غريب بعض الشيء لوضعه في العرض، لكني أحبه». نقرت على شاشة الكمبيوتر. «آه. ها هو».

كانت تشير إلى مقطع فيديو من كاميرا مراقبة تظهر بلون مائل إلى الأخضر على الشاشة التي أوقفت تشغيلها مؤقتًا. استنتجت أن الكاميرا لا بدَّ أن تكون فوق باب بيت الضيافة الأمامي، لأن الزاوية كانت مائلة نحو التل، والإطار يتضمن ساحة انتظار السيارات، وجزءًا كبيرًا من الممر، وظلال هرميَّة لعدد من الشاليهات في الحافة، لكنها كانت خارج منطقة التركيز قليلًا. لم تصل الزاوية إلى مكان العثور على الجثة. كان هناك ختم زمني في أسفل اليسار، قبل الساعة العاشرة مساءً بقليل. افترضت أن اللون الأخضر كان نوعًا من فلاتر الرؤية الليلية.

أشرت إلى الشاليهات: «ما تلك الغرف؟».

- هذا هو جانب الأرقام الزوجية: اثنان، أربعة، ستة، وثمانية.

كان مارسيلو وأودري في الغرفة رقم خمسة، لذا لم تظهر غرفتهم على الشاشة. كانت صوفيا في الغرفة رقم اثنين، على حافة الشاشة، حيث يظهر فقط جزء صغير من السقف. كنت من المفترض أن أكون

في الغرفة رقم ستة، لكن كاثرين وآندي أخذاها عندما لم تكن غرفتهما جاهزة في اليوم السابق. لم أكن أعرف أين هي غرفة لوسي. قلت: «الغرفة رقم أربعة هي غرفتي».

- أعلم، سيد كانينجهام.

- مراقبة الضيوف. هذا انتهاك للخصوصية.

قالت: «هل هو كذلك؟». قد تظن أنها كانت تغازلني، لكن في هذه المرحلة لم أكن متأكدًا. لن تسمع عن تبادلنا للقبلات إلا بعد 103 صفحة، عندما أكون عاريًا، إذا كنت تتساءل.

سألت. «هل يوجد أحد آخر في تلك الشاليهات؟».

- فقط الحجز الجماعي الخاص بكم. نصفها فارغ.

- حسنًا. وهذه الكاميرا، هل تتحرك؟ الزاوية ليست مثالية.

هزت رأسها: «لو لم نثبتها في مكانها، لكانت انكسرت مع كل عاصفة. بالإضافة إلى أنها ليست كاميرا أمنية، إنها كاميرا ثلج. الهدف منها فقط هو أن تُظهر للناس حالة المنتجع في أي يوم حتى يتمكنوا من التخطيط لرحلاتهم، على سبيل المثال... أنت تعلم تجهيز سلاسل الإطارات (توقفت للحظة لتسمح لي باستيعاب الإهانة) وارتداء الملابس المناسبة، أو لمعرفة ما إذا كان عليهم حجز بطاقة التزلج أم لا. كما أنها ليست بث فيديو، كما ترى – إنها مجرد لقطات».

ضغطت على زر التشغيل، ورأيت أنها كانت بالفعل سلسلة من الصور تعرض على شريط، تُلتقط صورة كل ثلاث دقائق، مع تقدم المؤقت الموجود بالأسفل في جانب اليسار مع كل صورة. تركت الصور تعمل. في بعض الأحيان، كانت هناك بقعة رمادية، وهي لشخص يمشي باتجاه الشاليه الخاص به، لكنها كانت عديمة الفائدة إلى حد كبير، لأن

كل شخص كان مجرد ظل ضبابي لا يمكن تمييز أي ملامح منه. الجانب الإيجابي الوحيد هو أنها كانت تغطي جزءًا من ممر السيارات، لكن حتى مع ذلك، يجب أن تكون التوقيتات دقيقة لالتقاط صورة لسيارة متحركة في النافذة الزمنية التي تمتد ثلاث دقائق. كنت أعلم من خلال التجول بضع مرات من قبل أن المشي من الشاليهات إلى بيت الضيافة كان بطيئًا نوعًا ما بسبب الثلج، لذلك كان الجانب الإيجابي الوحيد هو أن، ما لم يكن أحدهم يسرع بشدة، الكاميرا ستلتقط معظم الأشخاص، حتى لو لم يتم التعرف عليهم.

تركت جولييت الشريط يعمل. لا بدَّ أنه كان على نظام التسريع، لأن كل صورة بقيت على الشاشة لمدة عشرين ثانية تقريبًا بدلًا من ثلاث دقائق. قبل الساعة الحادية عشر مساءً بقليل، تحرك شخص باتجاه الشاليه رقم أربعة، الذي كنت أعلم أنها صوفيا قادمة لزيارتي. بعد نحو اثنتي عشرة صورة، خرجت من المشهد عائدة للشاليه رقم اثنين. كان من الصعب تحديد الاتجاه أو النية من ظل غامض، لكنه كان يتطابق بشكل كافٍ مع استنتاجي. كنت آمل في رؤية شخص آخر يتجول حول الشاليه رقم اثنين بين الصورتين اللتين أظهرتهما صوفيا، لكن لم يحالفني الحظ. الشخص الذي كان هناك قد فاتته تمامًا النافذة الزمنية الثلاث دقائق، إما عن طريق مصادفة مذهلة وإمَّا بتخطيط جيد جدًّا. تقدم الشريط طوال الليل دون أحداث تُذكر، باستثناء بعض المدخنين من بيت الضيافة، وظلين يمسكان بأيديهما وينظران إلى النجوم. اللافت للنظر أنه لم يمشِ أحد صعودًا إلى ملعب الجولف.

بعد أن تجاوزت الساعة الواحدة صباحًا بقليل، بدأت جولييت تشد قبضتها على الفأرة بشكل أكبر. كانت تراقب شيئًا ما. بعد بضع صور، وجدتهُ وضغطت على زر الإيقاف. قالت: «اعتقدت أن هذا

مثير للاهتمام». وأضافت: « الحذاء الأخضر ليس مدرجًا في أي قائمة للضيوف أو الموظفين، ولم يبلِغ أحد في الجهة الأخرى من التل عن أي مفقودين. لقد تواصلت عبر اللاسلكي مع المنتجعات الأخرى، هذا أمر يتحدث عنه الجميع، لكن لا أحد يعرف شيئًا». أشارت جولييت إلى ورقة مطبوعة على المكتب، وهي قائمة بالأسماء، التي افترضت أنها كانت لكل الضيوف، مع علامات صغيرة بجانب كل اسم. توقعت أنه تم التأكد من وجود الجميع. لوسي قد أخبرتني بذلك بالفعل، لكن كان من الجيد التأكد منه.

كنت أتساءل لماذا كانت مهتمة جدًّا، متذبذبًا بين احتمال أنها تحاول توجيهي إلى مسار خاطئ عمدًا، وحقيقة أن الأمور في هذا المكان كانت هادئة لدرجة تجعلها ربما تشعر بالملل وتبحث عن بعض الإثارة. حينها لمحت، أسفل قائمة الأسماء، وثيقة أكثر سمكًا مع علامة صفراء تقول: وقع هنا وأشرطة ملاحظات بارزة من الأطراف. رغم أن معظمها كان مخفيًّا، تمكنت من رؤية الركن العلوي، الذي يحمل شعارًا معروفًا لدي يعود لشركة عقارية شهيرة. (بعض الكلمات تبرز في كتب الجريمة، أليس كذلك؟ لا توجد طريقة للتلميح إلى أشياء ذات أهمية واضحة بهذه الدرجة بشكل غير مباشر، لذا سأقولها بالخط الواضح: كان هناك **عقد ملكية على مكتبها**). ربما لم تكن عالقة في الثلج بعد كل شيء.

استمرت جولييت في الحديث: «وهذا يعني أن الرجل الميت جاء في منتصف الليل. لذلك ربما يكون هذا هو.» أشارت إلى الشاشة. «لقد تحققت من الأمر، والسيارة موجودة في الموقف الآن. يمكننا أن نطلب من كروفورد التحقق من اللوحات والحصول على اسم؟».

كان استخدامها للضمير «نحن» يوحي بنوع من الشراكة لم أكن أتوقعه. خصوصًا أنه بدا أن جولييت هي من قامت بأكبر قدر من

التحقيقات حتى الآن، حتى أكثر من الشرطي. تذكرت مجددًا أنني الشخصية الرئيسة فقط لأنني أكتب هذا، وليس بسبب أي مهارة. اقتربت أكثر. كانت هناك مصابيح أمامية في الممر. كان من الأسهل تحديد الاتجاه مع السيارات أكثر من الأشخاص، وكان واضحًا أن السيارة متجهة نحو الموقف. وبينما كانت المصابيح الأمامية تعكس الضوء على فلتر الرؤية الليلية مما أدى إلى إضافة عرض زائد للصورة، كان من الواضح أن السيارة كانت مرسيدس رباعية الدفع.

قلت: «هذه سيارة زوج أمي، مارسيلو. الذي كان يصيح بصخب هذا الصباح».

- أوه.

«لكنه لم يصل الليلة الماضية. لقد تناولنا الغداء في غرفة الطعام الخاصة. إذًا لا بدَّ أنه ذهب إلى مكان ما وعاد». لم أخبرها أنه ألغى العشاء لأن والدتي كانت تشعر بالتعب، لأن التزامي بالصدق هو معك، أيها القارئ، وليس مع جولييت مالكة المنتجع الفضولية. ومع ذلك، كنت مهتمًا بمعرفة الوقت الذي ربما غادر فيه، لأنه ربما كذب للقيام بذلك. رغم أنه قد يكون نزل من الجبل إلى صيدلية، أعتقد.

- ارجعي إلى وقت متأخر من بعد الظهيرة – سترين المرسيدس وهي تغادر.

أعادت جولييت الشريط للخلف حتى وجدت لقطة لمصابيح المرسيدس الخلفية، أعلى التل ولكن لا تزال في الصورة، نحو الساعة 7 مساءً. كان ذلك بعد مكالمته لي مباشرة؛ كنت في تلك اللحظة غارقًا في قيلولة.

قالت: «اللعنة». بدا أنها أقل اهتمامًا بشخص يغادر لبضع ساعات من اهتمامها بوصول الحذاء الأخضر. لكنني كنت على عكسها تمامًا؛

أسئلة كثيرة ملأت ذهني. مارسيلو كذب لإلغاء العشاء ليذهب إلى مكان ما. لأكثر من ست ساعات. ماذا كان يفعل؟ وألم تكن والدتي واعية، ربما كانت مريضة حقًّا ونامت في الشاليه؟ أم إنها كانت متواطئة؟ كانت النوافذ مظللة، فلم أستطع معرفة ما إذا كان هناك أحد في مقعد الركاب الأمامي، ناهيك بمن كان يقود السيارة.

أكملت جولييت أكثر فكرة مخيفة تدور في ذهني: «ربما أحضر معه شخصًا».

سألت. «هل يمكنني مشاهدة بقية اللقطات حتى وقت الصباح؟». بدأت في عرض اللقطات من جديد. وبينما كانت اللقطات تتغير كل ثلاث دقائق، كنت قريبًا بما يكفي من الشاشة لأشعر بذبذبة الاستاتيكية الناتجة عن الشاشة الضخمة القديمة على أنفي. «إذا كان الضحية في أي مكان من هنا، فلا بدَّ أن أحدًا قد تعرف عليه».

«لم أرَ الجثة، لكن كما قلت، الجميع هنا أن تفقدهم، سواء العاملون أو النزلاء. شجرة الإنذار الهاتفية ممتدة بين الفنادق وصولًا إلى البحيرة، وكروفورد تحقَّق من مركزه في جنداباين: لا أحد أبلغ عن مفقود. كروفورد يقول إنه لا يريد إزعاج النزلاء –لا فائدة من عرض صورة لرجل ميت إذا كان شخصًا غير معروف. بصراحة، أتفق معه. هؤلاء زبائن يدفعون، وانظر، تقديم وجبة إفطار مجانية لن يُصلح الكثير من التقييمات على موقع «تريب أدفايزر» (TripAdvisor)». بكل خجل، دونت تلك الملاحظة في ذهني لأخبر كاثرين أن الإفطار يمكن أن يكون مجانيًّا. «الحوادث تحدث في الجبال– لا أحد قلق بشأن ذلك. ربما كان متجولًا ضل طريقه؟ الوحيدون الذين يسمونها جريمة قتل هم أنتم. وأنتم تثيرون حماسة الشرطي المستجد أيضًا».

- إذًا، لماذا تعرضين لي هذا؟

- لأنك تسأل الكثير من الأسئلة التي لا يمكن تصديقها. وقد بحثت عن عائلتك – ليس كما لو أنكم نظيفون تمامًا. إذا كانت جريمة قتل... فهذا يعني أن هناك قاتلًا. لدي التزام معين تجاه سلامة نزلائنا.

شعرت بشيء من الإهانة بسبب تلميحها إلى تاريخ عائلتي، فتوترت قليلًا: «أليس من المفترض أن تشاركي هذه الأدلة. -خرجت تلك الكلمة من فمي كالضربة القوية؛ حتى وإن كنت أظن أنها جريمة قتل، كان لا يزال مجرد رجل ميت في الثلج، ووصفها **بالأدلة** بدا وكأنه يُضفي عليها طابعًا رسميًّا أكثر مما أريد-أعني، هذه **المعلومات**، مع كروفورد وليس معي؟».

- لا أعرف كروفورد – من الواضح أنه أُرسل كصبي مهام لتحقيق في حادث. الآن بعد أدراكهم أن الأمر جدي، سيأتي مارتن –إنه الرقيب– إلى هنا مع محققين من المدينة إذا احتاج إليهم. لكنني لا أعتقد أنهم سيتمكنون من تجاوز هذه العاصفة في أي وقت قريب، إذا لم يكن قد علق بالفعل. وبصراحة، اللعنة، حسنًا، سأقولها: بحق الجحيم، لا أعتقد أن كروفورد يعرف ما الذي يفعله.

اعترفت: «وأنا كذلك».

- سأعترف بأنني أراهن على أفضل فرصة لدي. أنت المحامي.
- لست محاميًّا. أنا كاتب.
- لماذا قال أخوك أنك محامٍ إذًا؟
- لا أعرف. أساعد الآخرين في كتابة كتب الجرائم، لذا أعتقد أنني جيد في تخمين النهايات؟ ربما يعتقد أنني أستطيع حلها. قلت هذا بنبرة متصاعدة حتى أنا أدركت أنها بدت ضعيفة، لذلك حولت انتباهي إلى الفيديو مرة أخرى.

كانت إعادة اللقطات قد تجاوزت الآن الفجر، وتوقف فلتر الرؤية الليلية، مما جعل الشاشة رمادية باهتة بدلًا من اللون الأخضر. كانت سيارة الشرطة الخاصة بكروفورد الآن في الإطار، مع ختم زمني نحو السابعة إلا ربع، متجهة نحو بيت الضيافة عند وصوله. لم تكن نوافذها مظللة، لذا استطعت رؤية كروفورد بذراع ممدودة عبر المقعد الأمامي، ورأسه مائل في صورة جانبية واضحة وهو يتثاءب بقوة. لا بدَّ أنه استيقظ مبكرًا ليصل إلى هنا في ذلك الوقت.

سألت: «من الذي عثر على الجثة؟». لم تظهر هناك أي ظلال غامضة بين عودة سيارة مارسيلو ووصول كروفورد: لا ضحية ولا قاتل. «أعني، من أبلغ عنها؟ لا بدَّ أن الأمر حدث مبكرًا. لا يبدو أن أحدًا كان مصدومًا».

- عليك أن تسأل كروفورد، لست متأكدة.

الآن وقد أصبحت الشاشة أكثر إشراقًا، جعلني الضوء الأبيض اللامع على العدسة أُحدق بعينين نصف مغمضتين. بدأت الصور تمتلئ بظلال تبدو أكثر إنسانية في ضوء النهار غير المفلتر. في الصور التالية، تجمعت الظلال معًا، متجهةً إلى أعلى التل مثل طوابير من النمل. اعتقدت أنني رأيتني أنا وآندي عندما تقابلنا أمام شاليهي، لكن لم أكن متأكدًا. كان الصباح يمر بسرعة: وصول الشاحنة (كانت كبيرة بشكل سخيف)؛ كان التجمع في المدخل قريبًا بما يكفي لرؤية وجوه الناس بالفعل؛ مايكل يتم اعتقاله. كانت تلك الصورة اللعينة تتزامن مع احتضان إيرين له، ويدها في الجزء الخلفي من بنطلونه. أعني، بحقك.

- قلتِ إن هذا لمساعدة الناس على التحقق من الظروف الجوية قبل أن يأتوا إلى هنا؟ هل يعني ذلك أنه موجود على موقعك الإلكتروني؟

- نعم، إنها تغطية حية. هذا واضح جدًّا –البث موجود على الصفحة الرئيسة لدينا.

- إذًا كان لدى أي شخص موقعك الإلكتروني، يمكنه حينها ضبط توقيته، والتحرك عمدًا في الفجوات بين الصور، لتجنب رصده؟

- لن ينجح ذلك أبدًا مع شبكة استقبالنا.

- صحيح. لكن التوقيت لا يتغير أبدًا –كل ثلاث دقائق. إذا ضبطت ساعتك على ذلك الأساس، فلن تحتاجي حتى إلى مشاهدة البث لتتحرك بين اللقطات.

- أعتقد ذلك.

- ولنقل إن كروفورد يحتاج ساعة إلى الوصول إلى هنا إذا انطلق بأقصى سرعة؟ ومع ذلك، لا يوجد أي هلع على الشاشة، لا أحد يهرع إلى أعلى التل حتى وقت لاحق، ولم يبلغ أحد موظفي الفندق عن الجثة طوال تلك الساعة. شخص ما وجد جثة، اتصل بالشرطة، ثم ماذا؟ عاد للنوم؟

- تعتقد أن القاتل هو من اتصل؟ أراد وجود الشرطة هنا؟

- بمجرد أن نستبعد المستحيل...

أكملت: «...فما يتبقى، مهما كان بعيد الوقوع، يجب أن يكون الحقيقة. هذا لطيف. نعم، لقد قرأت تقريبًا كل شيء عن شارلوك هولمز أيضًا. كوخ العطلة هو بمنزلة بوابة الجوارب المفقودة في الجزء الخلفي من غسالتك للكتب القديمة المتعفنة: لا أحد يشتريها، لا أحد يجلبها، ومع ذلك هي دائمًا هنا. اعتبرني نوعًا من الخبراء. إذًا – هل أفترض أن خطتك بالكامل تعتمد على طريقة الاستبعاد؟

لقد كانت تلك هي خطتي بالكامل. تلعثمت: «أعني، أعتقد أنها نقطة انطلاق مقبولة على نطاق واسع». حاولت ألا أركز على شريحة طويلة من الجلد متلهفةً للانتزاع من شفتها السفلية.

كان صوتها مذهولًا، لكنه مرح: «مقبولة على نطاق واسع. يدهشني أن ذلك الرجل اللعين هو الذي خلق أشهر مثال في العالم على حل المشكلات بشكل عقلاني، ومن المفترض أن ننسى جميعنا أنه كان مجنونًا بالكامل».

- لم أكن أعلم ذلك.

رفعت ذراعيها: «وتقول إنك تكتب روايات جريمة؟ أكره الروايات التي يكون فيها الشخصية الرئيسة كاتبًا».

عزيزي القارئ، بالطبع لقد قرأت أعمال آرثر كونان دويل، لكنه لم يصنف فعليًّا ضمن ما نعرفه **بالعصر الذهبي**، لذا، رغم اتباعي نهجًا شيرلوكيًّا في تحقيقاتي الخاصة، لم أكتب عنه. أوضحت ذلك لجولييت.

- أنا مهتم أكثر بأشخاص مثل رونالد نوكس. كان جزءًا من مجموعة كُتاب الجريمة في الثلاثينيَّات. على أي حال، أنا لا أكتب روايات، بل أكتب الأدلة الإرشادية. تعرفين: عشر خطوات سهلة لحل لغزك الأول؛ كيف تصبح من ضمن قائمة الأكثر مبيعًا على أمازون. أشياء من هذا القبيل.

- أفهم. تكتب كتبًا عن كيفية كتابة كتب لم تكتبها، تُشترى من قبل أشخاص لن يكتبوا كتابًا أبدًا.

بصراحة، كانت محقة تمامًا. ستندهش من عدد الروائيين الذين لم يحققوا أي إنجاز ويرغبون في دفع دولار وتسعة وتسعين سنتًا فقط من أجل الشعور بالتقدم. كتبي ليست سيئة، ولكن عملي لا يتعلق فعليًّا

بمساعدة الكُتاب، بل بتحقيق الأماني. لست فخورًا بذلك، لكنني لست خجلًا أيضًا.

- إنه مصدر للرزق.

سألت: «من هو نوكس إذًا؟».

- كتب مجموعة من القواعد لأدب الجريمة في عام 1929. في كتبي، أقارنها بجرائم القتل الغامضة الحديثة. تقريبًا يتم تجاهل جميع القواعد، وتحطيمها إلى أجزاء، بواسطة الأدب الحالي الذي يميل إلى الغش. أطلق عليها الوصايا العشر. كونان دويل يسبقه. لماذا هو مجنون؟

- لقد آمن بالجنِّيات، بحق المسيح. حاول أن يصطادها. بعد وفاة زوجته الأولى وابنه، حاول التحدث إليهم عبر جلسات تحضير الأرواح. كان يعتقد أن مربيته وسيطة روحية. الرجل كان مجنونًا لدرجة أنه حاول إقناع هوديني، الذي اعترف علنًا أن السحر ليس حقيقيًّا، بأن هوديني نفسه كان سحريًّا.

قلت: «هذه واحدة من الوصايا»، متوقفًا لأتساءل عما إذا كان الرجل الذي مات في حريق ولم يذوّب أي ثلج يُعتبر من عالم آخر. «في الواقع، الوصية رقم 2: لا شيء خارق للطبيعة».

- إذًا هذه القواعد – هل تعتقد أن هذا هو سبب طلب أخيك لك أنت فقط؟ هذا أمر مبالغ فيه.

- لا. أعتقد أنه طلبني لأنني أقل شخص من عائلة كانينجهام يشبه عائلة كانينجهام.

- ماذا يعني ذلك؟

«أنا لست من جماعتنا». كنت أقصد أن أكون مرحًا –ألم أكن كذلك؟– لكنها خرجت مغموسة بالمرارة. لقد أخطأت الهدف.

«لم أقصد...». تلاشى تفكيرها في منتصف الجملة. هزت رأسها، أغلقت نافذة الكمبيوتر ووقفت: «في الواقع، أنت محق. يجب أن أشارك هذا مع كروفورد بدلًا من ذلك. ولنضع أملنا في الرب ألا يكون هناك قاتل حقيقي هناك، وإلا فحياتنا ستكون في يد كاتب. أعتقد أنه يمكننا ضربهم حتى الموت بأحد الأغلفة الصلبة لكتبك».

خرجت مني جملة بصوت خافت: «نسخ رقمية فقط. أنشر ذاتيًّا».

- حسنًا (أمسكت بطنها كما لو كان هذا هو الشيء الأكثر إضحاكًا في العالم) إذا كنت تخطط لحل ما يحدث هنا، آمل أنك قرأت أكثر من مجرد روايات لشارلوك هولمز، لأن حتى آرثر كونان دويل كان يؤمن بالأشباح.

الفصل الثامن عشر

قبل أن أتحدث مع أخي الأكبر في غرفة التجفيف، هناك بعض الأشياء التي يجب أن تعرفها عن أخي الأصغر. أولًا، اسمه جيريمي. وثانيًا، أنا لست واثقًا بنسبة مئة في المئة من استخدامي للأزمنة هنا: اسمه لا يزال جيريمي، لكنه **كان** يسمى أيضًا جيريمي. أعتقد أن كليهما صحيح. من فضلك لا تخلط بين عدم كفاءتي في القواعد وبين عدم الأمانة. وثالثًا، عندما توفي، كنت جالسًا بجانبه.

من الصعب كتابة هذا، وليس فقط بسبب الجبيرة على يدي.

لم نكن ننادي جيريمي قطُّ بأي شيء سوى اسمه الأول. هذا شيء لاحظته عندما يموت شخص في سن صغيرة. كأنهم لم يعيشوا بما يكفي ليرثوا لقب عائلتهم. قد لا تعتقد صوفيا ذلك، أنها لا ترى أن ما في دمك أو ما هو مكتوب في شهادة ميلادك هو المهم، لكنها ما زالت تهتم بترتيب الأسماء باستعمال شرطة الوصل حول الشُرطة. لهذا السبب يمكنك أن تبدأ من إرنست وأنت تمارس رسم الحرف إ كبيرًا مرارًا وتكرارًا بالألوان الزاهية؛ ثم تصبح كونرز لقبك في فريق كرة القدم في الصف الثاني؛ ثم السيد كانينجهام وأنت تتحدث في ميكروفون قاعة المحكمة؛ وأخيرًا إرنست جيمس كانينجهام مطبوعًا داخل إكليل على كتيب يُوزع في مدخل الكنيسة المقوس. لأنك تستعيد اسمك عندما تموت- الاسم الكامل. لقد لاحظت ذلك أيضًا. هذا هو الإرث. ولهذا السبب لم يتجاوز

جيريمي قطُّ مجرد كونه جيريمي. لا أقول إنه ليس كانينجهام، لأنه كذلك، بأعمق وأصدق معاني الكلمة. لكنني أعتقد أن مناداته **بجيريمي كانينجهام** تحقر من شأنه، تربطه بنا. ككانينجهام، ذلك الجزء من تلك الأحلام التي توقظني ولساني جاف وأشعر بالغثيان. من دون التصاق لقبنا به، يجعله هذا يصبح جزءًا من السماء، والريح، والعقل.

الأسماء مهمة أيضًا في روايات الجريمة، كما أعتقد. لقد قرأت العديد من النهايات التي يقوم فيها المحقق بتفكيك الاسم المستعار، كاشفًا عن معنى خفي (على سبيل المثال، «ريبوس» (Rebus) تعني لغزًا، إذا لم تكن تعرف) أو ربما الحيرة الناتجة عن تبديل مواضع الحروف للاسم. روايات الغموض تعشق تبديل الحروف. بينما معظم الأسماء في هذا الكتاب حقيقية، غيرت بعضها لأسباب قانونية والبعض الآخر فقط للمتعة، لذا إذا وضعت أسماء كل من هنا وحاولت القيام ببعض الاستنتاجات، قد تفسد بعض المفاجآت. لا أمانع إذا أردت القيام بذلك بهذه الطريقة. اسمي إرنست، وأنا صادق: لا يوجد معنى خفي هناك.

جولييت هندرسون (تبديل الحروف: «ليدرهوسين جيت يونيت» (lederhosen jet unit) يمكنك أن تستنتج ما تشاء من ذلك) تركت لي تحدي التنقل باستخدام الأسهم المرسومة للوصول إلى غرفة التجفيف. أعتقد أنها كانت محبطة لأنني لم أكن متحمسًا أكثر لفكرة تشكيل فريق معها لحل الجرائم. بناءً على العقد غير الموقع على مكتبها وذكرها العابر لتقييمات موقع تريب أدڤايسر، قررت أن دافعها للتحقيق في الوفاة كان أكثر من مجرد فضول نابع من قراءة العديد من روايات الغموض، أو حتى واجب رعاية تجاه ضيوفها: أرادت حماية قيمة ممتلكاتها. ربما كانت تعتقد أن تحقيقًا في جريمة قتل سيمنع المشتري المحتمل. خاصة إذا كان البيع وشيكًا، كما بدا.

كروفورد – الذي لاحظت للتو أننا جميعًا كنا نشير إليه بشكل تلقائي باسمه الأخير، كما تفعل عادة مع ضباط الشرطة (وهو أمر منطقي، لأن جيريمي أكبر من اسمه الأخير، أما كروفورد، فهو أصغر من اسمه الأول الموجود تحت شارة الشرطة) – وقف عندما اقتربت. صافحته؛ حيث بدا ذلك مناسبًا للمظهر الخارجي للمحامي.

قلت: «لدى جولييت بعض الأدلة التي قد تهمك. تسجيل فيديو للممر، إذا كان سيساعدك، ولكنه غريب، لا أحد أصيب بالذعر حتى طلوع النهار، ولكن يجب أن يكون أحدهم قد اتصل بك...».

أنهى الجملة: «... قبل الفجر، نعم. استغرق وصولي نحو ساعة. أقل قليلًا».

- هل تركوا اسمًا؟
- لا أعلم. كنت على جهاز الرادار طوال الليل. لذا لم أتلقَ المكالمة في محطة الشرطة.

«لماذا أنت؟ جولييت قالت إنك لست الرقيب المعتاد... الرقيب...». لقد نسيت اسم الرقيب بالفعل، وحاولت تذكره من دون جدوى.

كروفورد لم يساعدني في تذكره، اكتفى بهز كتفيه: «كنت الأقرب».

«وعندما وصلت، هل كان هناك أشخاص آخرون بالقرب من الجثة؟». كنت أعرف الإجابة مسبقًا، لكنني أريد التأكد.

قال: «كنت أتوقع أن أجد سيركًا عندما أصل، لكن لن أستطيع إخبارك بشيء لم يحدث». فكرت مرة أخرى في آثار الأقدام الثلاثة: كانت تكفي لواحد فقط من الضحايا، وشرطي واحد، وقاتل واحد. كان هذا يدعم النظرية التي تقول إنه لم يعثر أحد على الجثة؛ القاتل هو من بلغ عنها بنفسه.

قلت بنبرة حزينة ظننت أنها قد تدفع كروفورد للكشف عن بعض المعلومات لتهدئتي: «وما زلنا لا نعرف حتى من هو الرجل الميت. هل يمكنني الحصول على نسخة من صورة الضحية؟». توقفت للحظة قبل أن أضيف: «كمحامٍ». ظننت أن هذا طلب يبدو جادًّا بما يكفي ليطلبه محامٍ.

قال كروفورد: «سمعت أنك لست كذلك، صحيح؟ والدك أخبرني».

قلت بحدة: «زوج أمي». مدركًا أن هذا جعلني أبدو كمراهق. مارسيلو، رغم محاولاته لكسب صفي، لا بدَّ أنه أخبره أنني غير مؤهل على أمل أن يحل محلي. إذا كنت على حق بخصوص مايكل ورغبته في إبعاد الناس عن الغرفة المغلقة، لم يغب عني أن مارسيلو كان يحاول بشدة الدخول إليها.

- أبذل قصارى جهدي. لست أنا من اختارني.

قال كروفورد: «هناك أطفال يقيمون هنا. لا يمكنني المخاطرة بأن تخرج الصورة. تفهم ذلك، صحيح؟».

أومأت برأسي، وقررت القيام بتسوية: «قد لا أكون محاميًّا، لكنك تعلم أنه لا يمكنك الإبقاء عليه هناك. مجرد أنه يتعاون لا يعني أنه لا يملك حقوقًا». رفعت يديَّ بتلك الطريقة المحببة للشرطة في محاولة لإظهار عدم قدرتي: «وأنت تعلم، لا أعرف حقًّا ما تلك الحقوق بالضبط، لكنني أعلم أن هذا ليس صحيحًا». أشرت إلى الباب الخشبي الثقيل، الذي كان ملتويًا قليلًا بسبب الرطوبة، وكان عليه لافتة بلاستيكية بيضاء تحمل صورة كرتونية لزوج من الأحذية.

- قال إنه موافق على ذلك.

قلت: «هذه ليست وجهة نظري حقًّا، إذا كانت شكوكك قائمة على أنه تم إطلاق سراحه من السجن في وقت أبكر مما اعترف به، حسنًا، فإن حجة غياب إيرين تعتمد أيضًا على مكان وجوده، ولا أراها مقيدة».

- هل تتهمني بالتمييز على أساس الجنس؟
- أنا أتهمك بالعمى.
- حسنًا، هي ليست من عائلة كانينجهام، أليس كذلك؟

يبدو أن الألقاب كانت مهمة بالنسبة إلى كروفورد أيضًا: «فهمت. أنا سعيد لأننا أصبحنا واضحين. والآن أنا أتهمك بعدم الكفاءة. دعني أدخل حتى أتمكن من مواصلة التظاهر بأنني محامٍ وأنت تواصل التظاهر بأنك محقق».

أمال كروفورد رأسه قليلًا: «أنت تهتم به حقًّا، أليس كذلك؟ رغم أنك شهدت ضده». عضضت على لساني، لقد كنت منزعجًا من معرفته بأمور عني أكثر مما عرف صباحًا. اللعنة على مارسيلو. القفل على الباب كان عبارة عن مزلاج واحد، من دون قفل إضافي. فكّه كروفورد بطرف إصبعه -أمان عالٍ- لكنه ابتعد عنه، داعيًا إياي لفتحه: «لم يكن لدي إخوة وأنا صغير، لذا لا أستطيع القول إنني أفهم ذلك. تلك أمور عائلية، أعتقد».

«إذا استطعت تأكيد مكان وجوده الليلة الماضية، وأنه لم يكن هنا، فعليك إطلاق سراحه - أو على الأقل نقله إلى غرفة حقيقية. حسنًا؟». كنت جادًّا، لقد بدا الأمر وكأنه شيء يقوله المحامون، وأردت أن أكون صاحب الكلمة الأخيرة.

أعطى كروفورد إيماءة صغيرة بذقنه بالكاد يمكن ملاحظتها.

فكرت في شيء أخير: «آه، وأيضًا، لا تتحدث معه مجددًا دون حضوري. أو أيًّا كان ما يقوله المحامون عادةً».

دفعت الباب وفتحته.

إذا كانت رائحة المدخل تحمل أثرًا للرطوبة المتوقعة من نُزُل التزلج، فإن غرفة التجفيف كانت رائحتها كحطام السفينة. كانت الغرفة

مخصصة لمن يخلعون ملابسهم الرطبة والمبتلة من الثلج ويتركونها لتجف جزئيًّا حتى الصباح. كانت محكمة الإغلاق للحفاظ على الحرارة ومنع تسرب الرائحة، وكان بابها المبطن بالمطاط يُفتح بصوت عالٍ مع كسر القفل. كنت بحاجة إلى خياشيم فيها لأتنفس الهواء شديد الرطوبة، وكان بإمكاني تقريبًا أن أشعر بجراثيم العفن في أنفي. وصفها بأنها كرائحة الأقدام سيكون ظلمًا للأقدام.

كانت الغرفة ضيقة وطويلة. يوجد على كلا الجانبين صناديق مستطيلة للأحذية، أغطيتها مفتوحة، مليئة بالعشرات من أحذية التزلج غير مربوطة. بعض النعال الداخلية للأحذية مسحوبة، كأنها ألسنة رخوة، أو مُزالة بالكامل وتكاة على الحائط، وكانت السبب في معظم الرائحة. فوق الصناديق، هناك رفوف لمعاطف التزلج ومعاطف المطر وبعض النعال الداخلية الأخرى مثبتة على شماعات. أمام سخان ماء صغير، هناك حامل ملابس هزيل محمل بالجوارب. كان أغرب شيء في الغرفة هو تغطيتها بالسجاد، الذي امتص كل الرطوبة. السجاد لديه شعور إسفنجي ويفرز رطوبة خفيفة مع كل خطوة. الغرفة مضاءة بعنصر تدفئة أحمر متوهج في نهايتها، فوق نافذة واحدة غير قابلة للفتح، وهناك كتلة من الثلج تضغط عليها من الخارج، مما يحجب أي ضوء طبيعي.

جلس مايكل تحت النافذة. متكئًا على صندوق أقدام مغلق، مزين بوسائد مبعثرة بشكل عشوائي لإيهام الآخرين بالراحة. أمامه صينية خدمة الغرف عليها علبة كوكاكولا وقشور شطائر. أصفاده منزوعة كما كانت سترته كذلك أيضًا، وأكمام قميصه مرفوعة. سمعة عائلة كانينجهام في العصيان المدني كانت تتفوق على سمعة أجسادنا النحيلة. بمعنى آخر، لم يخطئ أحدٌ في اعتبارنا فريق كرة قدم بسبب ملابسنا. دون سترته المنتفخة، خرج مايكل عن المألوف.

قلت: «لديك أكتاف، هل اكتسبتها في السجن؟».

أشار مايكل إلى الكرسي أمامه. كانت لمبة الحرارة البرتقالية تصدر طنينًا مزعجًا.

«كنت سأغلق هذا الباب» -تركت الباب مفتوحًا عند ثلاثة أرباعه- «لكنني أعتقد أننا قد نختنق». كان هذا صحيحًا، لكنه لم يكن السبب الوحيد الذي جعلني أبقيه مفتوحًا. تابعت الحديث، محاولًا العثور على أي صوت يملأ الغرفة، وما زلت أقف بالقرب من الباب. إذا لم تكن قد اكتشفت بعد أنني أستخدم الدعابة كآلية دفاع، فلا أدري ما يمكنني أن أخبرك به: «أتعلم، مارسيلو يقوم بهذا النوع من العمل كمهنة. في حال لم تكن تعلم ذلك».

- اجلس، يا إرن.

أخذت نفسًا عميقًا من الهواء الرطب لأكتسب الشجاعة وسرت نحو الكرسي. جلست. التقت ركبتانا. دفعت الكرسي إلى الخلف قليلًا. حدق مايكل إلى وجهي. في البداية ظننت أن نظراته كانت تأملية، فضولية، وهو يتفحص الخطوط الجديدة على وجهي، ليرى ما فعلته ثلاث سنوات بشخص ما. ثم فكرت مرة أخرى: ربما كان يقيّم وجبته.

قال: «لقد كنت أفكر في جيريمي. أعلم أنك كنت صغيرًا جدًّا لتتذكره تحديدًا. هل تتذكره؟».

بدت تلك بداية غامضة، لكني ظننت أنه من الأفضل أن أسايره. فقلت: «نوعًا ما. أعني... حسنًا، أحيانًا أتساءل عما إذا كنت أتذكره حقًّا، أو إذا كنت قد استوعبت ما يكفي من الوصف عنه لدرجة أن عقلي نسج الأشياء معًا. هناك نقطة أفقد فيها التفريق بين الأجزاء الحقيقية والأجزاء التي أكملتها بنفسي». كنت حينها في السادسة من عمري، وكنت أعلم أنني لم أكن واعيًا معظم اليوم وقتها، لذا فإن جزءًا كبيرًا عنه لا بدَّ أنه

تكون من تلقاء نفسه: «أحلم به، والغريب هو أنني أحيانًا أشعر كأنني أحلم بذكريات شخص آخر. أحيانًا... هو، حسنًا – أحيانًا ليس هو...». توقفت عن الكلام.

فرك مايكل جبهته، في تقليد غريب للطريقة التي فرك بها جبهته ليلة ظهوره في منزلي ومعه آلان هولتون في سيارته، مع تلك النقطة الصغيرة الناتجة عن عجلة القيادة على جبهته: «أعرف ما تعنيه. أعرف أن أمي كانت قاسية عليك. أعتقد أنك كنت صغيرًا جدًّا لتدرك مدى صعوبة الأمر. لقد تحولنا من كوننا خمسة معًا إلى ثلاثة، بسرعة شديدة. هكذا». ثم نقر بأصابعه.

أومأت، متذكرًا والديَّ بالتبني اللذين عشنا معهما بعدما استُبعدت أودري عن رعايتنا.

- عندما استعادتنا أخيرًا – حسنًا، ليس الأمر أنها لم ترغب في فقداننا، بل إنها لم ترغب في أن نفقد بعضنا بعضًا. هل فكرت في ذلك؟

طوال الوقت، لم أقل ذلك. **أنت من فعلت هذا،** لم أقل ذلك. **العائلة ليست بطاقة ائتمان،** لم أقل ذلك.

قلتُ بدلًا من أي رد محدد: «أنا أفكر في جيريمي كثيرًا»، ونحن الثلاثة –أنت وأمي وأنا– خلال عام واحد، فقدنا أبًا وأخًا. هناك سبب وراء تأجيلها لجنازة جيريمي لوقت طويل. تتذكر ذلك، أليس كذلك؟ كنت أظن أنها لم تستطع تحمل إقامة جنازتين متتاليتين».

قلت: «لكن سبع سنوات فترة طويلة للانتظار. كنت مراهقًا عندما أقمنا مراسم صغيرة لجيريمي. فعلنا ذلك في عيد ميلاده».

- كنتُ سعيدًا حينها، شعرت أنني كنت كبيرًا بما يكفي لأفهم، لأقدّر الأمر. ألم يقرّبنا هذا من بعضنا بعضًا؟ قصدي هو: لا شيء –كان

يتحدث للأرض، يهز رأسه مع كل كلمة- لا شيء، لا عتلة، لا حرب، ولا حتى غزو فضائي لعين، يمكنه أن يفرق عائلة كانينجهام. ثم -رفع نظره، وأشار إلى صدري- أنت فعلت ذلك.

ارتعشتُ، ونظرتُ إلى الأسفل لأقطع التواصل البصري، ولاحظتُ وجود شوكة على صينية خدمة الغرف، لكن لا سكين. كان لدي جزء من الثانية لأقرر ما إذا لم يتم تزويده بواحدة لأسباب أمنية، أم إنه أخفاها وقد تظهر فجأة من كمِّه. «إذا كنتُ هنا فقط لتخبرني أنك لم تفعلها، فلننتهِ من ذلك».

كانت كلماته بطيئة، مُتعمدة: «نعم، لقد قتلتُ آلان هولتون».

أردتُ أن أضع أصابعي في أذني وأخرج لساني كطفل صغير. كان عقلي يتسابق عبر الاحتمالات. لم أكن أريد أن أسمع كيف اختار ضحية عشوائية وقتله في الثلج، كيف كان سعيدًا بالبقاء في الغرفة الكريهة، فقط ليحظى بفرصة البقاء معي بمفردنا. كيف خطط لذلك مع لوسي، التي اقترحت غرفة التجفيف. لم أكن أريد أن يكون آخر ما أسمعه هو تفاخره بأنه تمكَّن مني. بأنه نام مع زوجتي. (حسنًا، كنت أهتم بذلك قليلًا). أردتُ أن أقلب الكرسي وأهرع نحو الباب، لكن كانت لديّ عقبة الاضطرار للوقوف والاستدارة أولًا؛ سيكون فوقي قبل أن أخطو خطوة واحدة. وإذا كان يحمل سكينًا...

أدركت أنني سأضطر إلى محاولة المساومة: «لدي الما...».

أوقفني مايكل رافعًا يده في الهواء: «لقد فعلت ذلك عن قصد».

- وضعت يدي حول عنقه حتى توقف عن الحركة. ثم أنت –أنت، أخي– أرسلتني إلى السجن.

ثم انقض عليَّ كأفعى جرسية.

فجأة، كل ما كنت أفكر فيه صار أبيضَ، كما لو أن عقلي كان في عاصفة ثلجية خاصة به أو أنني كنت ميتًا بالفعل ولم أدرك ذلك، وذراعا مايكل كانتا حول...

... ظهري.

ظهري. ليس عنقي. ولم يكن هناك سكين. كان يعانقني. بادلتُه العناق بحذر، ممسكًا بكتفيه. كان هناك الكثير لأتمسك به.

همس في كتفي: «شكرًا لك». جلست مذهولًا، غير متأكد تمامًا إن كنت قد مت بالفعل، وأحاول أن أقرر ما إذا كان الرد بـ«على الرحب والسعة» سيكون لبقًا أو سخيفًا في هذه الظروف. أستنشق الهواء: «أنا متأكد أن لا أحد في هذه العائلة أخبرك أنك فعلت الشيء الصحيح، وأنا آخر من تتوقع أن تسمع منه شيئًا من هذا القبيل».

قال وهو ينظر حول الغرفة: «لوسي كانت تظن أن هذا المكان عقوبة، لكنه مثالي، لأنه مكان آمن».

- آمن من ماذا؟

- أنا لا أثق في أحد منهم. أنت الشخص الوحيد الذي أستطيع التحدث إليه لأنك الوحيد الذي امتلك الشجاعة لمواجهتي في قاعة المحكمة وإدانتي. هذا يعني أنني أعرف أنك ستساعدني على فعل الصواب. أعلم أن الجو حار ومختنق، لكنني أعتقد أنك قد ترغب في التفكير في إغلاق الباب. لأنني أخبرتك بالفعل أنني قتلت آلان عمدًا، ولكن حان الوقت لأخبرك لماذا.

الفصل التاسع عشر

قال مايكل بعدما أغلقت الباب: «لقد قضيت ثلاث سنوات أحاول معرفة كيف سأخبرك بهذا». من الواضح أنه، رغم الوقت، لم يتدرب على افتتاحية: «السجن يمنحك منظورًا مختلفًا؛ كأن كل شيء يظل ثابتًا بينما العالم يدور حولك. يسمح لك بتأمل الأمور. سأكون كاذبًا لو قلت إنني لم أكتسب نوعًا من الفهم الروحي».

لا بدَّ أنني رفعت حاجبَيَّ، لأنه بدأ بالدفاع عن نفسه.

- لا أريد الخوض في فلسفة معنى الحياة، لكن عندما تقتل شخصًا –آسف، **عندما تتخذ قرارًا بقتل شخص ما**- يجب عليك أن توازن الأمور. تفهم، أليس كذلك؟

قلت: «لا أفهم». لأنني لم أفهم. على الرغم من أنني الآن، وأنا أكتب هذا، لدي فكرة أفضل نوعًا ما.

مدّ يده معتذرًا: «لا أعرف كيف أشرح شعوري عندما آذيت آلان. كنت في حالة أشبه بالضباب، كل ما فعلته كان آليًّا. كأنني لم أكن أتحكم فيه حقًّا... أعرف كيف يبدو الأمر، لكنني لا أقدم أعذارًا. أحاول أن أخبرك أنني لا أعرف ما الذي كنت سأفعله لاحقًا. الدمار الذي قد أكون تسببت فيه. الأشخاص الآخرين الذين ربما كنت سأؤذيهم. لقد أمضيت ثلاث سنوات في السجن مع قتلة، إرن. وكنت أعتقد أنني أقتل من أجل...

حسنًا، شيء أكبر مني. ثم وجدت نفسي مع أشخاص يهنئون بعضهم على ما فعلوه، وبعض الأمور التي قتَلوا لأجلها كانت تافهة للغاية».

هز رأسه، وقد بدأ يفقد تركيزه ويشعر بالانزعاج. رمش بضع مرات وأخذ نفسًا ليستعيد هدوءه: «آسف. أحاول أن أتحدث عن قيمة الحياة، تفهمني؟ خذ قضية صوفيا مثلًا. تلك العائلة تقاضي المستشفى بالملايين... لا أتذكر الرقم الذي ذكرته إيرين. المهم، لقد جلسوا حول طاولة مع مجموعة من المحامين وراجعوا الأوراق إلى أن توصلوا إلى رقم. لقد قرروا: «ابننا يساوي هذا القدر».

«الأمر لا يتعلق بصوفيا». فاجأت نفسي بمدى صلابتي في الدفاع عنها، مع أنها كانت تخفي **شيئًا** بقيمة خمسين ألف دولار.

- ليس كذلك. لكنني أحاول فقط أن أوضح لك شيئًا. لقد أمسكت بحياة آلان بين يديّ ووزنت قيمتها. وما الذي يستحقه الأمر بالنسبة لي لإنهاء هذه الحياة.

«لقد قررت أن حياتك أكثر أهمية من حياة آلان». أدركت أن مايكل لم يكن يخبرني بسر كبير، بل كان يروي ما أقنع نفسه به مرات كافية ليتعايش معه. كان يحاول إخباري أن آلان كان **يستحق** أن يموت. لم يكن هناك شيء جديد هنا. اتخذت قراري، وهززت رأسي. لقد استسلمت: «يمكنك أخذ المال. لقد جلبت الحقيبة».

«لا، ليس المال أو شيء من هذا القبيل، بل **القيمة**. إنه شعور غريب أن تعرف قيمة حياة. هذا كل ما أقوله». نظر بحزن لوهلة، مدركًا أنه لم يتمكن من إقناعي. عكست عيناه وهج المصباح الحراري بلمعان شيطاني بعض الشيء. بدا الأمر وكأنه تهديد. كأنه يخبرني بأنه قد وزن بالفعل حياة مقابل حقيبة مال، وأنه لن يتردد في وزن حياتي مقابلها أيضًا. لا أعرف إن كان ذلك من نسج خيالي، لكن الجدار الرمادي من

الثلج عند النافذة فجأة أصبح ضاغطًا بشكل كبير. تخيلت أن ثقل العاصفة في الخارج أصبح ضغط أكثر على الزجاج، كأن العاصفة قد تقتحم الغرفة في أي لحظة وتدفننا. ثم قال: «إنه لأمر غريب أن تدرك أنك أخطأت».

لم أكن متأكدًا إن كان يحاول إخباري أنه غير راضٍ عن السعر الذي حصل عليه، أو السعر الذي دفعه. ولقد أخبرته مسبقًا بذلك، سأعترف، وإن كان بصيغة أقل بلاغة مما قد يبدو عليه هنا.

قال مايكل: «ما أحاول قوله هو أنني تعلمت من أخطائي، وأنني لن أختار العنف مرة أخرى. وما زلت تعتقد أن الأمر يتعلق بالمال؟».

- أليس الأمر كذلك؟

- المال ليس... اسمع، كان يجب أن يكون مالنا منذ البداية، حسنًا؟ لقد متنا من أجله. من حقنا عليهم أن يدفعوا لنا.

مالنا. ها هي العبارة مرة أخرى. لكن من كان الطرف الآخر في نحن؟ أحد أفراد عائلة كانينجهام؟ فتحت فمي لأسأل سؤالًا آخر، لكن عجلة لعبة الروليت في رأسي توقفت عند فكرة.

قال مايك إنها أموالنا في الليلة التي مات فيها آلان. كنت أعتقد أنه يقصد أنه يستحق المال، وأنه قد كسبه، سواء بالسرقة أو القتل، وإنني مرحب بي لأكون جزءًا من هذا. لقد همست إيرين في أذني قبل ساعات فقط: **إنه مال العائلة**. وكنت أظن أنها تعني الشيء ذاته: تؤكد على المطالبة به، أو تدعوني للمشاركة فيه.

لقد كان مايكل وإيرين يخبراني بالحقيقة الواضحة طوال الوقت، لكنني لم أستوعبها. كانا يتحدثان عن الملكية الفعلية.

استطعت أن أتخيل الآن تلك المنطقة الخالية المليئة بشبكات العناكب، ومايكل منحنٍ فوق رجل يلهث. يوازن قراره. يقيم حياة. كل شيء أصبح منطقيًّا، بما في ذلك كيف عرف مايكل المبلغ في الحقيبة دون أن يعده: 267,000 دولارٍ.

حسنًا، سحقًا، لقد قمت بحل شيء ما أخيرًا.

استنتجت: «المال ليس مسروقًا، إنه ملكك. لم تقع في هذا عن طريق المصادفة. أنت تعرف آلان. هل كان يبيعك شيئًا؟».

لمعت عينا مايكل عندما أدرك أنني مستعد للاستماع، حتى وإن لم أصدق قصته بعد. أعلم أن ‹لمعان العينين› تعبير مبتذل، لكنه حقيقي: رغم أن السبب قد يكون تيارًا كهربائيًّا في الأسلاك القديمة للفندق أدى إلى جعل السخانات تشتعل: «أعتقد أن عليَّ أن أخبرك عن آلان هولتون، إذًا. وكيف كان يعرف أبي».

لقد تفاجأت. كنت سعيدًا لأنني أغلقت الباب.

- أبي كان يعرف آلان؟

أومأ مايكل بصدق: «ما سأخبرك به الآن سيبدو... حسنًا، سيبدو غريبًا. استمع لي، حسنًا؟».

أخذ صمتي كإشارة للموافقة واستمر: «هولتون كان شرطيًّا».

شعرت بحاجة إلى إنزال حاجبيَّ من على جبيني بأطراف أصابعي، لكنني قاومت: «شرطي؟».

- سابق.

«من الواضح. إنه سابق في كل شيء، أليس كذلك؟». علمت أن تعليقي كان صبيانيًّا؛ لكنه خرج مني بينما كنت أحاول استيعاب كل

شيء: «هذا غير منطقي. لا يمكن أن يُحكم عليك بثلاث سنوات فقط لقتلك شرطيًّا؟».

- لا، أعني، لم يكن شرطيًّا عندما... في تلك الليلة. كان شرطيًّا سابقًا. تعرض لما يمكن أن نقول إنه- أدار أصابعه بحركة دائرية- وقع في الخطأ. لقد وقع بقوة. وهكذا انتهى به المطاف يتنقل من وظيفة تافهة إلى أخرى، ويجمع قوت يومه ببيع التحف المستعملة. كان تاجر مخدرات بدوام جزئي؛ لصًّا بدوام جزئي؛ ومشردًا بدوام جزئي. وكان مصدر خطر بدوام كامل. تمكن مارسيلو من تصويره على أنه مجرم حقير لأن فترة عمل آلان في الشرطة... لم تكن مثالًا يُحتذى به في النبل. في الواقع، هذا هو السبب في أن النيابة العامة قبلت بالاتفاق الذي يقضي بثلاث سنوات، لأنه لو اضطر مارسيلو إلى عرض ذلك التاريخ في المحكمة – حسنًا، هناك أشخاص يفضلون ألا يُذاع هذا. «كان هذا منطقيًّا». مارسيلو لوَّح بماضي آلان أمام القاضي خلف الأبواب المغلقة، وقبلت النيابة بالاتفاق. ثلاث سنوات. هل تتابع؟

- نوعًا ما. باستثناء ما علاقة هذا بأبي؟

- سأصل لذلك.

- الثلج يذوب. سمعت أنه يجب أن تدفع لي كل ست دقائق. بالنظر إلى أنني المحامي الآن.

- أعتقد أنني دفعت مقدمًا، إرن.

لم يكن لدي ما أقوله ردًّا على ذلك. الردود الذكية لا تدعمها الحقيقة.

أخذ مايكل رشفة من الكولا، تقطب جبينه، ربما بسبب طعم الأقدام الذي امتصته العلبة المفتوحة، ثم تابع: «إذًا، آلان تواصل معي. فجأة، تفهم؟ لم أكن أسعى إلى المشكلات. قال إنه يملك شيئًا **أريده**. وأنه

سيبيعه لي. قال إنه تحدث معك أيضًا، في الواقع. لهذا السبب أحضرته إلى بابك في تلك الليلة. اعتقدت أنه إذا قال لك ما قاله لي، فقد... تفهم ما حدث».

تراجعت إلى الخلف في مقعدي: «ربما قال ذلك ليجعلك تصدقه. لكنني لست جزءًا في أي من هذا. لم أقابله قطُّ».

هز مايكل كتفيه. «نعم ولا». وكأن معرفتي بمن قابلت ومن لم أقابل كانت مجرد مسألة رأي. قبل أن أتمكن من المجادلة، واصل حديثه: «أدركت أنه لم يتواصل معك. بالطبع أدركت هذا، صدمتك وارتباكك في ذلك الصباح، ناهيك بأنك لم تغير شهادتك بعد أن عرفت اسمه، كشفا ذلك. لكنك قد قابلته».

هممت بالرد عليه، لكنه انحنى إلى الأمام، وبإصبع واحدة ضغط على ثلاثة أجزاء من جسدي: بطني، ووركي، ووسط صدري. فعل ذلك ببطء، بإيقاع منتظم، كل نغزة كانت بمنزلة نبضة. استطعت أن أسمع إيقاع كلماتٍ قد تذكرتها في رأسي، تتماشى مع حركاته، دون أن يحتاج إلى قولها.

سأريكِ أين أطلقت النار عليه. هنا، هنا، وهنا.

الفصل العشرون

تنهدت: «لقد أمضيت معظم حياتي محاولًا أن أنسى أبي». كنت أحاول بسرعة ترتيب كل ما كان يقوله مايكل لي، والبحث عن الحقيقة في الوقت نفسه. لقد كنت جاهلًا عن عمد بالظروف المحيطة بوفاة أبي؛ لم أشعر قطُّ بأنه يستحق اهتمامي بعد ما فعله أو كيف مات. لا يوجد أي مجد في الموت في تبادل لإطلاق النار مع الشرطة. لم تكن وفاة شجاعة، أو وفاة تستحق الفخر. كانت وفاة تستحق النسيان. لهذا السبب لم يظهر اسم آلان كإشارة تنبيه في عقلي في أثناء محاكمة مايكل. ومع إقناع مارسيلو للمحكمة بقبول التماس مبكر وبالتالي كتم تاريخ آلان السيئ، ربما لم أكن لأعرف شيئًا مختلفًا. دفعت ذاكرتي في محاولة لتذكر الرجل الواقف أمام أمي، وهو يلطخ الكريمة على فستانها. هل رأيت دبوسًا مطليًّا بالذهب يحمل اسم هولتون أم إن تلك اللمحة من ذاكرتي كانت مجرد بناء في ذهني بفعل المعلومات التي أخبرني بها مايكل للتو؟ هل كان هذا، كما قلت له سابقًا، من تلك اللحظات التي أفقد فيها التمييز بين الأجزاء الحقيقية والأجزاء التي أضيفها بنفسي؟ أعتذر؛ فهذا ليس تصرفًا يقوم به راوٍ موثوق. هل كان ضباط الشرطة يرتدون لوحات أسماء حقًّا؟

دفعت كل هذه الأفكار جانبًا وقلت، لأثير دهشة مايكل: «هذا لا يغير شيئًا. هذا لا يعني أن لك الحق في فعل ما فعلته بآلان. ولا يجعل ما فعله

آلان بأبي صحيحًا. لكن» -كنت أدرك أنني أختار جانبًا غير جانب عائلة كانينجهام، كنت متعاطفًا مع العدو- «أبي كان مجرمًا، لقد قُبض عليه في عملية سرقة، لقد أطلق النار على رقبة شريك آلان وقتها. إذا كان هولتون كما تقول، فلقد كان يدافع عن نفسه فقط».

قال مايكل: «لن أنكر ذلك. لكن فكر في الأمر. هل نشأنا أغنياء؟ هل كان أبي يقود سيارة لامعة؟ هل كانت أمي ترتدي مجوهرات باهظة؟ لم نكن منغمسين في حياة الجريمة. أبي خرق القانون ليطعمنا، ليهتم بنا. لا أقول إن هذا صحيح، لكنه لم يفعل ذلك ليملأ جيبه. لم يكن ليفعل».

قلت: «هذه نظرة إيجابية للغاية عن والدنا».

«فقط استمع إلى الطريقة التي أخبرني بها هولتون. وأنا أعلم إنها حقيقة، لأنه من سيكذب وهو يطلق أنفاسه الأخيرة؟». كان بوسعي رؤية مايكل وهو محبط لعدم تهنئتي له بعد معرفتي أن آلان هو من أطلق النار على والدنا. كان يعلم أنه لا يزال بحاجة إلى كسب صفي. تناول شرابه، تذكر الطعم، ووضع العلبة جانبًا دون أن يحتسي منها، ثم بلع بعض اللعاب ليبلل حلقه: «وجد أبي نفسه مع مجموعة. كلمة عصابة ليست التعبير المناسب تمامًا. زملاء؟ (ضحك). كانوا يسمون أنفسهم السابرز. كما تعلم، إنه اسم كناية عن سيف الناب. تلك المجموعة بدأت تنمو قليلًا، وتغيرت الأولويات. تحولوا من لصوص يتاجرون أحيانًا إلى تجار يسرقون أحيانًا. مواد أقوى أيضًا. ومع ذلك، زاد العنف، وازدادت الصرامة. وقرر أحدهم أن الفديات تدرّ أموالًا أكثر من السرقات أو المخدرات. أبي وضع خطًّا ولم يكن مستعدًا لتجاوزه، وعندما بدأ السابرز بتجاوزه...».

بينما كان يقول هذا، عادت لذهني كلمات قالتها لي أمي في المكتبة:

كان شخصًا سيئًا يعتقد أنه جيد – هذا ما ورطه في المشكلات.

قاطعته: «أبي خانهم؟». لو كنا في المكتبة، لأصبحت المكان الأنسب لاستنتاجات عظيمة كهذه.

أومأ مايكل برأسه: «لقد عقد صفقة سيزودهم بالمعلومات، وفي المقابل سيتهاونون معه عندما يسقط بقية رفاقه. رأى ذلك كفرصة للخروج. تعرف كيف تتم الأمور في مثل هذه الحالات –يتغاضون عن النحل العامل ليصلوا إلى الملكة. أبي كان صغيرًا في هذه الجماعة. كان يساعدهم للوصول إلى قادة العصابة. لكن، الأهم من ذلك، كانوا يريدون الشرطة الفاسدة». توقف ليعطيني فرصة لاستيعاب الأمر: «وفاة أبي لم تكن نتيجة سرقة فاشلة. كانوا قادمين لأجله».

تذكرتُ لقد أخبرتني أودري أن والدي لم يكن مدمنًا.

ربما وضع هولتون الحقنة ليجعل السرقة تبدو أكثر إقناعًا. فمدمن المخدرات، في نهاية الأمر، من المرجح أن يطلق النار على سيارة الشرطة دون استفزاز. إذا كان والدي على وشك فضح هولتون وشريكه، فإن ذلك يبدو منطقيًّا.

- من المؤسف أنه لم يربط أحد اسم هولتون بجريمة كبيرة كالقتل، لكن في النهاية أوقعته تصرفاته. كان يسرق الكوكايين من غرفة الأدلة، ويتلقى الرشاوى. هناك حدٌّ لعدد المرات التي يمكن أن يطلب فيها أحدهم من الآخرين أن يغضوا الطرف. كان ذلك واضحًا، لكنني تركته يقول ما يريد. «لقد قضى بعض الوقت في السجن، وبعدها أصبح كل شيء عن ماضيه طي الكتمان، لأنه لا يعطي صورة جيدة للشرطة، أتفهم؟».

بصراحة، شعرت **بالإغراء** لتصديقه. ليس من أجل تبرئة والدي، بل لأن الأمر بدا وكأنه يفسر الكثير من كلام والدتي. إذا كان هذا صحيحًا، فهذا يعني أن أودري لم تكن فقط لا تثق بالشرطة لأنها تعتقد أن

السيئين منهم قتلوا زوجها. بل كانت تعتقد أن الجيدين، الذين وعدوا والدي بمخرج، هم من تسببوا في مقتله. خيانتي كانت واضحة: اخترت الوقوف إلى جانب القانون، تمامًا مثل والدي، وقد فشل في حمايتنا.

ومع ذلك، بدا الأمر وكأنه قصة مترابطة بشكل مفرط. قصة استغرق مايكل ثلاث سنوات ليصنعها خصيصًا لي.

لم أتمكن من إخفاء الشك في صوتي. لقد كان اعترافًا مُدينًا للغاية: «هل أخبرك هولتون بكل هذا؟ هذا قدر كبير من الكلام لشخص أصيب برصاصة في الرئة».

«كان صامتًا قبل أن يتلقى الرصاصة، ثم أصبح ثرثارًا بعدها. علاوة على ذلك، لم يخبرني بكل شيء. معظم ما عرفته عن الآن اكتشفته من آخرين في السجن. كلهم كانوا يعرفونه. نصفهم تعرضوا للخداع من متجره للرهونات، الذي كان معروفًا ببيع البضائع المسروقة، بالمناسبة - إذا كنت تريد تصريف شيء مسروق في سيدني، أؤكد لك أنه يصل إلى آلان. والنصف الآخر كان يطالبونه بالمال. صافحوني، إرن. كأنني قدمت لهم خدمة. تقطب جبينه، كان واضحًا أن هذا التضامن بين السجناء الآخرين هو ما كان يطارد ذكرياته، ربما أكثر من فعل القتل نفسه.

أغمضت عينيّ، متخيلًا المشهد في تلك الساحة البيضاء الشاحبة المتشابكة. **سأذهب لأطمئن عليه.** مايكل بظهره لي، كتفاه منحنيتان وذراعاه الممدودتان تختفيان بين الشباك. **يمكننا دفنه الآن.**

«عندما استيقظ آلان في الساحة الفارغة، وذهبت لتتأكد إن كان بخير. كان ذلك عندما اتخذت قرارك، أليس كذلك؟».

بقي مايكل في ذكرياته، يتحدث وكأنه في حالة غياب:

- لقد قضيت وقتًا طويلًا ألومه، هل تصدق ذلك؟ لأنني شعرت وكأنني عدت لوعيي في تلك اللحظة. وربما لو لم يقل شيئًا، كنت

سأضعه في السيارة. ربما كنت سأستمع لك. كان هناك دم على شفتيه، أتذكر ذلك. كان الدم عالقًا بينهما وهو يتكلم، كجسور صغيرة حمراء. لا أعرف لماذا أخبرني هولتون عن إطلاق النار على أبي في ذلك الوقت. ربما أراد إهانة أخيرة قبل أن يموت. ربما كان يختبرني، ليرى إن كنت سأفعلها. ربما كان يريدني أن أفعلها». ثم تجعَّد أنفه «آسف. هذا ما يسميه طبيب السجن النفسي ‹تحمل المسؤولية المؤجلة›. لا ينبغي أن أفعل ذلك.

- إذًا عندما أخبرك أنه قتل أبي، فقدت أعصابك وأتممت الأمر؟

أومأ مايكل بجدية، كان ينظر إلى يديه، ربما يتخيلهما حول عنق آلان. «لم أذهب هناك لأقتله. لم أكن أعرف أيًّا من ذلك حتى النهاية. كان يبيع لي شيئًا مات أبي من أجله. يبيع شخصًا آخر».

فكرت مجددًا في المال. لقد متنا من أجله. وكانت «نحن» تعني كانينجهام في النهاية: والدنا، روبرت. «لكن بمجرد أن اكتشفت أن والدنا مات بسبب آلان، شعرت أن ما كان لديه، مهما كانت قيمته، هو حق لك. إرث. لذا أطلقت النار عليه وأخذته. واستعدت أموالك».

«لم يحدث الأمر هكذا. كان الأمر يتعلق بالمال، نعم، لكن ليس بهذه الطريقة. أحضرت ما استطعت، لكنه كان أقل مما أراد. لقد أخفقت. ظننت أنه لن يلاحظ». هز رأسه بحزن، بالطريقة التي يهز بها الناس رؤوسهم في غرف انتظار المستشفيات. تلك الهزة التي تقول ‹لو› إلى اليسار و ‹فقط› إلى اليمين. «أخرج مسدسًا وصوبه نحوي. لا أملك واحدًا - يعني، بحقك. تشاجرنا عليه، وانطلقت رصاصة. كان هو من يمسكه؛ لا أعرف حقًّا كيف حدث ذلك. لم أطلق النار من قبل. ثم كان يجلس على الأرض، والدماء تتدفق بجانبه. أنا فقط... حسنًا، تركته هناك. رميت المسدس في بالوعة صرف. ولكن بحلول الوقت الذي عدت فيه لسيارتي وهدأت بما

يكفي لتشغيلها، كان قد تمكن من التحرك مجددًا. لا أتذكر إذا كنت أقصد أن أدهسه أو إذا كان قد قفز في طريقي، لكن انتهى به المطاف تحت غطاء السيارة. وبعدها لم يتحرك. حدث هذا عندما اتصلت بك».

مئتان وسبعة وستون كان دائمًا رقمًا غريبًا. حقيقة أنه لم يكن كافيًا أصبحت فجأة منطقية.

- أراد الآن ثلاثمئة؟

تردد، وكأنه يشعر بالحرج: «كان أفضل ما استطعت توفيره. لوسي... لقد أخطأت، حسنًا؟ لم أجلب ما يكفي».

«كيف لم تلاحظ لوسي؟». تردد شيء مما قاله في تلك الليلة في ذهني: **لوسي ستعرف.** كنت أظن أنه كان يخفي أمرًا شربه، لكن ربما كان يخفي شيئًا أكبر.

رمش بعينيه، «لوسي ليست...». وكأنه سعيد بأن يكون صريحًا بشأن تلك الليلة، ولكن ليس صريحًا لدرجة الغوص عميقًا في حياته الشخصية: «لوسي ليست جيدة في التعامل مع المال. عملها، أو ما يُعتبر عملًا، أصبح مشكلة. كالغربال. كاثرين قالت لي إن من ألطف الأشياء التي يمكن أن تفعلها لشخص هو أن تقطع عنه الدعم. حاولت ذلك، لكن زاد هذا الأمور سوءًا. ظننت أنني أستطيع مساعدتها».

- هل تعرف لوسي بالأمر الآن؟

- لا أعتقد ذلك. الحقيبة معك. لكن **من الممكن** أن تعرف، ولو كانت تعرف، فهي لن تتحدث.

- ما الشيء الذي يستحق هذا القدر من المال؟

- قلت لك –معلومات. وهي تساوي أكثر من ذلك بكثير بعد أن أتيحت لي الفرصة للتفكير في الأمر.

- المعلومات نفسها التي كانت تستحق أن يقتل أبي لأجلها قبل عقود؟ السبب الذي يجعلك تعتقد أنك أكثر أمانًا هنا من خارج السجن؟ إذا كانت خطيرة لهذه الدرجة، لماذا أردت الحصول عليها؟

«قلت لك، لوسي وضعتنا في حفرة. لم يكن بإمكان آلان بيع ما لديه مباشرةً، لذا أراد شخصًا آخر ليقوم بذلك نيابة عنه؛ وأنا وجدت نفسي في الوسط». تذكرت أنني تساءلت مع نفسي عما إذا كان أي شخص في عائلتي قادرًا على سداد ديونه. بدأ مايكل في الانزعاج، فبدأ في البحث في كل جيوبه، وهو يتمتم في أثناء ذلك: «بصراحة، لم أدرك أنني كنت أفعل شيئًا خطيرًا إلى هذه الدرجة. كل ما كنت أعرفه هو أن هولتون حصل عليهم من أبي. لم أكن أعلم أنه كان **متورطًا** بهذه الطريقة. من ناحية أخرى، لا أظن أنه كان يعتبرني تهديدًا كبيرًا أيضًا، لذا ارتكب جميعنا أخطاءً».

- ماذا تعني بـ ‹عليهم› بصيغة الجمع؟ ولمن كنت تبيع؟

«سيكون الأمر أسهل إذا أريتك...» بدأ مايكل يبحث في جيوبه وبنطاله. أخرج علبة عدسات لاصقة (لم أكن أعلم أن مايكل بحاجة إلى نظارات، لكن ربما مع الجدران القريبة في السجن أصبح قصير النظر)، وكرات صغيرة من الوبر، وورقة تغليف شوكولاتة، وقلمًا، ومجموعة من المفاتيح. لم يكن هناك سكين. أيًّا كان الشيء الذي يبحث عنه فلم يكن هناك.

لم يستطع إخفاء خيبة أمله: «تبًّا، أين هذا الشيء اللعين؟ سأضطر إلى أن أريك إياه لاحقًا».

«لقد كنت تشرب. في تلك الليلة». خطر ذلك ببالي، لكنني نطقت به دون قصد. قلتها بسرعة. شكوكي كانت واضحة جدًّا. رفع مايكل رأسه بسرعة، ورأيت شيئًا في عينيه أخافني. وتساءلت إن كان هذا آخر ما رآه هولتون.

ضحك، لكنها كانت ضحكة حزينة وبطيئة: «مجرد دفعة شجاعة بسيطة –كنت متحكمًا في نفسي. كنت أعلم أنك لن تصدقني».

حاولت الحفاظ على صوتي هادئًا: «**أصدقك**؟ لقد جلست في السيارة لأنني صدقتك. أنا شريكك في الجريمة لأنني صدقتك».

- اسمع...
- لا أعلم. هذه القصص عن أبي... أيًّا كان ما كنت تشتريه أو تسرقه من آلان، وليس لديك شيء لتظهره...
- ...اسمع.
- ... لقد كذب عليك بشأن حديثه معي، أيًّا كان ما جعلك تعتقده...

«**اسمعني**!». كان صوت مايكل عاليًا في الغرفة الصغيرة لدرجة أنني كدت أسقط من على الكرسي.

وقفت. سرت إلى الخلف باتجاه الباب. لاحظ مايكل أنني كنت خائفًا منه، تغيرت نظرة عيناه من الغضب إلى نظرة خبيثة، مثل الكلب المعاقب. وقف أيضًا، ومد يده في محاولة لإيقافي.

كان صوته أهدأ، لكنني استطعت أن ألاحظ أنه كان يبذل جهدًا كبيرًا: «لا بدَّ أنه كان يعلم ما الذي سأفعله به. بعد كل ما قاله». كل كلمة كانت مثل انزلاق سيارة على طريق مبتل، يحاول السيطرة على المقود: «الرجال في لحظاتهم الأخيرة لا يكذبون، إرن، بل يعبرون عن أرواحهم. أتمنى لو أستطيع أن أريك...». قطع كلامه في منتصف الجملة، ثم تراجع، وأخرج مجموعة من المفاتيح من جيبه: «هذا لا يقودنا إلى شيء. إذا كنت لا تصدق كلماتي، فلتتحقق بنفسك. ثم سأخبرك بالباقي».

رمى لي المفاتيح. أمسكت بها مقابلًا لصدري. **اسأله ما الذي يوجد حقًّا في الشاحنة اللعينة**. وبينما كنت أفكر في كلماتها، سمعت صوت

صوفيا الحقيقي عبر الباب. بدا صوتها يائسًا، لكنني لم أستطع تمييز الكلمات. اهتز الباب؛ كان طرقها دراميًّا بشكل غير ضروري بالنسبة إلى باب لا يمكننا قفله، لكنها ربما حاولت أن تكون مهذبة. أيًّا كان ما أرادت صوفيا أن تخبرني به يمكنه الانتظار- لم أنته بعد مع مايكل. تجاهلت طرق الباب.

- فقط أخبرني. هل تعرف أي شيء عما يحدث بالخارج؟ هل تعني لك أسماء مارك وجانين ويليامز، أو أليسون همفريز أي شيء؟

هزّ رأسه: «همفريز...لا. لكن ويليامز... يعتمد على ما إذا كانوا من بريزبن». انحنيت إلى الأمام باهتمام لدرجة أنني كدت أسقط من على الكرسي. استمتع مايكل بتركيزي عليه: «في بداية سجني، وصلتني رسالة من شخصين يُدعيان إم وجاي ويليامز، بعنوان صندوق بريد في بريزبن. بحلول ذلك الوقت كنت قد أدركت أن ما أملكه، كما قلت، يستحق أكثر مما كنت أظنه. الكثير من الناس أرادوه. ومن كتب لي تلك الرسالة... يستحقون الفضل لكونهم الأكثر إبداعًا. أظن أنهم حاولوا تهديدي».

- كيف؟

قال بنصف ابتسامة: «وقعوا باسم واضح التزييف. لكن، كما قلت، كانوا يحاولون فقط إثارة أعصابي، تخويفي. لم أرد عليهم قطٌّ. لماذا؟».

- أعتقد أن مارك وجانين ويليامز قد قُتلا على يد الشخص نفسه الذي قتل الجثة المتجمدة. يبدو أن الطريقة متشابهة، لكنني بحاجة إلى التحقيق مع صوفيا. من الصعب أن تكون مجرد مصادفة أن يموت رجل في **هذا** الأسبوع وجميعنا هنا...

- ... وأنا قادم إلى هنا بما أحضرته. أتفق معك. يجب أن تكون هناك صلة. فقط انظر في الشاحنة، وسترى.

وقفت: «أين كنت الليلة الماضية؟». لم أستطع المغادرة دون أن أسأل.

- افتح الشاحنة – وستعرف الإجابة أيضًا.

قلت: «يجب أن يكون هناك شيء مجنون بداخلها، مثل مركبة فضائية».

اهتز الباب مجددًا بسبب الطرق عليه. نظرت إليه. أومأ مايكل برأسه، وكرهت نفسي عندما أدركت أنني توقفت منتظرًا إذنه للمغادرة.

«لقد أسقطت شيئًا». نظر إلى الأرض بجوار كرسيي، حيث كانت ورقة صغيرة مربعة قد سقطت من جيبي. احمرَّت وجنتاي من الإحراج. التقط مايكل الورقة، قرأها وابتسم ابتسامة ساخرة.

سألني: «صوفيا؟». أومأت برأسي. «لقد فاتتك واحدة».

التقط مايكل قلمه، ونظر إليَّ للحظة كما لو كان يقرر ما إذا كان سيفسد الورقة أم لا. ثم وضعها مسطحة على الطاولة، وانحنى فوقها ورسم بعض الخطوط. لم أتمكن من رؤية ما كان يكتبه؛ فقد كان جسده يحجب رؤيتي، لكن الأمر استغرق بعض الوقت. كان إما يكتب الكثير وإمَّا يفكر بعمق في كتابة شيء صغير جدًّا. بدأت أتحرك بعصبية، ونظرت مجددًا نحو الباب. كان بإمكاني سماع صوتين في الخارج الآن.

عندما انتهى مايكل، رفع جسده ونفخ على الورقة، وضغط عليها بإبهامه ليتأكد من جفاف الحبر. أدركت لما استغرق وقتًا؛ فقد كانت علبة عدساته مفتوحة على الطاولة، لا بدَّ أنه استعملها ليتمكن من الكتابة بشكل أفضل. ثم عبر الغرفة (أخجل أن أعترف أن نبضات قلبي ارتفعت إلى عنقي بينما كان يفعل ذلك) وسلم لي بطاقة البينجو. انتزعتها من يده وتفحصتها. شعرت بامتلاك غريب تجاه مربعات البينجو الخاصة بي، وكأنه اقتحم بطريقة ما لعبتي الخاصة مع صوفيا، لذا أردت أن أقيّم الضرر. استغرق وقتًا طويلًا فكنت متأكدة من أنه فعل أكثر من ذلك، لكن ما حدث كان مجرد تغيير واحد فقط. شطب مربع «**يموت شخص ما**».

«لا تفقدها. أنا أثق بك. لا أطلب منك أن تصدقني، فقط أطلب منك النظر بتمعن». نظرت إلى المفاتيح في يدي الأخرى، متسائلًا عما سأراه في الشاحنة. النظر بتمعن. ثم أدركت أنه كان يقف قريبًا بما يكفي ليعترف باعتراف عميق وحميم، الاعتراف الذي كنت أحاول تجنبه أكثر من أي شيء. ابتلع ريقه: «وأيضًا، بخصوص إيرين...».

حاولت إيقافه: «لا تفعل...».

لكنه قاطع كلماتي: «لم نخطط لحدوث ذلك أو أي شيء من هذا القبيل».

لم أستطع مقاومة الإغراء. لدي مشكلة في التطفل على غرف فنادق الآخرين: «هل أخبرتك أننا كنا نحاول تكوين عائلة؟ هل أخبرتك عن الأطباء، والعيادات؟ وعن الشيء الذي دمرنا؟ أخبرني أن الأمر لا يتعلق بذلك فقط. كان بإمكاني أن أقدم لها ما كانت تريده. أخبرني أن الأمر يتجاوز ذلك».

- إرن...

استعدت رشدي: «لقد غيرت رأيي. لا أريد أن أعرف. على أي حال، أنفقت جزءًا كبيرًا من مالك». (لم أنفق الكثير حقًّا. ولم أكن فخورًا بذلك. أردت فقط أن تكون لي الكلمة المستفزة الأخيرة) «أعتقد أنني لم أخطط لذلك أيضًا».

على الجانب الآخر من الباب، كان كروفورد وصوفيا. لم يرفعا أكواب الماء إلى الباب الخشبي للتنصت، لكنهما وقفا بفضولٍ قلقٍ حوله. كنت ممتنًا لقفل المطاط الذي ساعد في عزل الصوت، مما يعني أنهما على الأرجح تقريبًا لم يسمعا شيئًا. باستثناء ربما صراخ مايكل. ربما هذا هو سبب بدء طرقهم على الباب.

صنعت صوفيا وجهًا كأنه يحمل التعبير أخيرًا وسحبت ذراعي باتجاه مدخل بيت الضيافة، وأخبرتني أنها ستشرح لي في الطريق. انطلقت متوقعةً أن أتبعها. أما كروفورد، فقد أعاد المزلاج إلى مكانه وجلس بجانب الباب، ومن الواضح أنه كان غير مبالٍ أو غير مطلع على حالة الطوارئ الخاصة بصوفيا.

قبل أن أتحرك خلفها، أخذت ثانية لاستنشاق الهواء النقي. قطرات العرق على رقبتي التي تشكلت في غرفة التجفيف برّدت بشرتي. قال مايكل الكثير ولم أكن متأكدًا ما الذي يتوجب عليَّ تصديقه، لكنني بدأت أتقبل أنه لا يمثل خطرًا. بالطبع، بدأت أشك في أنه قد جلب الخطر معه. ولكن لا شيء كان منطقيًّا بعد. خطوتي التالية كانت بسيطة. إذا كان، كما وعد، أيًّا كان ما في الجزء الخلفي من شاحنته يمكن أن يوضح مكانه الليلة الماضية، فلا يجب أن يبقى في غرفة التجفيف فترة أطول. بعد أن قضيت نصف ساعة هناك، أصبحت أكثر حماسًا لإنقاذه من هذا المكان. بعدها، يمكننا التعامل مع بقية الأمور معًا.

تبعت صوفيا، طويت بطاقة البينجو لإخفائها بشكل أفضل في سترتي في أثناء المشي. فكرت في أن كاثرين قد لا تجدها ظريفة إذا سقطت أمامها بالمصادفة في المرة القادمة. بينما كنت أثبت الطية، لاحظت أن هناك خربشة أخرى. الحبر كان طازجًا وبه بريق. لقد شطب مايكل كلمة في أحد المربعات واستبدلها بأخرى. سيُسعد المحرر أن مايكل أضاف أيضًا علامات ترقيم. أصبحت الآن تقول:

إرنست يُفسد يُصلح شيئًا.

الفصل الحادي والعشرون

عندما نظرت إلى تعديل مايكل على بطاقة البينجو الخاصة بي، شعرت بفيض من المودة الأخوية، تمامًا كما أشعر الآن وأنا أكتب هذا. وبما أنه يغمرني هذا الشعور، آمل أن تسمح لي بانحراف بسيط لأقدم لك المزيد عن خلفية والدتنا. كنت بصراحة سأضيف هذا في وقتٍ سابق، لكنني خشيت أن تؤدي إضافة قصة أخرى إلى تأخير لم شملنا أنا ومايكل في غرفة التجفيف، مما قد يجعلك تلقي الكتاب على الحائط. وسيكون هذا عادلًا.

لأروي لك القصة بشكل صحيح، سأحتاج إلى سرد الجزء التالي باستخدام أحداث لم أشهدها، ومن خلال وجهات نظر يمكنني فقط أن أخمنها. سأخبرك بهذه الأشياء كحقائق. حتى لو اضطررت إلى إعادة بناء ألوان معاطف الناس أو أحاديثهم العابرة عن الطقس (في الواقع، أتذكر الطقس، لذا لست بحاجة إلى تأليفه: كان يومًا صيفيًّا حارقًا)، فهذه تسوية تستحق العناء. نسختي من الأحداث لن تكون مفيدة كثيرًا، ليس فقط بسبب ذكريات الطفولة المتقطعة، ولكن أيضًا لأنني كنت محدودًا جغرافيًّا في ذلك اليوم. وأخشى أنه إذا رويت جانبي فقط، فستحكم على والدتي بسرعة.

إذًا: ذلك اليوم. إنه يوم مهم. هناك وفاة. إنه اليوم الذي أطلقت فيه والدتي النار على شخص ما. اليوم الذي حصلت فيه على الندبة بجانب

عينها اليمنى. اليوم الذي حصلت فيه على ‹خطوط كانينجهام›، إن جاز التعبير.

مرت أشهر بعد وفاة والدي. لكنك لم تعرف ذلك.

أمي لا تقبل بأي هراء، لا من أبنائها، ولا من الكون نفسه. سبق أن ذكرت أنني كنت أقيس وجود والدي بالفراغات التي يتركها. وحاليًا لقد ترك فراغه الأكبر حتى الآن، لكن لم يكن لدينا وقت لنلاحظه. كانت والدتي تسعى إلى إبقائنا منشغلين: تضاعفت أنشطتنا اللامدرسية وكأننا نستعد للتقديم في جامعة هارفارد. سدت كل ثغرة في الجدول. ذات مرة حصلت على قصة شعر في يومين متتاليين. كان علينا الانضمام إلى فرق رياضية (حيث كنا نمزح بالأدوات أكثر من ممارستنا الرياضة، نظرًا لأعمارنا) وكأننا كنا معجزات محتملة. أنا كنت أسبح. جيريمي يلعب التنس. أما مايكل، فاختار البيانو بدلًا من الرياضة (والآن **هو** الذي يمتلك الكتفين). كنا نحن الثلاثة نذهب إلى تدريبات بعضنا: نجلس على كرسي الحكم، نرسم على السبورة، نُرخي أقدامنا في المسبح. كنا نتنقل في أنحاء البلدة معًا، بثمانية أيادٍ. وكان لهذا غرض مزدوج: التوفير في تكلفة جليسة الأطفال وإبقاؤنا منشغلين. كانت أمي تحاول إجبارنا على الشعور بأن الأمور طبيعية. لم نتحدث عن والدي، لم نتوقف لنرى ما إذا كانت الحياة قد تكون مختلفة، بل كنا نواصل الحياة بلا توقف. قليل من الأصدقاء تجرأوا على إحضار طعام كسرولة أو لازانيا بعد أن تم تقديم محاولاتهم الأولى كطعام للقط. ولد في صفي، ناثان، حصل على بضعة أسابيع إجازة من المدرسة عندما توفي والده بسبب السرطان. ذكرت ذلك مرة، واضطررت إلى الانضمام إلى كشافة جوي سكوت [1] الصغار.

(1) هو برنامج تدريبي للفتيان والفتيات الذين تتراوح أعمارهم بين 5 إلى 7 سنوات وتديره جمعية الكشافة الأسترالية. (المترجمة)

على الرغم من أن إجبار أطفالك على كبت الصدمة هو أسلوب تربية مشكوك فيه، فإنه نجح نوعًا ما. لكنني أعتقد أن والدتنا وجدت أيضًا بعض الراحة في روتيننا الجديد والمزدحم. كانت تربطنا في السيارة، مع ثلاثة مقاعد أطفال مرتبة بجانب بعضها كما في المسلسلات الهزلية لقناة ديزني، ثم تأخذنا إلى المدرسة، وتذهب إلى العمل، ثم تعود لتقُلنا وتذهب بنا إلى أحد أنشطتنا. لم نوجد قطُّ في المنزل. كنا نحاول الهروب من حزننا.

عندما أنظر إلى الوراء، بعد أن مررت بتجربة صادمة مرة أخرى كشخص بالغ (**اذهب وانتظر في السيارة**)، أستطيع رؤية جانب آخر من تصرفات والدتي حينها. أعرف الآن أنه في الأشهر التي تلي حدثًا مدمرًا كهذا، يبدو كل شيء كأنه يحدث وأنت تسير خلال نومك. تصبح الحياة بمنزلة إنجاز روتيني ممل حيث تشعر أن كل خطوة، حتى الذهاب إلى السوبر ماركت، وكأنك تجر أطرافك خلال هواء ثقيل مثل هواء «غرفة التجفيف». تبدأ في الشعور أن كل مهمة بسيطة تشبه اتخاذ القرار، وهذا يصبح مرهقًا لدرجة أن المطاف ينتهي بك وأنت غير قادر على اتخاذ القرار تجاه أي منها. تجد نفسك في المطبخ دون أن تعرف لماذا دخلت إليه. أو تأخذنا إلى دروس السباحة يوم الثلاثاء بدلًا من التنس. أو تجعلنا نحصل على قصتّي شعر، ليس لأنك مشغول، بل لأنك نسيت أننا ذهبنا بالأمس. كان روتيننا يهدف إلى إبقائنا منشغلين، بالتأكيد، لكن التكرار كان عزاءً أمام عبء اتخاذ القرارات. عبء، كما أدركت الآن، كانت تحمله والدتنا بصعوبة.

كل شيء يسير وفق الروتين في ذلك اليوم. الإفطار كان بلا أحداث تذكر. أودري تربطنا في السيارة، تتجاوز كل الإشارات الخضراء في الطريق وتصل إلى البنك قبل الموعد بخمس دقائق، مما يتيح لها إعداد

قهوة وإجراء محادثة سريعة مع مديرها، الذي سأتخيل أنه كان يرتدي معطفًا أزرق وربطة عنق خضراء ويريد التحدث عن الطقس.

والدتي تنقلت بين أدوار مختلفة في القطاع المصرفي منذ ذلك الحين، وتقاعدت وهي في منصبٍ رفيع، لكن في هذا اليوم كانت تعمل كموظفة صرافة. كان ذلك في التسعينيات، عندما كانت البنوك تحتوي على جيش كامل من الشابات المرتديات الأوشحة خلف نوافذ زجاجية، بدلًا من خريج جامعة يرتدي بدلة ويحمل جهاز آيباد ويمتلك الجرأة ليجعلك تقوم بكل شيء بنفسك. لقد كان البنك لطيفًا مع أمي، كما علمت لاحقًا. كانوا متسامحين مع سمعة أبي السيئة؛ فعادةً ما كان هذا يعني أنها لن تتمكن من العمل هناك، لكنهم سمحوا لها بالاحتفاظ بوظيفتها بعد أن أصبحت أفعاله معروفة بعد وفاته. كانوا أيضًا متعاطفين مع بعض الأخطاء المكلفة **(وكأنها تمشي خلال نومها)** التي ارتكبتها في الأشهر التي تلت وفاة أبي. حتى إنهم عرضوا عليها إجازة إضافية، وسأدعك تخمّن إن كانت قد قبلتها أم لا. كان أول يوم عادت فيه للعمل بعد ثلاثة أيام من جنازة والدي، والسبب الوحيد لهذه الفترة هو أن الجنازة كانت يوم الجمعة.

في الساعة التاسعة وعشر دقائق، عندما بدأت للتو في العمل، قيل لأمي إن لديها مكالمة هاتفية في مكتب المدير، لكنها كانت مشغولة جدًّا لترد عليها. وفي التاسعة والنصف، يرن الهاتف مجددًا، لكن هذه المرة لا تصل أي رسالة إلى أمي. يستمر الهاتف في رنينه المزعج، مما يحدث ضجيجًا غير معتاد وسط سكون البنك، خاصة مع بقاء باب مكتب المدير مفتوحًا، والباب الأمامي مغلقًا، وموظفي الصرافة جالسين بهدوء على الأرض، وأيديهم خلف رؤوسهم.

كان هناك رجلان. لا أحتاج إلى تأليف ما يرتدونه، لأنني أعلم أنهما كانا يرتديان معاطف طويلة، ونظارات شمسية، وقبعات. كان أحدهما يسلب الخزائن، بينما كان الآخر يسير بخطوات ثقيلة على طول صف الموظفين، صارخًا فيهم ليظلوا هادئين. كان يحمل سلاحًا ضخمًا أسود يشبه البندقية من مقدمة الماسورة بدلًا من المقبض، يتأرجح بجانبه في أثناء مشيه. كأنه يحمل مضرب بيسبول، لكنه لم يكن يلعب في الحقيقة.

لم يكن هناك إنذار؛ لم يتمكن أحد من الوصول إليه. قرر الملقب **بليتل ليج** ضرب المدير للوصول إلى الخزنة. رن الهاتف مرة أخرى، فذهب الملقب **بتيل رانسكر** إلى المكتب بينما كان يلعن وأزاح سماعة الهاتف من مكانها.

أمي لا تتقبل الهراء من أبنائها أو من الكون، وبالتأكيد لا تتقبله من اللصوص التافهين. لا يفوتني أن ما حدث بعد ذلك قد يكون تمردًا ضد الجريمة التي سلبتها زوجها، أو ضد سخافة عملية السطو. وربما كان تمردًا ضد وجود ليتل ليج ذاته؛ خلف تلك النظارات الشمسية ربما رأت أبي وكل ما تركه لها لتواجهه وحدها، عندها ضغطت على الزناد. أو ربما فقط اعتقدت أن ليتل ليج لم يكن يحمل البندقية جيدًا بما يكفي ليطلق طلقة. لا أستطيع أن أقرر أيًّا من هذه الاحتمالات هي الأكثر منطقية.

ما يمكنني قوله هو أن ما شعرت به كان كافيًا لجعلها تقف. ما يمكنني قوله هو أنه بعد ثلاثين ثانية، كان أنفها مكسورًا وبندقية في يدها. ليتل ليج على الأرض، يزحف إلى الخلف. والدتي ترفع البندقية. المسافة قريبة جدًّا لبندقية كهذه، قريبة بما يكفي لتمزيق شخص إلى نصفين. تيل رانسكر قد رفع يديه في الهواء ويطلب منها أن تهدأ. تصوب البندقية نحو صدر ليتل ليج – لا أستطيع أن أخمِّن ما إذا كانت

تتردد أم لا، لكني أتخيل أن حالة الذهول قد زالت وأنها أصبحت صافية الذهن كما لم تكن منذ وقت طويل- تضغط على الزناد.

تضربه مباشرة في الصدر.

حشوة القماش هي عبارة عن طلقة لخرطوشة بندقية، تحتوي بدلًا من الشظايا الممزقة للجلد على شظايا محصورة داخل وسادة صغيرة من القماش. غالبًا ما تستخدمها شرطة مكافحة الشغب، وهي مصممة لإصابة الشخص بالعجز بدلًا من القتل. من الناحية التقنية، تُصنَّف هذه الطلقات على أنها «أقل فتكًا» بدلًا من كونها «غير فتاكة»؛ حيث يمكنها، على سبيل المثال، كسر ضلع ودفعه إلى القلب، لكن السبب الأكثر شيوعًا للوفاة من طلقة حشوة القماش هو، من بين كل شيء، التحميل بذخيرة حقيقية عن طريق الخطأ.

لا تقلق، فهذا الكتاب ليس من تلك الكتب التي أصف فيها سرعة الرصاصة بالأمتار في الثانية لكل طلقة يتم إطلاقها، أو أذكر الطراز والمصنع المُصنِّع للسلاح، أو حتى الرطوبة النسبية أو الرياح التي قد تؤثر على مسار الطلقة. لديّ نقطة أريد توضيحها.

النقطة هي أنه، رغم أن ليتل ليج كان يشعر بالرعب بسبب توجيه السلاح نحوه، وتسبب والدتي في حصوله على أربعة أضلاع مكسورة، فإنها لم تقتله.

لقد خطر لي أن والدتي لم تكن تعرف أن السلاح الذي كانت تحمله كان «أقل فتكًا» عندما اتخذت قرار الضغط على الزناد، لكن هذا حديث لوقت آخر. النقطة هي أن ندبة والدتي توجد فوق عينها اليمنى، بينما كان الحالم بسرقة البنك قد تسبب لها فقط في كسر أنفها. النقطة هي أنه بعد أن قام رجال الشرطة والمسعفون بتفريغ المبنى ووضعوا

القطن في أنف والدتي، كان الوقت بعد الظهر حين أعاد أحدهم أخيرًا الهاتف إلى مكانه، وبدأ يرن على الفور.

النقطة هي أنني أتذكر درجة حرارة اليوم: كانت حارقة. والنقطة هو أن المكالمة كانت من مدرستي، لإخبار والدتي بأن أيًّا من الفتيان الثلاثة من عائلة كانينجهام لم يصلوا إلى المدرسة ذلك الصباح.

النقطة هي أن والدتي كانت متقدمة على جدولها الزمني المعتاد، ووصلت إلى العمل قبل خمس دقائق من الموعد المحدد.

النقطة هي أن والدتي أطلقت النار على شخص لكنها لم تقتله.

النقطة هي وجود حالة وفاة.

فقدان الوعي. السير في أثناء النوم. الأخطاء الناجمة عن التشتت.

ثلاثة أولاد في موقف سيارات على السطح في يوم صيفي حار، نسوا ولم يتم إيصالهم إلى المدرسة، لا يزالون مربوطين في مقاعدهم. لا أتذكر تحطم النافذة، أو الدم الذي كان يسيل من جبهة أودري عندما جرحت نفسها بالزجاج، بجرح عميق يكفي لترك ندبة. أول شيء أذكره بوضوح هو المستشفى؛ لقد أخبروني عن البقية لاحقًا. حتى يومنا هذا، أستيقظ من الكوابيس مختنقًا. لكن، بصراحة، لا أتذكر ذلك اليوم على الإطلاق. لديّ مساحات سوداء شاسعة في ذاكرتي.

كل ما أعرفه هو أنه عندما مات جيريمي، كنت جالسًا بجانبه.

من: المحرر

إلى: ECunninghamWrites221@gmail.com

الموضوع: صور من أجل EIMFHKS

مرحباً إرنست،

سعيد بسماع أخبارك. أخشى أن إضافة قسم للصور في منتصف الكتاب سيتطلب إدراج ورق لامع، ناهيك بالطباعة بالألوان الكاملة، مما سيحتاج إلى عملية إنتاج مختلفة تمامًا. إنه مكلف للغاية وليس ضمن ميزانية هذا الكتاب. أنا واثق من أنك تستطيع تحقيق التأثير نفسه ببعض الأوصاف الموضوعة بشكل جيد. أنا آسف، لكن ليس هناك أي طريقة تمكننا من تحمل هذه التكلفة.

كيف تسير الأمور بالمناسبة؟ هل تمكنت من تخفيف بعض الثرثرة في النص؟ أعني، أعلم أن هذه قد تكون طريقتك لمعالجة الأمور، لكن الكثير من الناس ماتوا وقد يجد القراء ذلك غير عاطفي. ستسعد بمعرفة أننا قررنا إزالة ثقوب الرصاص من الغلاف -أعلم أنك كنت تعتقد أنه أمر مبالغ فيه بعض الشيء. أخبرني إذا كنت ترغب في الاطلاع على أي أقسام أخرى في أثناء تقدمك.

مع أطيب التحيات،

المحرر

ملحوظة: بخصوص سؤالك الآخر، نعم، لا توجد مشكلة في تحويل نسبة من العائدات إلى تركة لوسي ساندرز. أرسل لي التفاصيل وسأقوم بالترتيب مع الحسابات.

زوج والدتي

الفصل الثاني والعشرون

لحقت بصوفيا في المدخل، كانت واقفة بجوار البوابة.

قالت: «أحدهم يتسلل حول سقيفة الصيانة». دفعت الأبواب المزدوجة، لتندفع العاصفة على العتبة، وتتناثر قطع الثلج على حذائي. ترددت للحظة، لكنها دفعتني للخارج. كان مدخل المنتجع المسقوف خاليًا؛ حتى الأزواج تخلوا عن مهامهم، مفضلين الدفء والتوبيخ على الارتجاف وأعمال الفروسية. الرياح كانت تهمس في أذنيّ: كأن شخصًا ما يسحق ورق سيلوفان بالقرب مني. كان على صوفيا أن تصرخ لأسمعها.

ترددت: «رأيت ظلًّا، من ناحية البار».

صرخت مجيبًا: «وماذا في ذلك». لم أتمكن من قول المزيد مع الرياح التي تندفع إلى فمي. كانت من تلك العواصف التي يجب أن تأخذ فيها أنفاسًا مجزأة كي تستطيع التنفس.

قالت: «ألا يحب الأشرار التسكع في موقع الجريمة؟».

كانت محقة، لكن خوفي ينشط عند درجات الحرارة المنخفضة للغاية. كنت على وشك اقتراح أن ننتظر دقيقة، أو الأفضل أن نحضر كروفورد، لكن قبل أن أتمكن من النطق بكلمة، كانت قد وضعت ذراعها فوق جبينها وشقت طريقها في قلب العاصفة.

ركضت خلفها، قلقًا من أنه إذا ابتعدت أكثر، فسيتلاشى ظلها. على الفور تقريبًا أصبح من المستحيل معرفة الاتجاه، لأعلى أو لأسفل. كل ما أعرفه هو أننا ربما سلكنا الاتجاه الخاطئ، نحو المنحدر، ونعبر البحيرة المتجمدة، على وشك أن نسقط عبر الجليد الهش لنلقى حتفنا. قرأتُ في مرة أن الإنسان عندما يلامس الماء البارد، تنقبض رئتاه. وإذا كانت برودة البرد كافيًة، فإنها تؤثر حتى على دمه. قد تفقد وعيك على الفور. الجميع يعرف أن السقوط في بحيرة متجمدة خطير، لأنه بمجرد دخولك من ثقب في الجليد، يصبح من المستحيل العثور عليك في الأسفل. لكن الكليشيه القديم عن الشخص الغارق وهو يضرب بقبضتيه على الجليد الشفاف ليس حقيقيًّا. كل شيء يتجمد في مياه باردة كهذه. يا لها من خيبة أمل، أن تُسلب من فرصة ضرب قبضتيك. آمل، عندما يحين وقتي، أن أحظى بفرصة الغضب ضد موتي.

أدركت أنني ضيعت صوفيا. حاولت أن أنظر حولي. لا شيء سوى دوامات، ولون رمادي لا نهاية له. عواء الرياح في أذني كان عنيفًا، أشبه بالصراخ. كان صوتها يشبه المنشار الكهربائي. كانت عيناي تلسعانني، لذا دفنتهما أكثر في زاوية مرفقي، محاولًا النظر فقط عند الضرورة. خطوت بضع خطوات متعثرة إلى الأمام. بدأت أشكال ضخمة تظهر من وسط الدوامات الرمادية. دببة. كان هذا أول ما خطر ببالي، وهو أمر سخيف، لأننا في أستراليا. سرعان ما أدركت أنها سيارات. كنت في موقف السيارات. جيد؛ كنت أسير في الاتجاه الصحيح.

كانت العاصفة عنيفة لدرجة أن السيارات كانت تتمايل حرفيًّا على أنظمة التعليق. نافذة سيارة الفولفو الخاصة بكاثرين مكسورة، والثلج يغطي المقعد الخلفي. فكرت أنه من حسن الحظ أن هذه ليست سيارة

مارسيلو، حيث كان الثلج سيفسد المقاعد الجلدية ويتسبب في عطل للإلكترونيات المتطورة. خطرت لي **فكرة**، وسجلتها لوقت لاحق.

من حيث وقفت، اعتقدت أنني استطعت أن ألمح سقيفة الصيانة أعلى التل. كانت بعيدة لدرجة لا تجعلها سيارة، وحقيقيَّة جدًّا لتكون دبًّا، ولم تحتوِ على القمة المثلثة للشاليهات. كانت كافية لتحديد اتجاهي. هممت بخطوة، لكني رأيت شاحنة مايكل على يميني. رغم الرؤية الضبابية، كان من المستحيل أن تخطئها بسبب حجمها. كلا الجانبين كانا يعملان تقريبًا كأشرعة في الرياح العاتية، وكانت الشاحنة بأكملها تتأرجح بشكل متهور على عجلاتها الصغيرة، كما لو أنها قد تنقلب في أي لحظة. شعرت بالمفاتيح في جيبي تحتك بقدمي. نسيت أمر سقيفة الصيانة، واتجهت نحو الشاحنة.

أمسك أحدهم بذراعي. صوفيا. كانت شفتاها على أذني، وتبصق على رقبتي: «الاتجاه الخاطئ، إرن».

ثم بدأت تجرني صعودًا نحو التل، خارج موقف السيارات. أصبح الثلج أعمق بالفعل وبشكل ملحوظ (وداعًا لآثار الأقدام في مسرح الجريمة)، ومع كل خطوة كنت أغوص فيه حتى ساقي. كلما اقتربنا من الظل ذي السطح المسطح، بدأت أرى تلالًا ضخمة من الثلج المتراكم على السطح. اقتربنا من الجانب، رغم أن الجهة الأمامية كانت ستوفر حماية أفضل من الرياح، نكافح في الخطوات الأخيرة الباقية حتى التصقنا بالحديد المموج بظهورنا. انقسمت الرياح حول السقيفة، وتجمعت أمامنا مباشرة، وكأننا نختبئ خلف صخرة في نهر، وانخفض صوت الصفير في آذاننا إلى همهمة شبحية. أخذت بضعة أنفاس عميقة من الهواء المتقطع، وهززت بوصة من مسحوق الثلج عن ذراعي وكتفي. لم أكن أرتدي قفازات، لذا أدخلت يديَّ في جيبي، وأغلقت وفتحت

قبضتي مرارًا لتدفئتهما. فوقي، كانت هناك كتل جليدية طويلة تتدلى من المظلة. رأيت فيلم رعب طُعن فيه شخص بقطعة جليد ساقطة، ورغم علمي بأن ذلك مستحيل، انكمشت بقدر ما استطعت إلى الوراء في مواجهة الحائط.

مالت صوفيا حول الزاوية، ثم سرعان ما سحبت رأسها ودفعتني بمرفقها في ضلوعي، وهي تشير بعينيها. انظر كان باب السقيفة مفتوحًا. القفل الذي استخدمه كروفورد لإغلاقه كان ملقى على الثلج. لم يُقطع؛ المقبض الذي ثبته فيه اقتُلع بالكامل، مع البراغي وكل شيء.

قلت: «علينا أن نحضر كروفورد».

همَّت بالدوران حول الزاوية: «إذًا اذهب وأحضره أنت».

وضعت ذراعي أمامها، مثبتًا إياها على الحائط: «توقفي!».

- أريد أن ألقي نظرة أقرب على الجثة، حسنًا؟ ولن أحظى بفرصة أفضل من هذه. كروفورد لن يسمح لأي منا بالاقتراب منها مجددًا. وكأن بإمكانه إيجاد حل. هو كمن يلعب بالملابس التنكرية. إذا كان هذا -وانفجرت ببالون وهمي بين يديها- شيئًا أكبر، قد نكون جميعًا ميتين بحلول الفجر. علينا أن نسلح أنفسنا بالمعرفة. وها نحن هنا، والباب مفتوح. من المحتمل أن القاتل جاء وذهب.

- وماذا لو لم يكن قد ذهب؟

- حسنًا، لقد أحضرتك لهذا السبب. حارس شخصي.

- اختيار سيِّئ.

- ما رأيك بهذا؟ نلقي نظرة من خلال الباب، لمحة صغيرة فقط، وإذا كان هناك أحد، نقوم بإغلاق الباب عليهم ونحاصرهم. يوجد مدخل واحد فقط. ثم نذهب ونحضر الجميع. كابيشي[1]؟

كان لدي الكثير من الأسئلة. كيف سنغلق الباب بمقبض مكسور؟ كيف يمكننا محاصرة الباب وطلب المساعدة في الوقت نفسه؟ ماذا لو كان لديهم سلاح؟ كيف تتهجى كلمة **كابيشي** في الأصل؟

لكنني كنت أعلم أنه لا خيار لي. إذا عدت لبيت الضيافة لطلب المساعدة، فلن تنتظرني صوفيا حتى أعود مع الدعم. كان الأمر أكثر أمانًا ونحن معًا. وبالإضافة إلى ذلك، بينما كنت آمل أن يساعد ما في الشاحنة في تبرئة مايكل (إرنست يُصلح شيئًا)، قد يساعد إلقاء نظرة مناسبة على الجثة أيضًا. وأعلم أن الأمر مزعج عندما يتخذ الناس قرارات غبية لهذا السبب - وهو السبب الذي جعل ضحية **سيخ الجليد** لا تنجو في ذلك الفيلم المرعب- لكنني كنت، نوعًا ما، فضوليًّا.

انعطفنا حول الزاوية، وتقدمنا بحذر على طول الجدار، وألصقنا ظهورنا من أجل التسلل والحذر من الكتل الجليدية حتى وصلنا إلى الشق في الباب. مالت صوفيا برأسها عبر الفتحة، ثم تراجعت وكأن أفعى قد لدغتها واتسعت عيناها. حركت شفتيها بصمت قائلة: هناك **شخص**. أشرت نحو الباب، مقلدًا حركة إغلاقه. هزت رأسها، وأشارت إلى عينيَّ ثم إلى الفتحة في المدخل، وتسللت بجواري لتجعلني الأقرب إلى الباب. دفعتني قليلًا. كان قصدها واضحًا: **عليك أن ترى هذا.** نظرت إليها بأعين مفتوحة على اتساعها، محاولًا التعبير عن شعوري بالخيانة قدر المستطاع: **هذه لم تكن الخطة.** دفعتني دفعة أخرى.

---

(1) من الكلمات الإيطالية المشهورة التي تستعملها المافيا في أثناء تهديدها. وهي من الكلمات المستعملة في الروايات البوليسية وهي تعني "فهمت". (المترجمة)

أخذت نفسًا عميقًا، قاومت رغبتي في توجيه نظرة غاضبة أخرى إلى صوفيا، ثم أدخلت رأسي عبر الفتحة.

كان الحذاء الأخضر موجودًا حيث تركناه، أطرافه ممدودة على كومة صغيرة من الألواح، وصدره منتفخ كما لو كان يقفز بالمظلة في الاتجاه المعاكس. الفرق الآن هو أن شخصًا ما كان منحنيًا فوقه.

عرفته فورًا، حتى من الخلف. كان كل تركيزه مصبوبًا على الجثة، ولم يلاحظنا بعد. في سيناريو مثالي، كان هذا هو الوقت الذي كنت سأتراجع فيه ببطء، وأغلق عليه وأذهب لإحضار الشرطة الحقيقية، كما اتفقنا. لكنني لم أفعل. كان الأمر كما لو أن خيطًا غير مرئي سحبني إلى داخل الغرفة. بالكاد شعرت بنقرات صوفيا المتوترة على ذراعي، وتحذيرها الهامس الذي اجتاحته الرياح.

دخولي لم يُلاحَظ، فصوت اهتزاز الجدران وصرير السقف، مع الثلج المتراكم فوقه، أخفى خطواتي. كان الجو باردًا في السقيفة، البرد يخترق الجدران المعدنية ويرتفع من الأرضية الخرسانية. كان نفسي يشكل ضبابًا. سعلت قليلًا. انتفض الشخص واقفًا، تراجع خطوتين عن الجثة ورفع يديه في الهواء. ضُبط متلبسًا.

قلت. «أشياء جميلة». إنها مزحة خاصة بيننا.

الفصل الثالث والعشرون

السبب الذي يجعلني أقول ‹أشياء جميلة› لإيرين كثيرًا هو، كما أخبرتها عندما تزوجنا، إذا كانت غاضبة مني يومًا، يمكنها دائمًا أن تجيب عن السؤال ‹كيف هي الأمور مع إرنست؟› بصدق قائلة: ‹حسنًا، هو دائمًا يقول أشياء جميلة›.

انهارت كتفيها، وأسقطت يديها وقالت، «الشكر لله» في زفير ضخم من الارتياح، مبتسمة بابتسامة أوسع ما رأيته لها منذ زمن طويل. بدأت تتحرك نحوي، لكنها توقفت عندما سمعت الصلابة في صوتي.

- ما الذي تفعلينه هنا، إيرين؟

«هل تحدثت إلى مايكل بعد؟» كانت نبرتها غير متوقعة، مزيج من الارتباك والمفاجأة، وكأن كل شيء يجب أن يكون، بعد حديثي المبهم والمعارض مع أخي، واضحًا تمامًا. «هل أخبرك عن آلان؟».

- لقد أخبرني عن آلان.

«حسنًا. إذًا...» توقفت مرة أخرى، كما لو كانت قد ملأت الفراغات بما يكفي، قبل أن تدرك أنها تحتاج إلى توضيح الأمر، فتحدثت بصوت المعلمة الرقيق. «كيف تشعر حيال ذلك؟».

«لا أعرف ماذا أصدق». لم يكن هناك جدوى من الكذب على إيرين؛ كانت دائمًا أفضل مني في ذلك. أعلم، أعلم -يبدو كتعليق تافه يُدرج في

كتاب حيث لا تملك هي حق الرد، لكنه صحيح. بجانب ذلك، كانت هي التي أقامت العلاقة.

قالت بحدة: «هناك رجل ميت بجانبنا».

- كما تعلمين، لقد لاحظت ذلك.

«هذا لم يكن حادثًا، إرن، كما تريد صاحبة المنتجع أن نصدق. هذا فقط لكي لا يُصاب الجميع بالذعر. ولكن أنت وأنا، نحن نعلم أن هذه مشكلة خاصة بعائلة كانينجهام. جلبها الكانينجهام إلى هنا...». لم تقلها، لكن بقية الجملة ظلت معلقة: ارتكبها كانينجهام.

تنازلت قليلًا: «إذا كنت أصدق مايكل، فإن الرجل الذي قتل والدي، آلان، قد مات بالفعل. انتهت تلك القصة. ماذا هناك بعد؟».

- إذًا؟

- أعتقد أنه يعتقد ذلك– هذا كل شيء حتى الآن.

ذاكرتي عن مشهد خيوط العنكبوت هدأتني. ربما كان هذا جزءًا من رفضي قبول ما قاله مايكل لي: قد يبدو آلان شريرًا على الورق، لكنني كنت الوحيد الموجود هناك في ذلك الصباح ولم أرغب أن يكون موته، **قتله**، مبررًا – بغض النظر عما كان عليه أو ما فعله.

نقرَت إيرين لسانها وهي تستوعب كل شيء: «الأمر بسيط، مع ذلك. قتل آلان والدك ليغطي على موقفه، نعم، لكنه كان يقتل من أجل **شيء**. ثم حاول بيع الشيء نفسه لمايكل، وهذا ما أوصلنا إلى هنا».

- مايكل أخبرني بذلك بالفعل. لكن لماذا أنتظر كل هذا الوقت؟

«ربما لأن مسيرته كانت قد انتهت. ربما كان يائسًا. كل ما أعرفه هو، إذا كان يستحق القتل على ما فعله قبل نصف حياة، فهو يستحق القتل

عليه الآن». أشارت بإبهامها إلى الحذاء الأخضر. «هل أحتاج إلى الإشارة إلى الجثة المذكورة سابقًا مرة أخرى؟».

- حسنًا إذًا. ما المعلومات التي أراد مايكل شراءها من آلان؟

ترددت. «لا أعلم. لم يخبرني. قال إن الأمر ليس آمنًا».

تنص القاعدة التاسعة على أنني يجب أن أفشي عن كل شيء بمجرد أن يخطر في ذهني، وهنا خطر لي أنها كانت تقول الحقيقة، لكنها لم تكن تخبرني بكل شيء.

استفسرت. «لكن».

- لقد نبشنا شيئًا ما.

تذكرت يديه القذرتين من السجن، عندما تصافحنا أمام بيت الضيافة. التراب تحت أظفاره. كان بقية جسده نظيفًا: حلق وجهه، وصبغ شعره. لماذا لم ينظف أظفاره؟

- هل هو في مؤخرة الشاحنة؟

هزت رأسها.

«حسنًا. ما هو إذًا؟». بدا الأمر بسيطًا عندما قلته بهذه الطريقة، مما جعلني أشعر وكأنه قد يكون حقيقيًّا. «المال، أفترض، بما أنه بتلك القيمة؟ شيء من إحدى سرقات السابرز؟ مجوهرات؟ مخدرات؟».

- كنت أعتقد ذلك أيضًا. لم أره.

ضحكت. خرج سعال جاف، أحبالي الصوتية لم تذُب بسبب الثلج تمامًا.

- كل هذا من أجل خريطة كنز؟

طوت ذراعيها. «لا ينبغي أن تضحك. أنا أثق به».

كانت كلمة «أثق» تحتوي على معنى مزدوج. كما لو يمكن نزعها من الجملة واستبدالها بشيء آخر.

- هل هذا بسبب...

- إرن، لا تفعل هذا. الأمر ليس بسبب ذلك.

لم يكن الأمر هكذا، ولكنه كان كذلك في الوقت نفسه. لم أواجهها بشكل صريح كهذا من قبل، حتى خلال جلسات الاستشارات الزوجية. كان غضبي دائمًا مكبوتًا بالخجل والحزن. ولكن لو كنت واجهتها، ربما كنا سنتجاوز الأمر؛ ربما كنا قد جلسنا وتحدثنا عن معنى تكوين عائلة لكل منا، وما الذي فعله خطاب الخصوبة، الذي فتحته على طاولة الإفطار، بنا. بالعائلة التي كنا نحاول تكوينها.

انتظرنا طويلًا وصول الرسالة. من الغريب أن تُرسل أخبار تغير حياة شخص عبر البريد، لكن أعتقد أنهم اعتبروها مسألة بسيطة بما يكفي لتجنب الاستشارة الهاتفية. تأخرت الرسالة نفسها في الوصول، وكانت إيرين تعتصر يديها في كل مرة تخبرني فيها بأخبار سيئة: كانت الرسالة الأولى ضحية لخلط في العنوان، مما اضطرها للاتصال بالعيادة لتصحيح الخطأ، أما الرسالة الثانية، بعد أسابيع، فكانت قد تبللت وتحولت إلى عجينة ورقية غير مقروءة بسبب المطر.

أخذت إيرين الأمر على محمل الجد للغاية. كانت تذهب كل صباح إلى صندوق البريد أولًا، تتصفح القسائم الدعائية لعروض البيتزا والمنشورات العقارية وهي تسير على الممر، تهز رأسها: يوم آخر من دون النتائج.

في الواقع، ما زلت أحتفظ بالرسالة. أنها مجعدة بسبب قبضتي المشدودة في ذلك الصباح، بينما كنت أحدق إلى نتائجي بعدم تصديق، محاولًا أن أجد فيها قصة مختلفة. عندما دخلت إيرين إلى المطبخ، وهي

تثبت خصلات شعرها المتدلية خلف أذنيها، كانت الرسالة مسطحة بجوار الزبدة. كان ذراعي متسخًا، كان السائل الكريه على معصمي. طلبت منها الجلوس، النظرة على وجهها عندما قرأت الرسالة... أعتقد أننا كنا نعلم أن هذه ربما كانت نهاية علاقتنا. سنظل متماسكين لبعض الوقت، ولكن انطفأت الشرارة. لو كنت لا زلت أمتلكها، لكنت سأستخدمها لحرق تلك الرسالة اللعينة.

بقينا في دائرة بعضنا لمدة ثمانية عشر شهرًا أخرى، لأننا لم نكن نرغب في الرحيل ولم نرغب في البقاء. هذا ما يحدث في الزواج، عندما يريد أحدكما طفلًا ولا يستطيع الآخر منحه إياه.

نعم، كان ذلك ثالث وآخر إفطار مهم في حياتي. الإفطار الذي يتعلق بالسائل المنوي.

سألت: «إذًا، إنه حقيقي؟». كنا نعلم ما أعنيه. هي ومايكل.

تنهدت وقالت، «إنه حقيقي. لكن كنت سأصدقه حتى لو لم يكن كذلك. لا نحظى جميعنا بفرصة رؤية والدنا في ضوء جديد. إنها نعمة».

أدركت حينها أنها، من خلال مساعدتها لمايكل على فهم روبرت بشكل أفضل، كانت تسعى إلى التوصل إلى تسوية مع ماضيها عن والدها المسيء.

توسلت. «بحقك، أنت أذكى من هذا».

ابتسمت بسخرية: «كنت دائمًا تقول كلامًا لطيفًا». ثم قالت بجدية: «هل فتحت الشاحنة بعد؟».

هززت رأسي: «لقد أعطاني المفاتيح. لكن بعد ذلك تتبعناكِ إلى هنا».

قالت: «لقد أخبرني مايكل أن ما بداخلها يجب أن يقنعك».

كنت أتمنى أن يتوقف الناس عن إخباري أن ما بداخل الشاحنة سيغير حياتي. وهذا ما حدث في نهاية المطاف، سواء فيما اعتقدت أو فيما يخص وظيفة ذراعي الأيمن، لكنني كنت لا أزال أتمنى أن يتوقفوا عن إخباري بذلك.

قلت، محاولًا تهدئة الأمور: «نحن لا نصل إلى شيء، لنجرب أن نجد أرضية مشتركة».

- تبدو كالدكتور كيم.

أجبرت نفسي على الابتسام. «أنفقنا كل تلك الأموال على الاستشارات - من كان يظن أنها ستكون مفيدة».

سألت بنبرة الصوت الهادئة لمستشارة علاجنا النفسي السابقة. «إذًا، ما الشيء الذي يوحدنا؟».

أشرت إلى الجثة: «كلانا لا يعتقد أن مايكل مسؤول عن...». كان من الغريب أن نتحدث بهذا الشكل غير الرسمي حولها. «وأعتقد أنه إذا كنتِ مستعدة للاقتحام والتفتيش، فأنتِ أيضًا لا تقتنعين بتفسير أن الوفاة طبيعية. أنت تعتقدين أن هناك من يستهدف مايكل، بسبب ما نبشتماه معًا، وأنا أحاول فقط أن أبعد التهمة عن مايكل وأصلح شيئًا ما في حياتي لمرة واحدة. هذه هي الأرضية المشتركة بيننا. نحن نحاول حل جريمة قتل». مرة أخرى، أذكر أنني لست الشخصية الرئيسة لمجرد أنني من يسجل كل هذا. في الواقع، أذكر أنني فكرت حينها أن هناك عددًا أكبر من الناس لديهم دوافع لحل هذه الجريمة اللعينة أكثر من ارتكابها. «إذًا، لنبدأ من هنا. إذا استطعنا معرفة من فعل هذا، فسنكتشف أيضًا ما إذا كان مايكل يقول الحقيقة».

وافقت: «واحدة تُثبت الأخرى». ثم وضعت إصبعي السبابة معًا تحت ذقنها وقطبت جبينها وقالت: «أشعر أن هناك تقدمًا قد حصل في الغرفة اليوم. أليس كذلك؟».

ضحكت، بالرغم أن هذا كان ضد غريزتي. كان هناك سبب لوقوعنا في الحب، أيًّا كان ما حدث لاحقًا؛ كان من الصعب نسيان كل ذلك.

قلت: «لقد ألقيتِ نظرة قبل وصولي، هل وجدتِ شيئًا؟».

انحنت مرة أخرى فوق الجثة: «أعني، لست خبيرة، لكن لا يمكن أن يكون أي من هذا طبيعيًّا». ثم اقتربتُ أنا منها.

لم ألقِ نظرة جيدة على الحذاء الأخضر بعد؛ كنت حساسًا للغاية حين حملتُ قدمه، ولم أرَ سوى لمحة من صورة وجهه في هاتف كروفورد. عيناه كانتا مغمضتين. كان الجو في السقيفة باردًا للغاية حتى إن شعره تجمد عليه بلورات من الثلج. وجهه مغطى بطبقة من الرماد الأسود، ظننتها في البداية لسعة صقيع، وحول فمه تشكلت مادة لزجة متجمدة ولامعة كأنها قطران. حول عنقه جرح غاضب أحمر اللون. كانت صوفيا قد أخبرتني عن الجرح؛ فقد احتك بأكمام كروفورد، لكنه بدا أكثر وحشية عن قرب. الشيء الذي كان ملفوفًا حول الرجل كان مشدودًا لدرجة أنه قطع جلده. الجرح الممزق بدأ أيضًا في التجمد بسبب البرودة.

قاطعت إيرين تحرّياتي: «يبدو أن أحدهم خنقه. لا أعرف ما هذا السواد. سُم؟».

قلتُ، مكررًا ما أخبرتني به صوفيا: «إنه رماد، على ما يبدو».

- كما لو كان مشتعلًا؟ هنا في هذا البرد؟

أومأت برأسي. «لكن لم يذب الثلج. ولو كان قد اشتعل فعلًا، ألم يكن ليتدحرج؟ أو يتعرض لحروق؟ صوفيا تظن أنه قاتل متسلسل. الإعلام يسميه اللسان الأسود. لكن إذا كنتِ تعتقدين أن مايكل متورط في أعمال العصابات، مثل أبي، فقد يكون نوعًا من المكلفين بتنفيذ مهمة.

- ربما. يبدو عنيفًا جدًّا، وأعتقد أن الناس يفعلون ذلك إما لإلحاق الألم الشديد وإمَّا لإرسال رسالة. ولكن، لنعد للوراء لحظة... تقول إنه رماد، لكن الثلج لم يذب. هذا القاتل يحرقهم دون أن يحرقهم فعليًّا؟

قالت صوفيا من عند باب الغرفة: «إنها تقنية تعذيب قديمة استخدمها ملوك فارس، في الواقع. ماذا؟ كنت أتجمد».

رفعت حاجبًا باتجاه إيرين: «تعذيب، تبدو كطريقة مناسبة لإرسال رسالة».

قالت إيرين، وهي تطوي ذراعيها: «ما مقدار ما تعرفه؟ مايكل طلب مني أن أثق بك وحدك».

- إنها بخير. تعرف عن المال.

قالت صوفيا وهي تنظر إلى نظرة ماكرة: «للأسف، إرني قد أنفق منه بالفعل، مبلغًا ليس بالقليل. أليس كذلك؟ نحو خمسين ألفًا؟».

نظرت إليَّ إيرين نظرة لم أستطع فك شفرتها. كانت إما انزعاجًا من إنفاقي لأموال مايكل وإمَّا أنني أصبحت مقربًا من صوفيا لدرجة أنني أفصحت لها عن أسراري. توقعت أنه السبب الثاني، خصوصًا أنه أمر مبالغ فيه بالنسبة لمن قضت الليلة الماضية مع أخي. قالت إيرين بحذر: «يبدو أنك تعرفين الكثير عن هذا القاتل المتسلسل».

إذا كانت صوفيا تعتقد أنها تتعرض للاتهام، فلم يظهر ذلك عليها: «كان لدينا ضحية في أحد مستشفياتنا. السيدة همفريز. وجدوها، وظن الجميع أنهم أنقذوها في الوقت المناسب. لكن رئتيها تضررتا بشدة -اضطررنا إلى فصل أجهزة التنفس عنها. وجدت الموضوع مثيرًا للاهتمام، استمعت إلى بعض البودكاست. لم أكن أظن أنني سأحتاج إلى هذه المعلومات، لكن ها نحن هنا».

- حسنًا، لنغلق القضية. إذا كنتِ قد استمعتِ إلى بودكاست...

- امنحيها فرصة، إيرين. إنها تعرف أكثر مما نعرفه.

- إذًا نحن نبحث عن شخص يهتم بالتاريخ؟ وله ميول في التعذيب العتيق؟

بدت صوفيا محرجة: «نوعًا ما. لست أنا من اخترعت هذا، حسنًا؟ يُطلق عليه الاختناق بالرماد. إرني، أخبرتك سابقًا أن معظم الناس الذين يموتون في حرائق المنازل لا يحترقون حتى الموت، بل يختنقون. هذا جزئيًا بسبب أن النار تسحب الأكسجين من الهواء، فلا يتبقى لهم ما يتنفسونه، لكن حتى بعد إخماد الحريق، إذا استنشق الشخص كمية كبيرة من الدخان، فقد يغطي الدخان على رئتيه، فلا يستطيع استخلاص الأكسجين من الهواء حتى لو كان متوفرًا».

سألت: «وهل تُعرف بلاد فارس القديمة بحرائق المنازل؟».

- مضحك جدًّا. هم من بدأوا هذا التعذيب- لديهم برج بُني خصيصًا لذلك، ضخم، يزيد ارتفاعه عن عشرين مترًا. كان مليئًا بالعجلات والتروس وأشياء أخرى، وفي الأسفل كومة من الرماد. كانوا يدفعون بالشخص الكافر إلى الداخل -لأن الكفر كان يُعاقب عليه بالإعدام في تلك الأيام. الآن، إذا كنت محبوسًا في غرفة مليئة بالرماد الخامد، فلن يؤذيك كثيرًا، لذلك كانوا يشغّلون العجلات

فتبدأ هذه التروس الضخمة في إثارة الرماد في الهواء. فيختنق المجرم حتى الموت.

- أخبرتني لوسي أن زوجين مسنين من بريسبان كانا أول الضحايا؟ لقد بحثت عنهم. هل تقولين إن هذا ما حدث **لهم**؟

«هي محققة، ولكن ليس تمامًا. من الواضح أنه ليس هناك برج تعذيب من ثلاثة طوابق مختبئًا هنا في مكان ما، وعلى أي حال يبدو أن الحذاء الأخضر قد خُنق». أمسكت صوفيا بمفك براغي من على طاولة قريبة واستخدمته لدفع ياقة الحذاء الأخضر للأسفل لتحصل على رؤية أفضل: «بكثافة الرماد على خديه وعمق الجرح في رقبته، أعتقد أن كيسًا مليئًا بالرماد قد سُحب على رأسه، وربطه بإحكام، ثم أُزيل بعد وفاته».

قلت: «كان الثلج يبدو كأن شخصًا ما ركض عليه ذهابًا وإيابًا في منطقة صغيرة».

- بالضبط. نقص الأكسجين يُفقدك بسرعة القدرة على التركيز- كان يحاول على الأرجح نزع الكيس، مرعوبًا. أستطيع تخيله يركض بجنون في دوائر.

«هذا ليس شيئًا من العصور الوسطى». أدركت إيرين أن نبرتها كانت حادة، فرفعت يديها اعتذارًا. «لم أقصد أن أكون ساخرة، آسفة - أنا مهتمة. فقط أفكر أن أي شخص يمكنه خنق شخص ما ووضع كيس على رأسه. فلماذا عناء الرماد؟».

- أتفق معك. أعتقد أن القاتل كان في حالة ضيق، مستعجلًا. ربما لأن النهار كان على وشك الطلوع، أو ربما أحد الضيوف الآخرين في المنتجع قد قاطعه. مع الزوجين من بريسبان، أخذ وقته. قلت لك إنه ليس برج تعذيب، لكنه نوعًا ما كان تجسيدًا حديثًا له. لقد عُثر عليهما مقيدَين في سيارتهما داخل المرأب، وأيديهما مربوطة

بمشدّات إلى المقود. كانت هناك آثار على السقف، كأن شخصًا ما وقف عليه، ووجدوا منفاخ أوراق ملقى على الأرض. يبدو أن القاتل قد سكب الرماد من فتحة السقف ثم وضع منفاخ الأوراق لإثارة الرماد في الهواء. كان الأمر مشابهًا مع السيدة التي وصلت إلى قسم الطوارئ لدينا. مقيدة برباط بلاستيكي، في مرحاض مغلق والنوافذ والمروحة مغطاة بشريط لاصق، ما عدا فتحة لتمرير المنفاخ. هذه هي طريقتهم المفضلة. ببطء. لكن كل هذا مجرد تخمين، بالطبع».

أكدت إيرين: «من البودكاست».

- من البودكاست.

قلت: «يجب أن يشبه الأمر الغرق في الهواء». لم أكن أتمنى لأحد أن يرى كوابيسي عن الاختناق، وقد كنت فاقدًا للوعي معظم الوقت عندما كنت في سيارة أمي كطفل. قرأت عن غواصين يغرقون على بعد بوصات من السطح، يشعرون أنه لو تمكنوا فقط من اختراق الماء لنجوا، لكنه يبقى بعيدًا، بعيدًا، عن متناولهم. لم أستطع أن أتخيل محاولة التنفس من الهواء الموجود أمامك دون الحصول على شيء منه. «إذا كنتِ تعتقدين أن القاتل هو نفسه، فهذا يعني أنك تظنين أن المعدات هي نفسها، أليس كذلك؟ ليس الرماد وحده ما جعلكِ تفكرين بهذا. هل تعتقدي أن العلامة على عنقه قد تكون ناتجة عن رباط بلاستيكي؟».

«أجل، هذا القطع في اللحم نظيف بما يكفي ليكون سببه مادة بلاستيكية، وليس حبلًا، حيث سيُسبب الحبل تمزقًا في الجلد، ولو كان سلك صيد، لكان القطع أعمق. لكن هنا، انظر...» أشارت إلى فم الجثة، الذي كان مفتوحًا قليلًا، وأخرجت هاتفها (البطارية: 85%) وسلطت ضوء الفلاش عليه. لم يكن هناك سر وراء إطلاق الإعلام لقب اللسان

الأسود على القاتل؛ ففم الرجل الميت كان مغطى بطبقة من الفحم الأسود، مما جعل لسانه يبدو كأنه كتلة سوداء خلف أسنانه الملطخة. «هذا في الغالب لغرض استعراضي، وليس سببَ الوفاة. الحقيبة كانت ستفي بغرض الاختناق على أي حال. ليس لهذا هدف سوى ترك بصمة».

سألت إيرين: «لماذا قد يفعل ذلك؟».

- شاهدت ما يكفي من الأشياء الغريبة في غرفة الطوارئ، لذا أستطيع تخمين بعض الأسباب. تعرف ما أفكر فيه، أليس كذلك، إرن؟ أنت تكتب عن هذه الأمور. ما المبدأ الأساسي لأسلوب القاتل السايكوباتي؟

قلت: «حسنًا، أعتقد أن الافتراض الأكثر شيوعًا هو أن السيكوباتيين يحتاجون إلى فعل الأمور بطريقة معينة. أنها جزء من طريقتهم، ولها معنى بالنسبة إليهم. ولكن لو كان الأمر بهذه الأهمية، لا أظن أنهم سيبذلون جهدًا للقتل دون تنفيذ طقوسهم كاملة، إلا إذا تعرضوا لمقاطعة. فحينها لن يستحق الأمر العناء. كما أن لا أحد سيوقد نيرانًا هنا؛ سيبدو ذلك واضحًا للغاية. لذا لا أعرف كيف يساعدنا هذا».

- في الحقيقة، لا تحتاج إلى النار بالقدر الذي تعتقده – الحيلة فقط هي الحصول على تلك الجزيئات في الهواء. ويمكنك شراء الرماد بأكياس كبيرة من أي متجر حدائق أو أدوات. قصدي أنهم ربما أحضروه معهم. كانوا مستعدين. لذا نظريتي الثانية، أعتقد، أنها الأرجح.

شعرت بمعدتي تنقبض في أثناء استنتاجي ما كانت على وشك قوله، ومدى تطابق ذلك مع نظريات إيرين ومايكل، لكن صوت صرير المعدن شتّت انتباهنا عندما فتح كروفورد الباب بعنف. كان وجهه محمرًا، يتصبب عرقًا، في حالة من الغضب الشديد. كان يمسك بمقبض

الباب المكسور بيدٍ، والقفل ما زال ملتصقًا به، وباليد الأخرى يمسك بمصباح الشرطة الثقيل. نظر إلينا جميعًا بالتناوب. بدا وكأنه يحاول أن يقول شيئًا، لكن لم يجد الكلمات التي تعبر عن غضبه، فصرخ فقط: «اخرجوا!».

خرجنا كالأطفال، رؤوسنا منخفضة، نتمتم بعبارات من نوع «عذرًا، حضرة الضابط» ونحن نغادر. كانت العاصفة قد هدأت قليلًا منذ وصولنا، وتمكنت من رؤية بيت الضيافة مرة أخرى، يبدو أشبه ببيت كعك الزنجبيل المغطى بطبقة طازجة من الجليد.

تبعنا كروفورد بخشونة نزولًا نحو التل. قال لي محرري إنه من المستحيل على أحدهم أن يسير بخشونة، لكن من الواضح أنه لم يسبق له أن مر بتجربة وجود الضابط كروفورد ينفث أنفاسه الغاضبة على بعد خطوتين خلفه، لذا سأظل متمسكًا بهذا الوصف. رفعت مفاتيح الشاحنة نحو إيرين، التي أومأت برأسها موافقة، بينما بدأنا التوجه نحو موقف السيارات. ثم استدارت إلى صوفيا، وهمست لها بصوت خافت حتى لا يسمع كروفورد.

- ما نظريتك الثانية؟

- اللسان الأسود يعلن عن نفسه. يريدنا أن نعرف أنه هنا.

الفصل الرابع والعشرون

يحتوي الجزء الخلفي من الشاحنة على باب دوار متموج ينزلق إلى السقف. كوب قهوة فارغ كان يستقر على حافته. استدار المفتاح بسهولة. أدرت المقبض تسعين درجة. شعرت أنها لحظة كبيرة، لذا توقفت، ناظرًا إلى الثلاثة الآخرين المتجمهرين حولي. كانت إيرين تعصر يديها، متلهفة لمعرفة ما إذا كان هذا سيكفي لإقناعي، وربما لتسمع مني ما لم يخبرها به مايكل. صوفيا كانت قد تبنّت استياءً متكلفًا، تتطلع إلى كشف أسرار مايكل. أما كروفورد فقد بدا أنه غير صبور. حاول بصوته الأكثر حزمًا وإصرارًا أن يأمرنا بالتوجه مباشرة إلى بيت الضيافة، لكنني توقعت أنه لن يحاول إيقافنا بجدية. وكنت محقًّا؛ فعندما رفضنا، اكتفى بمرافقتنا للتأكد من أننا لن نقوم بشيء آخر متهور. أما أنا؟ كنت أستعد للشعور بخيبة الأمل. كما قلت لمايكل، لن يثير إعجابي شيء أقل من مركبة فضائية.

رفعت الباب بضع بوصات. أول ملاحظة: لم ينفجر. (أعلم أن هذا يبدو جنونيًا، لكن العديد من السيناريوهات مرت برأسي، وفكرة أن يكون كل شيء معدًّا للتفجير كانت، أشعر بالخجل للاعتراف بذلك، التفجير كان أقلها غرابة). لم أفتحه ببطء من أجل التشويق؛ كان الباب مجمدًا من عند مفاصله. تطلب مني جهدًا كبيرًا لأفتحه بما يكفي لرؤية شق صغير من الظلام خلفه. شعرت وكأن يدي العاريتين تحترقان من شدة برودة المعدن. هممت بإعطاء دفعة أخرى، لكن يدًا على ذراعي أوقفتني.

قالت إيرين: «أول نظرة، أعتقد أنها تخصك أنت فقط».

من الواضح أن إيرين كانت تعلم شيئًا عما يوجد هناك. فقد ساعدت مايكل في النبش، بعد كل شيء. كانت تعتقد أنه مال، أو على الأقل أشياء ذات قيمة، وبالنظر إلى الحاجة لنقلها في شاحنة، فهذا يعني أن هناك الكثير منها. **مايكل طلب مني أن أثق بك وحدك.** وقد قال لي مايكل الشيء نفسه مباشرة، إنني الوحيد الذي يثق به بسبب شهادتي ضده. لقد سمح لنفسه أن يُعزل في درج جوارب متعفن لمجرد أن يعطيني المفاتيح في خصوصية. لم يكن من المفترض أن ترافقنا صوفيا أو كروفورد. إيرين كانت محقة.

رفعت صوتي فوق صوت الرياح: «أحتاج إلى دقيقة لأرى بنفسي. أمم... قد لا يكون آمنًا».

أدركت أن هذه حجة ضعيفة. أدارت صوفيا عينيها. تساءلت عما إذا كانت منزعجة أكثر من استبعادها، أم لأن كل مرة أقف فيها في صف إيرين أو مايكل كانت تشعر بأنها تبتعد أكثر عن جزء من المال. خطر لي أن هذا ربما كان السبب في أنها قاطعتنا في سقيفة الصيانة عندما فعلت؛ كان توقيت تدخلها بالتحديد بعد أن وجدتُ أنا وإيرين أرضية مشتركة وبدأنا نتحدث كفريق. توقعت مقاومة أكبر من كروفورد، لعدة أسباب (سلسلة الأدلة، الشهود، الحفاظ على المظهر الخارجي للشرطي الكفء)، لكن بدا أنه تخلى تمامًا عن محاولة التصرف كشرطي. قادت إيرين كلًا من صوفيا وكروفورد حول الشاحنة، ومع دفعَتين أخريين تصدّع فيهما الجليد، فتحت الباب.

كان الهواء لا يزال كثيفًا بالجليد، والسماء رمادية لدرجة أنه حتى بعدما فتح الباب، لم يكن داخل الشاحنة مضاءً بما يكفي لرؤية عمقها.

كانت الجدران مبطنة بالحبال والأحزمة المعتادة لنقل الأثاث. لكنني استطعت رؤية شكل محدد بوضوح في الخلف. بدا وكأنه...

لم أكن متأكدًا؛ احتجت إلى نظرة أقرب. تسلقت إلى داخل الشاحنة. أصدرت الشاحنة صريرًا وتمايلت على عجلاتها بينما تقدمت نحو الشيء. كان الهواء راكدًا ويعبق برائحة، من بين كل الأشياء، التراب الطازج. لقد نبشنا شيئًا.

تأقلمت عيناي مع الظلام. من بين كل الأشياء التي فكرت أنها قد تكون داخل الشاحنة، التي ربما تُثبت براءة مايكل ومكان وجوده الليلة الماضية، لم يخطر هذا الشيء ببالي قطُّ. وقفت مذهولًا لبضع ثوان، حتى سمعت طرقًا على جانب الشاحنة. صوفيا نادت بصوت مكتوم لكن واضح: «حسنًا، ما هو؟».

سرت إلى المدخل وسحبت الباب لأسفله، محكمًا إغلاقه من الداخل، غارقًا في الظلام. كانت إيرين محقة. هذا كان لي، ولي وحدي.

التابوت كان لا يزال يحمل آثارًا من الطين المتراكم على زواياه. هذا يفسر رائحة التراب الطازج. تفحصته على ضوء مصباح هاتفي (البطارية: 37%). بدا التابوت فاخرًا، مصنوعًا من خشب متين، ربما من البلوط، وكان مطلي بالورنيش بما يكفي لكيلا يظهر عليه التدهور كثيرًا، وزُيّن بمقابض من الكروم الفاخر على كلا الجانبين. لم يبدُ جديدًا، لكنه أيضًا لم يبدُ وكأن عمره مئة عام. كان من الصعب تحديد عمره. لوسي ستكون مسرورة: عندما يتعلق الأمر بتقديم حجة تبرر الغياب، كان نبش القبور حجة جيدة بما يكفي.

أول ما خطر لي هو أن هذا قد يكون تابوت هولتون، فقط لأنني لم أتمكن من تخيل من غيره قد ينبش أخي قبرًا لأجله، وكان هناك نوع من السخرية الدائرية في كونه الرجل الذي حاول أخي دفنه في المقام

الأول. لكن هذا التابوت كان مصممًا للتباهي، لعرض الجثث في مراسم مفتوحة، لشخص محبوب ومُحترم. وبما أن مايكل أخبرني أن آلان كان مدينًا لنصف نزلاء السجن، لم أعتقد أن أحدًا سيخرج من جيبه ليمنح هولتون مكانًا فاخرًا كهذا ليرتاح.

مررت بأطراف أصابعي بخفة فوق الخشب بينما كنت أسير على مدى طوله. أصدر محور الشاحنة الخلفي صوت صرير عندما حركت وزن جسدي عبر الأرضية المعدنية الرقيقة. رأيت صفًّا من المسامير قد سُحب حول حافة التابوت لفتح الغطاء. أدركت أنه قد لا يكون تابوتًا على الإطلاق، بل صندوقَ تخزين يتظاهر بأنه واحد، وربما يكون مايكل قد أخذ ما يريده منه بالفعل.

يخفي الناس الأشياء في التوابيت، أليس كذلك؟ لكن إذا كان الأمر كذلك وقد أفرغه، فلماذا احتاج أن يريني إياه؟ وإذا كان **شخص** قد دُفن هنا، فكيف لي أن أتعرف على شخص ظل في الأرض لفترة طويلة؟ كومة من العظام لن تعني لي شيئًا، هويته لن تكون معروفة.

بينما كنت أفكر في كل هذا، لامست أطراف أصابعي نقشًا خشنًا على الخشب المطلي. كان هناك رمز اللانهائية محفورًا في الخشب.

تدفقت إلى ذهني ذكرى مفاجئة. عن جنازة رسمية، مناسبة تتطلب تابوتًا فاخرًا. عن سكين سويسري يحفر رمز الأبدية في البلوط. عن قبعات موضوعة على الصدور وقفازات بيضاء وأزرار ذهبية. ربما كنت أشك في قدرتي على التعرف على العظام في الداخل، لكنني كنت أعرف **هذا** التابوت.

مايكل وإيرين قد نبشا قبر شريك آلان هولتون: الشرطي الذي أطلق أبي النار عليه.

الفصل الخامس والعشرون

كنت أعلم أن عليّ فتحه. ولتذهب باندورا[1] إلى الجحيم.

أغطية التوابيت ثقيلة للغاية؛ الفاخرة منها مبطنة بالرصاص لتمنع تسرب السوائل من خلال الخشب مع التحلل، وحتى من دون الوزن، تتشوه المفاصل بفعل الرطوبة وضغط ست أقدام من التراب. إنها كحالة تيبس الموتى لكن بالنسبة إلى الأشياء الجامدة. لو لم يكن مايكل قد فتحه مسبقًا، لما كنت استطعت فتحه بمفردي. لإدخاله في الشاحنة، لا بدَّ أن مايكل وإيرين قد استخدما نوعًا من نظام البكرات بواسطة الأحزمة المتدلية من الجدران.

بما أنني كنت بمفردي، أدركت أن بإمكاني تحريك الغطاء بالوقوف على جانب المفصلات، والانحناء فوق التابوت، وتثبيت أصابعي تحت الحافة، ثم سحبها بكل ثقلي للخلف. كان هذا مجهودًا كبيرًا بالنظر إلى البرد؛ داخل الجدران المعدنية الأربعة، على الجبل، كانت الشاحنة أشبه بشاحنة ثلج. كانت أنفاسي تظهر في الهواء البارد مع الجهد، فيما انفتح الغطاء ببطء مؤلم لبضعة سنتيمترات حتى تغلب القصور الذاتي على الوزن وانفتح الغطاء بالكامل، تقريبًا مما جعلني أسقط على مؤخرتي وأقلب التابوت. لحسن الحظ، لم أضطر إلى التعامل مع

(1) في الميثولوجيا الإغريقية، تفتح باندورا -أول امرأة خلقت في العالم وفق الأساطير اليونانية- صندوقًا محرمًا وأطلقت منه كل شرور العالم. (المترجمة)

مجموعة من العظام؛ اهتز التابوت قليلًا باتجاهي لكنه استعاد توازنه. أصدرت الشاحنة صريرًا آخر، وكأنها تتوسل إليَّ أن أكفَّ عن الإفراط في الحركة.

أضأت التابوت بضوء هاتفي (البطارية: 31%).

لم يكن التابوت فارغًا، كما كنت أشك إلى حد ما، لذلك كانت رؤية جثة فيه أقرب إلى الشعور بالارتياح من الصدمة، لأن هذا على الأقل ما كان يفترض أن يكون موجودًا بداخله.

درس علمي سريع: خمس وثلاثون سنة كافية، بناءً على طريقة الإغلاق ومواد التابوت، لتحويل الجثة إلى حالة شبه محنطة. هذه المدة ليست كافية لجعل جميع سائله والعظام لا تتحول إلى غبار إلا بعد مرور ما يقرب من قرن، لذا تكون النتيجة هيكل عظمي مغطى بقطع متقشرة من الأوتار الرمادية. لم أكن أعرف هذه الحقائق العلمية في ذلك الوقت - اضطررت إلى البحث عنها لاحقًا لكتابة هذه القصة- لذلك لم أكن متأكدًا مما يأمل مايكل أن أتعلمه، بشكل جنائي أو بديهي، من رؤية جثة نصف متحللة. هززت رأسي منددًا بعبثية الأمر كله.

مع ذلك، فكرت أنه قد يوجد هناك شيء آخر مُخبَّأ. مايكل بالتأكيد كان ليأخذ أي شيء ذي قيمة حقيقية، لكنني تذكرت محاولته في أن يريني شيئًا، إذ بدأ يتحسس جيوبه ويقسم عندما لم يجده. ثم فكرت، إن كان شيئًا صغيرًا بما يكفي ليوضع في جيبه، فلماذا يخبئه في تابوت كبير منذ البداية؟ ولماذا سيحضر مايكل التابوت كله إلى هنا إذا كان قد أخذ ما يحتاجه منه بالفعل؟

كنت بحاجة إلى إلقاء نظرة أقرب. سقط ضوء مصباحي (البطارية: 31%) أولًا على بقايا قدم بشرية، التي بدت بشكل منفصل كأنها طائر صغير: عظام رقيقة طويلة تكاد تشكل قفصًا. تابعت الفحص إلى

الأعلى باتجاه الساقين، اللتين كانتا شمعيتين في أثناء عملية تحللهما، محاولًا تذكر ما يكفي من علم الأحياء من المدرسة الثانوية لأعرف إن كان هناك شيء غير طبيعي. كان المنظر فوضويًّا أكثر من أي هيكل عظمي نموذجي رأيته؛ جزء من القفص الصدري كان متفتتًا، مما جعله يبدو كأن به أضلاعًا إضافية. لم يكن هناك أثر لقطع الملابس سوى بعض الأزرار الذهبية المتبقية على بقايا الصدر الممزقة فوق الأضلاع، ومشبك حزام مستقر في فجوة الحوض.

لا بدَّ أن أعترف، رغم أنني كنت أنظر إلى رجل ميت، رجلٍ أطلق عليه والدي النار في رقبته، لم أشعر بشيء. لا تأنيب ضمير، ولا اشمئزاز. كان الأمر أشبه بالنظر إلى جثة على الجبل: مسألة علمية بحتة. والآن، بعد أن أخبرني مايكل أن هذه الجثة تخص شخصًا فاسدًا، شخصًا حاول قتل والدي، شعرت ببرودة أكبر. الجسد في التابوت لم يكن يعني لي شيئًا. لقد حاولت بجهد كبير أن أحمي نفسي بالتجاهل التام، لدرجة أنني لم أكن أعرف شيئًا عن هذا الشرطي الذي مات منذ زمن طويل. لست متأكدًا حتى من أنني كنت أعرف اسمه.

ومع ذلك، في آخر مرة تحققت فيها منه، لم يكن يمتلك رأسين.

لقد شاهدته داخل هذا التابوت من قبل، في الجنازة في أثناء مشاهدة الموتى في التابوت، وكان يحتوي بالتأكيد على شخص واحد فقط. كنت أتساءل ليس فقط عن **هوية** الشخص الآخر في هذا التابوت، ولكن عن كيفية وصوله إلى هناك.

الجمجمة الثانية كانت أصغر حجمًا، لكنها كانت متحللة بالدرجة نفسها. كان هناك جلد مشدود، كالجلد المدبوغ، يغطي فروة الرأس. الرأس كان مائلًا للأسفل، والفك يواجه الوسادة الحريرية التي كانت بيضاء سابقًا، مما أتاح لي رؤية ثقب مسنن في الجزء الخلفي من

الجمجمة، وتشققات تمتد نحو الأذنين. ربما بسبب طلق ناري أو ضربة، لم أكن متأكدًا، لكنها كانت إصابة كافية لقتل صاحبها. عندما نظرت من كثب، لاحظت عظامًا رفيعة ودقيقة -عمودًا فقريًّا- يتصل بالهيكل الأكبر. كانت الأضلاع متشابكة معًا مع تآكل اللحم، مما يفسر الأضلاع التي ظننت أنها تتحلل- فقد كانت في الواقع تنتمي إلى الجثة الثانية.

تتبعت العمود الفقري بحذر، وصولًا إلى الحوض، والركبتين المثنيتين، والقدمين (تشبهان هياكل طائرين صغيرين) تتكئان فوق ورك الهيكل الأكبر، وكأنهما تبحثان عن الأمان بقربه. تتشبثان به. كان المشهد أشبه بغلاف مجلة «رولينج ستون» (Rolling Stone) الشهيرة ليوكو أونو وجون لينون. سواء كنت طالبًا ضعيفًا في علم الأحياء أم لا، كان هناك جانب واحد لا يقبل الشك في هذا المشهد بأكمله: محيط العظام النحيل. كان هذا شخصًا صغيرًا. شابًّا.

مايكل أحضر هذا التابوت كله إلى هنا ليُريني هذا: جسد طفل متكور بجانب عظام شرطي.

الآن، كان عليّ أن أسأله لماذا. خطوت نصف خطوة باتجاه الباب الخلفي.

حينها بدأت الشاحنة في التحرك.

الاصطدام الأول كان كافيًا ليجعلني أهتز قليلًا، متأرجحًا إلى الخلف على كعبي. شعرت بمعدتي وكأنها تقفز بحبال لعبة البنجي[1] بينما تحاول أعضائي التكيف مع سرعتها الجديدة مقابل قدمي الثابتتين. محاطًا بالظلام، استغرق عقلي بضع ثوانٍ ليطمئنني أنني ما زلت متوازنًا. تقدمت للأمام بخطوات متوازنة، وكأنني أسير على سطح

(1) لعبة يقفز فيها اللاعب من مكان مرتفع وفي رجليه حبل مطاط حتى إذا دنا من الأرض رفعه هذا الحبل

سفينة. لم تكن المسافة سوى بضعة أمتار، لكن أريدك أن تعرف أن كل ما حدث بعد ذلك وقع في ثوانٍ معدودة. كانت هناك سلسلة من الضربات العاجلة على جانب الشاحنة.

صوت أنثوي. لم أستطع تمييز ما إذا كانت إيرين أم صوفيا: «إرني، اخرج من الشاحنة اللعينة!».

حاولت الإسراع مع الحفاظ على توازني. شعرت بإحساس غريب وكأنني أسير صعودًا، مما يعني أن الشاحنة كانت تتحرك للأمام، وكنت أتحرك بعكس الاتجاه نحو الباب الخلفي. كانت الأحزمة القماشية المعلقة من الجدران تميل نحو الكابينة الأمامية. استمر الطرق على جانب الشاحنة، لكن هدير العجلات التي بدأت تتسارع كان يغطي على الصوت المرافق لها.

لكنني كنت أعلم ما كانوا يقولونه: **أسرع**. كنت قد أدركت ذلك بالفعل. الشاحنة كانت متجهة نحو أسفل التل، والمكان الوحيد الذي كان الجبل ينبسط فيه كان في وسط بحيرة متجمدة...

ظهر خيط من الضوء عندما اهتز الباب وارتفع نصف متر. برز رأس إيرين من الباب، كانت تلهث، وتحاول المشي بسرعة للحاق بالشاحنة. «هيا، إرني. أسرع! المنحدر يصبح أكثر انحدارًا».

صرخت بينما أتمايل نحوها ضد انحدار الأرضية: «ما الذي يحدث بحق الجحيم؟».

«فرامل اليد مرفوعة. يبدو أنك هززتها قليلًا، فبدأت تتحرك. كروفورد يحاول فتح باب السائق لتشغيل الفرامل الحقيقية. هناك بعض السائل البني على الأرض، قد يكون سائل الفرامل– لذا وفر علينا جميعًا الوقت واخرج حالًا في حال لم نتمكن من إيقافها». حاولَت الإمساك بأسفل باب الشاحنة المتذبذب، لكنها لم تستطع الثبات والجري في الوقت نفسه.

في ثوانٍ قليلة، تحولت خطواتها السريعة إلى جري مترنح بساقين متباعدتين في الثلج العميق.

الشاحنة لم تكن تسير بسرعة كبيرة، لكن كان من الصعب مواكبتها وسط الثلج المتراكم. كنت أعلم أن المسافة إلى الطريق نحو مئة متر، وبعد عبوره يوجد بضع مئات أخرى إلى البحيرة. المنحدر الحقيقي يبدأ بعد عبور الطريق، لكن الشاحنة كانت ثقيلة جدًّا، وإذا اكتسبت سرعة كافية، فسيكون من المستحيل إيقافها. كنت أعرف أن عليّ الخروج قبل أن تبدأ بالتحرك بسرعة حقيقية.

قالت وهي تمد يدها نحوي: «عليك أن تنحني للأسفل، الثلج ناعم بما يكفي لتسقط عليه، لذا فقط تدحرج للخارج».

انحنيت، واضعًا ركبتي على الأرض، وفي تلك اللحظة اهتزت الشاحنة مجددًا، أقوى من المرة الأولى. انزلقت بعيدًا عن يد إيرين، وحاولت الإمساك بأحد الأحزمة، لكنني أخطأت الهدف، وسقطت بقوة على مؤخرتي، انزلقت إلى الخلف حتى توقفت عند كابينة السائق بضربة أخرجت الهواء من رئتي. يبدو أن الشاحنة قد بدأت بالفعل تنحدر، لأن كل شيء كان يتحرك: الأحزمة المعلقة كانت ترفرف ضد الجدران ووجهي، وسقط صندوق الأدوات في مكان ما، وبدأت البراغي والمفاتيح تصطدم بالأرض وترتطم بالجدار الخلفي. أدرت رأسي في الوقت المناسب لتجنب مفك براغٍ، كان يندفع نحوي بنهايته الحادة، وارتطم بالمعدن بجوار أذني.

ثم سمعت صوت صرير طويل وبطيء. صوت خدش على الأرضية. كان التابوت ينزلق باتجاهي. عدة مئات من الكيلوجرامات من الرصاص والخشب وجثتين. حاولت التحرك، لكن الجاذبية والفوضى كانتا

رفيقتين قاتلتين. لقد أخبرتك مسبقًا أنني كنت أكتب كل هذا بيد واحدة: هذا هو السبب.

كان هناك انفجار ألم في معصمي الأيمن، تبعه تخدر شبه فوري، كما لو كنت قد جلست عليه. حاولت سحب نفسي عن الجدار، لكن شعرت بشد في كتفي. ذراعي لم تكن تستجيب للأوامر. يبدو سخيفًا أنني اضطررت إلى النظر إليها لأفهم الوضع: التابوت اصطدم بمنتصف ساعدي، مثبتًا إياه على الجدار. لقد رأيت للتو يد الهيكل العظمي، فخطرت في بالي صورة مثيرة للغثيان لعشرات العظام الصغيرة التي ربما كسرتها. لكن هذا كان أقل مشكلاتي أهمية. في البداية، كانت الشاحنة تنزل المنحدر ببطء بينما كنت أحاول الخروج منها بغير مبالاة. أما الآن، ومع ازدياد سرعتها، وجدت نفسي محبوسًا.

استخدمت ذراعي السليمة لجذب مرفقي المحاصر، لكنه لم يتحرك. ثم حاولت أن أدس أصابعي بين النعش والجدار، محاولًا تخفيف الضغط ولو لمليمتر واحد، مجرد فراغ صغير، لكنه كان ثقيلًا جدًّا. عندما سحبت يدي، كانت مبللة ولزجة. دم. لم أكن أشعر به، كل شيء كان مخدرًا من الصدمة، لكنني كنت أمزق الجلد عن يدي وأنا أحاول السحب. سيخبرني مسعف لاحقًا –عندما كنت بعيدًا عن الجبل، بعد ثلاث وفيات أخرى وكشف القاتل المقنع– بينما كان يمرر إبرة معدنية منحنية عبر قطع الجلد الممزق، أن المصطلح الطبي هو « ديجلوفينج[1]». الشكر لله أنني لم أكن أعرف ذلك في حينها؛ وإلا كنت سأفقد الوعي.

---

(1) إصابة نزع القفازات، والمعروفة أيضًا باسم القلع، هي نوع من الصدمات يتم فيها سحب العضلات أو العظام أو الهياكل الجسدية بالكامل بعيدًا عن جزء كبير من الجلد، وأحيانًا الأنسجة الموجودة تحته. يمكن أن يؤثر على الأطراف والجذع وفروة الرأس ومناطق أخرى من الجسم. (المترجمة).

نظرت إلى المدخل لأقيم فرصي في الإنقاذ، التي لم تكن مطمئنة. كانت إيرين ما زالت تحاول اللحاق، على الرغم من الثلوج العميقة، لكن النظرة على وجهها أظهرت مدى استعجالها. رأيتها تحاول الوصول إلى الشاحنة، يتحرك رأسها في قفزة خفيفة وهي تحاول الإمساك بالشاحنة والصعود، لكنها تفقد قبضتها وتنزلق بعيدًا، ثم تعود للمحاولة مرة أخرى.

صرخت: «أنا محاصر». غير متأكد مما إذا كانت ترى النعش وهو يسحق ذراعي. تساقطت بعض البراغي والصواميل عبر الأرضية. «كم تبعد البحيرة؟»

«هذا ربما سؤال» -كانت تلهث الآن؛ عمق الثلج الطازج كان يرهقها أكثر من السرعة، ويجعل من الصعب عليها القفز إلى الشاحنة التي كانت بارتفاع يصل إلى الورك- «لا تريد معرفة إجابته».

أجاب ذلك عن سؤالي بقدر ما كان عدم الإجابة عنه سيفعل. الوقت لم يكن فقط مستعارًا، بل كان يتقاضى فوائد أيضًا. وضعت قدميّ على التابوت وحاولت دفعه جانبًا، ساحبًا ذراعي بشدة حتى شعرت أنها قد تنخلع من مفصل كتفي. لكنه لم يتحرك بوصة.

صرخت. «أين الطريق الرئيس؟ المنحدر الثلجي الذي يحده...». أصبح من الصعب عليَّ التقاط أنفاسي. «قد يكون كافيًا لإيقافنا».

صاحت إيرين: «لقد تجاوزناه، اخترقناه مباشرة». تبًا. لا بدَّ أن المنحدر الثلجي كان الصدمة التي أطاحت بي. يا له من منقذ.

أعدت ترتيب خريطتي الجغرافية الذهنية. إذا كنا قد تجاوزنا الطريق، فهذا يعني أن المنحدر سيصبح أكثر انحدارًا قريبًا جدًّا.

جاء صوت جديد، صوت صوفيا. كان من الصعب رؤيتها في الضوء الخافت ومع تسارع الشاحنة، لكن استطعت تمييز ملامح رأسها تظهر

في المشهد: «إرن. ماذا يحدث؟ لديكِ نحو ثلاثين ثانية قبل أن نفقد السيطرة. اخرج حالًا!».

- أنا مصاب. لا أستطيع التحرك.

- انتظر. هل هذا تابو...؟

قاطعتها إيرين: «ساعديني على الدخول إلى هناك».

- هل هذا آمن؟

- بالطبع لا. أعطيني دفعة.

بدأ كل شيء يصبح ضبابيًّا. لا بدَّ أن الأدرينالين كان ينفد، لأن الألم بدأ ينتشر في معصمي ويولد حرارة في ذراعي، مما جعل أطراف رؤيتي ضبابية وغير واضحة. حاولت بقدر المستطاع التركيز على إيرين وصوفيا. كانتا في الضوء، وكانتا أجسامًا صلبة. بدا أنهما تبعدان عني بمسافة لا نهائية. ثم وصل ظل ثالث.

صوت ذكر الآن، إنه كروفورد: «لا فائدة. كسرت النافذة لكنها عالية جدًّا. ليس هناك وقت كافٍ قبل أن... انتظروا...» كانت كلماته التالية مكتومة، لكن التقطتُ ما يكفي منها. «ألم تُخرجوه بعد؟».

قالت صوفيا: «إنه عالق».

- عالق؟

- إنه مصاب.

- إلى أي درجة؟

- لست متأكدة.

قالت إيرين بغضب: «عالق بما يكفي لعدم وجوده هنا معنا».

قال كروفورد: «آه. انتبهي على أصابع قدمي». بينما كانت إيرين تدوس عليهم.

لا بدَّ أن ثلاثتهم معًا قد رفعوا الباب قليلًا، لأن الضوء اجتاح المكان. تحدث كروفورد مجددًا: «يا إلهي، هل هذا...؟».

كان ذلك عندما تحوَّل كل شيء فجأة من حالة إنذار بسيطة إلى ذعر كامل. الثلاثة كانوا يركضون الآن بالفعل؛ لا بدَّ أننا وصلنا إلى المنحدر الأكثر انحدارًا. أدركت أن الضوء الإضافي كشف عن إصابتي بشكل أكبر، مما زاد الفوضى. بدأت إيرين تصرخ على كروفورد أن يدفعها لتستطيع الدخول. سمعت كروفورد يرفض بحزم: الوضع خطير للغاية؛ محفوف بالمخاطر. أمور من شأنها أن تثير غضبها، حيث برز التحيز الجنسي تحت ستار البطولة.

انتظرت أن أسمع صوت جزمة كروفورد وهو يصعد إلى الشاحنة بدلًا من ذلك. فجأة ضربني حزام في وجهي. أمسكته بيدي الحرة وانتزعته بكل قوتي. من علقه على الحائط لم يربطه جيدًا، إذ انخلع وسقطت البكلة المتصلة به محدثةً صوت طقطقة على الأرض. كان أشبه بحزام أمان عملاق. سحبته، محاولًا لفه بيد واحدة حول خصري وربط عقدة بسيطة. كانت الحلقة فضفاضة، لكنها قد تكون كافية.

«أسرع! اللعنة، إرني، افعل شيئًا!». كانت هذه صرخة صاخبة ومرعوبة من صوفيا، وكان صوتها يبتعد قليلًا. أدركت أنني لم أسمع كروفورد وهو يصعد إلى الشاحنة. استوعبت حينها أنه لم يكن يمنع إيرين لينقذني هو. بل كان يوقفها عامةً. رفعت رأسي عن الحزام لأرى الثلاثة يتضاءلون بسرعة. ثم لاحظت أن جميع الأحزمة عادت لتتدلى عموديًّا. عادت الجاذبية لوضعها الطبيعي، وشعرت بانحسار القصور الذاتي في معدتي، مما يدل على أن الشاحنة قد توقفت.

كان من المفترض أن يكون هذا خبرًا جيدًا، إلا أنني أدركت أن الشاحنة لم تتفوق على صوفيا وإيرين وكروفورد. توقفوا عن ملاحقتها لأن الأمر

لم يعد آمنًا. لقد نفد وقتهم. وهذا يعني أنني أصبحت الآن محبوسًا داخل أربعة أطنان من المعدن، في وسط بحيرة متجمدة.

سأجنبك التشويق المزيف لصوت الجليد المتصدع ببطء وتشققات السطح الذي تشبه شبكة العنكبوت: لم تستقر الشاحنة لأكثر من خمس ثوانٍ قبل أن تهوي عدة أمتار مهتزة، وتستقر بزاوية ثلاثين درجة. المقصورة، التي كانت خلفي، غرقت أولًا. اهتزازة أخرى، وأصبحت الشاحنة بأكملها مائلة بزاوية خمس وأربعين درجة. كنت أعلم أن عليّ التفكير في حل، وبسرعة.

بدأت تتشكل نواة خطة بسيطة في ذهني. رميت بكلة الحزام الثقيل بقوة، لكني أفرطت في دفعها، فارتطمت بالباب الذي كان لا يزال نصف مغلق وسقطت عائدة نحوي. في المحاولة التالية، دفعتها عبر الأرضية؛ تزحلقت قليلًا قبل أن تنزلق خارج الفجوة. لم أتوقع أن تثبت في شيء يمكن أن يتحمل وزني - فسطح البحيرة كان خاليًا- لكنني أردت شيئًا يصل إلى السطح. إذا غطست تحت الماء، كان أهم شيء بالنسبة لي هو العثور على الفتحة في الجليد مرة أخرى. إذا لم أشد الحزام، مع كونه غير مثبت، فقد أتمكن من تتبعه إلى السطح. بدأت الجدران تئن من ضغط الماء الخارجي. كان بإمكاني سماع قطرات تتساقط، وشممت رائحة الثلج. لست متأكدًا، لكنني ربما كنت بالفعل تحت مستوى الماء في هذه المرحلة. أمسكت بمقبض التابوت المصنوع من الكروم بيدي السليمة، مستعدًا لما سيأتي بعد ذلك. كانت هذه فرصتي الوحيدة.

حدث الأمر بسرعة. تصدع آخر في الجليد وفجأة كنت على ظهري، أنظر إلى الأعلى عبر الباب شبه المفتوح إلى السماء فقط. كانت الشاحنة بزاوية تسعين درجة. كان هذا كل ما أحتاج إليه. بدلًا من دفع التابوت عني عكس الجاذبية كما كنت أحاول، سحبت مقبض الكروم على التابوت

نحو سقف الشاحنة. قبل أن ننقلب، كان ذلك سيشبه رفع ثقل، لكن الآن التابوت كان واقفًا تقريبًا. كل ما عليَّ فعله هو إمالته. متجاهلًا الألم الذي كان يطحن ساعدي كالهاون والمدقة، بذلت كل طاقتي. وأخيرًا، حدث شيء إيجابي.

انقلب.

أعتذر إن لم أعبر عن حماسي بشكل جيد.

لقد انقلب!

اصطدم التابوت بسقف الشاحنة (الذي أصبح الآن الجدار)، مستقرًا بزاوية فوقي، وغطاؤه مفلطح، متناثرًا بالغبار والعظام في كل مكان على الجدار الخلفي (الذي أصبح الأرضية)، محررًا يدي (التي أصبحت مسطحة) في الوقت نفسه. تدحرجت إلى الجانب خشية أن يستقر التابوت فوقي مرة أخرى، ممسكًا بيدي المشوهة، وأشعر بالرطوبة، لكن لم تكن لدي القوة بعد لتفقد الضرر. إما أن البرد كان شديدًا وإمَّا أن الصدمة كانت كبيرة لدرجة أنني لم أستوعب الألم بشكل كامل.

وقفت على قدمي ونظرت نحو السماء. الحزام الذي قذفته لا يزال يمتد للأعلى ويخرج من فوقي. خُيل لي أنني سمعت صراخًا – اسمي على الأرجح. لم أكن متأكدًا. نظرت حولي داخل هذا السجن. لم يكن هناك أي وسيلة تمكنني من تسلق الجدار الذي كان في الأصل أرضية، ليس وذراعي مهشمة. الحزام لم يكن معلقًا في شيء، لذا لم يكن بالإمكان استخدامه للتسلق. وبالطبع، كانت الشاحنة لا تزال تغرق. الماء بدأ يتسلل إلى كاحليّ، يتسرب من شق في أحد الجدران. قد يمتلك الإسكيمو آلاف الكلمات لوصف الثلج، لكن لا توجد كلمة تصف كم كان الماء باردًا حد الخدر. قبل سنوات، عندما كنت أنتظر نتائج عيادة الخصوبة – بعد أن اكتشفت أن حرارة كيس الصفن للخصيتين قد تؤثر على عدد

الحيوانات المنوية، وبدأت أستبدل الملابس الضيقة بالبناطيل الواسعة التي تشبه الملاكمين وأحمل كيسًا من الثلج إلى حوض الاستحمام – ربما كنت سأتحمس لإمكانية وجودي في ماء بارد بهذا القدر. لكن ليس الآن. الآن كان هذا الماء مُخدرًا، يهدد بإيقاف القلب. فكرة دفعت نفسها في ذهني بأن هذه هي الطريقة التي يصنعون بها الكافيار؛ يصدمون سمك الحفش بالماء البارد قبل أن يفتحوه.

سرعان ما بدأ الماء بالتدفق فوق حافة الباب. في البداية كان تيارًا ثابتًا من إحدى الزوايا، لكنه سرعان ما تحول إلى ستة شلالات حول الحافة. الرغوة المتجمدة وصلت إلى ركبتيّ. واصلت النظر للأعلى، آملًا أن يبقى الحزام ثابتًا على الجليد ولا ينزلق إلى داخل الشاحنة. راجعت العقدة حول خصري بيدي السليمة. كانت خطتي بسيطة: أن أترك الماء يرفعني لأقترب قدر الإمكان من مخرج الشاحنة، وحين تمتلئ الشاحنة، كل ما عليّ فعله هو السباحة لأعلى، فيما الشاحنة تهبط بعيدًا عني. تذكرت أن أستخدم الأرضية لتوجيه نفسي عبر الفجوة في باب الشاحنة حتى لا أعلق، وألا أفقد الوعي من صدمة المياه الباردة. وألا أضغط على الحزام. لكن حتى لو فعلت، التوجيه كان واضحًا: لأعلى، لأعلى، لأعلى. بسيطة بما يكفي، بالطبع. شعرت بالحزام يشتد حول خصري، وكأنه يسحبني للأعلى.

وصل الماء إلى صدري، ولم أعد أسمع شيئًا سوى هدير الماء في أذنيّ. لم أستطع رؤية سوى رقعة صغيرة من السماء مرقطة بفعل الرذاذ ورغوة الثلج. بل وأضيق أيضًا. كل شيء تحت رقبتي كان متجمّدًا بفعل البرد. فكرت في سمك الحفش. كانت فكرة مريحة أنني، لو توقف قلبي من الصدمة، على الأقل لن أضطر أن أبقى واعيًا وأنا أغرق.

لأعلى، لأعلى، لأعلى كررتها في عقلي. ثم اختفت السماء. أخذت نفسًا عميقًا. **لأعلى. لأعلى. لأعلى.**

الفصل السادس والعشرون

استيقظت وأنا عارٍ.

حاول عقلي أن يستوعب ما إذا كان أحدهم قد سحبني من الجليد إلى ضفة النهر، لكن مع عودة حواسي تدريجيًّا، أدركت أنني لست باردًا بما يكفي لأكون بالخارج. كنت في سرير. الأغطية كانت ملفوفة حول رقبتي بإحكام، كما لو كنت طفلًا معرضًا للكوابيس، ملفوفة وكأنني في مصحة عقلية. أغمضت عينَيَّ لأزيل الضباب.

لم أكن مرتفعًا، لذا لم أكن في سريري في علية الشاليه. بدا لي أنني في إحدى غرف بيت الضيافة. لم تكن هناك ميزات تميز المكان؛ الغرفة مضاءة بشكل خافت والستائر مسدلة. كان ذلك مزعجًا، لأنني لم أستطع تحديد الوقت ولم أرغب في أن أكون مثل تلك الكليشيهات فيكون أول سؤال عند الاستيقاظ: «كم الساعة؟» أو «كم من الوقت بقيت نائمًا؟»

كان هناك ظلَّان يتبادلان همسات على الجانب الآخر من الغرفة، غير مدركين أنني استيقظت. كان الألم نابضًا ومستمرًا في يدي اليمنى. دفعت الغطاء للأسفل لأعاين الضرر، وأدركت أنني أرتدي قفازَ مطبخ مزخرف بالورد. حاولت شده بحذر، تألمت حينما رفض القفاز الخلع. وضعت إصبعًا في الفتحة وشعرت بغشاء لزج؛ بدا أن جلدي قد تلاصق بألياف القطن. لقد التحمت بالقفاز اللعين.

وضع أحدهم يده على كتفي ليوقفني من سحب القفاز: «لا أنصحك بذلك». نظرت إلى الأعلى ورأيت جولييت، مالكة المنتجع، تهز رأسها. كانت كاثرين خلفها: «لن ترغب برؤية ذلك».

قدمت لي كاثرين حبة من زجاجة برتقالية صغيرة. أخذتها وفحصتها. قالت: «أوكسيكودون، مسكن للألم. للحالات الحرجة»، كنوع من التوضيح. كان ذلك كافيًا لي، فوضعتها في فمي. فكرت كاثرين لثانية، متسائلة ربما عن تأثير حيازة تلك الحبوب على صفة التزامها بالرصانة، وتابعت بلهجة دفاعية: «من أجل ساقي».

خذلت نفسي بسؤالي: «كم من الوقت كنت غائبًا عن الوعي؟».

سارت كاثرين نحو النافذة وسحبت الستائر، كاشفةً عن السماء السوداء الأبدية نفسها التي نمت تحتها الليلة الماضية. بدا وكأن الثلوج توقفت، لكن الرياح لا تزال قوية على ما يبدو: كانت النافذة تهتز في إطارها.

قالت جولييت: «بضع ساعات». نهضت لأجلس، مما تسبب في نوبة سعال ومحاولة مستميتة للحفاظ على كرامتي مع تحرك الأغطية. ناولتني كاثرين روب فندق أبيض، وكانت يدها مسطحة لتحجب رؤيتها. أدركت أن مارسيلو كان أيضًا في الغرفة، جالسًا على أريكة صغيرة يراقبنا جميعًا. كان هذا مفاجئًا؛ رغم أنه لم يكن غائبًا يومًا، لم يكن من نوع زوج الأم الذي يجلس بجانب السرير.

استمر السعال، وبدأت النجوم تتراقص في مجال رؤيتي. يبدو أنني حاولت النهوض بسرعة أكبر مما أستطيع. دفعتني جولييت إلى السرير، مطالبةً إياي بالراحة. مدت يدها لكاثرين، التي هزت رأسها على مضض، متحفظة في إعطائي المزيد من الحبوب. أصدرت جولييت صوت سعال عالٍ، وأدركت تنهيدة كاثرين المستسلمة. ثم شعرت بالحبّة الرفيعة

تنزلق بين شفتي. سرعان ما أصبح كل شيء أكثر ظلامًا، وعدت لأعماق المياه من جديد.

تحضر ليالي الجبال معها نوعًا خاصًا من الظلام. خاصةً على الجانب المواجه للفجر من القمة، حيث تغرب الشمس مبكرًا ويحل الظلام سريعًا. ومن دون توهج المدينة الذي يتداخل مع المشهد، من السهل أن تظن أن أي وقت بعد الظهيرة المتأخرة هي تلك الظلمة الحالكة بين منتصف الليل والفجر. استيقظت في هذا الظلام. على الأقل كنت أرتدي روب فندق هذه المرة.

غادرت كاثرين وجولييت، لكن مارسيلو لا يزال جالسًا بجانب النافذة، محاطًا بضوء مصباح وحيد، يقرأ شيئًا مأخوذًا من المكتبة. سمعني أتحرك، فوضع الكتاب جانبًا وجرَّ كرسيه نحوي. سحبت نفسي للنهوض مجددًا، محاولًا كبح السعال. شعرت بخفة، كأنني عائم، ولكن مع ألم أقل بكثير من ذي قبل. لا بدَّ أن السبب هو الحبة التي تناولتها. كنت ممتنًا لجولييت بإقناع كاثرين بمنحي جرعة أخرى رغم ترددها.

قال مارسيلو بنبرة منفعلة: «سعيد أنك بخير». تلك النبرة التي يحاول بها الرجال الأكبر سنًّا التعبير عن مشاعرهم غالبًا: بإطلاق أي شيء يمكن تفسيره على أنه عاطفة بأسرع ما يمكن، مثل العطس.

قلت دون النظر إلى يدي، خوفًا من أن تغير رؤيتها إجابتي: «سأبقى على قيد الحياة. أين البقية؟».

أجاب: «لقد أغمي عليك -لست متأكدًا إن كنت تتذكر- بعد أن استيقظت في المرة الأولى. مرت لحظة فقط. كاثرين وسيدة المنتجع خرجتا لتبحثا عن بعض الطعام لك».

- كيف حال مايكل؟

هز كتفيه قائلًا: «كنت آمل أن تخبرني بذلك. كروفورد لا يزال لا يسمح لي بالدخول».

- مندهش أنك لم تقتحم المكان بينما كان كروفورد خارجًا لإنقاذي. غرفة التجفيف كانت ستبقى دون حراسة طيلة تلك الفترة -كل ما فيها هو المزلاج من الخارج.

مد مارسيلو لسانه من زاوية فمه: «ليتني فكرت في ذلك حينها». كان من الصعب تحديد ما إذا كانت هذه حركة عصبية أم مجرد جفاف في شفتيه. الهواء هنا يجعلها تجف بسرعة. فجأة، أدركت أنني كنت أشعر بعطش شديد، وحلقي جاف. انطلقت في السعال، فقام مارسيلو وتوجَّه إلى الحمام، قائلًا بصوت مرتفع: «بجانب ذلك، كنا جميعًا منشغلين بالعمل المثير الذي فعلته على البحيرة. كان يجب أن نفرض رسومًا على الضيوف لمشاهدة العرض - أعتقد أنك جذبت كل الأنظار». عاد لمقعده وناولني كأس ماء: «أنت محق، في الواقع. كانت ستكون الفرصة المثالية للتسلل ورؤية مايكل».

شربت الكأس حتى آخر قطرة لكنني بقيت عطشًا. الغرق أمر طريف بهذه الطريقة. على الأقل، كان بإمكاني التحدث. قلت له: «إذًا، هل أنت حارسي الشخصي بجانب السرير، أم إنك فقط تتأكد من أن تكون أول مَن أتحدث إليه عندما أستيقظ؟».

رد ساخرًا: «هل من السيئ أنني أردت الاطمئنان على صحتك؟». ثم جلس مستريحًا وحاول الضحك ليتجاوز الموقف: «لكن هذا لا يعني أنني لا أملك أسئلة».

قلت: «أعتقد أنني سأبدأ أولًا، إذا لم تمانع». كلانا كان يعلم أنني لم أكن أطلب الإذن. كان من النادر رؤية مارسيلو جارسيا، الذي كان محصنًا ضد ضغوط المحاكم والقانون، في موقف دفاعي. أراد معرفة

ما أعرفه، مما يعني أنني، رغم عدم قدرتي على التحرك، كنت أملك القوة. ساعدني هذا الشعور البسيط في التغلب على الألم في يدي، الذي بدأ ينبض مجددًا مع استيقاظ جسدي.

تنهَّد مارسيلو بعمق، وكان تنفسه يصفر بين أسنانه: «ما الذي أخبرك به مايكل؟».

- عن آلان.

أغلق مارسيلو عينيه وبقي ثابتًا للحظة، ثم فتحهما. كنت أعرف ذلك النوع من الومضات البطيئة. إنها ما يفعله الناس عندما يتمنون لو يستطيعون إعادة الزمن بضع ثوانٍ فقط. حتى لا يروا شريكهم في السرير مع شخص آخر. حتى لا يسمعوا شيئًا يعلمون أنه كذبة. أو حتى لا يسمعوا شيئًا يعرفون أنه الحقيقة. مع إغلاق أعينهم، يعيدون بناء العالم كما كان قبل تلك اللحظة. نوع من الومضات التي تحدث على طاولات الإفطار، تتمنى أن الرسائل لم تُقرأ.

قال بصوت هادئ: «إذًا تعرف عن السابرز».

- أعرف القليل. أقل مما تعرفه أنت، وأود فعلًا أن أسد هذه الفجوة.

رد قائلًا: «كانوا أقرب إلى مجموعة تجمعهم أهداف مشتركة، أكثر من كونهم عصابة. والدك لم يكن يحب الاسم، لكنهم كانوا بحاجة إلى شيء يسمون أنفسهم به. كانوا يقومون بسرقات بسيطة، تكفي لتُلفت نظر الشرطة، لكنها لم تكن تدفعهم إلى مطاردة جادة. كان والدك يعتبر أشبه بالمزعج من كونه مجرمًا -كان يفعل فقط ما يكفي ليعيش. كان ذلك قبل أن تصبح الأمور... أسوأ».

رأيت أنه كان يحاول قراءة ملامحي، ليرى ما إذا كان مايكل قد أخبرني بشيء بالفعل، وكيف يمكنه أن يقصر الرواية أو يحذف أجزاءً من الحقيقة.. أنا سيِّئ في لعب البوكر، لكنني افترضت أن تعابير وجهي

المتجهمة (يداي المصابة كانت تطالب بالاهتمام، وكل ما استطعت فعله هو أن أضغط على أسناني في محاولة للتركيز على مارسيلو) لا يمكن تفسيرها إلا كحالة المصاب بالإمساك أو الفزع.

واصل حديثه: «قابلت والدك وأصدقاءه عن طريق المصادفة. كان ذلك قبل أن أدخل مجال القانون التجاري – كنت أقبل أي قضية تأتي إلي. كنت رخيصًا ومثابرًا، ونجحت في تخفيض تهم سرقة لبعض العملاء إلى تهم تعدٍّ، وما إلى ذلك. ثم بدأت أتلقى المزيد من المكالمات. أعتقد أنني كنت حذرًا وأديت واجبي بشكل جيد مع شخص يعرف شخصًا آخر، وهكذا قادتني التوصيات من شخص لآخر. لم أكن محاميًّا رسميًّا للسابرز، ولم أخرق القانون قطُّ، لكنني كنت بالتأكيد شخصًا يسهل على مجموعة معينة من الناس الاتصال به في بعض الأمور. لست غبيًا إلى درجة أن أكون أعمى بالكامل عما كان يحدث، لكنني كنت بحاجة إلى المال. من أجل صوفيا».

كررت بلا وعي: «من أجل صوفيا».

كنت أفكر في شيء قاله لي مايكل في غرفة التجفيف: **والدك خرق القانون ليعتني بنا.** كان مارسيلو يقول الشيء ذاته، لكنني لم أصدقه. لأن مايكل أشار إلى أن والدي لم يستخدم جرائمه ليكون لديه فائض من المال، لكن الأمر ليس ذاته مع مارسيلو، أليس كذلك؟

بدا مارسيلو في وضع الدفاع. لقد رآني أنظر إلى ساعة الرولكس الخاصة به بينما كنت أقلب كلمات مايكل في رأسي. رفعها ونقر عليها قائلًا: «هذا صحيح. لم يكن هذا نوعًا من التبذير. والدك تركها لجيريمي، في وصيته. من المؤسف أننا لم نتمكن من توريثها».

ذلك أربكني. بينما بدأت أجزاء من قصة مايكل تتصل ببعضها بعضًا، ظهرت بعض الأجزاء الخادعة التي أعادت القصة إلى نقطة الصفر. كان

مايكل مُصرًّا على أن والدي كان أشبه بروبن هود المجرم الشريف، لكن إذا كان والدي ينفق أمواله المسروقة على مجوهرات مبهرجة، فربما كان دافعه الجشع طوال الوقت. وإذا كانت لديه ساعة باهظة الثمن ليوزعها على فراش الموت، فمن الممكن أن يكون لديه أشياء أخرى ثمينة مخبأة في مكان ما. كان هذا بالتأكيد ما توقعته إيرين. وربما هذا ما ظن مايكل أنه يشتريه من آلان. وربما هذا ما دفع الآخرين للقتل.

سألني مارسيلو: «هل تعرف كيف يسوقون لساعات الرولكس؟».

كان هذا سؤالًا غريبًا، ولم يكن لدي الوقت لسماع تباهيه بإنجازاته، لكنني تذكرت الإعلانات الفصيحة التي رأيتها، فأجبت: «يبيعونها كإرث يُورث عبر الأجيال».

أصدر صوت سعال، بدا غير مرتاح: «بالضبط. لم نحصل عليها لفترة بعد رحيل جيريمي. هذه لك ولمايكل. أنا مجرد الحارس».

- كحارس، لقد احتفظت بها فترة طويلة جدًّا.

«والدتك وأنا قررنا أن يحصل أحدكما عليها عندما تتوفى - لا علاقة لي بالأمر. هذا مكتوب في وصيتها. يمكنك الحصول عليها الآن إذا أردت». وبدأ يفك القفل، الذي قد يكون مجرد محاولة لجس النبض، مثلما تقدم لصديقك آخر قطعة بيتزا وأنت تأمل أن يرفضها.

رفعت القفاز المُزين بالزهور: «لا أبحث عن ساعة يد حاليًّا».

«هذه لك ولمايكل، عندما ترغبون بها. لكنها أكثر من مجرد ساعة؛ إنها إرث عائلي. أرتديها لتذكرني». توقف، ناظرًا إلى الساعة بشيء من العاطفة التي لم أصدق أن والدي امتلكها تجاه قطع ثمينة: «لتذكرني بالاعتناء بكما. وبوالدتك».

غطيت سخريتي بسعال حاد آخر، كل ما رأيته هو رجل ثري يُقدِّس ممتلكاته، مُبرِّرًا ملاحقته لأرملة صديقه الراحل بنوايا نبيلة. كان من دواعي سروري أن أشير إلى غرور مارسيلو، ربما أكثر حتى من تأثير حبوب كاثرين (التي، لأكون صادقًا، كنت بحاجة ماسة إلى المزيد منها)، لكننا قد تشتتنا بعيدًا عن الموضوع، وكنت أريد إعادته لصلب النقاش.

- إذًا، إذا كنت قد ساعدت جماعة السابرز، هل تعني أنك مثلت والدي؟ كنت محاميه؟

«هكذا التقينا. وتعرفنا على بعضنا، وأصبحنا مقربين. بذلتُ جهدي، لكن والدك كان يسير في طريق صعب تغييره أحيانًا. ظل يتلقى الإنذارات، وفي النهاية لم أستطع تجنُّب حكم قضائه خمسة وأربعين يومًا في السجن شاملة التكاليف، إذا كنتَ تفهم ما أعنيه. أعتقد أنك كنتَ في الثالثة، ربما الرابعة من عمرك حينها». لم أذكر بشكل محدد فترة غياب والدي التي امتدت لستة أسابيع، لكنها تناسب الصورة التي رسمتها لرجلٍ كنت أقيم وجوده من خلال غيابه.

تابع مارسيلو: «كان ذلك بمنزلة ناقوس إنذار لكلينا. خرج والدك مستعدًا لبداية جديدة، وبحلول ذلك الوقت، كنتُ قد انتهيتُ من تلقي المغلفات النقدية دون معرفة مصدرها. لكن الأمر كله... لا أعرف كيف أصفه، لقد جرفت التيارات والدك من جديد. بدا وكأن شيئًا قد تغيَّر. سرعان ما زادت وتيرة العنف في جماعة السابرز، وقلَّت التساهلات من جهة القانون».

قلت: «أخبرني مايكل أن الفديات أصبحت ذات قيمة أكبر من السرقات».

- بالضبط. تم إطلاق النار على وكيل عقارات عندما رفض فتح خزانته. لقد نجا، لكن هذا لم يكن نوع المواجهة التي اشتهرت بها

عصابة السابرز. لم تعد المجوهرات التي تُنتزع من الأدراج تنول رضاهم، بل أصبحوا يريدون الوصول إلى خزائن الناس، وعندما لم يصبح ذلك كافيًا، أرادوا الوصول إلى حساباتهم البنكية. كان ذلك في أواخر الثمانينيَّات - حيث كانت الفديات رائجة. جربت عصابة السابرز هذا الأسلوب وأحبوا كيف أنه يناسبهم. أعاد ذلك انتباه الشرطة نحوهم. بحلول ذلك الوقت، كان يمكن اتهام جميع المتورطين كشركاء على مستوى معين. كان روبرت يعلم أنه إذا حصل على مخالفة أخرى، فالمرة القادمة التي سيراك فيها ستكون في سن من يحلقون ذقنهم.

اضطررت إلى إخراج الكلمات بصعوبة. كانت يدي تنبض بألم حار لدرجة شعرت أنه بإمكاني تبخير الثلج إذا خرجت واستلقيت عليه: «إذًا حصلت له على صفقة. لقد استبدل المعلومات بالحصانة».

أدار مارسيلو ساعته حول معصمه. وأغمض وفتح عينيه ببطء مرة أخرى، كمن يمحو تاريخًا لا يريد مواجهته: «لقد ساعدت في ترتيب الأمر. كانت الصفقة أن يرسم خريطة لأبرز اللاعبين. لكن في كل مرة كان روبرت يعطي إجابة للمحققة، كانت تسأله سؤالين إضافيين. كانت تريد منه الوجود هناك مع عصابة السابرز، وكان هذا هو الفخ، لأنه كان يورط نفسه أكثر في محاولة لإرضائها، حيث كان ينقل المعلومات كلما حصل عليها. كانت تريد منه تحديد من كان فاسدًا، ومن هم الضباط الذين كانوا يتلقون رشاوي من السابرز. لم تكن ستطلق سراحه حتى تحصل على دليل قاطع».

- وتقصد بذلك دليلًا قاطعًا ضد هولتون وشريكه؟ مايكل قال لي إن الليلة التي مات فيها روبرت كانت فخًّا، إذن تقول إن هؤلاء

الاثنين هما من كان على مايكل الإيقاع بهما ليُنفذ الاتفاق؟ ربما كان أخيرًا يمتلك دليلًا قاطعًا ضدهما.

هز مارسيلو كتفيه: «هذا كان تخميني دائمًا. روبرت لم يُرني أيًّا من الأدلة – كان ذلك بينه وبين المسؤولة عنه. كان يضحك على ما كانوا يجبرونه على فعله، ويقول إنها بعض من **ترهات التجسس** الحقيقية. أعتقد أنه شيء رائع أن يكون متخفيًا. على الأقل في البداية». ثم تراجع مارسيلو في مقعده، وفرك يديه على ركبتيه وتوقف عن الكلام لدقيقة. كان غارقًا في ذكرياته. لقد كان يفتقد صديقه.

كان من الغريب التفكير في والدي بهذا الشكل، أن يفتقده أحدهم. هل يمنحه ذلك إرثًا بدلًا من السمعة السيئة؟ قصة مارسيلو أعطته بُعدًا أعمق قليلًا مما كنت أعرفه عنه. رجل يمزح بشأن ترهات التجسس. رجل لديه أصدقاء. أخذت لحظة التأمل التي عاشها مارسيلو كفرصة لأميل رأسي على الحائط، أغلق عيني، وأحاول أن أبعد ذهني عن يدي النابضة بالألم.

متخفيًا. مسؤولة عنه. ترهات التجسس. قلبت هذه الكلمات في رأسي. كنت قد كتبت مرة من سلسلة «كيف تفعل» عن روايات الجاسوسية، لذا كنت أعرف القليل عن فن التجسس من لودلوم ولوكاريه، لكن لم يبع الكتاب بشكل جيد.

تسلل صوت مارسيلو إلى تأملاتي: «هذا كل ما أعرفه».

«هل هذا كل شيء؟». أبقيت عينَيَّ مغلقتين، آملًا أن مظهري الشبه ميت لا يمثل تهديدًا كافيًا ليحفزه على الاعتراف بشيء إضافي. لكن مارسيلو لم يتجاوب، فقررت أن أضغط عليه أكثر. فأنا الآن محامٍ فعليًّا، وهذا يعطيني إذنًا بأن أكون قاسيًا: «كنت تعرف كل هذا في أثناء محاكمة مايكل. استخدمت تاريخ آلان للتلاعب بالادعاء، كنت تعرف أنهم

سيفضلون كتمان المعلومات بدلًا من التعامل مع تاريخه المخزي في المحكمة المفتوحة. لهذا لم يستفسر أحد عن السحب الكبير الذي قام به مايكل أو حاول العثور على المال، ولم يطرح أحد تساؤلات حول غرابة إطلاق النار».

- أي مال؟

أثار ذلك انزعاجي قليلًا. من المؤكد أن مارسيلو قد فحص حسابات مايكل البنكية، أليس كذلك؟ كيف لم يلاحظ أحد في قضية قتل مبلغًا كبيرًا كهذا؟ حتى لو كان مايكل قد سحب المبلغ تدريجيًّا، لكان الأمر واضحًا. لم أكن أعرف تفاصيل الكشف القانوني. سجلت ملاحظة ذهنية لقراءة المزيد من روايات الإثارة القانونية.

- لا أعلم ما الذي تحاول التلميح إليه، لكنني حصلت لمايكل على أفضل صفقة ممكنة باستخدام ما توفر لدي. هذا هو عملي.

تذكرت أنه اختار عدم تمثيل ابنته في قضية سوء ممارسة المهنة الخاصة بها: «ستتجاوز القوانين من أجل مايكل، لكن ليس من أجل صوفيا».

انفعل: «هذا.... (كان هناك صوت احتكاك ملابس وهو يجلس مستقيمًا). هذا ليس صحيحًا تمامًا. صدق أو لا تصدق، أنا أفعل ما هو الأفضل لها».

رفعت صوتي وفتحت عيني لأضعه في موقف حرج: «إذًا ما الحقيقة يا مارسيلو؟». كنت أدرك أن عينَيَّ كانتا محتقنتين بالدم، متوترتين، ونصف غارقتين. نظر مارسيلو نظرة خاطفة نحو الممر. لاحظت ذلك، وفهمت أنه يخشى أن نُقاطع، مما يعني أنه ما زال بحاجة لأن أكون وحدي معه. كان الانفعال يؤلم يدي، لكنه أيضًا كان يسبب قلقًا لمارسيلو، فاستمررت في الضغط عليه. «لا يمكن أن تكون مصادفة أن

الشاحنة ارتدت أسفل التل بعد أن تحدثت مع مايكل وبدأت النظر إلى ضحية هذا الصباح بتركيز أكبر. فرامل اليد في الشاحنة كانت معطلة. إيرين تعتقد أن هناك سائلَ فرامل. لا بدَّ أن هذا كان متعمدًا. شخص ما حاول للتو التغطية على شيء كان يأمل أن يكون مدفونًا منذ خمس وثلاثين سنة، شيء أعاده آلان ومايكل إلى السطح. كان والدي يبحث عن دليل قاطع قبل وفاته، ونعلم أن آلان باع لمايكل معلومات حول **شيء ما...**».

أسكتني مارسيلو من بين أسنانه المضغوطة، وعيناه تراقبان الباب بقلق: «حسنًا، حسنًا. كل ما أعرفه أنه كان من المفترض أن يقابل المسؤولة عنه تلك الليلة ليعطيها شيئًا مهمًا. أعتقد أن روبرت شهد جريمة قتل».

ها هو.

قلت بنبرة عادية: «طفل».

شحب وجهه كسمكة حفش مندهشة: «كيف عرفت ذلك؟».

- مجرد حدس.

«هذا ما أملكه أيضًا. حدس ونظريات». قالها بطريقة لم أصدقها تمامًا، وكأنه ما زال يقرر ما سيقوله وما سيبقيه طي الكتمان. «بعد وفاة روبرت، قضيت بعض الوقت محاولًا معرفة ما يمكن أن يكون كبيرًا بما يكفي لقتله بسببه. ناهيكم بشيء يخيفه لدرجة أنه يبدأ في حمل سلاح. صدقني - لم يكن هذا طبيعيًّا. قلت لك إن السابرز أصبحوا أكثر تقلبًا. لم يعد الأمر يقتصر على إصابة الناس – قلتها بنفسك، الفديات لها قيمة أكبر. هذا ما لم يكن والدك ليقبل به، خاصة أن لديه أطفالًا. لكن قبل وفاته بنحو أسبوع... إنها قصة قديمة، ستعرف تفاصيلها. طفل ثري يُختطف من أجل الفدية. الأسرة تخطئ في تسليم الفدية. رغم أنهم

يستطيعون دفع الفدية، يحاولون ملء حقيبة بالأوراق بدلًا من النقود. ولم تُرَ الفتاة مرة أخرى. لم يثبت شيء، لكن كان واضحًا أن للسابرز يدًا في الأمر. هل ذكر لك مايكل...».

تلعثمت: «ما اسم الفتاة؟».

- ماكولي.

أردت أن يكون لها اسم حقيقي. إرثها: «الاسم الأول؟»

- ريبيكا.

- كم كانت الفدية؟

- ثلاثمائة.

كان ذهني مشتتًا، لكن شيئًا آخر مما قاله مايكل عاد لذاكرتي؛ **أحضرت ما استطعت، لكنه كان أقل مما أراد.**

باع آلان لمايكل معلومات عن ريبيكا ماكولي، ضحية اختطاف لم يُعثر عليها منذ عقود. ربما أخبره عمن قتلها، وبالتأكيد عن مكان وجود جثتها: مدفونة للأبد في تابوت رجل شرطة. مخبأ مثالي، مدفونة تحت ست أقدام من التراب في تابوت شخص آخر. ومع توفر اتصال إنترنت عالي السرعة ليس كالذي في الجبل، اكتشفت للتو، أن هذه الخدعة كانت شائعة لدى مافيا شيكاغو لإخفاء الأشخاص، لذلك بالطبع كانت الشرطة على علم بها. كانت تندرج ضمن طرق الإخفاء كالأحذية المصنوعة من الأسمنت.

كان من المنطقي أن يعرف آلان مكان الجثة، فهو من أخفاها.

تذكرت أنه خلال الجنازة، حدث خلاف بسيط مع العائلة: الشرطي، الذي علمت الآن أنه آلان، كان يريد حرق الجثة، مُصرًّا على أن تلك كانت رغبة شريكه، شيئًا تحدثا عنه في أثناء الخدمة. لكن العائلة امتثلت

لوصية الشرطي وأصرت على الدفن. كان آلان غاضبًا، ولديه حق في ذلك، لأن دفن جثة ريبيكا لم يكن مثاليًّا مثل تحويلها إلى رماد.

أما السعر؟ فقد كان هذا الجزء السهل. أراد آلان من مايكل دفع الدين الذي شعر أنه مستحق بسبب عدم دفع الفدية من قبل العائلة. فدية تعود لخمسة وثلاثين عامًا. وكان مايكل على استعداد لدفعها من أجل معرفة من كان المسؤول عن مقتل والدنا.

حاولت أن أتخيل آلان، محاولًا بجنون تغطية جرائمه: جثة فتاة وفدية لم تُدفع. إذا كان يعلم أن والدي كان لديه أدلة، فمن المنطقي أن يقتله. وعندما مات شريك آلان، سنحت له الفرصة لقتله، وتمكن من دفن سره.

«لقد وجد مايكل جثة ريبيكا». قررت أن أخاطر وأشارك هذه المعلومة مع مارسيلو، وافترضت أن الهيكل العظمي الثاني في الشاحنة يعود لريبيكا (ولكن بصراحة، لمن يمكن أن يكون غيرها؟). اتسعت عينا مارسيلو؛ واسترسلت في الحديث: «الجثة موجودة في مؤخرة شاحنته. كان هذا أول شيء فعله عندما خرج، لذلك إذا افترضنا أنه كان ينتظر ثلاث سنوات لاستخراجها، يمكننا أيضًا أن نفترض أن آلان أخبره بمكانها. المشكلة هي: إذا كان لدى والدي أدلة على مقتل ريبيكا، فلم تكن أدلة عن دفنها».

وافق مارسيلو: «لأنها دُفنت بعد مقتله، إذًا، كان والدك يحاول إعطاء المسؤولة عنه شيئًا آخر تلك الليلة. بعض الأدلة الأخرى. هل تعتقد أن هذا ما كان آلان يبيعه -الرسالة الأخيرة لروبرت والمسؤولة؟».

«ربما. لكن لا أستطيع أن أفهم لماذا سيبيع آلان لمايكل معلومات عن جريمة قتل قد ارتكبها هو». لم يكن الأمر منطقيًّا دون الإجابة عن هذه الأحجية، ولم أكن متأكدًا من أنني قد استوعبتها بعد.

إلا إذا لم يكن آلان قد قتل أحدًا، وكان فقط يحمي الشخص الذي فعل ذلك. تذكر أن آلان رجل شرطة - إذا كان مدينًا لشخص ما، أراهن أن هذا الشخص من النوع الخطير.

هذا يتوافق مع ما قاله لي مايكل سابقًا في غرفة التجفيف، إنه يعتقد أن آلان كان يبيع شخصًا آخر. كما أوضح لي حكم مايكل المخفف، ثلاثة أعوام فقط، لأنه، حسب كلماته، هناك من يفضل ألا يُكشف ماضي آلان في المحكمة. الأمور بدأت تترابط. أيها القارئ، لم يغب عني أن هذه اللحظة هي ‹اللوم كله يقع على من هم فوق سلطة الحكومة›.

كان مارسيلو يراقبني بينما كنت أستوعب كل هذا، محاولًا أن يعرف ما إذا كنت أصدقه: «فلنتقدم سريعًا لقد مضت ثلاث سنوات. حياة آلان تنهار، يدخل السجن ويخرج منه بالكاد يعيل نفسه. ربما يعتقد أن ريبيكا ماكولي كانت البداية لكل ما حدث، ويقرر أنه مستعد لإسقاط شخص ما. لذلك يعود إلى حيث بدأ كل شيء، مستدرجًا مايكل بوعود عن كشف أسرار حول والده».

هززت رأسي: «أستطيع أن أفهم لماذا لم يخترني. أنا لا أهتم بتاريخ العائلة. ولهذا السبب أنا الوحيد الذي يثق فيه مايكل. كنت مستعدًا للشهادة ضده في المحكمة، مما أثبت أنني لم أكن أعرف ما يكفي لأشعر بالخوف، ويبدو أنني كان ينبغي أن أخاف. ذلك أكسبني ثقته».

شدَّ مارسيلو فكَّه، كأنه يريد أن يصرّح بأن ما فعله لتخفيف عقوبة مايكل كان يجب أن **يكسبه** هنا بعض الثقة أيضًا، لكن بعد ذلك بدأ وكأنه يفكر بشكل أفضل في الأمر.

لم أقلها، لكن عمر مارسيلو أيضًا يضعه في فئة المشتبه بهم. الآن كنت أبحث عن شخص ارتكب جريمة قتل منذ ثلاثين عامًا وأخرى هذا الصباح. وهذا يترك أودري، مارسيلو، آندي، وربما كاثرين. كانت

كاثرين صغيرة في ذلك الوقت، لكنها كانت تعيش حياة جامحة؛ لا أحد يعرف ما الذي قد تكون قد تورطت فيه. أنا بالطبع لم أكن مؤهلًا لأكون مشتبهًا، فقد كنت لا أزال أبلل سريري حينها. لكنني افترضت أن كلا الضحيتين قُتلا على يد القاتل نفسه - ولكن ماذا لو كان الدافع مجرد انتقام؟ الغضب إرث عائلي مثل أي ساعة رولكس. إذا أخرجنا عامل العمر من المعادلة، يصبح الجميع مشتبهًا. ربما حتى ريبيكا نفسها كبرت وعادت لتنتقم.

- نحن نتجاهل ما هو واضح. في الاثنتي عشرة ساعة الماضية، أخبرني عدد أكبر من الناس أن والدي كان رجلًا صالحًا أكثر من كل حياتي السابقة. ماذا لو لم يكن كذلك؟ ماذا لو أخذ والدي ريبيكا وقتلها بنفسه؟

مارسيلو انحنى وأمسك بكتفي ضاغطًا عليها: «أنا آسف لأنك لم تحصل على فرصة لتعرفه بشكل أفضل. أعلم أن هذا ليس دفاعًا قويًا، لكن لو كنت تعرفه، لما صدقت أنه قادر على ذلك. بصراحة، أنا متفاجئ أن آلان نفسه كان قادر على ذلك».

- لذا ما زلنا نبحث عن الرابط. ما اسم شريك آلان؟

- كلارك. براين كلارك. هل يعني لك شيئًا؟

إذا كنت تأمل في الحصول على اسم يربط كل الأحداث ببعضها – كروفورد، هندرسون، أو ميلوت (اسم عائلة آندي، الذي أخذته كاثرين بعد زواجهما، والذي حان الوقت لتوضيح أن اسمه الحقيقي هو ميلتون في الواقع؛ قلت لك إنني غيَّرت بعض الأسماء للتسلية، وهذا أحدها) – فأنا آسف لإحباطك.

- هذا الاسم لا يرتبط بأي شخص قابلته حتى الآن. هل لديه أطفال؟ هو أو هولتون؟ سيكون من المبالغة التفكير في أن أحدًا سيحاول الدفاع عن إرث عائلته الإجرامي إلى درجة استهداف عائلتنا كلها...
- أنت محق. إلى جانب ذلك، لا أطفال.

صمت مارسيلو عند تلك النقطة؛ بدت عليه خيبة الأمل. طريق مسدود حول شريك آلان. كنت أجد صعوبة في متابعة كل الخيوط والنظريات الآن؛ رأسي انضم إلى يدي في نبض يشبه البندول، حيث يتصاعد الألم ويهدأ. لم أكن أعرف كم من الوقت مضى على حديثي مع مارسيلو، لكنني كنت مرهقًا. لا بدَّ أنني أغلقت عيني للحظة كانت أطول في العالم الواقعي، لأنني شعرت بنقر خفيف على خدي أعادني للواقع، ووجه مارسيلو مائل فوقي.

- أنا آسف. سأحضر لك حبة أخرى من تلك الأقراص عندما تعود كاثرين. لكن فقط استمع لي. **أنا خائف**، حسنًا؟ أنا قلق من أن الأشخاص الذين يعرفون بعض الأمور، والذين للأسف –قال الكلمة التالية بنبرة ندم– أنت منهم الآن قد يتعرضون للأذى. لم أسمع قطُّ عن اللسان الأسود حتى تحدثت عنه صوفيا على الإفطار. ثم طلبت مني أن أتحقق من الضحايا. وذلك أشعل الفكرة في ذهني. كل ما قلته لك كنت أفكر فيه لسنوات – لم تكن سوى فكرة غير مكتملة. لم أفكر مطلقًا في مشاركتها مع أحد. لكن هذا الصباح، هذا الأمر عن اللسان الأسود، لا أستطيع تجاهله. أليس هذا أحد قواعدك، صحيح؟ لا توجد مصادفات؟

ضحكت. لم تكن هذه **إحدى** قواعد نوكس، لكنها كانت جزءًا من عهد اتبعه لنادي التحري، لذا مدحت مارسيلو لقربه من الفكرة: «أنت قرأت كتبي».

«أنا أهتم بك، كما تعلم». دمج جملته تلك بعطسة، سريعة وهادئة حتى كدت أن أفوتها. كاعتذار من طفل: «أنا متأكد أن هناك من يحاول إخفاء شيء ما. لأن ثلاثة أشخاص كانوا متورطين في الصفقة التي أدت إلى مقتل والدك. ليس فقط أنا وهو».

هذا جعلني أستفيق أكثر من النقرات. تذكرت تردد مارسيلو عندما طلبت منه أن يحقق في ضحايا اللسان الأسود؛ لقد طلب مني أن أكرر أحد الأسماء.

- المحققة – المسؤولة عن والدي. ما كان اسمها؟

- سوف تكره سماع هذا.

- أراهن على ذلك.

- أليسون همفريز.

الفصل السابع والعشرون

ابتسمت كاثرين وهي تفتح الباب بدفعة من كتفها: «إنه مستيقظ!». كانت تحمل حقيبة بلاستيكية كبيرة بلون أخضر كاكي، مرسوم عليها صليب أحمر بطريقة عشوائية، ومن الواضح أنها كانت تستخدم في السابق لصيد السمك. لم يكن يهم أنها قاطعت حديثي مع مارسيلو؛ كنت سعيدًا برؤيتها، بل في غاية السعادة لرؤيتها.

قلت: «يدي تؤلمني». ولم يكن هذا تلميحًا ماكرًا.

«لا يمكنك تناول شيء آخر قبل مرور...». وضعت كاثرين حقيبة الإسعافات الأولية على طاولة القهوة، ثم انحنت لتتفقد ساعة مارسيلو: «في الواقع، من الأفضل ألا تعرف».

- أرجوكِ.

فتحت الأقفال وبدأت تبحث في محتويات الحقيبة، ثم أصدرت صوت رضا بطرف لسانها وألقت لي شيئًا. وضعت عبوة خضراء صغيرة على غطائي: «على البنادول أن يكون كافيًا الآن». لا بد أنها رأت في عيني نظرة الشعور بالغدر، لأنها لانت قليلًا وقالت: «أعلم أن الألم شديد يا إرن. لكن بعد كل ما حدث، لن أسمح لك بأخذ جرعة زائدة. لقد اضطرت أن تعطيك إنعاشًا قلبيًّا رئويًّا». وأشارت بإبهامها نحو جولييت.

هذا متوقع: قلت لك إنك ستقرأ عن قبلتنا في الصفحة السابقة. تمامًا كما أخبرتك أن شخصًا سيموت خلال الصفحات الثلاث التالية.

قالت جولييت بخجل: «آسفة لأنه كان عليَّ أن أخلع عنك ملابسك، يبدأ هبوط حرارة الجسم (Hypothermia) في الانخفاض بسبب الملابس، كما تعلم». قالتها وكأنني قد لا أعرف. (والحقيقة، لو رأيت مسودة هذا النص المكتوب بخط اليد، لعرفت أنني لم أكن أعلم: فقد شطبت محررتي محاولتي الأولى لهذه الجملة وكتبت في الهامش: ‹بارد= Hypo، ساخن = Hyper›. بذلك الصوت المليء بالثقة والتهذيب الذي يولد به المحررون، ليصححوا لك ويرسخوا مفهوم تصحيحهم في الوقت نفسه). تابعت جولييت: «لم أفعل الكثير على أية حال. لو لم تربط الحبل حول خصرك، لا أعرف إن كانت إيرين ستـــ...».

تملكتني الدهشة. الصوت فوق الجليد. تلك السحبة على الحزام، تمامًا قبل أن أغرق: «إيرين؟ ماذا تقصدين؟».

تحدثت كاثرين بنبرة عادية، جادة أكثر من اللازم بالنسبة لما يدور في رأسي: «رأتك وأنت ترمي الحبل خارج الباب. صوفيا قالت إن كروفورد لم يستطع إيقافها. أنقذت حياتك».

وقفت. تدفق الدم إلى رأسي، فترنحت. أيدٍ أربع دعمتني. حاولت كاثرين دفعي للعودة إلى السرير، لكنني دفعتها متجاوزًا إياها نحو الباب: «ماذا فعلت؟ هل هي بخير؟ أين هي؟».

قالت كاثرين: «لقد خرجت إلى الخارج على الجليد».

فتحت الباب، مترنحًا إلى الممر: «إيرين! إيرين!».

ثم اصطدمت بها.

«يا إلهي، إرني». تراجعت إيرين إلى الخلف، واستعادت قبضتها على الصينية التي كانت تحملها، والتي كانت تحتوي على علبة مشروب غازي ووعاءين من رقائق البطاطس الساخنة. تجعد جبينها وقالت: «يجب ألا تكون مستيقظًا». ثم نظرت من فوق كتفي وقالت: «يجب ألا يكون مستيقظًا».

لا أتذكر إن كنت فقدت توازني أو فعلًا ألقيت بنفسي نحوها، لأنني لست من أولئك الذين يلقون بأنفسهم على الآخرين، لكن ما أتذكره هو أنني عانقت إيرين بأقصى ما سمحت لي أطرافي المتعبة من مسكن الأوكسِيكودون. بادلتني إيرين الدفء، ووقفنا للحظة كأننا لم نكن مطلقًا على الجبل. كأننا لم نتغير قطُّ. كأنه لم يكن لديها فصل خاص بها على وشك البدء. همست في أذنها: «مر وقت طويل منذ آخر حمام ثلجي لي».

أمسكت إيرين بكتفيَّ بقوة. كان ضحكها متقطعًا، مزيجًا من بكاء وضحك، وبدأنا نرتجف بين ذراعي بعضنا. شعرت بدموعها الرطبة على رقبتي.

حسنًا، حان الوقت لأبوح بالحقيقة. تلك الرسالة التي فتحتها من عيادة الخصوبة على الإفطار كانت من المفترض أن تحمل أخبارًا سارة. حيواناتي المنوية كانت كسباحين الأولمبياد. الحمامات الباردة وسراويل الملاكمة الفضفاضة والامتناع عن الكحول والمحار وكل تلك التجارب المجنونة لتحسين الخصوبة كانت بلا جدوى. شعرت بالارتباك، محاولًا فهم الأمر، حتى اتصلت بالعيادة. أخبروني أن زوجتي كانت سعيدة جدًّا بسماع الأخبار، وقد أبلغوها بها لأنني لم أكن أرد على اتصالاتهم. أخبرتهم أنني لم أفوِّت أي مكالمة، وعندما تحققوا، أدركت أن لديهم رقم إيرين، وليس رقمي، في قائمة اتصالاتهم. كانت قد أخبرتهم أنني أفضل

استلام النتائج بالبريد، وكان لديهم ملاحظة بذلك في ملفي. ولديهم عنواني الصحيح طوال هذا الوقت، فلم يتمكنوا من فهم سبب استمرار طلبي بإرسال نسخة أخرى بالبريد. في وسط هذا الحديث تذكرت إصرار إيرين على أن تكون أول من يتلقى البريد. قالت لي إن الرسالة الأولى ضاعت في البريد. والثانية أتلفها المطر.

كل ذلك اجتاح ذهني كالإعصار وأنا أقرأ الرسالة في أثناء الإفطار ذلك الصباح. كان من حسن الحظ أنني سبقتها إلى صندوق البريد. ربما كانت قد فعلت ذلك مرات كثيرة لدرجة أنها أصبحت راضية عن نفسها. وبينما أقرأ، تسللت فكرة مظلمة ومليئة بالشك تدعوني لتفقد صناديق القمامة التي كانت موضوعة على الرصيف الأمامي.

عدت ويدي ملطخة بسائل كريه من طعام مقلي مضى عليه أسبوع، وأنا أمسك علبة صغيرة من الألومنيوم. تعرفونها، تلك التي تُلصق عليها أيام الأسبوع.

وداعًا للشرارة.

لم يعد لهذا أي أهمية الآن. لقد أنقذت حياتي. لا تزال هنا.

كنت أشعر دون وعي بالأشخاص الثلاثة خلفي يقتربون مني. كانوا يتابعونني خشية أن يغشى عليَّ مرة أخرى، لكن الأمر كان يبدو خانقًا. كنت مدركًا تمامًا أن أحدهم قد حاول إرسال ذلك التابوت إلى قاع البحيرة. ربما أرادوا قتلي أيضًا، أو ربما كنت مجرد عقبة في طريقهم. لقد أرسلني مايكل إلى هناك، وهذا مثير للشبهة، لكنه بذل جهدًا كبيرًا في جلب التابوت إلى الجبل بدلًا من التخلص منه. لو أراد استدراجي إلى فخ لقتلي، لكان استخدم شيئًا أكثر جاذبية، أو ببساطة هاجمني في غرفة التجفيف. سواء كنت أثق به تمامًا أم لا، فقد أشركني معه في سر قاتل. الآن عليَّ أن أسأله كيف تترابط كل هذه الأجزاء معًا.

ساعدتني إيرين على النزول بحذر على الدرج، رغم احتجاجات الآخرين الذين أصرُّوا على أن أستمر في الراحة. لكن عقلي كان متيقظًا، مشحونًا بالمسكنات والأدرينالين. كانت هناك نسمة باردة تمر عبر المدخل، وأضواء ساطعة تتلألأ؛ من خلال النوافذ الأمامية المتجمدة لم أكن متأكدًا مما كانت عليه، باب غرفة التجفيف أصدر **صوتًا** مألوفًا عند فتحه. محكم الإغلاق بقفل المطاط، مسدود الهواء. ولهذا السبب، حتى فتحت الباب، لم أتمكن من شم رائحة الهواء الغريبة في الداخل. كان الهواء كثيفًا محملًا برائحة الرماد.

خالتي

الفصل السابع والعشرون والنصف

دون حرق أحداث.

قد يكون القارئ المتيقظ قد استنتج أن عناوين الأقسام هنا تشير إلى أن مارسيلو، زوج والدتي، هو من قتل مايكل، الذي اكتشفت جثته للتو في غرفة التجفيف. هذا منطقي؛ لقد وضعت التوقع أن هناك وفاة في كل قسم، وصدقني، كان الأمر كذلك.

لطالما اعتقدت أن هناك أدلة في الروايات البوليسية أكثر مما يظهر على الصفحة. فالكتاب هو كائن مادي، في النهاية، يمكنه إفشاء بعض الأسرار التي لم يقصد الكاتب الكشف عنها: توزيع الفواصل بين الأقسام، الصفحات الفارغة، عناوين الفصول. حتى ملخص التعريف الموجود على غلاف الكتاب الذي يشير إلى وجود مفاجأة كبيرة يمكنه -عند الكشف عن أن هناك تحوّلًا في الأحداث- أن يفسد تحوّلًا قد نُفِّذ بشكل جيد. في لغز مثل هذا، هناك أدلة في كل كلمة – اللعنة، بل في كل علامة ترقيم. إذا لم تفهم ما أعنيه، فكر في الكتاب الذي بيدك. إذا كُشف عن القاتل بينما بقيت أوراق كثيرة على الجانب الأيسر تحت إبهامك، فلا يمكن أن يكون هو القاتل الحقيقي؛ فلا تزال توجد الكثير من الصفحات لقراءتها. هذا الأمر ينطبق على الأفلام أيضًا: الممثل الأشهر صاحب أقل عدد من السطور هو دائمًا الشرير، ولقطة واسعة مفاجئة لشخصية تعبر الشارع تعني أنها على وشك أن تُدهس. يجب على الكاتب الجيد ألا

يُربك القارئ في السرد فحسب، بل في شكل الرواية نفسه أيضًا. هناك أدلة مدمجة في الشيء المادي ذاته.

ما أحاول قوله هو أنني مدرك لكونك مدركًا أنني أكتب كل هذا.

ولكن قبل أن تعتقد أنك كشفتني، لم تفعل. صحيح أن هناك ما يمكن تعلمه من منطق الكتاب الداخلي، لكنه ليس هذا. قد أقولها مباشرة، حرق أحداث وكل شيء آخر. مارسيلو لم يقتل مايكل. هو ليس اللسان الأسود.

لم أكن غير أمين، ولا توجد هنا فجوة في الحبكة، رغم أنني وعدت بذلك. وبالمناسبة، كان ذلك في القسم السابق أيضًا. إذا تذكرت، قلت إن هناك فجوة في الحبكة يمكنك أن تقود شاحنة من خلالها. وكنت أعنيها حرفيًّا.

الفصل الثامن والعشرون

ذرات الرماد كانت تدور في الهواء. شعرت بأنفي يتحرك لا إراديًّا بينما كانت جزيئات صغيرة تتراقص حول مقدمته. لم تكن غرفة التجفيف قاتمة كما كانت في زيارتي الأخيرة: كان هناك ضوء برتقالي ينبعث من المصباح الحراري، مكتملًا الآن بأشعة ضوء القمر المتدفقة من النافذة الخلفية التي كُسرت حديثًا، وحُفر الثلج خلفها على شكل أسطوانة. كان مايكل ممددًا تحتها، كتلة مظلمة حتى في هذا الضوء النسبي، مغطى من رأسه إلى إصبعه بطبقة رقيقة من السخام الأسود. ومعصماه مربوطين إلى أحد الأعمدة الرأسية لحامل المعاطف القريب منه.

لا بدَّ أنني كنت من صرخ، لأن إيرين لم تستطع الصراخ (كانت تضع يدها على فمها)، وجولييت جاءت بعد أن استدعاها صوت الصراخ، لكنني لا أذكره. أذكر أنني انزلقت على ركبتي أمام مايكل، وخلعت القفاز المقاوم للحرارة (مما سبب فقدان بعض الجلد، لكنني لم أشعر به) وحاولت جاهدًا فك السحابات البلاستيكية المربوطة به. كانت المحاولة غير مجدية بأصابعي المشوهة. أتذكر خلفي أن إيرين كانت تصرخ على جولييت لتجلب مقصًّا أو سكينًا، وإن كانت في البار، فيجب أن تجلب صوفيا معها.

تخلّيت عن محاولة فك الأربطة البلاستيكية، وبدلًا من ذلك بدأت أحرّك راحة يدي السليمة على وجه مايكل، أمسح الرماد المتكتل وكأنني

أفتح شرنقة. الجلد تحته كان باردًا، وشعره كان رماديًّا مغطى بغبار الفحم. كنت بحاجة إلى جعله مستلقيًا في محاولة لإنعاشه بالتنفس الاصطناعي، لكن جولييت لم تعد بعد لقطع الأربطة البلاستيكية. وقفت وركلت الإطار، محطِّمًا العمود الخشبي إلى شظية حادة، مما أدى إلى سقوط مايكل على جانبه. قمت بلفه ووضعت نفسي فوقه وبدأت بالضغط على صدره بذراع واحدة. مسحت المزيد من الأوساخ السوداء عن فمه وحاولت التنفس فيه. لم يكن هناك سوى أنفاس كريهة وشفاه لزجة كأنها مغلفة بالقار. جلست وأعدت رفع قبضتي. كان الألم يتصاعد في ذراعي المصابة مع كل حركة. وضعت فمي عليه مرة أخرى، لكنني ابتعدت عنه مختنقًا، وتقيأت على الأرض بجانب رأسه. ليس مشهدًا جميلًا، لكنه مشهد حقيقي. كنت أعرف مسبقًا أنه ميت منذ وقت طويل. ومع ذلك، مسحت فمي وحاولت مرة أخرى. ومرة أخرى. ثم شعرت بيد على كتفي، تسحبني بعيدًا.

عندما ألقيت آخر نظرة، لاحظت نقاطًا صغيرة من الجلد النظيف على خديه، وأدركت أنها الأماكن التي سقطت فيها دموعي.

اجتمعت العائلة في البار، متناثرين في أرجاء الغرفة ضمن مجموعات منفصلة. جلس مارسيلو مع أودري، ممسكًا بيدها بقوة، ولوسي كانت معهم، طوت نفسها تحت جناح أودري. كما هو الحال مع جميع الحموات، لم يكونا دائمًا عليَّ وفاق تام، ولكن كان لديهم حزن مشترك يربطهم. كلاهما كانا يحبان مايكل، ولم يشكَّا فيه يومًا. والآن، يشعر كلاهما بأنه قد سُلب منهما. كانت كاثرين تسير ذهابًا وإيابًا، وكان آندي مستلقيًا على ظهره على الأرض.

كنت هناك فقط لأنهم لم يسمحوا لي بالعودة إلى غرفة التجفيف. قيل لي إنني كنت، على ما يبدو، في حالة هستيرية. كانت إيرين معي،

تراقبني، لكنها كانت أيضًا متروكة في الخلف. لقد فقدت مايكل أيضًا، لكن لم يكن مرحبًا بها لتشارك في حداد لوسي وأودري. بوفاة مايكل، كانت تتساءل عن مكانها في العائلة. كانت تحاول الحفاظ على رباطة جأشها، بالمعنى النفسي والحرفي، لأنها لم تنجُ من بعض الدموع المتصلبة عند الشفة العلوية.

كانت جولييت تشغل نفسها خلف البار، على ما يبدو لتشتت انتباهها. قبل قليل، غطَّتني ببطانية وأحضرت لي شوكولاتة ساخنة، وقد أثبت كلاهما فعالية مفاجئة في تهدئتي، كما فعلت يدها الدافئة التي بقيت بلطف على يدي غير المصابة وهي تسلمني الكوب.

أعاد لي أحدهم قفاز الفرن الخاص بي. رأيت كاثرين تقترب وتطلب من جولييت مشروبًا ساخنًا أيضًا، فأجابتها جولييت، «ما رقم غرفتك؟». فغادرت كاثرين، مستاءة.

كان الشخصان الوحيدان الغائبان هما صوفيا وكراوفورد، لقد كنا ننتظر عودتهما بتقرير ما بعد الوفاة. أود أن أكذب وأقول إنني كنت في غرفة التجفيف بنفسي، أبحث وأقوم باستنتاجات عبقرية، لكنني كنت في حالة صدمة عميقة. لم أكن أملك القدرة على تحليل مسرح جريمة.

لو كنت أعرف الإجابة عن اللغز، لكنت اعتبرت هذا المكان مناسبًا لإعلان كبير، حيث كنا جميعًا مجتمعين. لكن الغرفة كان لها إحساس مختلف تمامًا عن الصالة أو المكتبة حيث يسير المحقق متفاخرًا، بيد في جيبه، كاشفًا عن ذكائه. كان أول اختلاف أنني كنت لا أزال أرتدي رداء الحمام، مما يعني أنني قد أخاطر بالكشف عما هو أكثر من مجرد ذكائي. ولكن الأجواء في الغرفة كانت أيضًا غير ملائمة؛ هذه لم تكن غرفة مشتبه بهم، بل غرفة ناجين.

كل شيء قد تغير. سابقًا، كانت لدينا جثة رجل مجهول، مقتول بوحشية، لكن بصورة غريبة نوعًا ما. كانت غرابة موته وسط النار والثلوج غير الذائبة تجعلنا نتعامل معه -على قدر ما يبدو الأمر مروعًا- بفضول تأملي. أو، بالنسبة لمن لم يوافقوا على نظرية صوفيا حول القاتل المتسلسل، كانوا يتجاهلونه تمامًا. كان الحذاء الأخضر لغزًا يجب حله: مصدر إزعاج، فضول. وبينما كنت أتظاهر بكوني محققًا أدبيًا، هل كنت **مهتم حقًّا**؟ لكن هذه المرة، كان للضحية اسم. وللأسف، كان الاسم الكامل: مايكل ريان كانينجهام.

ماذا عني؟ لقد كنت أحاول معرفة ما حدث مع الحذاء الأخضر حتى أتمكن من تحرير أخي من سجنه المؤقت، وأشعر بالمسؤولية جزئيًّا عن الشكوك التي تحيط به، والذنب لأنني كنت السبب في احتجازه هناك. والآن، بدا أنني سأضطر للعيش مع حقيقة أنني قد أرسلته إلى قبره. الآن، كل ما كنت أفكر فيه هو مايكل، وهو مقيد إلى علاقة المعاطف، يشاهد الرماد يملأ المكان. كما كان الحذاء الأخضر، يحاول أن يمزق عنقه، ويكسر أظفاره. بدأت أرتجف -فقد بدأ تأثير الأوكسيكودون يتلاشى- لذا أخذت رشفة مرتعشة من الشوكولاتة الساخنة.

في الخارج، كانت هناك طوابير من الناس، يحملون حقائبهم وأطفالهم. الأضواء التي رأيتها في أثناء نزولي على الدرج أضواء حافلتين مزودتين بإطارات ضخمة للثلج، متوقفتين عند نقطة الالتفاف أسفل درجات السلم. الهواء البارد يهب من الأبواب المفتوحة للردهة بينما يخرج الناس تباعًا. جولييت، بعد أن ضاقت ذرعًا بتلقي الشكاوى، استغلت فترة هدوء العاصفة واستأجرت الحافلات القادمة من جيندابايين لنقل النزلاء الراغبين في مغادرة الجبل. كان العرض لفترة محدودة، حيث إن الطقس كان فقط في استراحة وسيعود أنشط. شعرت بأن

الطقس وحده لم يكن سببًا كافيًا لجعل جولييت تنظم هذا الرحيل الجماعي، فضلًا عن المبالغ المستردة التي ستضطر لدفعها. كانت مترددة في إثارة قلق النزلاء عندما تحدثنا في مكتبها، ولكن فيما بين حادثتي واكتشاف جثة مايكل، كانت قد اتخذت قرارها ونادت الحافلات. تبين أنه كان قرارًا صائبًا.

في البداية، لم يكن الإقبال على المقاعد حماسيًّا. صحيح أن الطقس كان قاسيًا، لكن هناك مدفأة وألعاب اللوح وبار للتعويض، وهو، بصراحة، ما كان معظم الناس قد خططوا للاستمتاع به. بالطبع، كانت هناك جثة لتؤخذ بعين الاعتبار. لكن لم يعرف أحد من هو، وتذكر أن عائلة كانينجهام كانت الوحيدة تقريبًا التي تهتم بذلك الأمر. كانت لا تزال القصة الرسمية هي أن الحذاء الأخضر مات نتيجة التعرض للبرد. كانت مأساة، نعم، لكنها ليست سببًا كافيًا لإنهاء الإجازة مبكرًا. أما تفسير الأمر للأطفال في رحلة ستستمر ثماني ساعات إلى سيدني حول عدم قدرتهم على التزلج، فهذه هي المأساة الحقيقية. لكن، بعد موت ثانٍ، هذه المرة بشكل أكثر وضوحًا كفعل عنف، تطورت الهمسات من «هل سمعت؟». إلى الشائعات المذعورة «ألم تسمع بعد؟». اخرج الأشخاص الذين يملكون سيارات الدفع الرباعي سياراتهم وهربوا. أما البقية، فتسابقوا للحصول على مقعد في الحافلات، حيث اضطر الكثيرون لترك سياراتهم لبضعة أيام حتى تهدأ العاصفة.

قاد كروفورد صوفيا إلى الغرفة. كانت تعتصر يديها؛ بدت وكأنها فركتهما بالحبر، أو هذا على الأقل ما أقنعت نفسي به. انحنى الجميع للأمام. حتى آندي جلس منتبهًا واضعًا قدمًا فوق الأخرى وركّز كالأطفال.

قالت صوفيا: «مايكل مات». رغم أنها لم تكن بحاجة إلى قول ذلك؛ تشخيصها كان واضحًا على وجهها. كانت تبدو شاحبة عندما تقيأت

بعد حمل الحذاء الأخضر، وهشاشتها وهي تشرب شاييها المرتعش ذلك الصباح، لكنها الآن بدت هزيلة بشكل ملحوظ. ربما كان ذلك بسبب البرد والتوتر والحزن، لكن كان واضحًا لي أن جسدها لن يحتمل جثة أخرى. على الجانب الإيجابي، كانت الحقيقة واضحة في تعبيرها المتألم لدرجة أن حتى كاثرين لم تكلف نفسها عناء الاعتراض على رأيها الطبي: «لقد قُتل، ليس لدي شك. قُيِّد واختنق».

«بحق المسيح». كان ذلك مارسيلو. لقد بذل كروفورد قصارى جهده لمنع الجميع من دخول الغرفة بعد أن وجدت الجثة، لكنه قاد صوفيا فقط إلى الداخل. وبينما كان الهمس بأن مايكل قد قُتل ينتشر بين المجموعة، لم يُصدم أحد بتصريح صوفيا الأول، لكن فقط إيرين وأنا كنا نعرف بالفعل كيف مات. استطعت أن أرى الرعب يمتزج بالحزن على وجه مارسيلو. كان يعيد التفكير في محادثتنا الأخيرة، تمامًا كما كنت أفعل أنا.

أنا متأكد أن هناك من يحاول إخفاء شيء ما.

انفجرت إيرين، متجاوزة مرحلة الإنكار كمرحلة من مراحل الحزن وتوجهت مباشرة إلى الغضب: «تبًّا لك، صوفيا. كنتِ على حق، حسنًا؟ كُفي عن هذا العرض المسرحي».

نظرت صوفيا حول الغرفة، ربما محاولة تقدير مدى استفزاز ما كانت على وشك قوله، وإذا لم يكن الوقت قد فات لتحصل على مقعد في الحافلة الثانية. تنهدت، وهي تعرف أنها لن تستطيع الكذب. لم يكن من العدل أن تُكلف بشرح هذه المآسي، وأنه من غير المسموح لها بالانهيار مثلنا جميعًا، لكنها أخذت نفسًا عميقًا واستجمعت كل ما يمكنها من هدوء الطبيب. سيخبرك أي طبيب أن موهبته الخاصة هي إيصال الأخبار

السيئة: «نعم، إيرين. أعتقد أن مايكل قُتل بالطريقة نفسها التي قُتل بها الرجل هذا الصباح».

سارعت لوسي للاعتراض. تذكرت أنها لم ترَ جثة الحذاء الأخضر على الإطلاق، لذا لم يكن لديها سبب للتشكيك في القصة الرسمية: «لا يمكننا أن نكون متأكدين من ذلك، هذا سخيف! أنتم فقط تخيفون الناس. من المحتمل أن الرجل الأول مات بسبب تعرضه البرودة».

تحدت صوفيا من في الغرفة للاعتراض: «يجب أن تكوني واقعية، لوسي. لقد قُتل هو أيضًا». رأيت أن لوسي كانت ترغب بشدة في المشاركة مرة أخرى، لكنها كانت لا تزال تحاول أن تجد الكلمات المناسبة: «لقد وضع شخص ما كيسًا حول رأس الحذاء الأخضر وملأه بالرماد. كان سيموت سواء مع ذلك الاستعراض أو من دونه، بسبب الاختناق بالبلاستيك، لكن يبدو أن هذه هي بصمة القاتل. لقد فعلوا الشيء نفسه مع مايكل، لكن هذه المرة كان الرماد هو العنصر القاتل. وجدنا» -أشارت إلى كروفورد كأنها تطلب منه تأكيد ما وجدته؛ فاكتفى بالإيماء- «بقايا لاصق على النافذة المكسورة. الثلج خلفها يحتوي على نفق ضيق. تذكروا، غرفة التجفيف شبه محكمة الإغلاق، والباب محكم بالرباط المطاطي، مما يساعد على كتم الصوت أيضًا. ناهيك بأننا جميعًا كنا عند البحيرة على أي حال. إذا كان القاتل قد دفع نظام دوران الهواء عبر نفق الثلج ثم أغلقه بالبلاستيك والشريط اللاصق وربما بعض الثلج المضغوط، ستبقى الغرفة محكمة الإغلاق. كان من السهل خلط الرماد مع الهواء».

حاولت كاثرين طرح سؤال، لكنها غرقت في دموعها. مسحت عينيها بمعصميها وواصلت المشي ذهابًا وإيابًا.

رفع آندي يده: «آسف». لقد كان الأقل تأثرًا لكنه الأكثر قلقًا؛ أعينه كانت تتجه باستمرار نحو النافذة، متطلعة إلى الطوابير التي تتجمع

للدخول إلى الحافلات. حتى لو كان ذلك فقط من باب الحفاظ على نفسه، كنت ممتنًا لكونه يطرح أسئلة، لأنني لم أكن في حالة تسمح لي بذلك: « نظام دوران الهواء؟».

- لاستخدام الرماد بهذه الطريقة، عليك تحريك الهواء حوله. الثلج كان محفورًا بشكل أسطواني، لذا أعتقد أن أحدهم أدخل منفاخ أوراق الشجر عبر الثلج.

استحضرت بشكل باهت التفكير في أن حافة الرياح الحادة بدت كصوت منشار كهربائي بينما كنت أنا وصوفيا نتعثر للوصول إلى المستودع. أقول «بشكل باهت» لأن هذه كانت ذكرى خافتة، وأيضًا لأنني أعتقد أنني كنت غبيًّا نوعًا ما: كان ينبغي لي أن أدرك أن الصوت كان غير طبيعي في ذلك الوقت. لكن الرياح في أذنيك يمكن أن تبدو كأنها أصوات مناشير كهربائية أو قطارات أو حتى صرخات، لذا لم أشوه المعلومات عمدًا، فهذا من شأنه أن ينتهك القاعدة الثامنة. إذا كان الصوت الذي سمعته هو بالفعل صوت منفاخ أوراق الشجر، فهذا يعني أن مايكل قد قُتل بينما كنت أتجول لأتحرى عن الأمور. وهذا يعني، إذا كنت تتابع حساب النقاط، أن صوفيا، التي كانت معي في ذلك الوقت، لديها الآن عذر مقنع لكلتا جريمتي القتل.

وجدت لوسي اعتراضها: «كيف عرفتِ أنه كان منفاخ أوراق الشجر؟». اعتبرت الأمر غريبًا أنها تحاول الطعن في وفاة مايكل، لكنني افترضت أن رفضها القاطع للحقائق كان علامة على أنها تكافح لتقبلها بشكل كامل.

اعترفت صوفيا: «حسنًا، هذا الجزء استنتجته من التقارير الإخبارية حول اللسان الأسود. لكن كما قلت، يوجد هناك نفق أسطواني في الثلج».

«كلا. لا أصدقك. ذلك الأحمق اللعين لقي حتفه بسبب الطقس، ثم أنت» - وأشارت لوسي إلى كروفورد- «حبست مايكل **خاصتي**، وشخص ما...». بدأت نبرتها تتقطع، لكنها قاومت. «شخص ما استغل هذا الذعر الذي تصنعه... ظن أنه فرصة لـ...». استجمعت نفسها. «لن يكون من الصعب إيجاد جرائم القتل النارية تلك أو أيًّا كانت في الأخبار– لتقليدها، تعرف، لقد بحثت عنها بنفسي». كانت تتأرجح بين التفسيرات. وأخذت تدور برأسها في الغرفة. كان واضحًا أنها تبحث عن شخص آخر لتلومه. شرعت في مهاجمة الجميع واحدًا تلو الآخر، يزداد غضبها مع كل اتهام تقوم بتوجيهه. كروفورد: «لقد جعلته فريسة سهلة». صوفيا: «أنت بدأتِ كل هذا الذعر». كاثرين: «أنت أحضرتنا جميعًا إلى هنا».

ثم وصلت إلى إيرين. قد يكون مبالغًا فيه أن نقول إن ظلًّا عبر وجهها، ولكن نوعًا من التغير الوحشي بدا في عينيها. أدركت شيئًا آخر لتتشبث به: «كما قلت، ربما شخص لديه الدافع الصحيح انتهز الفرصة. كان فقط متشبثًا بكِ بينما كان في السجن. كنتِ مجرد تقضية وقت، لِعبة. لأنه كان يعلم أنني سأنتظره في الخارج. بمجرد أن خرج، لم يعد بحاجتك. كنت أعلم أنه سيتراجع عن ذلك عندما يراني. إن لم يكن يحبني، لماذا إذًا أصلح...». وظهرت ابتسامة قاسية على وجهها. «أخبركِ بذلك، أليس كذلك؟ صحيح؟ فور وصولك إلى هنا – إنه أدرك أنه ارتكب خطأً؟ أتساءل كيف تعاملتِ مع الأمر؟»».

ثم ثبتت نظرتها الحادة عليَّ: «**وأنت**». تقيحت الكلمة في فمها. دقَّ قلبي بسرعة، وللحظة، ظننت أنها على وشك كشف معرفتها بالأموال، مما سيعطيني دافعًا حقيقيًّا للقتل. بدلًا من ذلك، سخرت لوسي قائلة: «ربما فعلتماها معًا. لماذا كان إرنست متلهفًا للغاية للنزول لرؤية مايكل

بمجرد أن استيقظ، ها؟». توجهت بسؤالها إلى الجميع في الغرفة: «لأنه لم يكتشف أحد الأمر بعد، وأراد أن يكون هو الأول. هذا كل ما أريد قوله».

لاحظت أن الناس يميلون لقول «هذا كل ما أريد قوله» عندما يقصدون قول الكثير. استطعت سماع إيرين وهي تطحن أسنانها بجانبي، وساقها ترتعش صعودًا وهبوطًا تحت الطاولة.

قررت الدفاع عن نفسي: «لماذا قد أؤذي مايكل؟».

- لأنه كان يضاجع زوجتك، على سبيل المثال.

همست أودري بغضب، وهي تبتعد عنها: «لوسي!». لا أعلم من كان أكثر دهشة، لوسي أم أنا، أن والدتي كانت تدافع عني: «يمكنكِ إلقاء اللوم على من تريدين، لكن شخصًا واحدًا فقط هنا أصرّ على وضع مايكل في الغرفة الوحيدة التي بها قفل من الخارج».

ساد الصمت في الغرفة. كانت أودري محقّة. وعلى الرغم من أنها كانت هادئة حتى هذه اللحظة، فإنها كانت تغلي بالغضب. مثل الجميع، وجدت شخصًا تلقي عليه اللوم. لم تكن تدافع عني؛ كانت فقط تريد طعن لوسي. كانت لوسي هي التي اقترحت غرفة التجفيف، الغرفة الوحيدة التي لم يستطع الهرب منها. ربما شعرت أن وجوده في تلك الغرفة كان بسببي، لكن لوسي هي من وضعته هناك بالفعل. هذا هو السبب وراء توزيعها الاتهامات في الغرفة؛ لأنها شعرت بالذنب أيضًا.

همست صوفيا بشيء لكروفورد، الذي فتح قفل هاتفه ومرَّره إليها. توجهت نحو لوسي وجلست أمامها لتريها الشاشة.

قالت صوفيا بصوت ناعم وهادئ: «لا أعتقد أنك رأيتِ هذا بعد، أعلم أن ما أقوله يبدو جنونيًّا. ولكن إذا كنتِ قد رأيتِ...». وتركت الصورة على الهاتف تكمل التفسير نيابةً عنها. «يوجد قاتل هنا. هذا الرجل لم يمت بسبب تعرضه للبرودة».

تلاشى الدم من وجه لوسي، وعاد الحقد ليتوارى إلى أعماقها، كصراصير تفر حين تُكشف أمام الضوء. عندما رفعت نظرها عن الشاشة، بدت مرتبكة، وكأنها لا تتذكر أنها في غرفة مليئة بنا أصلًا. كنا أنا وإيرين نطلق على ذلك صداع الغضب: حينما تتجادل بلا سبب، وتدرك في ضوء الصباح أنك بدوت أحمق. كان هذا حال لوسي. مرتبكة ومُهانة.

همست لوسي: «هذا هو الرجل الذي وجدتموه بالخارج؟». بات بإمكانها الآن رؤية ما رأيناه جميعًا في وجهه الأسود؛ أن الحذاء الأخضر قد لقي حتفه بطريقة غريبة وعنيفة. وهذا ما زاد شعورها بالذنب؛ لأنها كانت هي من اقترحت غرفة التجفيف المغلقة، وكأنها قدمت مايكل على طبق للقاتل.

أومأت صوفيا، وأنا أعلم أنها كانت تحاول مواساة لوسي، لا إدانتها، من خلال إظهار الحقائق. لكن ذلك لم يُجْدِ نفعًا. كل ما رأته لوسي كان الاتهام.

نهضت لوسي: «لا أستطيع البقاء هنا بعد الآن. أنا آسفة، إرنست، إيرين، على ما قلته.. آسفة للجميع». ثم غادرت.

لم يحاول أحد منعها بشكل فعلي من الرحيل. لاحقها كروفورد بنصف اهتمام نحو البهو، مناديًا عليها لتعود، لكنها صدته بشيء لاذع لم أسمعه جيدًا، لكنه بدا وكأنه «أنت هو الرئيس» في إشارة واضحة إلى أنه ليس كذلك. أما نحن، فتوجهنا إلى الباب لنتأكد من أنها ابتعدت عن غرفة التجفيف، حيث كان مايكل ما زال ملقًى، فقط للاحتياط. توجهت إلى الطابق العلوي، ربما إلى المكتبة. ربما إلى السطح لمحاولة الحصول على إشارة هاتف. ليس لتدخين سيجارة. فأنت وأنا نعلم أنها دخنت سيجارتها الأخيرة.

الفصل التاسع والعشرون

قالت أودري بلطف بعد مغادرة لوسي، وكانت هذه أهدأ كلمات نطقت بها طوال عطلة نهاية الأسبوع، فاستمعنا جميعًا: «صوفيا، لقد مات ابني، وأود أن أعرف لماذا. نحن جميعًا منزعجون، وكلٌّ منا لديه شخص يرغب في إلقاء اللوم عليه» -لم أكن متأكدًا إذا كان بصرها قد انتقل نحوي أم إنني تخيلت ذلك- «ولكن كلما كانت لدينا معلومات أكثر كان ذلك أفضل. لأنني أريد أن أجد من فعل ذلك. وإذا كان لا يزال هنا، أود أن أؤذيه». تنفست لتستعيد السيطرة على نفسها. كنت قد أخطأت في تفسير نبرتها على أنها هدوء، لكنها كانت، بدلًا من ذلك، بلا مشاعر. «إذًا، هل تمانعين في أن تشرحي لنا، لبعضنا، كيف يمكن لآلة نفخ الأوراق وكيس من الفحم أن يقتلا شخصًا؟».

قالت صوفيا، ولم تستطع إخفاء لمحة طفيفة من الحماس في صوتها، مبتهجة أخيرًا بتأييد نظرياتها: «في الواقع، الرماد، وليس الفحم. إنها مادة قشرية، جزيئاتها دقيقة للغاية، تشكل نوعًا من الأسمنت في الرئتين عند استنشاقها. بشكل أساسي، يختنق الشخص من الداخل».

فكرت والدتي هنيهة، ثم حركت يدها كما يفعل الشخص الذي يشم كوبًا من النبيذ، تحاكي حركة دوران الرماد في الهواء: «إذًا، يجب أن يستنشق الشخص كمية لا بأس بها من الرماد، أليس كذلك؟ حتى تؤذيه؟».

أجابت صوفيا: «نعم، كمية كبيرة. ستكون أقل إذا كانت الغرفة بلا هواء نقي».

قلتُ معلقًا: «إنها تسأل عن المدة التي سيستغرقها ذلك». وكان من الصعب ملاحظة هذا، لكنني لاحظت إيماءة جافة من أودري كتقدير.

- أوه. ساعات.

سألت أودري، وبدت الدهشة تظهر في ملامحها: «ساعات؟».

تمتمت كاثرين: «هل تألم؟».

لم تجب صوفيا، وكان هذا بمنزلة إجابة فعالة للسؤال. كان الأمر سيكون مؤلمًا للغاية.

قالت أودري مجددًا، وأدركت هذه المرة أنها كانت تخاطب كروفورد: «ساعات؟». (ولم تكن تطلب توضيحًا، بل تفسيرًا). الطبيبة هنا تفضلت بشرح الأمر علميًّا. والآن يمكنك أن تخبرني، أيها الشرطي، كيف استغرق ابني ساعات ليموت في غرفة كنت تحرسها».

بدأ كروفورد بالسعال وقال: «سيدتي، مع كامل الاحترام -كانت هذه بداية سيئة؛ والدتي لم تقبل قطُّ الرسميات أو الأعذار- القفل المطاطي على الباب يجعل الغرفة عازلة للصوت إلى حد كبير».

كدت أقترح أن العاصفة كانت صاخبة جدًّا، لكنني تعلمت درسي من المرة السابقة عندما دعمت ضابط شرطة، فالتزمت الصمت.

«ولكن، بصراحة، لم أسمع أي شيء لأن...» توقف كروفورد.

- قلها.

- لم أكن هناك.

شعر الجميع في الغرفة فجأة بسكون، لكنه كان مفعمًا بالتوتر، يتأرجح على حافة الانفجار. كان من الممكن أن يسير الأمر بطريقتين: صمت طويل أو وقوف أودري وتمزيق رأس كروفورد. وفي النهاية، لم

يحدث أي منهما، لكن أودري كانت أول من تحدث. لم تستطع استدعاء أكثر من همس عميق.

- هل حبست ابني في غرفة مقفلة ثم تركته هناك بمفرده؟

ربت مارسيلو على ظهرها بين عظمتي كتفيها، بشكل حازم ولكن حنون: «مدا...». حاول كروفورد أن يناديها مجددًا بـ‹مدام› بلكنة أمريكية، لكنه تدارك نفسه. بدت عليه الحيرة، ثم بدأ حديثه مرة أخرى، وقرر أن يناديها ‹السيدة كانينجهام› دون إشارة وصل، وقال: «الغرفة لم تكن حتى مغلقة».

أولئك الذين بدأ انتباههم في التلاشي، مثل آندي، أو على وشك الإغماء، مثلي أنا وصوفيا فقد كنا نتمايل من شدة الإرهاق، انتبهنا فجأة لكروفورد.

- لقد راجعت جولييت توقعات الطقس وأخبرتني أنها تفكر في أخذ بعض الأشخاص إلى أسفل الجبل عندما تحدث فجوة في الطقس قبل أن يسوء. لذا قررنا، بما أنه كان متعاونًا حتى الآن، أن ننقل مايكل إلى إحدى غرف الضيوف. عندما ذهبنا لإخباره بهذا - ذلك بعد أن تحدثتَ معه، يا إرنست، لكن قبل أن ألحق بك إلى السقيفة- كان نائمًا. كان متكوِّمًا على المقعد، وظهره نحو الباب. كانت لديه وسائد وأشياء - بدا مرتاحًا، لذا لم نرغب في إيقاظه. كانت جولييت هناك، بإمكانها تأكيد ذلك، أليس كذلك؟

قالت جولييت: «إنه على حق. كنت هناك».

«ثم كان عليَّ مطاردة هذين الاثنين» -أشار إليَّ أنا وإيرين، متجاهلًا أن يضم صوفيا معنا- «من سقيفة الصيانة، وبدت الأمور وكأنها مشهد من **تيتانيك** لهذا الرجل، وبعد أن عدنا به لهنا، كانت الحافلات قد وصلت، وتم استدعائي لمساعدة الناس في الصعود إليها. كما احتاجت سيارات

الناس إلى الحفر لإخراجها. وهذا الأمر استمر بلا نهاية. لكنني، أقسم، لم أكن أرغب في بقاء مايكل محبوسًا في الغرفة في غيابي، تحسبًا لاستيقاظه وعدم قدرته على الخروج. تحسبًا لحدوث ...». توقف قبل أن يقول كلمة «حريق»، مدركًا ربما السخرية في ذلك. «لقد فتحت القفل قبل أن أغادر. أنا واثق من ذلك».

كنت أحاول جاهدًا تذكُّر ما إذا كنت قد أعدت القفل لمكانه قبل أن أفتح الباب، ولا أعتقد أنني فعلت ذلك. كان كروفورد محقًّا: الباب لم يكن مغلقًا.

سألت: «هل كانت النافذة مكسورة في آخر مرة رأيته فيها؟».

التفت كروفورد إلى جولييت، التي هزّت كتفيها. هز رأسه قائلًا: «لا أعرف».

- هل أنت متأكد أنه كان نائمًا؟

- أعني، لم أسأله.

هذه المرة سألت جولييت. «هل كان يتنفس؟».

- لم ... أنظر، لم أتحقق منه. لم يكن هناك أمرًا مشبوهًا.

سألت صوفيا: «ما الذي تفكر فيه، إرن؟».

قلت: «كان لدى الحذاء الأخضر قطع مسنن في رقبته بسبب الأشرطة البلاستيكية، لو أن مايكل قاوم ضدها، لكان قد جرح معصميه. لم أرَ أي ضرر على يديه عندما وجدته. هل رأيتِ أي ضرر، صوفيا؟».

فكّرت لثانية: «لا. لكن لم يكن هناك أي دم أو كدمات عليه أيضًا، وهو ما كنت أتوقعه لو أنه نشب قتال. من جهة أخرى، كان هناك الكثير من الرماد، لذا ربما لم أرَ ذلك». كنت أعرف أنها لم تصدق ذلك: «ربما كانت

ضربة نظيفة، لكن هذا يعني أن من ضربه كان شخصًا يثق به لدرجة أن يدير ظهره له».

فكرت بصوت عالٍ: «إذًا، ربما كانت النافذة مكسورة وربما لم تكن كذلك. كان الأمر واضحًا تمامًا عندما وجدته؛ كان هناك زجاج على الأرض، وإضاءة إضافية، ومن المؤكد أنك كنت ستلاحظ الرياح، بالنظر إلى أن العاصفة كانت لا تزال قوية، لذا دعونا نفترض...». دفعتني إيرين بقوة في أضلاعي بمرفقها، لكنني تجاهلتها. كان الجميع يراقبني وأنا أحاول تجميع التسلسل الزمني للأحداث. على الرغم من التحليل، كانت طاقة الاكتشاف تساعدني على تجاوز الصدمة. أنا واثق من أن الجميع كانوا يفضلون العودة لغرفهم والانهيار على انفراد، لكننا كنا نعلم جميعًا أن هذا مهم. قد يقودنا إلى القاتل: «دعونا نفترض أن النافذة لم تكن مكسورة بعد عندما رأيته. وربما كان نائمًا وربما لا».

دفعتني إيرين مرة أخرى. همست لها: «ماذا؟».

همست إيرين: «كل هذا مفيد جدًّا، لكنه فقط يؤكد أنك كنت آخر من رأى مايكل مستيقظًا في الغرفة». سمع الجميع ذلك.

التفتُّ إلى الغرفة. أوه. لهذا السبب كانوا ينظرون إليَّ بهذه الطريقة.

قلت: «كان حيًّا عندما غادرت الغرفة». لكن مع وجوههم الصارمة، شعرت وكأنني أخاطب هيئة محلفين. كنت أعرف أنه لا يتوجب عليَّ فعل ذلك -إذا شاهدت أي تحقيق، فإن الوحيد الذي يكرر كلامه دون داعٍ هو المذنب- لكنني لم أستطع منع نفسي. خرجت الكلمات مني كأنني أستجدي: «كان حيًّا عندما غادرت الغرفة».

لم يصعد أي منا إلى الحافلة. كان هناك تفاهم غير منطوق في الغرفة بأن أي شخص يرغب في النزول من الجبل بسرعة قد يكون القاتل الهارب، لذا تظاهرنا جميعًا بأننا لا نريد المغادرة. في هذه

المرحلة، اعتقد معظمنا أن القاتل ربما واحد منا. بعضنا، بمن فيهم أنا وصوفيا، أردنا البقاء واكتشاف من يكون. والباقون تراوحت مشاعرهم بين الخوف والتحدي. أودري لم تكن لتغادر دون جثمان مايكل، الذي لم يكن من الممكن تحميله في منتصف الحافلة. كاثرين بقيت لأنها كانت قلقة على لوسي. آندي بقي لأن كاثرين بقيت. أما مارسيلو، فربما بقي لأنه وُعد أخيرًا بغرفة في بيت الضيافة. كروفورد لم يخبرنا إذا كان بإمكاننا المغادرة أو لا، لكنه علم أنه لا يمكنه تركنا بمفردنا وإلا قد يضطر لشرح مذبحة لرؤسائه عند وصولهم. أما جولييت فقد مازحت بقولها إنها لا تستطيع تركنا خوفًا من أن نحرق المكان. كنا سنفعل ذلك على أي حال، لكنها لم تكن تعلم ذلك في هذا الوقت.

بقينا في الحانة، وشيئًا فشيئًا تحولت مشاعر الحزن والغضب واللوم والاتهامات إلى تبادل ذكريات بصوت خافت من بين حناجر مخنوقة. ذكر لي آندي خطاب مايكل عندما كان إشبينيًّا في حفل زفافي. اعتقد أنه سيكون ذكيًّا بأن يقلد أسلوب أحد كتبي، فحضر عشر قواعد لأفضل خطاب، لكنه أسرف في الشرب ونسي سبعًا منها. بدا الأمر سخيفًا أن نذكره في هذا الموقف، لكن الحرج تلاشى سريعًا إلى ضحكات متقطعة ودموع. لست سطحيًّا بما يكفي لأتجاهل أفعال مايكل كأخطاء بسيطة، لكنه كان أكثر من كونه الشخص الذي كان عليه السنوات الثلاث الأخيرة.

عندما أدركنا جميعًا أننا لن نغادر، اقترح أحدهم أن نحاول النوم، وترددت همهمة قبول مرهقة بيننا. أغلق كروفورد غرفة التجفيف، لم يكن يرغب في نقل جثة مايكل، وحذرنا جميعًا من الاقتراب منها. وزعت جولييت علينا مفاتيح الغرف الجديدة في بيت الضيافة التي أصبحت فارغة الآن. رفضت، مفضلًا البقاء في الشاليه الخاص بي. إذا أراد أحد قتلي، فالأفضل أن أراه وهو يصعد عبر سلم العلية. بالإضافة إلى أنني احتجت العودة لغرفتي على أي حال، فلم أتحقق من حقيبة المال منذ الصباح. أردت أن أبقى قريبًا منها. بعد أن علمت أن مارسيلو لا يعرف

عن النقود، شعرت بالامتنان أن لا أحد يعرف بالأمر إلا صوفيا وإيرين، لأن المال كان سيمنحني دافعًا للقتل. وبالنظر إلى أنني كنت آخر من تحدث مع مايكل، فإن المجموعة، التي كانت تنظر إليَّ بالفعل بشكوك حذرة، كانت ستمزقني إربًا لو علمت أنني أمتلك ربع مليون دولار من أموال العائلة.

بدأ الناس بالهرولة بعيدًا، متثائبين. وعندما مرت كاثرين بجانبي، لمستها على كوعها وطلبت منها زجاجة مسكنات الألم لليلة.

قالت: «آسفة يا إرن، إنها قوية جدًّا. سأحتفظ بها». ثم وضعت حبة واحدة في قفاز الفرن الخاص بي.

لقد بدا الأمر غريبًا بالنسبة لي عندما أعطتني الحبوب في الطابق العلوي، لكن حمايتها لها بهذا الشكل زادت من غرابة الأمر. لم يكن هناك شك في أنها تعاني ألمًا في ساقها، وهو ألم لا بدَّ أن يكون مؤلمًا للغاية في بعض الأحيان، ويتطلب عادة علاجًا دوائيًّا. لكنها اختارت العلاجات الطبيعية منذ الحادثة. بحسب وصفها، ‹الطب البديل›. أما في قاموس الأطباء، فهو ‹هراء›. لكن الأمر لم يكن يهم كاثرين؛ لقد كانت متمسكة بالتغيير وملتزمة بالامتناع عن أي شيء يُغيِّر من حالتها. لا بنادول للصداع، ولا كأس نبيذ ليوم سيئ في العمل. عندما أنجبت أيمي، رفضت حتى المسكنات. كانت كالذي ركب عربة ولم يستطع النزول منها لأي سبب.

عندما تقدمت في السن، بدأت أدرك كم كان هذا الأمر مهمًا بالنسبة لها. كانت في حالة سُكر في أثناء الحادث الذي تسبب في إعاقة ساقها، ولذلك كانت تحتقر أي شيء قد يؤثر على وعيها، حتى لو كان لصالحها. كانت تفضل الاحتفاظ بقواها العقلية على الألم: لم تكن تريد أن تفقد عقلها مرة أخرى. لهذا السبب أوصيت صوفيا بأن تسألها عن اجتماعات ‹مدمني الكحول المجهولين› إذا كانت بحاجة لذلك، لأن كاثرين كانت صامدة، ثابتة. كانت -ولن أقول هذا لها بصوت عالٍ أبدًا- مُلهِمة.

فوق كل ذلك، لطالما شعرت أن الألم في ساقها، وفي عرجتها في أثناء السير، كانا بمنزلة كفارة لها. تذكير بصديقتها المقربة، التي كانت موجودة معها في السيارة تلك الليلة. لم تكن تريد تخفيف ذلك التذكير؛ كانت تشعر أنها تستحقه. وإذا كنت تتساءل عما إذا كانت صديقتها قد نجت، فانظر إلى رقم الصفحة.

ربما كنت أبالغ في التفكير. ربما ازدادت الإصابة سوءًا مع تقدم العمر، واستسلمت كاثرين أخيرًا لنصيحة طبيبها. ربما كان الألم لا يُحتمل في الطقس البارد، على الرغم من أن كاثرين هي من اختارت المنتجع بنفسها؛ بدا ذلك اختيارًا غريبًا إذا كانت تعاني بالفعل. ربما رضخت للضغط، غالبًا من آندي (رغم أن تذكري لمشهد جولييت وهي تُجبرها على إعطائي حبة أخرى بعد أن استيقظت لا يزال حاضرًا)، لأنها كانت ترى أن الحبوب ضرورية لإصابتي، لكنها لم تستطع إلا أن تصرفها بجرعات محدودة جدًّا. لو كان الأمر بيدها، لكانت قد أعطتني بعض تمارين التنفس بدلًا منها. ربما كانت لوسي قد باعتها بعض الزيوت العطرية أيضًا، التي يبدو أنها الخطوة التالية في قائمة الأعمال التجارية المستقلة لها بعد أدوات تخزين الطعام ومستحضرات التجميل.

لذا قررت أن أكون ممتنًا للكمية القليلة التي حصلت عليها، وابتلعت الحبة مع ما تبقى من الشوكولاتة الساخنة، ثم وضعت الكوب على البار في طريقي للخروج. فوجئت عندما وجدت إيرين تنتظرني في البهو. كان الباب الأمامي مفتوحًا، وقطع صغيرة من الثلج تتطاير عبر البلاط.

«لا أعرف كيف أطلب منك هذا...». بدأت بقول هذا، لكن الكلمات اختفت قبل أن تجدها. نظرت إلى حذائها. عبثت الرياح بشعرها، ثم رفعت عينيها لتلتقي بعيني. في تلك اللحظة، تغيرت جزيئات الثلج في الهواء: «لا أريد البقاء وحدي الليلة».

زوجتي

الفصل الثلاثون

همست إيرين باسمي من فوق. العاصفة تولدت من جديد، والكبسولة الصغيرة في الشاليه الخاص بي أصدرت أنينًا مع ضغط الطقس عليها من كل الجهات: شعرت كأننا في غواصة. كنت جالسًا على الأريكة، بعد أن أعطيت إيرين الطابق العلوي، وأخيرًا تخلصت من رداء الحمام لأرتدي سروالًا فضفاضًا وتي شيرت لفرقة لم أعد أستمع إليها. طلبها بالبقاء معي كان بدافع الوحدة والخوف، وليس بدافع التغزل، لذا لم يكن هناك أي توقع بأن أصعد السلم معها. لا توجد مشاهد جنسية في هذا الكتاب.

قلت: «أنا مستيقظ».

كان هناك همس خفيف من الأعلى وهي، على الأرجح، تتقلب. بدا صوتها أقرب قليلًا عندما تحدثت مرة أخرى: «إذًا، ماذا تظن؟».

قلت بصراحة: «لا أعلم، لا أستطيع إخراج فكرة اللسان الأسود من رأسي. طريقة التعذيب تلك فريدة للغاية. ستكون مثالية في رواية غموض».

قالت بشرود: «تقريبًا هذا يكسر القاعدة الرابعة، يتطلب تفسيرًا علميًّا. لست متأكدة إذا كان النفق الثلجي يعتبر ممرًّا سريًّا».

لقد كنت أكتب سلسلة ‹كيف تفعل› الخاصة بي منذ فترة طويلة، لذا كانت تعرف إيرين قواعد رونالد نوكس كما أعرفها تمامًا. تساءلت عما إذا كانت تتحدث بها الآن في محاولة لجعلنا نشعر وكأننا فريق. هذا كان

يبدو تصرف تملكي بشكل غريب من امرأة كذبت بجرأة لتتجنب إنجاب الأطفال منى. والتي سرقت مني الطابق العلوي أيضًا.

قلت: «بالضبط. هذه هي المشكلة، تلك الجرائم تجذب العناوين الرئيسة. إنها مثالية للصفحة الأولى - وستصبح وثائقيًا يُبث خلال بضعة أشهر. إنها بيانات، وهذا يعني أنه من السهل تقليدها».

- أنت تقول إن شخصًا ما ربما يريدنا فقط أن نظن أن اللسان الأسود موجود هنا؟

- ما الذي يبدو أكثر مصداقية، أن قاتلًا متسلسلًا سيئ السمعة قد تبعنا إلى هنا، أم أن شخصًا يحاول أن يجعل الأمر يبدو كذلك؟

علقت إيرين: «صوفيا تبذل جهدًا كبيرًا لإقناع الناس بكل تفسيراتها. يكاد يكون الأمر وكأنها محاولة منها لإخافتنا».

- إنها طبيبة. ولقد عالجت واحدًا من الضحايا. لم تقل أي شيء لم يتم ذكره في الأخبار.

- يبدو وكأنك تدافع عنها.

«يجب أن أثق بأحدهم». قررت أن هذا الرد كان قاسيًا بعض الشيء لذلك غيرت الموضوع: «أخبريني شيئًا: كيف أقنعك مايكل بأن تذهبي معه لنبش القبور؟».

فاجأها ذلك: «حسنًا، لم أكن أعلم في البداية أنه كان نبشًا للقبور. لقد فاجأني بذلك».

«كيف تورطت في الأمر من الأساس؟» توسعت المعاني المزدوجة لكلمة **تورطت** حتى ملأت الغرفة.

- مايكل ولوسي كانا يعانيان مشكلاتهما المالية. أما أنا وأنت – كنا نكافح منذ... حسنًا، يقولون إنه عندما تشارك المشكلة مع أحد فإنها تصبح أخف. كان الأمر مجرد مواساة، إرن. مجرد مواساة.

لم أقصد الأمر بتلك الطريقة، لكنني لم أستطع التوقف عن الاستماع إليها وهي تتحدث: «الأمر أشبه بالثلج على هذا الجبل، هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني وصف الأمر به. الكثير من رقائق الثلج الصغيرة، وفجأة تجد نفسك محاطًا بالثلج حتى الركبة. أو كأنه رماد على الرئة، ربما يكون ذلك وصفًا مظلمًا بعض الشيء؟ الأمور تبدو وكأنها تتحرك ببطء، ولكن عندما تنظر إلى الخلف، تجدها قد تحركت كثيرًا. حصل هذا فقط عندما بدأنا أنا وأنت بالنوم في غرف منفصلة، لكن لوسي لم تكن تعرف».

كان يجب أن يحطمني اكتشاف أنهما كانا معًا لفترة أطول مما كنت أظن، قبل أن يظهر مايكل في ممر منزلي. لكن في ذلك اليوم، كانت هناك أجزاء كثيرة مني محطمة لدرجة أن هذا الأمر لم يؤثر فيَّ كثيرًا.

عاد لذهني شيء قاله مايكل تلك الليلة: **لوسي ستعرف**. لأن أي محاكمة لجريمة قتل، يتم خلالها تحليل كل حركة، ستكشف عن علاقته السرية. من غير الممكن أن لوسي كانت على معرفة بالأمر، وإلا لما كانت ردّة فعلها بهذا الشكل عندما علمت أنهما قضيا ليلة معًا. تخيَّل لو كانت تعرف القصة الكاملة؟ لوسي ستعرف. قالها مايكل، رغم أنه هو وإيرين كانا على علاقة بالفعل. أتساءل إذا كانت إيرين تعرف أنه كان لا يزال متشبثًا بزواجه في ذلك الوقت، وأنه اتخذ قراره في وقت لاحق. كان من اللافت أن لوسي كانت أشد حزنًا بموت مايكل مقارنةً بإيرين. أتساءل ما إذا كانت تعرف أكثر مما أظن.

قررت أن أترك الأمر مؤقتًا. قلت: «أقصد تورطك في هذا».

أجابت إيرين: «أنا ومايكل، ليس أن هذا يهم، لكن لم يكن من المفترض أن...».

قاطعتها: «لا أحتاج إلى سماع هذا الجزء. أخبريني بما قاله لك مايكل. والأهم، سبب تصديقك له».

«لم أصدقه في البداية. احتجت بعض الإقناع. لكن، حسنًا، بعدها وجدت حقيبة المال التي كنت تخفيها. أخبرني مايكل أن أبحث عنها. لم أتوقع أن أجد أي شيء، لكن لم أتمكن من فهم ما يمكن أن يكسبه من الكذب، لذا بحثت قليلًا. لم تخفها جيدًا، إرن». قالتها وكأنها تلومني. وكأنها تقول لي، كما كانت تفعل عندما كنا سعداء، بأنها تناولت شوكولاتة لم ترغب فيها فقط لأنني تركتها في نطاق رؤيتها.

«ثم بدأت أفكر في الأجزاء الأخرى من قصته التي تبدو منطقية. وربما أردت تصديقها. كنت مشوشة بعد انفصالنا، وكان هذا - حسنًا، كان جنونيًّا، لكنه كان بمنزلة طوق نجاة. صدَّقت القصة لأنني اعتقدت أننا قد نعوِّضك عما حصل. جعلت مايكل يعدني بأن تكون جزءًا منها. كان من المفترض أن تكون أموالنا، إرن - لنا نحن الثلاثة».

هذه أموال العائلة.

ها هي الجملة ذاتها مرة أخرى. لكني فهمتها أخيرًا هذه المرة.

«أنت لا تتحدثين عن الحقيبة. ظننت أنك تبحثين عن....» **كل هذا من أجل خريطة كنز؟** «انتظري، ما الذي **اعتقدي** أنك تنبشين القبر لأجله؟».

- قبل خروجه، طلب مني أن أخبر الجميع بتاريخ خاطئ لإطلاق سراحه. وطلب مني استئجار شاحنة لأنه قال إننا سنحتاج إلى نقل شيء، وأنه يجب أن يتم ذلك ليلًا. قال إنه يعرف المكان الذي يجب أن يذهب إليه، وأنه يحتاج إلى يوم واحد بعد خروجه لإنهاء كل شيء. لذا، استجبت لطلبه، ثم وجدنا أنفسنا في مقبرة، وأخبرته أنني لا أريد فعل أي شيء من هذا القبيل، فقال لي إنه مجرد تراب وخشب وإنه بحاجة إلى مساعدتي. استخدمنا الأشرطة والبكرات ومحرك الشاحنة لنستخرج هذا التابوت من الأرض. مايكل فتحه،

ألقى نظرة واحدة خاطفة وقال إنه يجب أن نحضره معنا إلى هنا. وضعناه في الشاحنة، وجئنا إلى هنا. أعتقد أنه كان راضيًا عن نفسه. لا أعتقد أنه كان يظن أنه سيموت. والدك كان يقوم بعمليات سرقة، لذا جمعت اثنين واثنين معًا وافترضت أن التابوت كان يحتوي على شيء ثمين. لا أعرف - ربما ألماس؟ بالتأكيد لم أكن أعتقد أننا كنا نحفر لاستخراج جثث، في حال لم يكن ذلك واضحًا. كنت سأهرب فورًا.

- قلت لي سابقًا إن مايكل لم يخبرك بما كان آلان يبيعه إياه. إذا كنت قد بذلت هذا الجهد لنبش تابوت، لماذا لم تسأليه عما كان بداخله؟

- سألته. قال إنه سيكون أكثر أمانًا إذا لم أعلم.

- لم تسأليني أنا أيضًا.

قالت وهي تنظر إلى يدي: «كان يبدو له أن أي شخص سيعرف حقًّا ما بداخل التابوت سيموت أو سيكون على حافة الموت، أعتقد أنه كان على حق».

- وربما هذا جزء من الأمر أيضًا. لنفترض أن الحذاء الأخضر مجرد شخص عادي. قُتل ليكون واضحًا أن اللسان الأسود، أو من يدَّعي أنه اللسان الأسود، موجود هنا. أو قُتل لأنه اعترض الطريق. ماذا لو كان مايكل هو الهدف الحقيقي منذ البداية؟

قالت: «تقصد بذلك أن أي شخص يعرف ما في التابوت في خطر».

كانت هذه هي الفكرة التي لمّح إليها مارسيلو. مارسيلو لم يكن يعلم بوجود تابوت في الشاحنة، وإيرين لم تكن تعرف ما بداخله. وفقًا لمنطقهم، فأنا، بما أنني أعرف أكثر، سأكون التالي على قائمة اللسان الأسود.

«إذا كان هذا هو الأمر، عليكِ أن تخبريني بشيء آخر. تجاوزنا مرحلة الكذب على بعضنا بعضًا. كنا متزوجين لمدة أربع سنوات، ومع ذلك

كنتِ تتوترين عند التفكير في التقبيل على الملأ. لكنكِ ومايكل... الأمر غير منطقي». توقفت، آملًا أن تكتشف الأمر دون أن أقوله، مما يعني الاعتراف بمدى ملاحظتي لهما.

- لست متأكدة مما تحاول الوصول إليه. هل هذا هو الوقت المناسب لاستكشاف مشكلات علاقتنا؟

- على الدرج الأمامي، قبل أن يأخذ كروفورد مايكل بعيدًا، ماذا أخذتِ من جيب مايكل الخلفي؟

عناق إيرين لمايكل أمام الجميع كان غريبًا بالنسبة لي في البداية، لكنني نسبت الأمر إلى غيرتي وتباهيها. كنت قد شاهدت المشهد نفسه يتكرر، يد إيرين في جيب مايكل الخلفي على لقطات كاميرا الطقس الخاصة بجولييت، وقد شعرت مرة أخرى بأن الأمر غريب. مايكل، في غرفة التجفيف، حاول أن يريني شيئًا قبل أن يعطيني مفاتيح الشاحنة، لكنه لم يتمكن من العثور عليه. لكن غيرتي جعلتني أغفل عن السبب الذي جعل ذلك يلفت انتباهي. كنت أعرف زوجتي. هي لا تُظهر عاطفتها بهذه الطريقة.

أحدثت إيرين بعض الأصوات، من فوقي، ثم هبط شيء خفيف على الوسادة بجانب رأسي. تحسست في الظلام حتى أغلقت أصابعي حول شيء صغير من البلاستيك. كان مشابهًا في الشكل لغطاء زجاجة، لكن أكبر قليلًا وأعمق. أشبه بكأس صغيرة. رفعته فوقي؛ كان هناك ما يكفي من ضوء القمر خلف السحب ليظهر تدريجيًا. سطح واحد أرسل وميضًا، سطح عاكس، بلاستيك شفاف، ربما زجاج.

قالت: «أنت ذكي، بلا شك».

تملكتني ذكرى عن كأس صغيرة تتدحرج عن لوحة القيادة عندما كان مايكل يخرج من ممر سيارتي. كنت مشتتًا بعض الشيء بسبب ما

كان في المقعد الخلفي في ذلك الوقت، لكنني أدركت الآن أن هذا هو الشيء نفسه. لم تكن كأسًا، بل كان من نوع الأشياء الذي يُوضع طرفه المفتوح على العين، وفي أعلاه عدسة مكبرة للنظر من خلالها. (لقد ترك لي المحرر ملاحظة مفيدة بأنه يُطلق عليه اسم «عدسة مكبرة»، لذا سأدّعي المعرفة وسأستخدم الاسم الصحيح من الآن فصاعدًا).

كان شيئًا غير ضارٍ بما يكفي ليُصادر كدليل، لكنه كان مهمًا بالنسبة لمايكل لدرجة أنه بذل جهدًا للتنقيب عنه من تحت المقعد قبل أن يتم اعتقاله، واحتفظ به كجزء من مقتنياته القليلة التي أعيدت إليه عند إطلاق سراحه من السجن.

سألت: «لماذا أخذتِ هذا؟».

- استخدم عقلك، إرن. ظننت أننا حفرنا شيئًا ثمينًا. لا أدري، ألماس؟ سبائك ذهب؟ ماذا يمكنك أن تسرقه وتخبأه في تابوت؟ لماذا قد يكون لديه هذا، إن لم يكن للتحقق من شيء كهذا؟ كان آلان تاجر مجوهرات مستعملة، أليس كذلك؟ بدا لي واضحًا ما كانوا يتحدثون عنه. وأخذته لأن، حسنًا- بدأت في السعال، محرجةً- لأن مايكل لم يكن يخبرني بشيء عن التابوت، وربما أردتُ أن أرى بنفسي. تحسبًا لو أن هذا الأسبوع انتهى بطريقة مختلفة عما كنت أتوقعه. مع لوسي.

«شعرتِ أنك لا تستطيعين الوثوق به تمامًا؟ فمن يخون مرة يخون دائمًا؟». سألتها هذا السؤال فقط لإرضاء غروري الشخصي، وأنا أعلم تمامًا مدى سخافة ذلك. يبدو أن حبوب كاثرين قد أثرت عليّ. ما كنت لأقول ذلك لو كنت بكامل وعيي.

اعترفت بنبرة الصوت المنخفضة والخجولة، النبرة التي يستعملها الناس عند الاعتراف بأمور محرجة: «ربما كان هذا جزءًا من الأمر،

استغرق وقتًا طويلًا ليخبر لوسي عنا، وكان يعرف أنني لا أستطيع إخبارك قبل أن يوافق على إخبارها. توسلت إليه أن يسدد ديونها حتى نستطيع أن نبدأ من جديد. وعندما أرسل لها أوراقها أخيرًا، أعتقد أنه فعل ذلك فقط لأنه كان لا يزال غاضبًا منك. كانت تلك المرة الأولى التي ظننت فيها أنه ربما كان يريد شيئًا يخصك. هذا الأسبوع أعاد كل ذلك للسطح. شعرت أنني مكشوفة».

- إذًا أخذتِ هذا منه، وأنت تعلمين أنه لن يتمكن من استبعادك مما يوجد في التابوت إذا لم يستطع التأكد من قيمته حتى ينزل من الجبل.

قالت: «يبدو الأمر وكأنني مهووسة عندما تقوله بهذه الطريقة، لكنه أعطاك أنت المفاتيح، وليس لي. وكنت أعرف أنه إذا لم تذهب وحدك إلى الشاحنة، فسيشاهد كروفورد وصوفيا الأمر أيضًا، ثم سيعرف الجميع. كنت أعرف على الأقل أنك أردت إبقاء حقيبة المال سرًّا، لذا فكرت أنك قد تحافظ على سرية هذا الشيء أيضًا، مهما كان. لهذا السبب أصررت على أن تنظر بمفردك». سمعت صوتها وهي تمتص الهواء من بين أسنانها، عادة كانت تفعلها عندما تكون قلقة ولا تستطيع النوم. كنت أميل إلى مداعبة كتفها لأطمئنها أنني بجانبها، وأن كل شيء سيكون على ما يرام. فاجأني أن أرى ذراعي تتحرك بالحركة نفسها نحو الفراغ بجواري على الأريكة. ذاكرة عضلية: «من الواضح أنني كنت مخطئة بشأن ما في التابوت» -توقفت وكأنها تتوقع شيئًا، لكنني لم أستجب- «لذا لدي نظرية جديدة. أعتقد أنه أراد التحقق من مالك».

فكرت في ذلك للحظة. كان منطقيًّا. لم أكن أعرف الكثير عن النقود المزيفة، لكنني افترضت أن هناك علامة دقيقة أو رقمًا تسلسليًّا أو شيئًا من هذا القبيل. لقد بحثت عن الأمر لاحقًا وكنت على صواب.

«هذا الشيء لا يبدو فخمًا أو ذا قيمة خاصة». قلت وأنا أدحرجه بين أصابعي. كانت رؤيتي أوضح الآن بعد أن تكيفت عيناي. «يبدو مشابهًا لما كنا نستخدمه في مختبرات العلوم في السنة الثانية عشرة[1]. يمكنك الحصول على واحد من هذه الأدوات من أي مكان. لكنك محقة بشأن طبيعة عمل آلان. ربما كانت تخصه، ومايكل أخذها منه».

- ربما أحضرها آلان ليتأكد من أموال مايكل ولم تكن كما تجب؟ ولهذا السبب تشاجرا؟

اعترفت: «كنت أتساءل كيف حصل مايكل على مبلغ 267,000 دولار دون أن تعرف لوسي عن ذلك، إنه مبلغ كبير من المال. حتى مارسيلو لم يكن يعرف عنه. ولا أنت، وبصراحة لن أتفاجأ إذا كان مايكل قد طلب منكِ العثور عليه فقط ليتأكد من أنه لا يزال موجودًا».

- ولكن إذا كان يعرف بالفعل أن المال مزيف، فلماذا كان يحتاج إلى التأكد منه؟

- لا أعلم.

اقترحت: «ماذا لو كان الأمر معكوسًا، آلان هو من أحضر المال ومايكل لم يكن سعيدًا به».

تركت الفكرة تنمو في ذهني. وضح مايكل أنه كان يشتري شيئًا من الآن. هل كانت تلك هي الحقيقة؟ ما الذي يمكن أن يبيعه مايكل؟ «إذا كان المال عديم القيمة، عديم القيمة بما يكفي ليُقتل بسببه على أي حال، فلماذا يحتفظ به».

قالت: «لقد أنفقت بعضًا منه». لم يكن هذا سؤالًا.

---

(1) السنة 12 هي سنة تعليمية في العديد من البلدان، تشمل إنجلترا وويلز وأستراليا ونيوزيلندا. تضم عادةً الطلاب الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و18 عامًا، وتُعرف أحيانًا بالسنة الأخيرة في أستراليا. (المترجمة)

- قليلًا فقط. لم أواجه أي مشكلات.

- فقط لأن المال مزيف لا يعني أنه بلا قيمة. أو ربما كان عليه العلامة - كما تفعل الشرطة بوضع علامات على الأوراق النقدية وكل ذلك؟

«ربما». كنت أشعر أنني أفوت شيئًا، لكنني لم أكن متأكدًا مما هو. حدسي كان يخبرني أن إحدى نظريات إيرين، شيء قالته، كان قريبًا من الحقيقة. لكنني لم أكن أعرف ما يكفي لاكتشافه. قال لي مايكل إن المشكلة كانت أنه لم يملك ما يكفي، لذا بدا لي أنه من غير المحتمل أن يكون المال مزيفًا.

نفدت نظرياتنا وعُدنا للصمت. بدا أن شاليهنا، الذي يبدو كالغواصة، يغوص مئة متر أخرى، يئن تحت الضغط. بدا لبعض الوقت أن إيرين قد تكون نائمة، ثم ظهر وجهها الشاحب فوقي، مائلًا من فوق الطابق العلوي.

سألت. «هل يستحق الأمر أن أقول آسفة؟».

- على أي جزء؟

- على كل شيء، أعتقد.

يمكن العثور على بعض الاستعارات في صوتها، الذي تدفق نحوي بينما أنا ممدد على ظهري أتحدث إلى النجوم، لكني لا أعرف ما هي.

- حسنًا.

- فقط حسنًا؟

«همم». بذلت جهدي لأبدو كمن يتمتم بطريقة ناعسة وغير ملزمة بالرد، لكنني كنت متأكدًا إنها كانت تستطيع سماع دقات قلبي. وكأنها تهز وسادتي بأكملها.

- ألا تريد أن تعرف السبب؟

«هل تتحدثين لأن لديكِ شيئًا تقولينه، أم لأنكِ لا تستطيعين النوم؟». لم أقصد أن يبدو كلامي حادًّا - هناك هامش معين حيث تتلاقى القسوة والمودة في الزواج- لكن بما أننا لم نعد معًا، حتى المزاح الخفيف بدا وكأنه حاد.

بدا التوسل واضحًا في صوتها: «هل يمكن أن يكون السبب كليهما؟».

قلت بلين: «بالتأكيد. لكن إذا خسرت سباقًا غدًا مع قاتل متسلسل لأنني لم أنم كفاية، فسألومك».

أضاءت أسنانها بياضًا في الظلام. ابتسامة: «ها أنت ذا».

- لا داعي لأن تعتذري لي، إيرين. لم يكن ينبغي أن أحمل ذلك الضغط عليك. كنت أظنك سعيدة، واعتقدت أننا اتخذنا قرار إنجاب الأطفال معًا، لكن يبدو أنني لم أدرك كم دفعتك لذلك. كنت غاضبًا لفترة طويلة، لكن ما حقي في اختياراتك؟ لم يجب أن تكذبي عليَّ، وأتمنى لو كان أي شخص آخر غير مايكل -لن أتمكن من تجاوز ذلك أبدًا- لكنني طلبت منك ما يكفي. لست بحاجة إلى اعتذار».

كانت هذه نصف الحقيقة فقط. الحقيقة الحقيقية هي أنني لم أرغب في أن أضطر إلى الاستلقاء هناك وأستمع إليها تكرر الأعذار ذاتها. لقد سمعتها من قبل - في جلسات العلاج، في المنزل، همسات وصراخ، رسائل نصية وبريد إلكتروني، مدفوعة بالغضب وغارقة في الدموع. ظننت أنني سمعت كل عذر في كل شكل.

ثم فاجأتني بقولها: «لقد قتلت أمي».

الفصل الحادي والثلاثون

كانت الكلمات كالقنبلة في هذه الغرفة الصغيرة. لم أعرف ماذا أقول أمام اعترافها. كنت أعلم أن والدها هو من رباها -كان ذلك أحد الأسباب التي جعلتنا نفهم بعضنا عندما بدأنا في المواعدة - لكن إيرين أخبرتني أن والدتها توفيت بسبب مرض عندما كانت صغيرة.

كان صوتها بالكاد مسموعًا: «لقد ماتت في أثناء ولادتي. أنت على وشك أن تخبرني أنها ليست غلطتي، لكن ذلك لا يهم. هذا ما قاله لي والدي، وصدقته. لا زلت أصدقه. لقد قتلتها. أعلم، يحدث ذلك. أعلم أنها ليست غلطتي. لهذا بدأت أقول للناس إنها ماتت بسبب السرطان، سيقول الناس حينها فقط، ‹أوه، أنا آسف للغاية›. بدلًا من كل تلك الأشياء الأخرى. لكن كان يخبرني والدي بهذا كل يوم وأنا أتقدم في السن، حتى وفاته، إنها غلطتي. كنت أعلم دائمًا أنه كان سيبادلني بها لو استطاع».

كنت أعلم أن والدها رجل مُؤذٍ، لكن لم أكن أعلم أن الأمر أخذ هذا المنعطف، مليئًا باللوم والكراهية. قلت: «من الفظيع أن تخبر طفلًا، لم أكن أعلم عن هذا الأمر».

«أرجوك صدقني عندما أقول إنني لم أقصد أن أؤذيك. فقط، حسنًا... بعد أن تحدثنا عن محاولة إنجاب طفل...». تمالكت أعصابها وهي تبكي، وأخذت لحظة لتستجمع نفسها. «... كنت متحمسة للغاية، يا إرن. لم أصدق كم أسعدك مجرد الحديث عن الأمر. كنت واقعة في حب الفكرة

قبل أن نبدأ حتى في المحاولة. أردت أن أكون ما تريد مني أن أكونه. وكنت سعيدة للغاية عندما وافقت. لكن بعدها... لا أقول إن الأمر خطؤك - أحاول فقط أن أشرح. كنت خائفة. كنت بحاجة إلى المزيد من الوقت».

تابعت: «كان من المفترض أن أستمر في تناول الحبوب لبضعة أسابيع فقط، حتى اعتاد على فكرة الحمل. يا إلهي، لقد أحببت تلك الأسابيع الأولى. أعتقد أنها كانت أسعد لحظاتنا معًا. كان في عينيك شرارة لم أستطع إطفاءها. لكن بعد ذلك تحولت الأسابيع إلى أشهر، ثم إلى عام، وفجأة أردتّ أن تعرف ما يجري وبدأنا نتنقل بين العيادات والأطباء، ومعك تلك الكأس البلاستيكية الصغيرة، وأدركت أنني حبست نفسي في فخٍ لن أتمكن من الخروج منه دون إخبارك، فاضطررت إلى الاستمرار في الكذب، وأيقنت أن الحل الوحيد كان أن أتوقف عن تناول الحبوب وأكشف عن حمل حدث كمعجزة قبل أن يخبرك أحد آخر بالحقيقة. ولم أستطع إجبار نفسي على القيام بذلك. كان الأمر مثل إدخال الدولارات في آلة القمار. استمررت في تأجيل العيادة. واستمررت في التفكير بأنني أحتاج فقط إلى التخلص من رسالة أخرى، أو تجاهل مكالمة أخرى، وبعدها سأكون جاهزة. كل وصفة طبية كنت أظنها الأخيرة، لكنني كنت أجد نفسي في الصيدلية أنتظر الحصول على واحدة أخرى».

لقد كنت أبكي أنا أيضًا الآن: «كنت أريدكِ أنت فقط- كما أنتِ. لم أكن أريدك كمجرد وعاء. كنت متحمسًا فقط لأنني اعتقدت أننا نفعل ذلك معًا. كنت سأستمع».

- لكن لو كنت أخبرتك، كنت ستضغط. لم تكن لتعرف على ماذا تضغط، وكنت ستفعلها بطريقتك الطريفة الساحرة، وربما كنت ستتوقف لعام أو اثنين، لكنك كنت ستعود وتضغط. لم أستطع أن أخبرك عن أمي. لم أخبر أحدًا عنها منذ أن كنت مراهقة، حين

أدركت أن من الأسهل أن أقول إنها مريضة. لم أستطع أن أواجه الأحكام. كنت أظن، مع مرور الوقت، أنني سأستطيع أن أعطيك ما تريده. لقد حاولت حقًّا. أنا لا أطلب منك الشفقة. أحاول أن أشرح لك لماذا كنت خائفة. خائفة من الأذى الجسدي، نعم - من الموت، مثلها. لكن في الغالب كنت خائفة أنه إذا حدث لي شيء، ستنظر إلى الطفل، الطفل الذي أردته بشدة، بالنظرة نفسها التي كان أبي ينظر بها إليَّ.

- كنت أريد عائلة بشدة...

- وه، إيرني. أنا أعلم.

تنهدت. «...ربما نسيت أن لديّ واحدة بالفعل. أنا آسف».

ضحكت ضحكة مختنقة: «أنا من تعتذر لك، أيها الأحمق. أنا آسفة لأنني كذبت عليك. لم أرد أن أكون الشخص الذي لم يستطع أن يمنحك ما تريده».

«كنت سأحبك بالقدر نفسه». لا زلت أحبها، لكنني لم أقل ذلك. كان من المؤلم جدًّا، حتى مع الأوكسيكودون، أن أعترف بذلك. ربما كان يجب أن أقول شيئًا. ربما لهذا السبب أكتب كل هذا. الكتاب كيان مادي، تذكر. إنه مكتوب ليُقرأ.

بعد فترة من الصمت، عاد صوتها بلطف: «هل تريد الصعود إلى العلية؟».

كنت أعرف أنها تبحث عن الحميمية كرد فعل على موت مايكل. كنت أعرف أنها ستكون زائفة وجوفاء، وستجعل كل شيء مؤلمًا من جديد غدًا. كنت أعرف كل هذا، ومع ذلك بقيت هناك، غير متأكد من كيفية الرد.

قلت أخيرًا: «أريد ذلك أكثر من أي شيء آخر، لكنني لا أعتقد أنني سأفعله».

الفصل الثاني والثلاثون

حلمت بيوم زفافي، رغم أنه كان أقرب إلى الذكرى من كونه حلمًا. كان مايكل متكئًا على منصة الزفاف وكأنها الشيء الوحيد الذي يبقيه واقفًا، يتلعثم في كلماته محاولًا الوصول إلى القاعدة الثالثة من خطاب إشبين العريس، والضيوف يضحكون على صراعه. حتى أودري كانت تبتسم. أخذ رشفة من البيرة ورفع إصبعًا **-انتظروا لحظة، سأنجح في هذا-** تلعثم، ومسح فمه بكمّه، وحاول مرة أخرى تكوين الكلمات «زوجة سعيدة، حياة سعيدة». انفجر الجميع ضاحكين، وهو يبتسم، معتقدًا أنه يكسب ضحكاتهم بموهبته وليس بسبب أنه أشبه بالمهرج. لكنه تلعثم مرة أخرى. لكن هذه المرة بدت مختلفة، أشبه بشيء آخر... تلعثم مجددًا، لكن هذه المرة كانت أقرب إلى محاولة تقيؤ، ثم بدأ يمسك بحنجرته، وعيناه تبرزان، بينما تحولت تلعثمه إلى اختناق كامل. وظلّ الجميع يضحكون، في همجية، بينما تصاعد القطران الأسود وتدفق من شفتيه.

كانت السماء رمادية اللون هذا الصباح، باهتة، والعاصفة تجددت بوحشية. تراكمت الثلوج بغزارة لدرجة أن الباب تطلّب دفعة قوية للتمكن من فتحه. بالخارج، كانت الثلوج تبلل سيقاننا، وبدأنا نرتعش في غضون ثلاثين ثانية، بينما كانت رقاقات الثلج الدائرية تلسع جلدي

كذباب الرمل.[1] السيارات المتبقية كانت كأنها ترتدي شعرًا مستعارًا أبيض، وتراكمت الثلوج على جدران بيت الضيافة وكأنها أمواج معلقة.

ارتدينا أنا وإيرين ملابسنا وغادرنا الشاليه دون حديث يُذكر؛ كان الصمت بيننا يحمل طابعًا محرجًا كصديقين قدامى أقاما علاقة معًا، بعد اعترافات البارحة ودعوتها لي، لم نكن نعرف ماذا نقول. لقد نمت وأنا أضع القفاز الحراري، والذي أصبح نصفه جزءًا مني، وبتُّ غير قادر على نزعه حتى لو أردت. اضطررت لإدخاله بالقوة، عبر طبقات الملابس الدافئة، جعل هذا الخيوط على وشك التمزق. وفي أثناء معاناتي في ارتداء القبعة الصغيرة بيد واحدة، ساعدتني إيرين في سحبها على أذنيَّ. بالأمس، بدا الأمر وكأنني أجد نفسي في البرد أكثر مما تسمح به خزانة ملابسي المخصصة لجلسات المدفأة المشتعلة، لذا كنت مصممًا على أن أكون أكثر استعدادًا اليوم. أخذت في مضغ طرف قفاز واحد بأسناني من معصمي السليم حتى انزلق فوق أصابعي. وبينما كنا نغادر، أخذت مكواة، بحثت عنها في خزانة الشاليه الخلفية. رفعت إيرين حاجبها بدهشة عندما رأتني أمسك بها، لكن رأيت السؤال يتصاعد إلى صدرها ثم تلاشى قبل أن يخرج، فقد قررت أنها لا تريد أن تعرف.

كانت العدسة في جيبي. استيقظت قبل إيرين وفحصتها في ضوء الصباح. كانت تحمل رقم 50x مكتوبًا على جانبها، والذي افترضت أنه يعني التكبير. أخذت ورقة نقدية من فئة الخمسين دولارًا من المخبأ ورفعتها أمامي، ناظرًا من خلال العدسة المكبرة لرؤية أي شيء مثير للاهتمام.

---

(1) حشرة صغيرة الحجم، لدغتها قوية وتمتص الدماء وتُسمى بالبراغيش القارصة في بعض البلدان.

كان هناك شيء واحد أعرفه عن أوراق الخمسين دولار الأسترالية، وكان ذلك بفضل خدعة قديمة في الحفلات مفيدة للكتَّاب. في عام 2018، أُعيد تصميم الورقة النقدية الصفراء من فئة الخمسين دولارًا لتتضمن نسخة مصغرة من الخطاب الافتتاحي لإديث كوان في البرلمان تحت صورتها. ولسوء الحظ، ظهر فيها خطأ إملائي في كلمة «مسؤولية – responsibility»، وقد مرّ دون أن يُلاحظ لمدة ستة أشهر، بعد أن تداولت ملايين الأوراق النقدية بالفعل. كانت قصة سهلة لأرويها في حفلات العشاء: أطلب من الناس إخراج أوراق الخمسين، وبمجرد أن أجد واحدة بها الخطأ، أبدأ في سرد القصة، وصولًا إلى ذروة الحديث بجملة مع قرع الكؤوس: «هذا إثبات أنهم لا يدفعون لنا، نحن الكتَّاب، بما يكفي - لو كنا نراها أكثر لوجدنا الخطأ بسرعة!». ثم تنطلق الضحكات. لكن هذا كان مدى معرفتي بالعملات.

وبينما كنت أفحص الورقة، لاحظت أن الخطأ الإملائي موجود فيها، مما يشير إلى أن المال حقيقي أكثر من كونه مزيفًا في أي حال.

كان هناك بالفعل رقم تسلسلي، كما توقعت، بالإضافة إلى خطوط متقاطعة من الألوان وهولوجرام صغير في الزاوية السفلى اليسرى. لكن كل تلك الميزات، بما في ذلك الخطأ الإملائي، كانت مرئية بالعين المجردة. لم تكن العدسة المكبرة ضرورية. كان تكبيرها بقوة 50x كافيًا لأرى الخيوط بين طبقات البلاستيك وتداخل الألوان المختلفة للحبر. كانت العدسة مخصصة لرؤية شيء آخر. استسلمت؛ فالنظر كان بلا جدوى إذا كنت لا أعرف ما الذي أبحث عنه.

عندما مررنا بجانب السيارات، ربتُّ على كوع إيرين بلطف لجذب انتباهها. وسط ضجيج العاصفة، لم تكن هناك فائدة من الحديث، لذا رفعت المكواة وأشرت برأسي نحو سيارة مرسيدس الخاصة بمارسيلو.

تحركنا باتجاهها عبر الوحل. دفعت المكواة، التي كانت أثقل شيء قابل للإزالة وجدته في الشاليه، نحو الزجاج، الذي تشقق لكنه لم يتحطم، بل انحنى حول حفرة في الوسط. كانت النافذة المظللة تحمل علامات طويلة وبيضاء.

كانت الفكرة تراودني منذ الأمس، حينما رأيت الزجاج حول سيارة كاثرين، لكنني كنت مشغولًا جدًّا بمواجهة الموت ولم أتمكن من المحاولة. فكرت، إن سيارة كاثرين الفولفو تعرضت لضرر مشابه في العاصفة، لذا لن يثير كسر نافذة أخرى أي استغراب. لكنني لم أضع في الحسبان وجود جهاز إنذار، الذي بدأ يصرخ في وجه العاصفة فور أن ضربت النافذة. كانت العاصفة قوية، لكنني لم أكن متأكدًا إن كانت كافية لتغطية صوت الإنذار، والرياح كانت تنقل الصوت نحو بيت الضيافة. كانت أضواء التحذير تومض كإشارة واضحة أيضًا. إيرين كانت تراقب المكان تحسبًا لو قرر أحدهم التحقيق، لكن الأمر كان عديم الجدوى؛ الرؤية كانت محدودة لبضعة أمتار فقط. كان عليَّ الإسراع.

ضربت النافذة مرة أخرى، فانحنت أكثر، وبدأ الهواء يتسرب مع انحنائها كقشرة البيضة، لكن الزجاج ما زال صامدًا. ضربتها مرة أخيرة قبل أن تتحطم كليًّا تحت يدي. استخدمت قفاز الفرن (الذي أصبح مفيدًا الآن) لدفع بقايا الزجاج من الإطار وأدخلت رأسي. كانت إيرين تقفز قليلًا، متوترة ومستعدة للرحيل، لكنني كنت أعرف ما أريد. سحبت شيئًا، ما أدى إلى تمزيق كومة من الأسلاك من مقابسها، وكنت قد نهضت للتو واستدرت لأصرخ لإيرين بأنه يمكننا المغادرة عندما فجأة، ضربتني قبضة على جانب فكي.

كانت بودرة الثلج الصباحية مناسبة لاستقبال سقوطي، لكنني لم أصل إلى الأرض. أمسكتني إيرين من تحت ذراعيّ كمدرب ملاكمة.

كان مارسيلو يهز يده، مندهشًا لرؤيتي: «بحق المسيح، إرنست».

وقفت بحذر، أتحسس جانب فكي. لقد ضربني بيده اليمنى، لذا كنت ممتنًّا لأن كتفه المُعاد استبداله قد أضعف لكمته، لأنه كان يرتدي ساعة رولكس على تلك المعصم. كان من المفترض أن أشعر وكأنني ضُربت بوزن ثقيل. تفاجأت بأن أسناني لا تزال سليمة.

قال مارسيلو: «آسف جدًّا، كنت أفحص سيارة لوسي عندما سمعت صوت الإنذار. ومع كل ما حدث، ظننت أن هناك من... انتظر لحظة... ماذا كنت تفعل هنا؟».

نظر إلى سيارته، وهو يفكر بوضوح في النافذة المكسورة. أدركت حينها أنني أسقطت المكواة أسفل الباب. كانت مغطاة جزئيًّا بالثلج، لكنها لا تزال مرئية. استخدمت قدمي لدفعها تحت السيارة. مارسيلو اقترب من النافذة؛ إذا ألقى نظرة، فسيرى الأسلاك المبعثرة على لوحة التحكم ويدرك أن هناك خطأً ما.

«رأيت النافذة مكسورة من العاصفة». قلت ذلك بصوت عالٍ أكثر مما ينبغي، لكنه كان كافيًا ليجعله يلتفت إلي: «تلك المقاعد الجلدية الجميلة وكل شيء. فكرت أنه سيكون من المؤسف أن تتضرر. كنت آمل أن أجد شيئًا لأغطيها به في الداخل».

قال، واضعًا ذراعه حولي ليبعدني عن السيارة، «أنت رجل صالح». انسَ أمر الجلد، دعنا ندخلك إلى الداخل. لحظة...». توقف فجأة، وانحنى على ركبته في الثلج. معدتي، التي عانت كثيرًا الاضطراب، شعرت باضطراب آخر. مارسيلو نهض متأففًا، ويده ممدودة ليُريني شيئًا. لكن لم تكن قطعة الحديد. قال: «لقد أسقطت هاتفك». وسلم لي الجهاز.

حسنًا، قد يكون هذا شبه انتهاك للقانون رقم 6 –حادثة لها علاقة بالحظ– لكن كل محقق يحتاج إلى قليل من الحظ. تُبنى حبكة التشويق

في الروايات بجعل الظروف ضد المحقق، ولكن بين الحين والآخر، كما في الحياة الواقعية، تتمايل قطع الدومينو لصالحه. وبصراحة، لا أعلم لماذا لم يلاحظ مارسيلو. ربما كان مشوشًا، يفكر في تكلفة إصلاح النافذة، أو ربما يشوش البرد على رؤيته. ربما كانت يده تؤلمه من لكمي في الفك. كان الجهاز مشابهًا للهاتف بالطبع -صغيرًا، مستطيلًا وإلكترونيًّا، بشاشة LCD- لكن كان ينبغي له الانتباه. لكنني لم أسأل. اعتبرت أنني أستحق قليلًا من الحظ بعد يوم الأمس.

لذا، خطفت جهاز تحديد المواقع المحمول، الذي انتزعته حديثًا من حامل الزجاج الأمامي، وأخفيته في جيبي قبل أن يتمكن من التحديق إليه.

كانت هناك مركبة مريعة متوقفة خارج بيت الضيافة. مكعب أصفر فاقع مع نوافذ، تجلس على مسارات ميكانيكية مبهرجة، بدا وكأنها نتاج الزواج بين دبابة عسكرية وحافلة مدرسية. كان البخار يتصاعد من أسفلها، والمحرك مشتعل وساخن.

كانت هناك مجموعة صغيرة متجمعة بجانبها: صوفيا، آندي، كروفورد، جولييت، ورجل لم أعرفه. شعرت بالأمل للحظة - ربما كان محققًا. ولكن عندما انضممت إلى المجموعة، رأيت أنه كان يرتدي معطفَ مطرٍ بلاستيكيًّا أنيقًا مكتوبًا عليه اسم منتجع «سوبرشريد» (SuperShred) على صدره. كل ما كان يرتديه عليه شعار - من نظارته الشمسية ثلاثية الأبعاد بألوان الأزرق والذهبي «أوكليس» (Oakleys)، إلى وشاح من «سكال كاندي» (Skullcandy) مربوط على ذقنه ومطبوع عليه جمجمة وعظمتان متقاطعتان فوق فمه، إلى سرواله البلاستيكي المنفوخ المكتوب عليه «كويك سيلڤر» (Quiksilver) بشكل بارز على طول ساق واحدة. بدا مثل ثلاجة بيرة مملوءة بالملصقات. استوعبت أنه

راكب لوح تزلج؛ فالجزء الوحيد المكشوف من وجهه، أنفه، بدا وكأنه كُسر عدة مرات. عندما اقتربت، رأيت أن شارة سوبرشريد كانت مطبوعة أيضًا على جانب المركبة - الدبابة. لا بدَّ أنه كان من المنتجع الموجود على الجانب الآخر من الجبل، في الوادي المجاور.

اندفعت بين آندي وصوفيا. كانت صوفيا ترتجف بشدة، شاحبة بسبب البرد. كان واضحًا أنها لا تركز على ما يحدث، بل كانت تعدّ الثواني حتى تستطيع العودة للداخل. توقعت على الأقل أن يرفع أحد حاجبه عند رؤيتنا، أنا وإيرين، معًا، وإيرين ترتدي الملابس نفسها منذ الأمس، لكن لم يبدُ أن لدى أحدهم طاقة نميمة كالتي تنتشر في الفناء الخلفي للمدرسة. الجميع كان مشغولًا للغاية بمراقبة مارسيلو، الذي عاد معنا، حتى إنهم لم يلاحظونا.

سألت: «هل سنغادر؟». بدا أن المركبة مصممة خصيصًا للتنقل عبر الثلوج الكثيفة، ولم تكن موجودة للقيام بجولة ترفيهية.

تحدثت جولييت متجاوزةً إياي، ومخاطبةً مارسيلو: «حسنًا؟».

- الشاليه فارغ. سيارتها لا تزال هناك.

- اللعنة.

«أستطيع نقلكم إلى القمة». كان صوت الرجل الذي يشبه لافتة الاعلانات متوافقًا تمامًا مع ملابسه، ولهجة كلامه بدت وكأنها برعاية مشروب مونستر إنيرجي. لو لم يكن يتحدث عن امرأة مفقودة، لكان من المؤكد أنه سيستخدم كلمات مثل ‹صاح› و‹رفيق› كفواصل. كان هناك ميلًا طفيفًا للهجة الكندية، مما جعلني أعتقد أنه من عشاق التزلج الذين يقضون ستة أشهر في نصف الكرة الشمالي وستة أشهر في الجنوبي. «لكننا لن نجد أحدًا في هذه الأجواء إلا إذا دهسناه».

حاولتُ مرة أخرى: «ما الذي يحدث؟»

مارسيلو وجه حديثه إليَّ أخيرًا، وإن كان بلهجة مشتتة، كما لو أن أحدهم سأله «ماذا فاتني؟». خلال عرض فيلم. قال: «لوسي اختفت. لم يرها أحد منذ الليلة الماضية».

الأمر كان منطقيًّا. مارسيلو أمسك بي وأنا أفتش في سيارته لأنه كان هناك بالفعل، يتحقق مما إذا كانت لوسي قد خرجت بالسيارة خلال الليل. افترضت أن هذا هو السبب وراء غياب كاثرين وأودري عن المجموعة؛ ربما انفصلتا للبحث في المنزل.

أدار الرجل ذو لوحة الإعلانات رأسه نحو مجموعتنا وقال: «عذرًا على السؤال، لكن اللعنة! ما الذي يحدث معكم جميعًا؟ جولز، يجب أن آخذكم جميعًا إلى جيندباين الآن».

وضعت جولييت يدها على ذراعه: «هذا هو جافين». بدا أنهما يعرفان بعضهما جيدًا؛ افترضت أن هناك صداقات سريعة تنشأ بين العاملين الموسميين. لكن ليس بالقدر الكافي لتخبره عن جريمة قتل مايكل، وإلا لما كان يسأل عما يحدث معنا. وأضافت: «الطقس يزداد سوءًا، والمركبة الثلجية» -ربتت على جانب المركبة الضخمة، التي أصدرت صوتًا أجوف- «هي خيارنا الوحيد للنزول من الجبل. جافين عرض أن يأخذنا».

قال جافين، وهو ينظر بقلق إلى السماء: «لكن علينا المغادرة الآن».

سألت إيرين. «دون لوسي؟».

أجاب جافين، وهو يهز كتفيه: «هذه فرصتنا. لديكم كل الشرطة. وأنا وحدي، وهذا يعني أن لدي موظفيّ لأقلق بشأنهم».

صحح له مارسيلو: «لدينا شرطي واحد، بالكاد. اسمع، إما كلنا وإما لا أحد منا. نحن عائلة».

كان ذلك تعبيرًا غريبًا منه، خاصة أن لوسي كانت زوجة ابنه السابقة، لكنني علمت أن عائلة جارسيا لديهم سياسة مختلفة عني بخصوص استعمال شَرطّة الوصل للتعبير عن العلاقات. علاوة على ذلك، إذا كان تحدي القانون سمة من سمات عائلة كانينجهام، فإن لوسي أيضًا نالت مخالفة سرعة في طريقها إلى هنا، لذا أعتقد أنها منا بالنهاية.

قالت جولييت: «أقدر قدومك، لكن لا يمكننا تركها. اصطحبنا في جولة واحدة، سأكون مدينة لك».

- جرعات الكحول؟

- جرعات الكحول. تمامًا مثل ويستلر.

يبدو أن ذكرى ليلة صاخبة أيقظته لدرجة أن نظاراته الشمسية تغير لونها: «حسنًا، من سيأتي معي إذًا؟».

قال آندي: «سآتي». كنت أظن أنه تطوع لأنه كان يشعر بأن حيوية فترة الفراغ في السنة الدراسية الأخيرة كانت تختلط مع ندم منتصف العمر لديه، وربما كان يربط التطوع بشعور أنه سيصبح ذا منفعة، أو ربما فقط أراد جولة في تلك المركبة الضخمة.

شعرت بإيرين تدفعني. **يجب على أحدنا أن يذهب**. فقلت: «أنا أيضًا».

نظر إليَّ جافين لأول مرة، ومد قفازًا من «نورث فيس» (North Face) للتحية. رفعت قفاز الفرن، معتذرًا عن رفض المصافحة.

فقال: «قفاز جميل، يا صاح».

تحرك كروفورد ليتبع المتطوعين، لكن جولييت وقفت أمامه وقالت: «يجب أن تبقى هنا لتبقي الأمور تحت السيطرة. إيرين، مارسيلو - ساعدا كاثرين وأودري في البحث في باقي المكان. صوفيا» - نظرت إليها من

الأعلى إلى الأسفل- «بصراحة، تبدين وكأنك بحاجة إلى الراحة». أومأت صوفيا ممتنة: «جاف، سأذهب أيضًا لألقي نظرة على تلك الأوراق. **أعلم**». يبدو أنها لاحظت لمعان عينيه. «لا تضغط عليّ. سألقي مجرد نظرة. إرنست وأندرو، اصعدا معنا».

أعجبتُ بأنها تذكرت أسماءنا جميعًا، وقلت لها ذلك. هزت كتفيها وقالت إنه إذا استمر عددنا في التناقص، فلن تواجه مشكلة أبدًا. ابتسمتُ رغم كآبة الموقف، وأدركت أنني سعيد لأنها ستنضم إلينا.

توجه جافين إلى الجزء الخلفي من المركبة الضخمة وفتح الباب. تسلقنا سلمًا بثلاث درجات بينما شق طريقه إلى مقعد السائق. لم تكن المركبة بالكاد تشبه سيارة؛ بدلًا من المقاعد في الخلف كانت هناك مقاعد طويلة من الفولاذ على الجانبين. كان الجو داخلها باردًا كفريزر الثلاجة، وكان يحيط بي بقبضة خانقة. كل شيء كان برائحة الوقود، وأرضية المركبة تهتز مع هدير المحرك بينما كان جافين يحرك عصا القيادة الكبيرة كأنها غصن شجرة.

بدأنا بالتحرك ببطء بين المباني، لكن بعد ذلك ضغط جافين على الدواسة بقوة وصعد بنا التل، فبدأ ثلاثتنا في التأرجح. تمسكتُ بقضيب فولاذي فوق إحدى النوافذ وحاولت النظر عبر الزجاج المغطى بالثلج. كان جافين محقًّا - سنصطدم بلوسي قبل أن نتمكن من رؤيتها. ومع العجلات الضخمة الشبيهة بعجلات الدبابة، شككت في كوننا سنشعر حتى بذلك. الثلوج كانت كثيفة للغاية بحيث لم تترك أي أثر.

في أثناء قيادتنا، أخرجت جهاز تحديد المواقع الخاص بمارسيلو من جيبي. كان يعمل بالطاقة الشمسية، لكنه لا يزال يحتوي على بعض الشحن، لذلك عمل بسهولة في يدي. بحثت في القائمة عن الرحلات الأخيرة. ظهرت خريطة بسيطة؛ لم يكن «سكاي لودج» حتى موجودًا

عليها، فقط أيقونة سهم صغيرة في منتصف منطقة فارغة. كبرتُ الخريطة حتى رأيت أقرب طريق. بدأ الخط الأخضر بالقرب من علامة الحانة ذاتها لافتة **بيرة** التي بدت وكأنها على بُعد ألف كيلومتر وسنوات، ثم استمر نزولًا باتجاه جيندابابن، ثم -حككت ذقني في حيرة- عاد لأعلى التل في الجانب الآخر من الوادي. كانت الرحلة على شكل حرف U مثاليًّا، ويُقدر بأنها تستغرق خمسين دقيقة في اتجاه واحد. كنت أعلم من كاميرا الثلج الخاصة بجولييت أنه كان غائبًا لمدة ست ساعات. وهذا يثير التساؤل: ما الذي كان يفعله في منتجع سوبرشريد خلال الأربع ساعات الأخرى؟

بعد مرور خمس عشرة دقيقة، صرخ آندي: «هذا **بلا فائدة**». كنا ربما في منتصف المنحدر. كنت أرى هالة صغيرة من الضوء، التي كنت أعلم أنها من مصباح الضوء على قمة التلفريك، ولكن ليس هناك شيئًا آخر. لم تكن هناك أشجار أو صخور على هذا الارتفاع. لم يرد أحد، فربت على كتف جولييت وكرر قوله: « لقد قلت، هذا بلا فائدة. الثلج كثيف لدرجة أنه لا يوجد أي أثر لها. عليها أن تكون مجنونة لتخرج في مثل هذا الجو».

صرخت جولييت لتجيبه: «علينا أن نحاول». كان الأمر أشبه بالتحدث في حجرة الشحن في الطائرة. «يبدو التلفريك أقرب من قاع الوادي مما هو في الواقع، والجبل أقل انحدارًا أيضًا. ربما عندما لم تستطع تحريك سيارتها، فكرت في الصعود سيرًا على الأقدام. لم تعرف أنها في مأزق حتى وصلت لنصف الطريق».

أضفتُ: «أو ربما توجهت إلى الطريق وتحاول أن تحصل على توصيلة».

- بالضبط.

«ولكن لماذا قد تخرج...»، قاطعت قفزة قوية كلمات آندي، مما جعله يتلعثم ويكررها: «لماذا قد تخرج خلال العاصفة أصلًا؟».

اقترحت: «ربما كانت خائفة».

أومأ آندي برأسه: «كانت تبدو متوترة للغاية عندما أرتها صوفيا تلك الصورة».

كنت أظن أنها شعرت فقط بمواجهة الموت، لكن آندي كان محقًّا. كانت مضطربة، وغادرت الغرفة مباشرة بعد ذلك. ماذا لو كانت تلك رسالة تهديد من صوفيا؟ القيام بذلك أمامنا جميعًا كان ليكون خطوة واثقة، لكنني كنت أعلم أن الثقة ليست شيئًا يفتقر إليه اللسان الأسود. لكن ما كان نوع التهديد؟ هل كان أنا أعرف عنك أم أنا قادمة إليك؟

كان آندي يفكر في الأمر نفسه. «حتى لو خافت من شيء ما، لماذا تأتي إلى هنا؟».

«ظننت أنها تستطيع الوصول». كان في صوت جولييت نبرة مظلمة؛ من الواضح أنها لم تكن تؤمن بما تقول. لكن لماذا نحن هنا إذًا؟

هز آندي رأسه: «في هذا الطقس؟ سيكون ذلك بمنزلة انتحار!».

في تلك اللحظة، التقت عينا جولييت بعيني لجزء من الثانية، ثم وقع نظرها نحو الأرض. أدركت ما كانت تفكر فيه، ولماذا كانت تعتقد أن لوسي خرجت بنفسها إلى العاصفة القاتلة. فكرت في الطريقة التي أظهرت بها لوسي مشاعر الذنب في البار، قبل أن تُريها صوفيا صورة الحذاء الأخضر وتغادر على عجل. ربما أخافتها صوفيا. في النهاية، الشيء الوحيد الذي يربط بين حالات الموت حتى الآن كان الأسلوب، وأشارت إيرين بوضوح إلى أن نمط عمل اللسان الأسود يمكن البحث عنه بسهولة. كنت أعلم أن لوسي قد بحثت عنه بالفعل؛ فهي من أخبرتني عن

الضحايا الأوائل. وكانت لديها خلافات مع مايكل أكثر من معظمنا. ربما كانت رؤيتها لمايكل وهو يصل مع إيرين هي القشة الأخيرة.

نظرت مجددًا إلى جولييت، وكانت عيناها مثبتتين بحزم على النافذة المغطاة بالثلج.

لم نكن نبحث عن لوسي، بل كنا نطاردها.

زوجة أخي

(سابقًا)

الفصل الثالث والثلاثون

صعد بنا جافين إلى قمة التلفريك، عاليًا على الحافة. عمود ضخم يرفع أسلاكًا سوداء سميكة في السماء، تتدلى منها مصاطب ثلاثية المقاعد، التي اختفت تحت نافذتي في السحب المتلاطمة. من جهة آندي، كانت الأسلاك تمتد صعودًا إلى سقيفة معدنية مموجة. توقف جافين للسماح لجولييت بالقفز نزولًا لتفقدها، معتقدًا ربما أن لوسي قد تعثرت فيها بحثًا عن ملجأ، لكنها عادت بسرعة وهي تهز رأسها بالنفي.

واصل جافين السير، متتبعًا مسار الأسلاك أسفل التل. بدا لي أنه خيار جيد؛ إذ كانت أعمدة التلفريك تبرز وسط العاصفة كظلال هائلة، فلو كنت عالقًا هناك، لأتبعت مسارها أنا أيضًا. كان الافتراض، بالطبع، أن لوسي حاولت الوصول إلى مكانٍ ما. المقاعد كانت تتأرجح فوقنا بفعل الرياح، تدور حتى تسعين درجة تقريبًا. كنت سعيدًا أنني لست على واحدٍ منها. جافين كان يتفادى الأعمدة حين يقترب منها، ويضغط على مقبض النقل بقوة قد تصيبه بالتهاب مفصل الكوع. أما في الخلف، فقد كنا نضع جباهنا المتجمدة على الزجاج، مائلين إلى الأمام بسبب انحدار التل، ونحدق إلى البياض المنهمر. لكن لم تظهر أي إشارة للوسي.

عندما بدأت الأرض في الاستواء، مررنا بجانب سقيفة معدنية أخرى متصلة بالأسلاك المعلقة. ركضت جولييت لتفحصها ثم عادت بسرعة

مرة أخرى، بدا وكأن الأمل الضئيل المتبقي يتلاشى. كلما ابتعدنا أكثر، قل احتمال أن تكون لوسي قد وصلت إلى هذا البعد.

بعد دقائق معدودة، ظهرت مجموعة من المباني أمامنا؛ كنا قد وصلنا إلى منتجع سوبرشريد.

تمتم آندي وهو يضغط على هاتفه: «اللعنة، قطعة خردة».

سألت: «هل الإشارة أفضل هنا؟».

- لا، البطارية انتهت. وأنت؟

- هاتفي غرق في البحيرة، تذكر.

كان يبدو منتجع سوبر شريد أشبه بقاعدة عسكرية أكثر من كونه منتجعًا للعطلات، مكتظًّا بالسقائف الكبيرة ذات الشكل المربع، التي، كما خمنت، كانت تتضمن مساكن تقل تكلفتها عن شاليهات سكاي لودج بعشر مرات، ونتيجة لذلك، كان عدد النزلاء عشرة أضعاف. المكان كالصحراء، مفعمًا بجو غريب يشبه مدينة ألعاب مهجورة. (خمنت أن الناس متجمعون بالداخل؛ الجو كئيب ولكنه ليس كارثيًّا، إلا إذا كانت لديهم جثث للتعامل معها، فلن يكون هناك سبب للخروج.) بإمكاني تقريبًا أن أشعر بأشباح النشاط في رفرفة الأعلام الفلورية المثلثة الموضوعة لتوجيه الحشود، والمسارات المزدحمة التي، حتى مع تراكم الثلوج الطازجة، مضغوطة بسبب السير عليها. اللوحات التي تعلن عن **التأجير أو الطعام** بدت وكأنها وعود خالية من الروح في هذا الخواء، وعد ينتمي إلى مكان مختلف تمامًا. مررنا عبر المنتجع بمركبتنا التي تشبه الوحش الهادر كما لو كنا نغوص في حطام سفينة. كان المكان هادئًا، كئيبًا: حيًّا وميتًا في آن واحد.

كان المنتجع على عكس سكاي لودج تمامًا، فقد صُمم لإثارة الحماس بدلًا من استعادة الشباب بالاسترخاء، حيث صُرفت الأموال

التي تم توفيرها من ترتيبات النوم على تذاكر التلفريك وتأجير المعدات. الحمامات المشتركة وانتشار العدوى الجلدية كانتا جزءًا من الصفقة، وأكاد أجزم أنهم كانوا سيتخلون عن الأسرّة تمامًا لولا أن الناس بحاجة إلى مكان للبقاء فيه بين الساعة الثالثة صباحًا عند إغلاق البار، والسادسة صباحًا عند بدء تشغيل التلفريك.

توقف بنا جافين بجوار خريطة ضخمة، تحت طبقة من الجليد تمكنت من رؤية خطوط بألوان مختلفة تتبع مساراتها أسفل الجبل. الجانب الأيمن من الخريطة كان مغطى بالجليد، باستثناء سلسلة من الأضواء الحمراء المتوهجة التي كنت أعرف أنها تشير إلى أسماء المصاعد، مما يعني أن جميع **المصاعد مغلقة.**

استدار جافين في مقعده كأنه سائق حافلة: «عذرًا يا جماعة. سأعيدكم من حيث جئنا، ولكن ما رأيكم أن تتناولوا مشروبًا دافئًا أولًا؟ لديّ وجول بعض الأعمال لنناقشها». ثم تأرجح لفتح بابه.

قالت جولييت وظلت في مكانها: «حقًّا، جاف؟».

قال جافين: «إذا كانت هنا، ستكون بالداخل. يمكن لصديقك التحقق من قائمة الغرف أيضًا، رغم أن الجميع مسجلون».

تساءلت بصوت عالٍ: «قد يكون مفيدًا. قد أتعرف على اسم فاتكم».

قال آندي وهو يرفع نفسه من المقعد الحديدي، واقفًا بانحناء في الخلف ويفرك يديه على مؤخرته: «سأطلب قهوة أيرلندية، إذا كانت متوفرة، وشاحنًا للهاتف. إن لم أحصل على استراحة، فسأكون مرشحًا قويًّا للبواسير». لاحظ نظرة جولييت الغاضبة وأضاف: «ماذا؟ ربما تكون قد وصلت إلى هنا».

دفع الباب الخلفي وقفز على الثلج مما أحدث صوت تكسير. تبعته، مدركًا أنه يمتلك وجهة نظر؛ حتى لو كانت احتمالية وجود لوسي هنا

ضئيلة، لا ضير من طرح بعض الأسئلة. ربما يعرف أحدهم من هو الحذاء الأخضر. بالإضافة إلى ذلك، فقد كان مارسيلو هنا في الليلة السابقة قبل أن يبدأ كل هذا. قفزت جولييت بعد أن استسلمت لفكرة الزيارة، وتبعت جافين إلى أكبر سقيفة، الذي بدت كأنها حظيرة طائرات.

لم تكن العاصفة أقل وطأة في هذا الجانب من الجبل. كنت أسمع أسلاك التلفريك تئن تحت وطأة الرياح القوية. السيارات تحولت إلى أكوام بيضاء ضخمة كأنها تلال من النمل الأبيض اصطفت على طول الطريق. كانت الزلاجات وألواح التزلج مغروسة في أكوام الثلج، ربما وضعت بانتظام سابقًا، لكنها الآن متناثرة أو ملقاة بشكل غير مرتب كأنها أسنان متكسرة. أما القفازات فقد وضعت على رؤوس أعمدة التزلج، كدليل على أمل الذين لجأوا إلى الداخل في العودة سريعًا إلى المنحدرات، لكنها الآن تجمدت تمامًا. كان المشهد كنسخة من تشيرنوبيل بعد أن ضربه انهيار جليدي.

قال آندي بصوت منخفض بجانبي ونحن نقترب من المبنى، حيث كان هناك ضوء برتقالي نابض في إحدى النوافذ يشير إلى إشارة الحياة الوحيدة في المكان: «هذا الشيء اللعين مخيف بالفعل». كان خدَّاي باردين للغاية فشعرا بالوخز بسبب زفيره الحار. «يشبه سفينة الأشباح. هل يوجد أحد في هذا المنتجع؟».

بينما كنا نقترب خلف جافين، خُيّل لي أنني أسمع من الأعماق صوت بوق يشبه صوت صفَّارة الغارات الجوية أو جرس إنذار الحرائق، وكذلك سلسلة من الاصطدامات البعيدة، قوية بما يكفي لتجعل الأرض تهتز تحت أقدامنا. بدأ شعور بعدم الراحة يتصاعد في داخلي. بدأت بتحليل الموقف. بدا جافين مهتمًا أكثر بإحضارنا -أو بالأحرى جولييت- إلى هنا أكثر من اهتمامه بالبحث عن لوسي. وعلى الرغم من أن لوسي

مفقودة وكنا قلقين بشأنها، فإنها ليست ميتة. ففي مثل هذه الروايات، لا يجب عليك أن تصدق أن أحدهم مات حتى ترى الجثة بنفسك. فعادةً ما يظهرون في النهاية. كلنا قرأنا رواية **ثم لم يبقَ أحد**.

من ناحية أخرى، وبالرغم من شكوكي تجاه جافين، لن تكون اللعبة نزيهة إذا كُشف القاتل في هذه المرحلة المتأخرة من القصة. سيكون نوكس غاضبًا مني - فهذه هي قاعدته الأولى. وحقًّا، عزيزي القارئ، إصبعك الأيسر يجب أن يُخبرك بأن هناك الكثير من الأحداث المتبقية.

ومع ذلك، كان من المفترض أن يكون هناك مئات الأشخاص حولنا: إنه موسم الذروة، وكان هذا منتجعًا يستهدف عشاق الإثارة، ومن غير المحتمل أن يخافوا من بعض الرياح والجليد. أين كانوا إذًا؟

حصلت على إجابتي عندما فتح جافين الباب.

هدير العاصفة كان لا شيء مقارنةً بالهدير الذي استقبلنا عندما خطونا عبر العتبة. الموسيقى الإلكترونية كانت تدوي بأعلى صوت، والألوان اللامعة كانت تهاجم عينيَّ، وكان صوت البيس[1] يهز الجدران بنبضات عميقة متكررة. الأضواء الدوَّارة كانت تسلِّط على أجساد تتحرك بحماس، والعصي المضيئة تتدلى من أعناقهم ومعاصمهم. رجل على منصة، محاط بأشعة ليزر خضراء، يقفز بذراع واحدة في الهواء. كانت الكراسي والطاولات مكدسة على الجدران، حيث أُخليت قاعة الطعام لتفسح المجال لأرضية الرقص. لقد دخلنا وسط الحفل الراقص الصاخب مباشرةً.

شق جافين طريقه عبر الحشد، وحاولنا البقاء بالقرب منه قدر الإمكان. كان الجو حارًّا، أشد حرارة مما شعرت به منذ أيام، وكان الهواء

(1) هو نوع من أصوات الغناء الرجولي، يحتل المدى الصوتي الأدنى بين كل الطبقات الصوتية الأخرى. (المترجمة)

مشبعًا برائحة العرق. الناس ينغمسون برغبة في وجوه بعضهم بعضًا. كان آندي مذهولًا، مفتونًا بمشهد الأجساد الممزوجة بالخيال. ارتدى البعض نظارات التزلج مع ملابس داخلية، وشورتات ركوب الأمواج مع سترات التزلج، والمناشف كرداء ظهر، والخوذ، والقفازات، والقمصان مربوطةً على الرؤوس. ارتدت امرأة إكليل هاواي، وقناع بالاكلافا، وبيكيني، وقبعة مكسيكية ضخمة متعددة الألوان. كان قفاز الفرن الخاص بي ملائمًا تمامًا للأجواء.

كاد رأسي أن يُقطع من خطٍّ من الرجال بلا قمصان يشربون من زلاجة أفقية مثبت فيها ست كؤوس للشراب. الحشد كان كثيفًا بجوار البار، كانت أسعار قائمة المشروبات مشطوبة بسرعة ومعاد كتابتها، بأرقام كبيرة ومبالغ فيها، ومكتوبة بخط قلم تيكستا سميك، بجانب لافتة كبيرة مكتوب عليها نقدًا فقط. وصل جافين إلى باب آخر وفتحه لنا، وانتقلنا إلى الممر. اضطررت إلى سحب آندي بقوة في آخر بضع خطوات.

لهثت جولييت وهي تستند إلى الحائط بارتياح: «يا إلهي يا جاف». كانت الأرض لا تزال تهتز بسبب إيقاع البيس، لكن على الأقل كان الهواء قابلًا للتنفس: «هذا خارج عن السيطرة».

لمعت عينا آندي بشعور شباب مكبوت: «هذا كان جنونيًّا! لقد اخترنا المنتجع الخاطئ!». شعرت بأنه كان على كاثرين الوجود هنا لترى رد فعله على ذلك.

بدأ الأمر صغيرًا. أحدهم قال إنه جلب معدات الدي جي الخاصة به وسأل إن كان بإمكانه تثبيتها -كنا قد استضفنا فرق موسيقية وما إلى ذلك من قبل، فوافقت. ظننت أنها ستكون متعة صغيرة حتى تمر العاصفة. لكن مع اشتداد جنون الطقس في الخارج، ازدادت الحفلة

جنونًا في الداخل، وتحولت إلى حفلة شرب -هز كتفيه- الجميع يستمتع. لذا لا ضرر من ذلك.

حذرت جولييت: «لا نستطيع حتى الحصول على المساعدة لسكاي لودج، إذا حدث شيء خاطئ، من سيأتي لمساعدتكم؟».

رد جافين وهو يقودنا بعيدًا في الممر: «لديك جثتان وشخص مفقود، وكم حفلة أقمتِ؟ انظري، لا أستطيع إيقاف الحفلة. لقد تجاوزت الحد. لو أوقفت الكهرباء، سيبدؤون بالغناء الجماعي. ولو أغلقت البار، سأجد ثلاجتي محطمة ومنهوبة. بمجرد أن تمر العاصفة ويتمكنون من الخروج، سيتفرقون من تلقاء أنفسهم. فقط عليَّ تركهم حتى ينهكوا أنفسهم. (ضحك)، يا إلهي، أشعر بالأسف على الزوجين الكبيرين. أتوقع أنهما يتمنيان لو حجزا مكانًا في منتجع آخر».

علقت جولييت: «أراهن أن الزيادة في أسعار البار لا تضر بربحك».

ابتسم: «لا تريديني أن أتضور جوعًا؟».

شققنا طريقنا عبر أروقة الفندق. وكما توقعت، كان المنتجع النقيض التام لسكاي لودج: أشبه بسكن طلابي جامعي أكثر من كونه فندقًا، مع مساحات مشتركة مثل المطابخ الجماعية بدلًا من المكتبات، وشاشات تلفاز مسطحة بدلًا من مواقد النار. كان الفولاذ المقاوم للصدأ منتشرًا. مكتب جافين لم يكن أكثر تطورًا؛ كان لديه طاولة بلياردو عليها شق ممزق وحلقات زجاجات على حوافها الخشبية البلوطية، ومكتب عمل واقفًا مع حاسوب أغلى بكثير من حاسوب جولييت وشاشتين، ولوحة دبابيس مثبت عليها خريطة كبيرة للجبل بأكمله بما في ذلك سكاي لودج، وصور للأحوال الجوية وصور فضائية. سار جافين نحو مكتبه إلى ما ظننته في البداية خزانة سوداء صغيرة، لكنها كانت ثلاجة، وأخرج منها بضع زجاجات بيرة من ماركة كورونا، ووضعهم

بين أصابعه، وعرضهم علينا في مشهد يشبه فيلم إدوارد ذي الأيدي المقصات (Edward Scissorhands). أمسك آندي بواحدة بسرعة، أما أنا فهززت رأسي بالرفض.

«نحن على عجلة، جافين». ثم لوحت جولييت بالزجاجة بعيدًا. وعندما أدرك آندي أن كلينا رفض، أمسك بزجاجته بتردد، معتبرًا أنه من الخطورة شربها.

رفع جافين يديه مستسلمًا وقال: «أعرف، أعرف». ثم نقر على بضعة مفاتيح على حاسوبه لتشتغل الشاشة التي كانت مغطاة بطبقة سميكة من الغبار. ضغط بضع نقرات على جدول بيانات. للحظة، فكرت أن العمة كاثرين قد دعته للاجتماع العائلي، لكن سأعتبر ذلك حالة من اضطراب صدمة ما بعد جدول البيانات. وقال لي: «ها هي قائمة الغرف، لديك إنترنت أيضًا. هل لي بخمس دقائق؟». وجه هذه العبارة الأخيرة إلى جولييت؛ كان يريد لفت انتباهها. كان يعرض عليّ وعلى آندي استخدام حاسوبه ليشغلنا، كما لو أنه يقدم لعبة فيديو لطفل: «الأمر يستحق وقتك».

قالت جولييت: «لقد أخبرتك بالفعل. الأمر ليس متعلقًا بالمال». وتوجهت نحو الباب وفتحته: «لنتحدث هنا بالخارج».

انفرجت أسنان جافين في ابتسامة كبيرة. استسلم آندي وأخذ رشفة مذنبة من زجاجته.

توجهت إلى شاشة الكمبيوتر. كانت صفحة الإكسيل، على عكس بقية سوبرشري، منظمة بشكل جيد. كان هناك تبويب بعنوان **قائمة الغرف** وآخر بعنوان **التحقق من الغرف**. كنت متحمسًا لقراءتها، لكن القدرة على استخدام الإنترنت داخل المبنى لأول مرة كانت مغرية جدًّا، ففتحت متصفحًا.

لو كان رونالد نوكس قد ولد بعد مئة عام، فأنا متأكد أن وصيته الحادية عشرة كانت ستحرم أي بحث على جوجل. لكن ماذا أقول: لقد مات منذ زمن وأنا أحاول ألا أنضم إليه. كلما كان لدي المزيد من المعلومات، كان أفضل.

أفهم أن البحث عن مقالات إخبارية على جوجل لا يمثل أعلى مستوى دارمي يسعي الناس إلى قراءة الكتب لأجله. لذا سأختصر عليكم مشهد النقر والتمرير في أثناء بحثي عن اللسان الأسود وضحايا اللسان الأسود، وأكره عندما يتم إعادة طباعة المقالات الإخبارية حرفيًّا في الكتب. وبالنظر إلى أننا في القرن الواحد والعشرين ولم يكن لدي إنترنت لمدة يومين، أرجو أن تسامحوني على بعض التصفح الإضافي. وإليكم ما علمته:

- تأكدت مما عرفته بشكل غير مباشر من لوسي وصوفيا. رماد؛ اختناق؛ تعذيب فارسي قديم. كما قالت لوسي، كانت المعلومات متاحة بسهولة. أي شخص يمكن أن يقلد ذلك.
- في الواقع، عندما كتبت اللسان الأس...، أكمل جوجل تلقائيًّا اللسان الأسود من سجل بحثه الخاص. جافين كان يبحث عنه أيضًا، لذا يبدو أن الشائعات انتشرت أكثر مما اعتقدت.
- الجرائم التي تم الإبلاغ عنها كانت متفاوتة في التوقيت، حيث وقعت الأولى قبل ثلاث سنوات (بعد وفاة آلان)، والثانية بعد ثمانية عشر شهرًا.
- طلب مني آندي إلقاء نظرة سريعة على قيمة العملات المشفرة.
- أول ضحيتين، مارك وجانين ويليامز، كانا من بريزبين. كان مارك في السابعة والستين وجانين في الحادية والسبعين. كانا متقاعدين بعد إدارتهما لمطعم أسماك ورقائق بطاطس في

بريزبين لمدة ثلاثين عامًا. سلط المقال الضوء على فكرة ‹الحياة غير العادلة›، واصفًا إياهما كأعمدة في المجتمع – متطوعين، أعضاء في مجالس، ومربيين لعدد لا حصر له من الأطفال لأنهم لم يتمكنوا من إنجاب أطفالهم– مما جعل وفاتهما محزنة أكثر. أحد المقالات تضمنت صورة لجنازتهم، طوابير ممتدة خارج الباب. كانا محبوبين للغاية. لا يناسبان تمامًا صورة أفراد عصابة من الطراز الأول، وهذا هو المغزى. كان وصف صوفيا لوفاتهما دقيقًا: قُيدا إلى عجلة القيادة في سيارتهما في مرأبهما، ونُشر الرماد بواسطة القاتل الواقف فوق فتحة السقف بمروحة أوراق الشجر.

- الضحية الثانية، أليسون همفريز، وُجدت حية في شقتها في سيدني، في حمام مع نافذة مغلقة بالشريط اللاصق، والرماد ينفث عبر مروحة السقف. توفيت بعد خمسة أيام في المستشفى حيث تعمل صوفيا (لاحظت أن هذا يتطابق مع معلوماتها من سقيفة الصيانة)، عندما اتخذوا القرار بإيقاف أجهزة دعم الحياة عنها. ربط الناس وفاتها بموت مارك وجانين، وسرعان ما وقعت مهمة تسمية القاتل المتسلسل على عاتق محرر ثانوي، ووُلد حينها لقب اللسان الأسود.
- تفقدت الفيسبوك الخاص بي بسرعة.
- وفقًا لحساب أليسون على لينكد إن (لا يوجد شيء أكثر حزنًا من حساب لينكد إن بعد الوفاة: موظفة من 2010 – حتى الآن)، كانت محققة سابقة تحولت إلى مستشارة. ولم تكن ماهية الاستشارات التي تقدمها واضحة.
- سعر منتجع سكاي لودج (كنت أتذكر اسم شركة العقارات التي رأيتها على العقود) كان يتطلب الاستفسار. وقد حصل المنتجع

على تقييم 3.4 على موقع تريب أدفايزر، وهو ما اعتقدت أنه تقييم قاسٍ بعض الشيء، باستثناء مسألة الجثث.

- فتحت حساب الانستجرام الخاص بلوسي، اعتقدت أنه إذا كانت قد وصلت إلى السطح الليلة الماضية، لكان إغراء إشارة استقبال الهاتف ووسائل التواصل الاجتماعي قويًا جدًا لتقاومه. وبالفعل، كان هناك منشور جديد: لقطة شاشة لإيداع في حسابها البنكي، بضعة آلاف مع بعض الأرقام مموهة. كانت العنوان يقول: «إنه عمل شاق لكنه يستحق العناء في النهاية - تواصل معي إذا كنت تريد تعلم كيفية تحقيق الاستقلال المالي». مع هاشتاجات #اليوميات #اكسب_وتعلم #رحلة_الشركة #المديرة_الناجحة. عند السحب لليمين، ظهرت صورة أخرى- مشهد رائع للجبال من السطح- وصورة ثالثة للجميع (ما عدا أنا، كنت متأخرًا) حول طاولة الغداء في اليوم الأول. لم أستطع حتى السخرية من تظاهرها بأن لقاءنا كان رحلة لشركة (#تظاهر_بالشيء_حتى_تنجح_فيه ربما كان هاشتاجًا أفضل)؛ كنت خائب الأمل بسبب السماء الصافية والمشمسة فوق القمة الصخرية. نُشرت الصور بعد ظهر اليوم الذي سبق العاصفة. لم تضف لي المعلومات الجديدة شيئًا.

فتحت صفحة سكاي لودج على الشاشة الثانية وضغطت على كاميرا الثلج. كانت الرؤية شبه معدومة تمامًا بسبب العاصفة الثلجية، لكن عاد جافين وجولييت، لذا عدت للتركيز على جداول **بيانات الغرف**. كان البحث في أسماء الضيوف عديم الجدوى كما توقعت. جميع الأسماء عامة تندمج مع بعضها، وحتى لو كان هناك شيء يلفت الانتباه، كانت الاحتمالات الكبيرة بأنني سأمر عليه مرور الكرام. بحثت، كانت هذه هي رغبتي، عن أسماء ويليامز، همفريز، هولتون وكلارك. لا شيء. كانت

فكرتي الوحيدة هي أن هناك الكثير من الأشخاص الذين يحملون اسم ديلان. معظمهم كانوا متزلجين على الثلج. في النهاية، انتقلت إلى تبويب التحقق من الغرف كان هناك عمود لرقم الغرفة، وعمود لعدد الأسِرَّة المحجوزة، وعمود بعنوان تم التحقق مملوء بعلامات نعم/لا، على ما يبدو أنها محاولة للتحقق ممن كان موجودًا وتحديد الأشخاص المفقودين. تصفحت الأعمدة. كانت كلها نعم، كل شخص تم التحقق منه.

شغلت جولييت نفسها بالنظر إلى خريطة الجبل على اللوحة، لكنني كنت أعلم أنها كانت غير صبورة، قلقة تريد الرحيل. في النهاية، قالت: «هل وجدت شيئًا؟». وكأنها قررت أنني قد حصلت على الوقت الكافي. انحنت على كتفي. «كان لي صديقة في واحدة من هذه المكائد». أدركت أنها كانت تنظر إلى حساب لوسي على انستجرام على الشاشة الأخرى؛ كنت قد تركت الصورة التي تظهر كشف الحساب البنكي لها. «كل شيء زائف. هم يشجعون الناس على تعديل هذه الصور باستخدام الفوتوشوب ونشرها لتبدو وكأنهم يكسبون المال. حتى لو كان المال حقيقيًّا، فإنهم لن يظهروا لك كم أنفقوا للحصول عليه. معظم المال هو من أموالهم الخاصة، التي تعود إليهم بخسارة».

قالت إيرين إن مايكل قد شارك مشكلات لوسي المالية معها، وكان هذا جزءًا من الأسباب التي جعلتهما أقرب لبعضهما. لكن مرة أخرى، هو قد حصل على 267,000 دولار من مكان ما. ربما أخفى كلاهما الديون عن بعضهما بعضًا.

راجعت قائمة الغرف للمرة الأخيرة، آملًا أن أجد شيئًا يثير شرارة. كان هناك العديد من الأشخاص الذين يحملون اسم ديلان تذكرت مرة أخرى أن هذا هو منتجع الحفلات، عكس سكاي لودج تمامًا. كان البحث عن شخص مرتبط بجريمة تاريخية منذ خمسة وثلاثين عامًا أمرًا بلا

جدوى: لا أحد فوق الأربعين سيجرؤ على المجيء إلى هذا المنتجع. كان الأمر أشبه بأخذ رحلة تقاعدية إلى كانكون.

إلا إذا...

الآن كنت أتصفح بسرعة قائمة الغرف: «جافين، قلت إن هناك زوجين مسنان هنا؟».

- نعم. لقد اختبأوا في غرفتهم. أعتقد أنهم حجزوا المنتجع الخطأ، لأننا بصراحة، نستقبل جميع أنواع الأشخاص، لكنهم ليسوا **حقًّا** نوع عملائنا. نحن نقدم لهم خدمة الغرف، وهو أمر لا نفعله عادة، لأنني أشعر ببعض الذنب، كما تعلم.

قالت جولييت: «وأراهن أنهم يتركون بقشيشًا».

- كما قلت، ليسوا نوع عملائنا الحقيقين.

سألته، بينما كنت أغادر المكتب بسرعة: «الغرفة 1214؟ هل يمكنك أن تريني إياها؟».

قال جافين وهو يلهث ويحاول اللحاق بي جسديًّا وذهنيًّا: «نعم، هذا رقم الغرفة الصحيح في الواقع». تبعه آندي وجولييت: «هل تعرفهم أو شيء من هذا القبيل؟».

كنت أشك في أن الاسم الموجود على جدول البيانات يعني لهم أي شيء. قبل اثنتي عشرة ساعة، كان سيكون بلا معنى لي أيضًا. لكن لا توجد مصادفات، وكان مكتوبًا في جدول البيانات، واضحًا كالشمس.

وصلنا إلى الباب. كان من الغريب أن جدول البيانات هو الذي بدأ هذا كله، والآن كان جدول البيانات هو الذي سيفتحه على مصراعيه.

غرفة 1214، ماكولي.

قلت: «ليس بعد». وطرقت الباب.

الفصل الرابع والثلاثون

إدجار وشيفان ماكولي كانا متحمسين جدًّا لاستقبالي عندما قدَّمت نفسي كأحد أفراد عائلة كانينجهام. كانا أكبر سنًّا من والدتي ولكنهما يبدوان أكثر نشاطًا. إدجار كان له أنف منتفخ يشبه أنف من يشرب الويسكي، ويرتدي قميص بولو أخضر ليموني محشورًا في بنطال بني مشدود بحزام. أما شيفان، فكانت قصيرة، بشعر فضي لامع مقصوص بطريقة بيكسي(1) وأذرع نحيفة تذكّرني بفروع الأشجار المجردة من الأوراق بفعل الصقيع خلال طريقي إلى المنتجع. كانت ملفوفة بوشاح كاروهات من ماركة بربري. من الواضح أن هذه ليست نوعية الزبائن المعتادة الذي يستهدفها جافين.

كانت الغرفة ضيقة: سرير بطابقين على اليسار ورف ملابس (لا توجد مساحة لخزانة ملابس) على اليمين، بجانب كرسي وحيد دون مكتب. وُضعت حقيبة على كومة من الكتب بين الكرسي والسرير السفلي، وتعمل كطاولة متنقلة عليها مجموعة من أوراق اللعب المتناثرة. بالقرب من المدخل، هناك حمام بحجم خزانة صغيرة. هذا المنتجع بُني كما لو كان سفينة سياحية: أقصى استيعاب في أقل مساحة ممكنة. رائحة الغرفة كانت كأي مكان آخر هنا: رطوبة وبلل. لم يكن هناك رماد في الهواء، على حد علمي.

---

(1) قصة شعر البيكسي بشعر قصير في الخلف وعند الصدغين وخيوط شعر ممتدة في الرأس والأمام. (المترجمة)

لقد اهتمّا بنا ونحن نستقر في مكان في الغرفة، وكان إدجار يتحدث بحماسة عن العاصفة، بينما كانت شيفان تدور حولنا مع غلاية كهربائية، تعتذر لعدم امتلاكهم سوى كوبين، لذا سيكون على أحدنا أن يستغني عن الشاي. آندي، الذي لا يزال يحمل زجاجة بيرة بين أصابعه، رفعها قليلًا ليعتذر بلطف عن عرضهما. جلسنا نحن الثلاثة، جولييت وآندي وأنا على السرير السفلي المتهالك، مع ركبنا المرتفعة نحو صدورنا. وكان جافين واقفًا في المدخل.

أخذ إدجار الكرسي الوحيد وانحنى إلى الأمام، واضعًا مرفقيه على ركبتيه: «لم نكن متأكدين إن كنا سنرى أحدًا بسبب العاصفة وغير ذلك، لذا لا أستطيع أن أصف لكم مدى امتناننا لوصولكم هنا». كانت لهجة كلامه بريطانية تحاول طرد التأثير الأسترالي، لهجة الطبقة العليا، بالرغم أنه مدّرب على تلك النبرة. «لم نسمع أخبار من مايكل - كنا نظن أنكم عالقون مثلنا، لذا كنا فقط ننتظر. ليست إقامتنا المعتادة بالطبع، لكنها كانت تجربة مشوقة، أليس كذلك يا عزيزتي؟». نادى موجهًا كلامه إلى شيفان.

أخرجت شيفان رأسها من الحمام، وقد كانت نظاراتها مغطاة ببخار الغلاية: «أوه نعم، يا عزيزي. كان البيت الرئيسي في سكاي لودج محجوز بالكامل، وأنا أتقدم في العمر بما يكفي لأجد السير في الثلج من تلك الشاليهات الجميلة أمرًا شاقًا. مايكل اعتقد أنه من الأفضل أن نبقى هنا، على أي حال، مع أنه مضى وقت طويل منذ آخر مرة نمت فيها على سرير بطابقين. ولكن لمَ لا؟ أعتقد أن ما نقوم به يجعل الأمر أكثر مغامرةً».

صُدمت عندما أدركت أنهم كانوا يتوقعون مايكل، وصُدمت بردة فعلهم أكثر من ذلك. كنت أتوقع عدائية أو حتى خوفًا، وليس... **حماسة؟** لم يكن أحد في هذه الغرفة يعرف من هم ماكولي، لذا كان الأمر متروكًا

لي لمواصلة الحديث، لكنني لم أكن أعرف كيف. لم أستطع بكل بساطة أن أقول لهم إن جثة ابنتهم المتوفاة منذ زمن طويل موجودة عبر الحافة.

«حسنًا» -قام إدجار بذلك بدلًا مني- «هل وجدتموها؟».

كان هذا كافيًا لي لأكوّن فكرة واضحة عما يجري. قررت أن أحاول مواصلة الحديث وكأنني أفهم، لمعرفة إن كانت تخميناتي صحيحة. قلت: «نعم، وجدناها». متجاهلًا الأعين الواسعة لأندي بجواري. كنت أعرف ما كان يفكر فيه: **من تكون هي؟** «لكن هناك بعض التعقيدات، أعتقد».

أعلنت شيفان وهي تخرج من الحمام تحمل كوبين من الشاي الحار: «يريد المزيد من المال مرة أخرى». لكنها لم تبدُ منزعجة أو متضايقة على الإطلاق، بل قدّمت لنا الأكواب بهدوء: «لا بأس، يا عزيزي، توقعنا أن يفعل مايكل ذلك. لقد أحضرنا مالًا إضافيًّا». وأشارت برأسها إلى حقيبتهم التي كانت بمنزلة طاولة مؤقتة.

ترددت للحظة وأنا أفكر ماذا أقول لهم. بدا أنهم لا يعرفون عن موت مايكل. في الواقع، كانوا يعتقدون أنني هنا بالنيابة عنه. لكن من جهة أخرى، قد تكون تلك مجرد تمثيلية من طرفهم، وفي هذه الحالة قد يكون من الأفضل أن أحتفظ ببعض البطاقات لنفسي في محاولة لاكتشاف إذا ما كانوا يكذبون: «هل يمكنكم فقط... مساعدتي في بعض التفاصيل أولًا؟». بدا عليهم الارتباك، فشرحت بسرعة، محاولًا أن أجعل ابتسامتي تبدو مريحة وودودة، وضاحكًا لأخفف من حدة الموقف: «إنها فقط... مسألة عائلية، كما تعلمون؟ أخي يورطني في أمور دون أن يخبرني بالكثير. أنا فقط أحاول التأكد من أن السعر عادل. ليس-لوحت بيدي نحو الحقيبة، محاولًا طمأنتهم بأني لا أستغلهم- للأمر علاقة بكم. مجرد أمور عائلية، كما تعلمون؟». لكن لم يبدُ عليهم الاقتناع، وتبادلا النظرات بينهما، لذا أضفت: «كما قلت، لقد **وجدناها**».

بدا أن الطُّعم قد لاقى استحسانًا، حيث قال إدجار: «ماذا تريد أن تعرف؟».

خاطرت وسألته: «كم دفعتم له حتى الآن؟».

أجاب إدجار: «النصف».

أردت البدء بالأسئلة التي افترضت أنني أعرف إجابتها بالفعل. من الواضح أن مايكل كان الوسيط بين عائلة ماكولي وآلان هولتون – كنت قد توصلت إلى هذا. من المفترض أن المال الموجود في الحقيبة كان مالَ عائلة ماكولي، وهو السبب في عدم ملاحظة أي شخص –لوسي، مارسيلو، أو الشرطة– غيابه من حسابات مايكل. كما كنت أشك في أن مايكل كان يبيع لعائلة ماكولي شيئًا لا يمتلكه: كان يعتزم استخدام الدفعة المقدمة لدفعها إلى آلان، للحصول على ما يحتاجه لإتمام الصفقة، ثم يجني الربح عند استلام النصف الثاني. لكن انتهى به الأمر في السجن بعد عملية الشراء، وبالتالي لم يتمكن من إتمام الصفقة حتى الآن. ولهذا السبب جلب الجثث إلى الجبل. كان الأمر بمنزلة صفقة تجارية.

كانت لا تزال هناك أسئلة. كنت أعتقد أن آلان كان يبيع رسالة والدي الأخيرة، التي كانت دليلًا مُدينًا على اختطاف ريبيكا وقتلها، وهي الرسالة التي مات والدي في أثناء محاولة إيصالها إلى الضابطة المسؤولة عنه، أليسون همفريز. كان من المنطقي أن عائلة ماكولي قد ترغب بشدة في الحصول على هذه الرسالة وستدفع ثمنًا باهظًا مقابلها، لكن رسالة والدي لم يكن يمكن أن تحتوي على مكان جثة ريبيكا، لأن والدي كان قد مات قبل دفنها.

قالت شيفان فجأة: «حسنًا، هناك أربعمائة بداخلها». وأشارت إلى الحقيبة، مما أزال الحاجة لأن أطلب تفاصيل دقيقة. نظرت إلى إدجار بابتسامة اعتذار، ولم تكن بارعة في التفاوض، وتفتقر إلى الصبر لسماع أخبار عن ابنتهما: «لقد أضفنا مائة. من أجل الصور».

كمية المال متطابقة. إذا كانت الثلاثمائة في الحقيبة هي النصف الثاني من الدفع، فقد تطابق هذا مع ما توقعت أن يكون سعر آلان: مبلغ الفدية الأصلي البالغ 300,000 دولار. لكن استمر دماغي في طرح المزيد من الأسئلة: إذا كان مايكل قد حصل على المال من عائلة ماكولي، فلماذا كان المبلغ ناقصًا؟ إذا كانوا قادرين على تقديم مائة ألف إضافية من أجل الصور، فلن يكون لديهم حافز للرفض... لحظة... أي صور؟

قلت: «لحظة، أي صور؟».

تلعثمت شيفان قائلة: «مايكل قال...».

اعتذر إدجار وتقدم إلى الأمام وسحب الحقيبة نحوه، مما أدى إلى سقوط أوراق اللعب متتابعة عن الحقيبة. وضع إحدى يديه عليها بطريقة دفاعية، لكنني استطعت رؤية لمحة من الخوف في عينيه. كان يعرف أنه إذا أردنا أخذها، فسنفعل. وزوجته قد أخبرتنا للتو على كم تحتوي. لم يكونوا معتادين على التعامل مع المجرمين. أو مع عائلة كانينجهام.

سأل إدجار: « أخبرني من أنت مجددًا؟».

اعتدلت شيفان في جلستها، في محاولة لإظهار أنها ليست خائفة: «ومن هؤلاء الأشخاص معك؟ وأين مايكل؟».

- لقد مات مايكل.

أصابتهم الصدمة لدرجة أنهم توقفوا عن الكلام.

- لكنَّه وجد جثة ابنتكم. سأخبركم أين هي.

«يا إلهي، حمدًا لله». كان ارتياح شيفان ملموسًا لدرجة أنها أمسكت بجانب رف الملابس لتتكئ عليه. «أنا آسفة. لم أقصد...».

«لا بأس. يمكنكم حتى الاحتفاظ بالمال» -شعرت باندفاع آندي بجانبي بينما قلت ذلك وكأنه يسألني: **هل أنت متأكد، يا رجل؟** «لكن

مايكل مات بسبب ما وجده. أيًّا كان ما نبشه... هناك شخص آخر يحاول دفنه. ما يمكنكم فعله من أجلي هو مساعدتي في ملء الفراغات. لأن أي شخص يعرف الكثير عن ابنتكم يبدو أنه في خطر، وهذا يشملني وعائلتي. والآن أنتم أيضًا، كما أظن».

قال إدجار: «أخبرنا كيف يمكننا المساعدة». بينما أومأت شيفان خلفه. كان واضحًا أنها لا تهتم بالمخاطر، كل ما يهمها هو معرفة مصير ابنتها.

كنت أرغب بشدة في الاستفسار عن الصور، لكنني كنت أعلم أنه يجب عليّ أن أبدأ من النقطة الأكثر منطقية: «كيف التقيتم مايكل؟».

أجاب إدجار: «هو من جاء إلينا في الواقع. كانت لديه قصة كبيرة ليرويها، وبصراحة، لم تكن شيئًا لم نواجهه من قبل. لسنوات، جربنا بعض المحققين الخاصين، مجموعة منهم بمستويات مختلفة من الشرعية القانونية، لكنهم جميعًا حصلوا على النتائج نفسها: بلا فائدة. جربنا تقديم مكافآت أيضًا، وصدقني، كانت هواتفنا ترن حينها، لذلك نعرف عملية الاحتيال عندما نراها».

أضافت شيفان: «لكننا لم نفعل ذلك منذ ثمانية وعشرين عامًا». بدا لي ذلك رقمًا دقيقًا جدًّا. «والآن معظم من يتصل يريد صنع فيلم، أو بودكاست، أو كتابة كتاب».

أكمل إدجار من حيث توقفت زوجته: «لكن مايكل كان مختلفًا. عرفنا ذلك فورًا. لقد أخبرنا ببعض المعلومات عن شرطي عمل على عملية تسليم المال الأصلي، التي فشلت. رجل يُدعى آلان هولتون. قال أخوك إنه يعرف مكان دفن ريبيكا، وليس هذا فحسب، بل لديه دليل على من قتلها».

همست لنفسي: «الصور». لقد ظن مارسيلو أن والدي شهد جريمة قتل، لكنني أدركت الآن أنه سجلها أيضًا. لا عجب أن أحدهم أراد إخفاء الصور.

- صور القتل. هذا ما أخبرنا به، على أي حال. كان من المفترض أن يجلبها. هل رأيتها؟

- لنعد للخلف قليلًا. هل عمل آلان هولتون على قضية اختطاف ابنتكم؟

أومأت شيفان برأسها: «كان هناك نحو خمسين ضابط شرطة، بالإضافة إلى المحققة. لا أقصد أن أكون متعالية، لكن هذا لم يكن مجرد حادث اختطاف عادي».

كنت أفهم ما تعنيه بذلك. الأطفال الأثرياء يلفتون انتباه الإعلام.

كرر إدجار سؤاله: «هل أراك مايكل الصور؟». كان منزعجًا لأنني تجاهلت سؤاله في المرة الأولى.

- لا. لم أرها. لكنني أعتقد أن مايكل لديه الصور، أو كانت لديه، على ما أظن. كان أخي، رجلًا حذرًا. بالتأكيد وضعها في مكان آمن - فقط لا أعرف أين يكون ذلك المكان إلى الآن.

التفتت مرة أخرى إلى شيفان: «لماذا الآن؟ أنت مستعدة لدفع سبعمائة ألف دولار من أجل هذا، فلماذا لم تدفعي الثلاثمائة في ذلك الوقت؟ ربما كانت لا تزال على قيد الحياة».

تدخلت جولييت معتذرةً: «لا يقصد أن يكون فظًّا - لكن الوقت يداهمنا».

تحدث إدجار عوضًا عن زوجته، وهو حزين: «لا بأس، الوقت يساعدك على تقدير الأمور بشكل مختلف. من السهل أن نرى الآن أننا ارتكبنا خطأً. في ذلك الوقت، وثقنا بالمحققة عندما قالت إن اقتطاع جزء من الفدية كان التصرف الصحيح. وأيضًا، بدا لنا المبلغ كبيرًا في ذلك الوقت. الحقيقة هي أننا كنا نستطيع دفعه. كان ينبغي أن ندفعه. سنكون مستعدين **لدفع أي شيء الآن**».

- المحققة، هل كانت أليسون همفريز؟

أومأ إدجار وشيفان برأسيهما. حاول آندي أن يأخذ رشفة خفية من البيرة، لكنه أخطأ فمه وسال الشراب على صدره، فاحمر خجلًا.

- لماذا لم يقم آلان ببيع المعلومات لكم مباشرة؟

- لم نكن نعرف أن لمايكل علاقة بآلان. لقد أخبرنا فقط أن آلان قد أفسد الصفقة من الداخل. كنا نشتري ما يعرفه مايكل.

تدخلت شيفان: «لم ندفع له لقتل آلان، إذا كان هذا ما تعنيه، قرأنا عن ذلك في الأخبار. نحن لسنا من هذا النوع».

أوضح إدجار: «اعتقدنا أنهما شريكان أو شيء من هذا القبيل، كان آلان يعلم أننا ضعفاء، وأعطى مايكل معلومات كافية عن ابنتنا ليبتزنا عاطفيًّا، وقد نجح في ذلك. لكنهما اختلفا بسبب المال، كما يحدث مع الناس غالبًا. كنا نظن أن استثمارنا قد ضاع على الأرجح». كانت كلمة استثمار خيارًا غريبًا، لكن أيضًا ارتداء قميص بولو أخضر في الثلج غريبًا، لذا رأيت أنها تناسب إدجار إلى حد ما.

قالت شيفان: «حتى كتب لنا مايكل من السجن، قال إن الصور معه، وبحلول الوقت الذي سيصل فيه هنا، سيحضر الجثة أيضًا. وها نحن ذا هنا».

قال إدجار: «نحن نحترم جانبنا من الاتفاق». جدية صوته أوضحت أنه أراد مني أن أقدِّر له ذلك.

الفضل يعود لمايكل؛ فقد بدا الأمر كأنه مال سهل. المشكلة الوحيدة كانت أنه حضر لمقابلة آلان وهو ينقصه مبلغ ثلاثة وثلاثين ألف دولار. أخبرني أن هذا كان السبب الذي جعل آلان يسحب مسدسه. أعتقد أنني قد أفهم ذلك الجزء، وهو جزء لا يشمل عائلة ماكولي. احتفظت بهذه الفكرة لأفكر فيها لاحقًا ووجهت انتباهي إلى اللاعبين الآخرين.

المحققة همفريز، من جانبها، قادت عملية أدت إلى وفاة ريبيكا، وهي قضية شهيرة. لا بدَّ أنها كانت تتشبث بأي قشة تجعلها تحافظ على وظيفتها، ولهذا ضغطت على روبرت كانينجهام بشدة، متراجعة عن الاتفاق الأصلي وطرحت، كما قال مارسيلو، سؤالين إضافيين على كل إجابة. كانت أليسون يائسة لمعرفة من الضابط الخائن في فريقها كان. كانت الإجابة هي آلان هولتون وشريكه بريان كلارك. وقد اكتشف والدي ذلك بالطريقة الصعبة. ربما أعادت أليسون فتح القضية المغلقة قبل ثمانية عشر شهرًا. ربما لهذا السبب تعرضت للهجوم؟

ما زالت هناك فجوات في روايتي -آلان وبريان ميتان، لذا لا يمكن أن يقتلا أحدًا بسبب الصور- لكن كان هناك شيء يتضح، مثل عمود التلفريك الذي يظهر من خلال الضباب.

قلت، عائدًا من أفكاري لأجد إدجار وشيفان ينظران إليّ بترقب: «كان مايكل ثاني حالة وفاة في سكاي لودج، ربما، إذا كانا مرتبطين، ستتعرفان أيضًا على الضحية الأولى. ربما شخص آخر ساعد في مفاوضات الاختطاف. جولييت، هل تمانعين في إظهار الصورة لهما؟».

اعتذرت جولييت: «لا أملك الصورة، لم أرها حتى -بعد أن راجعت قائمة الضيوف بالكامل، لم تكن هناك حاجة إليها، فلم يكن أي شخص من موظفينا أو ضيوفنا مفقودًا. كروفورد كان يعرضها فقط على بعض الضيوف الذين قد يسببون في أقل قدر من الذعر. من الواضح أنني لم أكن ضمن تلك القائمة».

التفتُّ مرة أخرى إلى عائلة ماكولي: «هل كان هناك أحد معكم هنا؟ أصدقاء؟ حراسة خاصة؟».

قال إدجار: «فقط نحن».

«هذا يكفي. **أين ابنتنا؟**» أخيرًا أطلقت شيفان كل ما بداخلها بصرخة، غير قادرة على الانتظار أكثر لأجيبها. «خذها. خذها!». دفعت الحقيبة نحوي، لكنني دفعتها قليلًا بقوة زائدة فتراجعت للخلف. لم تسقط (فالغرفة كانت صغيرة جدًّا لذلك)، لكنها ارتدت برفق عن الجدار ثم احتضنت الحقيبة إلى صدرها، منهارة. «هذا كل ما نعرفه، نقسم بذلك. نحن فقط نريد دفنها. حتى لو لم نكتشف قطُّ من فعل ذلك بها، فقط نريد دفنها. أرجوك».

«لقد دُفنت في تابوت شرطي- هكذا أخفوها. لا بدَّ أنهم دفعوا للطب الشرعي». كنت أعلم أنه من الصعب عليهم سماع هذا، لذا تركت لهم لحظة لاستيعاب الأمر، ولأجمع شجاعتي لإخبارهم بالأخبار السيئة. «للأسف، ذلك التابوت الآن في قاع بحيرة سكاي لودج».

شهقت شيفان وامتلأت عيناها بالدموع.

واساها إدجار: «يمكننا استئجار غواصين، عزيزتي».

قالت جولييت من دون أن يُطلب منها: «أمر مريع أن تشتري جثة ابنتك».

رد إدجار: «أمر مريع أن يتم بيعها».

أشرت لآندي وجولييت ليقفا. نهضنا عن السرير المزدوج. كان إدجار وشيفان قد انهارا في عناق. لم أرغب في مقاطعتهما، وبعد تعليق جولييت، من المؤكد أنهما يريدان منا المغادرة، لكن لا يزال هناك شيء أحتاج إلى معرفته: «آسف لوضعكما في هذا الموقف، لكن لدي سؤال أخير. هل زاركما زوج أمي قبل ليلتين؟ رجل ممتلئ من أمريكا الجنوبية؟ اسمه مارسيلو».

هز إدجار رأسه: «لا. لكن زارتنا امرأة تدعى أودري».

الفصل الخامس والثلاثون

أخذ آندي المقعد الأمامي ونحن ننزل من فوق التلال. جلست جولييت في المقعد المقابل لي في الخلف، وكأننا معتقلان. كان جافين يقود بسرعة هذه المرة، مما جعل الرحلة مليئة بالاهتزازات. لم يكترث أي منا للنظر من النوافذ.

استنتجت جولييت: «لذا تعرف والدتك أكثر مما تقوله». قبل أن نغادر، طلبت من جافين السماح لي بفحص كاميرات الأمان في حال ملاحظة أي شيء في تلك اللقطات. قال لي: «يا صاح، الحانة عندي نقدًا فقط». وكأنه يوضح سبب النقص في التكنولوجيا لديه، وترك الأمر عند هذا الحد.

أجبتها: «أنا لم أفهم الأمر».

وضعت إصبعها على شفتيها: «أضفها إلى القائمة. لقد تصفحت كتابك الليلة الماضية. هل لدى والدتك شقيقة توءم؟».

هل كانت تحاول إبهاري؟ كان تلك هي القاعدة العاشرة: يجب أن يتم الإعداد جيدًا لظهور التوءم المتطابق: «نوكس سيقتلني».

ضحكت جولييت، ثم أسندت جبهتها إلى النافذة، وعيناها تراقبان الثلج اللامع. كانت أنفاسها تُكون ضبابًا أمامها: «علينا أن نغادر».

كنت أعلم ما قصدته حقًّا. إذا كانت لوسي في العاصفة، فقد تكون ماتت بالفعل. يموت الأشخاص في أفلام الرعب عندما ينقسمون، لكن هذا ليس ما يحدث على الجبال: يموتون عندما يعودون من أجل بعضهم بعضًا. كنا في تلك النقطة التي يتعين علينا فيها إنقاذ أنفسنا.

انحنيت للأمام. لم أكن مضطرًا إلى خفض صوتي لهذا الحد - فزئير محرك مركبة الأوفرسنو سيغطي كلامي إلا إذا صرخت عمدًا على السائق، لكنني أردت أن أعطي إشارة جسدية للسرية: «هل يحاول جافين شراء نزل سكاي؟».

عبست جولييت: «كيف عرفت ذلك؟».

- رأيت اتفاقية عقارية على مكتبك، لكنها غير موقعة. لدى جافين خريطة لمنتجعك مثبتة على لوح الفلين الخاص به. لا أحد يخفي ذلك. لكن إذا سمحت لي بالتخمين، أعتقد أن لديكما، لنقل، أفكارًا **مختلفة** عن الأعمال التجارية، بناءً على الغبار على حاسوبه الثمين والنظرة على وجهك وأنت تتجولين في الحفلة. يبدو لي أنه يعمل أقل لكن يجني مالًا أكثر. هذا يثير جنونك، لذلك أنت تترددين في البيع.

لقد أفرطت في إظهار مهارتي في التحليل، ربما كنت أحاول أن أبهرها أيضًا.

قالت: «هو لا يريد سكاي لودج، هو يريد الأرض فقط. سيهدمه ليبني مركز سوبرشريد آخر على هذا الجانب من التلة. بهذه الطريقة، سيكون لديه كلا الواديين. يبدو الأمر غبيًّا عندما نتحدث عن ملاييــــ- حسنًا، الكثير من المال، لكنه بلا أي جاذبية بالنسبة لي». ثم نظرت من النافذة مجددًا.

كانت أضواء بيت الضيافة تلوح في الأفق. فكرتُ في شعوري بالعودة لهذا المنزل الذي يشبه منازل تقويم عيد الميلاد، مقارنةً بقيادة السيارة عبر مجموعة من مستودعات المطارات التي تشكل سوبرشريد. الأمر لم يعد يبدو غبيًّا بالفعل.

من الواضح أنها كانت تفكر في الأمر ذاته: «قلت لك إنني عدت بعد وفاة عائلتي، وانتهى بي المطاف عالقة هنا. هذا يحدث في هذه الحياة، تعرف؟ الجبل يمسك بك. وكانت الأعمال مزدهرة، لكن بعد ذلك عشنا شتاءين دافئين – والجميع يقول إننا سنحصل على أكثر من مجرد اثنين بعد الآن». توقفت للحظة: «لا أستطيع تحمل تكلفة وضع تلك المدافع الجليدية الكبيرة التي يملكها جاف. لذلك عندما قدم عرضًا، وكان عرضًا جيدًا، كنت سعيدة بذلك. أنا وجاف نعرف بعضنا منذ زمن. كلانا أبناء عائلات منتجعات».

- ويستلر؟

ابتسمت وهي تسترجع الذكريات: «ويستلر. إنه شخص جيد، تعلم؟ كان يعرض علي طوق النجاة». قرأت أفكاري ورفعت حاجبها: «يريد أرضي، لكن ليس لدرجة أن يفعل أي شيء للحصول عليها».

المال، بالطبع، هو دافع شائع جدًّا. لم أركز كثيرًا على صوفيا، لأن خمسين ألفًا بدت مبلغًا صغيرًا لتقتل شخصًا من أجله، لكن إذا كانت هذه الأرض تساوي الملايين...

أكملت: «لذا وافقت، عندما كنت أعتقد أنه سيستمر في إدارة الفندق فحسب. كان الأمر مشوقًا – كنت حرة من هذا... الإرث، أعتقد. لكن عندما حان وقت التوقيع وعرفت أنه يريد هدم كل شيء، حسنًا، الإرث هو الكلمة الصحيحة في النهاية، أليس كذلك؟ (تنهَّدت، وأطلقت أنفاسها

كسحابة ضباب)، هذا المبنى يحمل تاريخًا كبيرًا لا أستطيع التخلي عنه. عائلتي موجودة داخل هذه الجدران».

فكرت في سبب رغبة جافين الكبيرة في إحضار جولييت إلى مكتبه، حيث أخبرها إن الأمر سيكون **في مصلحتها**: «هل رفع سعر عرضه؟ الآن فقط؟».

أومأت برأسها: «لديه مستثمر جديد».

قلت: «أراهن أنه كذلك، هل تفكرين في الأمر؟».

«بعد هذا الأسبوع...». نظرت من النافذة مجددًا، وأكملت الجملة نفسها عبر صمتها.

نادى آندي من المقعد الأمامي: «اللعنة!». كان يفرك ساعده ليواجه الضباب الموجود على الزجاج الأمامي. من خلال تلك الدوامة، استطعت أن أرى بقعة كبيرة، حجمها لا يمكن أن يكون سوى مارسيلو، يلوح بذراعيه فوق رأسه كأنه يوجه طائرة للهبوط. خلفه كان هناك شعاع أحمر ساطع، استقر في الثلج بجانب المبنى. وكان هناك مزيد من الظلال المتجمعة حوله، أحدهم كان جاثيًا. «أعتقد أنهم وجدوها».

لا بدَّ أن لوسي كانت هناك طوال الليل، إذ تراكمت آثار عدة أقدام من الثلج فوقها. لم أكن أرى سوى يدها، شاحبة وباردة، تمتد من كومة الثلج.

لم يحاول أحد أن يحفر لإخراجها. كانت هناك حفرة صغيرة فوق صدرها، حفرة بحجم يكفي للنظر إلى الداخل، لمدّ يد والتحقق من نبضها. ذلك أظهر مدى سرعة التخلي عن الحفر. لو كان هناك أي أمل، لكانت الحفرة أكبر.

توهج الشعلة الحمراء أضفى لون الدم على الثلج من حولنا. انحنيت للأمام، ورأيت لمحة سريعة على لوسي ثم انسحبت بعيدًا. كان أحمر شفاهها الفلوري يبدو أكثر سطوعًا مقابل وجهها الخالي من الدماء. كانت لا تزال ترتدي الكنزة الصفراء ذات الياقة العالية التي ارتدتها بالأمس. لا شيء كان بإمكانه أن يبقيها دافئة في الخارج. كان هناك تاج من الثلج الملطخ بلون قرمزي خلف رأسها وفوقه. والأهم من ذلك، لم يكن هناك رماد على وجهها. شعرت بالغثيان. هل أخبرها أحد أن غرفة التجفيف لم تكن مغلقة؟

بدأت كاثرين: «لقد وجدتها فقط لأنني وقفت على يدها...». كانت هي وصوفيا وكروفورد يقفون حول الجثة. كانت أودري تدفئ نفسها بالداخل، وبعد أن أشار لنا مارسيلو، ذهب لينضم إليها. لم أكن متأكدًا من مكان إيرين.

قالت جولييت: «املؤوا الحفرة».

نظر الجميع إليها باستغراب؛ بدا قولها هذا قاسيًا للغاية.

«علينا أن نغادر. لا يمكننا أخذ الجثث معنا -يمكننا العودة عندما يزول الثلج. لذا يجب أن نغطيها لحمايتها من الحيوانات». انحنت جولييت وجمعت كومة من الثلج بذراعها وألقتها على قبر لوسي المؤقت. ساعدتها بإضافة المزيد: «جافين، كم من الوقت تحتاج حتى نتمكن من المغادرة؟».

كان من الظلم أن تطلب منه أن ينزلنا جميعًا من الجبل، لكنني كنت أعلم أن جافين كان مضطرًا لفعل بعض الأشياء لجولييت إذا كان يريدها أن تفكر في عرضه حول الفندق.

قال: «أحتاج إلى التزود بالوقود. سيستغرق بضع دقائق».

بدأ آندي. «هل تقولين...».

- الجميع، ابدأوا بتوضيب أمتعتكم. سوف نرحل.

كنت ممتنًا لصلابة جولييت. كان البحث عن لوسي الشيء الوحيد الذي يمنعنا من المغادرة. لم نكن محاصرين حقًّا بسبب العاصفة، كما يحدث في هذا النوع من الروايات. لم نكن محاصرين على الإطلاق. لكننا كنا مقيدين بغرورنا، ندمنا، خجلنا، وعنادنا. لقد حان الوقت لنتجاوز كل ذلك. أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب للرحيل على أي حال، أفترض، فنحن على بُعد ستة فصول من النهاية.

أضفت المزيد من الثلج فوقها. كان ذلك كافيًا لحماية لوسي من الظروف الجوية. لم تكن تستحق هذا. جاءت في هذه الرحلة فقط لتجرب استعادة مايكل. أرادت أن تكون جزءًا من عائلة كانينجهام. لهذا السبب كانت هنا. سواء انفصلوا أم لا، لقد كانت من العائلة، لكننا لم نتعامل معها كذلك. تجاهلناها في النصف الأول من عطلة نهاية الأسبوع. ثم تركتها أودري تتحمل لوم موت مايكل، وألقت بالذنب عليها. ولم يتبعها أحد منا إلى السطح. ماتت وحيدة. يا لها من عائلة. من الصعب البكاء عندما تتجمد الدموع على وجهك.

كانت يد لوسي ممتدة من كومة الثلج، راحة يدها موجهةً للسماء، وأدركت أنها كانت لا تزال ترتدي خاتم زواجها. لم أستطع أن أقرر إذا كان من الأكثر احترامًا أن أخلعه وأحتفظ به، أم أتركه على إصبعها. قررت أنني لا أريد التعامل مع أصابعها المتجمدة، لذا جمعت كومة من الثلج ووضعتها فوق يدها. ثم خلعت قبعتي الصغيرة، متحملًا البرد القارس الذي خدش فروة رأسي، وسرقت عصا تزلج مهجورة متكئة على جانب النزل. غرزتها فوق الثلج، ووضعت قبعتي الصغيرة عليها، حتى نتمكن من العثور عليها مجددًا عندما تنتهي العاصفة.

وجهت كلامي إلى كومة الثلج: «سنعود لأجلكِ». وضع شخص ما ذراعه حولي، لكن مع الرياح لم أتمكن من رؤية من هو.

توجهنا جميعًا إلى الداخل. كنت أعلم أنني سأضطر إلى الذهاب وإحضار كيس النقود من الشاليه الخاص بي قبل المغادرة، وكان ينبغي أن أفكر في كيفية التحدث مع والدتي على انفراد لسؤالها عن عائلة ماكولي، لكن في تلك اللحظة لم أكن أكترث حقًّا؛ كنت أريد فقط أن أغادر. كنت بحاجة للتدفئة، والعثور على مسكن آلام آخر. أخيرًا، فهمت معنى أن تكون مدمنًا؛ كنت سأعطي كيس النقود بالكامل مقابل شيء يخفف أفكاري وألم يدي. تبعت الآخرين ببطء إلى داخل المطعم.

اتضح أن إيرين كانت بالداخل طوال الوقت، تعمل بدلًا من الموظفين الذين أرسلتهم جولييت إلى منازلهم. كانت قد أعدت الغداء لجميعنا. أخذت وعاءً من حساء الدجاج والذرة بامتنان شديد وجلست بجوار صوفيا على طاولة فارغة. كان شخص ما قد ذهب لإيجاد والدتي لإقناعها بالمغادرة. قبل أن أبدأ بالأكل، وضعت وجهي فوق الحساء، لأدفئ نفسي بالبخار حتى احترقت أطراف أنفي.

قلت لصوفيا بعد بضع لقيمات، وأنا أهز رأسي: «لا يوجد رماد، لا تشبه الآخرين...».

أومأت صوفيا برأسها، متفهمةً سؤالي حتى وإن لم أطرحه بصوتٍ عالٍ. وأوضحت ببساطة: «لا بد أنها كسرت عظامها».

نظرت صوفيا عبر أبواب المطعم نحو الردهة، ورأيت عينيها تُتابعان الدرج. كنت مخطئًا بشأن الشك المظلم الذي راود جولييت في العربة المهتزة. لقد قال آندي: «في هذا الطقس... سيكون انتحارًا». الصورة التي عرضتها صوفيا للوسي عن الحذاء الأخضر كانت وصفًا تفصيليًّا لما حدث لمايكل، وكانت لوسي تعاني بالفعل الشعور بالذنب لأنها

وضعته في غرفة لم يستطع الخروج منها. والنقطة الحاسمة، أن لوسي قد غادرت البار غاضبة **قبل** أن تستجوب أودري كروفورد عن التفاصيل. آخر مرة شوهدت فيها لوسي كانت تصعد الدرج، مثقلة بالذنب. إلى السطح. كانت جولييت تعني أننا كنا بحاجة لإيقافها قبل أن تؤذي نفسها في العاصفة. لكن لوسي لم تكن بحاجة إلى العاصفة. كان سطح النزل عاليًا بما يكفي.

أنا وصوفيا تركنا هذا الفهم الحزين يترسخ لدينا: لم يخبر أحد لوسي أن غرفة مايكل لم تكن مغلقة. لم تكن غلطتها.

عنوان هذا الكتاب حقيقي: كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما.

وهذا لا يعني أن جميعهم قتلوا الآخرين.

الفصل السادس والثلاثون

أتوقع أن والدتي كانت بمنزلة شوكة في الحلق للعديد من جرافات الإزالة في السبعينيات، إذا كان الحماس الذي ربطت به نفسها بعمود سريرها هو المعيار. دخل مارسيلو إلى المطعم، حيث قضينا الساعة الماضية في تكديس حقائبنا في وسط الغرفة (كنت قد تحديت العاصفة مرة أخرى ووضعت حقيبة الرياضة داخل حقيبتي ذات العجلات)، وهز رأسه نافيًا. كاثرين وأنا، بصفتي أقرب الأقارب المتبقين، صعدنا إلى الطابق الثالث ووجدنا أودري مستندة إلى الوسائد، بذراع واحدة مقيدة إلى عمود السرير. أقول مقيدة؛ لأنها سرقت أصفاد كروفورد الأحمق من على خصره. كان يبدو الأمر كاحتجاج مريحًا للغاية.

كان من المتفق عليه ضمنيًّا أن تتولى كاثرين، كونها الأقل كرهًا، القيادة. مدت يدها وقالت: «لا تكوني سخيفة، أودري. أين المفتاح؟».

أومأت أمي بكتفها.

- الرجل الذي يقود الشاحنة الثلجية يمكنه أن يأخذنا الآن أو لا يأخذنا نهائيًّا. أنت تعرضيننا جميعًا للخطر.

- إذًا اذهبوا.

- تعلمين أن هذا ليس عدلًا. لا يمكننا تركِكِ هنا. ماذا لو اشتدت العاصفة؟ عائلتك في خطر. **الناس يموتون.**

- يبدو لي أنكم ستأخذون القاتل معكم إلى أسفل الجبل. لن أترك مايكل هنا ليتعفن.

- سنعود ونأخذه عندما نكون في أمان، عندما تستقر الأحوال الجوية.

كان مارسيلو يقف خلفنا، ويبدو أنه جرب بنفسه بالفعل معظم حجج كاثرين. كاثرين كانت تزداد إحباطًا، ونبرة صوتها بدأت ترتفع، متخليةً عن الحجج العقلانية وبدأت تستخدم كلمات مثل أنانية وصعبة المراس وامرأة سخيفة، بينما كانت تنزع عمود السرير لترى إذا كان قابلًا لتفكيك من عند المفاصل. في الظروف العادية، لو وصفت والدتي بأنها «امرأة سيئة» لكان ذلك كارثيًّا، لكن أودري اكتفت بإدارة رأسها. من التجهم على وجه مارسيلو، بدا أنه قد جرب هذا الأسلوب أيضًا.

«أحتاج إلى مفك براغي أو، أنتظر» -ضاقت عيناها بينما كانت تنظر إلى إطار السرير- «مفتاح ألين»، قالت كاثرين لمارسيلو، وهي تبتعد عن عمود السرير باشمئزاز: «أربعمائة دولار في الليلة مقابل سرير من إيكيا.» ثم التفتت إلى أودري بنبرة تهديد: «سنحملكِ إلى الخارج».

كان مارسيلو سعيدًا بالفرار، لذلك غادر للبحث عن الأداة.

كل ما قالته أودري كان: «لقد مات ابني، وأنا لن أتركه».

كانت الجملة نفسها التي قالتها في الحانة، عندما كان كروفورد وصوفيا يشرحان تفاصيل الجريمة، مما جعلني أفقد صبري. كنت أتوسل ليُنظر لي كفرد حقيقي في عائلة كانينجهام منذ أن وصلنا إلى هنا. كنت أهتم بذلك أكثر من الحذاء الأخضر، بل حتى أكثر من مايكل. البحث عن القاتل لم يكن من أجل العدالة: بل كان فرصة لإثبات نفسي، وتملقًا لوالدتي لأظهر لها أنني أستحق لقبي. لكن والدتي، في حزنها المتكرر على وفاة مايكل، لم تفكر حتى إن هناك امرأة، ميتة في الثلج

بالخارج، كانت جزءًا من هذه العائلة أيضًا. بغض النظر عن الألقاب أو عقود الطلاق، مارسيلو قد أدرك ذلك: **إما كلنا وإما لا أحد منا.** والدتي، بالرغم من إصرارها، لم تكن تعرف معنى العائلة.

«ابنكِ؟» تفاجأت أودري وكاثرين من صراخي. أخبرني مارسيلو لاحقًا أنه سمعني وأنا أصرخ من نهاية الممر. كان غضبي مكتومًا أكثر مما كنت أتصور. «ابنكِ؟ وماذا عن أختي - ابنتكِ؟ كلمة (ابنة بالقانون) هي مجرد لقب. هل تعرفين أن لوسي في الخارج في الثلج؟ هل تعرفين أنها ماتت بسبب ما جعلتها تشعر به؟ كيف حمّلتِها ذنب وفاة مايكل؟ إنها ميتة مثله تمامًا، وكل ما تستطيعين قوله هو **ابني**».

«إرن». حاولت كاثرين الوقوف أمامي، لكنني كنت أتقدم نحو والدتي، وأنا أستشيط غضبًا. أما والدتي، فلم ترتجف.

استدرت نحو والدتي: «لا، يا كاثرين. لقد أشبعنا رغباتها لفترة طويلة. أنتِ تضعين ألمك فوق آلام الجميع. ربيتنا في معاناة لأن زوجكِ مات. تجاهلتني بسبب ما فعلته لعائلتكِ. حسنًا، إنها عائلتي أيضًا». تمالكت نفسي، لأنه بالرغم من غضبي، كنت قد بدأت أفهمها أكثر. جلستُ على السرير. «أعلم أنه كان صعبًا. بعد أن فقدتِ أبي، اضطررتِ للقيام بكل شيء بنفسكِ. وأعلم أنك بدأتِ تُعرّفين عن نفسكِ بناءً على لقبك، وبسبب ما اعتقده الناس عن أبي، وأعلم أن الطريقة الوحيدة للتعامل مع ذلك كانت بأن تنغلقي على نفسك، لتجعلي ذلك اللقب ملكك. لكن بفعل ذلك، بدأتِ تُمثلين الصورة التي صنعها الآخرون لكِ. اسم كانينجهام ليس كما تظنين. أنا أعلم»- فوجئت بنفسي وأنا أمسك يدها؛ سمَحت لي بذلك، مستسلمة- «ما كان أبي يحاول فعله عندما مات».

كانت عينا والدتي تلمعان، لكن فكها كان متماسكًا. كان من الصعب معرفة ما إذا كانت تشعر بالتهديد أو التفهم. حدقتُ إلى عينيها، رافضًا أن أكون أول من يشيح بنظره. قالت: «حقًّا؟».

أعرف عن ريبيكا ماكولي. أعرف أن والدي كان لديه صور تُدين شخصًا في اختطافها، وربما في قتلها. أعرف أن آلان هولتون كان فاسدًا. أعرف سبب ألمكِ عندما انحزتُ للقانون بدلًا من الوقوف إلى جانب مايكل. استغرقني وقتًا طويلًا لأرى الأمر من وجهة نظركِ، لكن الآن أستطيع. أعلم أنك زرتِ والدي ريبيكا قبل ليلتين، عندما ألغيتِ العشاء مدعية أنك مريضة. طلبتِ منهما العودة لمنزلهما. سردت عليها كل ما أخبرني به آل ماكولي عن زيارة والدتي لمنزلهم قبل ليلتين. «لقد هددتهما يا أودري. سألتِ إن كان لديهما أبناء آخرون، وإن كان لهؤلاء الأبناء أحفاد. هؤلاء الناس فقدوا ابنتهم. **كيف تجرئين** على استخدام ما حدث لريبيكا كتهديد؟ **كيف تجرئين**؟».

قالت أودري بهدوء: «لم أهددهما. لقد **شرحتُ** لهما ما هي المخاطر».

أخذت نفسًا عميقًا، ثم اندفعتُ لأكشف شيئًا ظننت أنني فهمته: «إنهما يعرفان المخاطر. لقد فقدا ابنتهم. تمامًا كما فقدتِ جيريمي».

ردت من بين أسنانها التي أحدثت صريرًا: «أنت لا تعرف عمّا تتحدث».

واصلتُ حديثي بالرغم من صعوبته: «إنه شيء قالته شيفان ماكولي، إنها لم تستعن بمحققين خاصين طوال الثمانية والعشرين عامًا الماضية. بدا لي هذا رقمًا محددًا للغاية. تم اختطاف ريبيكا قبل خمسة وثلاثين عامًا، مما يعني أن الفارق سبع سنوات. هذه هي المدة نفسها التي انتظرتها لإقامة جنازة جيريمي. سبع سنوات. لا توجد مصادفات -

هذه التوقيتات متطابقة لسبب ما. هذه هي المدة التي يستغرقها الإعلان القانوني لموت أحدهم، أليس كذلك؟».

قالت كاثرين من خلفي: «ما الذي تقوله، إرن؟».

حدقت أودري إليَّ، مرتجفة الفك، لكنها بقيت صامتة.

تجاهلتُ كاثرين وحدقتُ إلى عيني والدتي: «لقد أفصحتِ عن شيء آخر أيضًا، عندما تحدثنا آخر مرة في المكتبة. قلتِ إن عائلتنا يجب أن تدفع ثمن أفعال أبي. لكنكِ أيضًا قلتِ إنه تركنا بلا سلاح لنقاتل به. كانت جملتك بالتحديد كالآتي «لا شيء في البنك». ظننت أنك تقصدين المال، لكنكِ لم تقصدي ذلك، صحيح؟ أنت تعرفين عن الصور - هذا هو السلاح الذي كنتِ تتحدثين عنه. إذا لم يحصل السابرز، أو من كانوا يحميهم السابرز، على تلك الصور من والدي في الليلة التي مات فيها، فمن المنطقي أن يفترضوا أنها بحوزتكِ. وأنهم قد يستهدفون، على سبيل المثال، البنك الذي كنت تعملين فيه، حيث من المحتمل أن يكون والدي قد احتفظ بصندوق أمانات هناك.

- أنت لا تفهم. سيفعلون **أي شيء** لإبقاء هذا الأمر سرًّا. صور روبرت - **لم يعثر عليها أحد** قطُّ. كنت أتمنى لو أنهم عثروا على ما كانوا يبحثون عنه، ظرف أصفر مختوم عليه «في حال وفاتي، يرجى إرساله للإعلام»، أو أي دليل. أي شيء. أردتهم أن يجدوه. حقًّا كنت أريد ذلك. بحثت **في كل مكان** عن تلك الصور اللعينة.

- لكن السابرز لم يخرجوا من البنك خاليي الوفاض، أليس كذلك؟ ربما لم يعثروا على الصور، لكن وفي أثناء هروبهم من موقف السيارات العلوي، أظن أنهم وجدوا الشيء الأفضل التالي: جالسين في سيارة. قرروا أن هناك طريقة واحدة فقط للتأكد من أنك لا تملكين الصور. الضغط. ضمانة أنه إذا كانت لديك الصور،

فستسلمينها على الفور. ونعلم جميعًا أنهم لم يكن لديهم مشكلة في أخذ الأطفال -ريبيكا دليل على ذلك. سبع سنوات، يا أودري.

أخفضت والدتي رأسها. مستسلمةً.

همست: «لقد أخذوا جيريمي من السيارة». سمعت كاثرين تأخذ شهيقًا حادًّا خلفي. تركت الصمت يملأ المكان حتى تكون أمي مستعدة للمتابعة. تحدثت وهي تنظر إلى حجرها: «آلان كان رسولهم. أخبرني أن كل ما أرادوه هو الحصول على الصور، وليس المال. ولم أكن أستطيع إخبار الشرطة، لأن تلك المرأة همفريز كانت قد تسببت في قتل روبرت وريبيكا بالفعل، أليس كذلك؟ وكان الآن يلعب على الطرفين بشكل واضح - من يدري إذا كانت هناك أطراف أخرى أيضًا؟ كان عليّ حمايتك أنت ومايكل».

«لكن لا بدَّ أنهم أجروا تحقيقًا، أليس كذلك؟» سألتها بلطف، قلقًا من أن أدنى ارتفاع في نبرة الصوت قد يكسر رغبة الاعتراف لدى والدتي. لم يكن أحد يتحرك. فقد توقفت كاثرين عن البحث عن مفتاح الأصفاد.

- بالطبع. تعاملوا مع القضية على أساس أنه شخص مفقود. لا أعرف إن كان السبب كونهم متورطين، لكن الأمر بدا وكأن جيريمي قد خرج من السيارة ليطلب المساعدة لك ولمايكل. كان عليَّ التظاهر بذلك. جرحت جبيني على الزجاج لكن النافذة كانت مكسورة بالفعل. كانوا يقولون إن طفلًا في الخامسة لن يصل بعيدًا. ومع مرور الأيام، أدركت أنهم غيَّروا رأيهم من عدم الوصول بعيدًا إلى عدم الصمود طويلًا وبدأوا بحثهم في طريق أعلم أن نهايته مسدودة. وفي هذه الأثناء، كان آلان يواصل مطالبتي بالصور، وأخبره أنني لا أملكها، وأنني لا أستطيع العثور عليها. ويقول إنه يصدقني... (رفعت رأسها إليَّ، وكانت عيناها

محمرتين). يقول **إنه يصدقني**، لكن هناك طريقة واحدة فقط للتأكد من أنني لم أكن أحتفظ بالصور لنفسي. كان عليهم أن يتأكدوا...

توقفت، لكن كان معنى كلامها واضحًا. الطريقة الوحيدة للتأكد من أن أودري لم تخبئ الصور كانت بتنفيذ تهديدهم وتركه معلقًا لطفليها الباقيين. شعرت بالغثيان عند التفكير في جيريمي مدفونًا في تابوت شرطي آخر. خطرت ببالي فكرة أنني لم أكن متأكدًا حقًّا أن الجثة التي وجدتها للطفل كانت تخص ريبيكا.

تأملت في قولها لي إنني كنت أرتكب أخطاء والدي نفسها، وفهمتها أكثر الآن. شعرت بيدها، التي كانت مرتخية على يدي حتى الآن، تشدّ بقوة: «لم أقصد قطُّ الانحياز لأي طرف، يا أمي. كنت أحاول أن أفعل ما هو صحيح. لكن هناك ما هو صحيح، وهناك ما هو صحيح **للعائلة**. لم أكن أعلم أنك اضطررتِ لدفع ثمنٍ باهظ كهذا».

إنه لأمر رائع أن يلعب الأبطال دور الشرطي واللص في الروايات وعلى التلفاز، لكن في الحياة الواقعية، الشخصيات الجانبية، مثل كانينجهام، هي التي تتحمل الضربات، وتتحمل الألم، ليتمكن آخرون من رفع أيديهم منتصرين. حاول والدي أن يفعل ‹الشيء الصحيح›. ودفع الثمن. لم يدفعه الزوجان الثريان اللذان يبكيان على طفلهما المخطوف، ولم يدفعه المحقق الذي يدفع بمخبره من أجل ترقية. وهكذا، بالنسبة لأودري، لم يعد هناك صواب أو خطأ. كان هناك العائلة، وكل ما عدا ذلك. ربما كانت تعلم ما تعنيه هذه الكلمة بعد كل شيء.

ضغطت على يدها مرة أخرى.

سألت: «هل يعلم مارسيلو؟».

- لاحقًا فقط.

قالت كاثرين: «لم تخبريني قطُّ». كان من الصعب معرفة ما إذا كانت مستاءة لأنها لم تكن جزءًا من الأمر أو كانت تحاول الدفاع عن نفسها من الاستجواب.

أبقيت انتباهي على أودري: «لا أتذكر الكثير من ذلك الصباح».

- كنت صغيرًا جدًّا. كان هناك شيء في داخلك، مشوشًا، لكنك كنت تستمع لكل لما أخبرك به. وقلت للجميع، بمن فيهم أنت، كاثرين، إن جيريمي مات في السيارة لأن ذلك كان الأسهل، ولأنني كنت أخشى أن يعود آلان من أجلك أو من أجل مايكل لو كثرت الأسئلة. سأكون صادقة - لم أكن أمانع اللوم. ومن المفارقة، أنه لو لم يكسر رجال السابرز النافذة ليأخذوا جيريمي، لربما كان ثلاثتكم ميتين. لذا شعرت أنني أستحقه.

- بعد سبع سنوات، ساعدك مارسيلو في تسوية الجانب القانوني للأمر بشكل خاص. عندما أقمتِ الجنازة. أشركته في السر. أليس كذلك؟

- نعم. قام بتسوية ذلك، وساعد في إنهاء وصية روبرت، وكل تلك الأمور. لدي بعض الأشياء الأخرى التي أحتاج إلى إخباركم بها، على ما أعتقد. لكن ليس هنا. لا أستطيع التفكير بوضوح. لنغادر هذا الجبل. المفتاح في الكتاب المقدس.

فتشت كاثرين في درج الطاولة بجانب السرير بحثًا عن الكتاب المقدس، وأخذت تقلب صفحاته حتى سقط منها مفتاح فضي صغير. فكت قيد أمي من إطار السرير وبدأت بمساعدتها على النهوض، لكن أودري أبعدتها وبدلًا من ذلك مدّت يدها لي للمساعدة. انحنيت قليلًا، وقدمت كتفي لتستند إليه وهي تنهض، فشعرت بوزنها يضغط علي.

قالت: «كنت فقط أريد تحذير عائلة ماكولي. هؤلاء الأشخاص لا يترددون في قتل الأطفال. لا يهم إن كانوا يريدون فدية أو نفوذًا. أنا آسفة لأنهم اعتبروا ذلك تهديدًا».

لم أجب، فقط احتضنتها على أمل أن يصلها مدى تفهمي. كنت سعيدًا بأننا أصبحنا الآن قادرين على المغادرة، وبمجرد نزولنا من الجبل، يمكننا البدء في التعافي. على الرغم من جرائم القتل، كان لمّ الشمل ناجحًا في النهاية.

رغم أن سماعي لجزء من قصة أودري قد ألقى ببعض الضوء على الأمور، فإنه لا تزال توجد بعض الأسئلة السخيفة التي تتسبب في إزعاجي.

إذا لم تكن ريبيكا ماكولي الضحية الوحيدة للسابرز، فكيف لي أن أتيقن أن الجثة التي في التابوت هي جثتها؟ وكيف بحق السماء حصل آلان هولتون على شيء لم تستطع والدتي العثور عليه لأجله قبل خمسة وثلاثين عامًا؟

أخبرت كاثرين أنني سألتقي بهم في الطابق السفلي بعد أن تساعد أودري في توضيب الاغراض، ثم انطلقت خلف مارسيلو، والأسئلة تتصارع في ذهني. تشتت انتباهي عند مروري بالمكتبة في الطابق الأول. ما زالت النار تتوهج في المدفأة في الجزء الخلفي من الغرفة، ودفؤها كان يحفز وجنتيّ ويبعث عرقًا على جبيني. أو ربما كان الدفء يأتي من معدتي، يتسلل صعودًا إلى عنقي. كان حدسي يخبرني أن أجزاء صغيرة من اللغز بدأت تتجمع، لكنها لم تتشكل بعد كصورة كاملة.

تجولت بين أرفف الروايات البوليسية من العصر الذهبي. كانت أودري قد وضعت كتاب ماري ويستمكوت في مكان خاطئ، مختبئًا

تحت اسم آخر بين حرف الـ Ws، فحركته إلى حرف الـ Cs مكانه الصحيح. مررت بإبهامي على أغلفة الكتب، ربما باحثًا عن إلهام لنهاية مدهشة. لم يكن لدى نوكس قاعدة ضد ذلك، لكن في جميع الكتب أمامي، كان هناك إيحاء بأن المحقق لا يستسلم ببساطة ويغادر الجبل في النهاية.

لكن أولئك المحققين كانوا أذكى مني. لم يكن لدي كاتب يحرك خيوط الدمى الخاصة بي، ولا مواهب منحت لي. لم أكن مؤهلًا لنادي التحري. أذكر إنني كنت أفكر في أن الشيء الوحيد الذي كنت واثقًا منه هو أنني أفتقد شيئًا ما. شيئًا صغيرًا. هناك دائمًا شيء في هذه الكتب يفتح الباب لبقية الألغاز، وغالبًا ما يكون أصغر الأشياء. هناك شيء لم أره. ليس دون عدسة مكبرة تقليدية مثل تلك التي يستخدمها هولمز، أو عدسة فحص دقيقة.

ثم، عثرت على حل اللغز.

في هذا النوع من الكتب، غالبًا ما يوجد وصف مجازي مثير للحظة الاكتشاف الاستدلالي. المحقق يكون جالسًا ويتأمل، وربما تبدأ قطع الأحجية في ذهنه بالتماسك تدريجيًّا، أو ربما تكون ألعابًا نارية، أو قطع دومينو؛ وربما يكون متعثرًا في ممر مظلم إلى أن يعثر على مفتاح الإضاءة. في كلتا الحالتين، تتصادم المعلومات في شلال من الاكتشافات المذهلة، لتقوده إلى لحظة وجدتها. أعدك أن الأمر ليس بهذه الدرامية في الواقع. في لحظة لم أكن أعرف الإجابة، وفي اللحظة التالية عرفتها. تحققت من شكوكي بالتوجه نحو حافة المدفأة، وعندها تأكدت.

لإرضاء رونالد نوكس -بما أن كل الأدلة التي تظهر عنها يجب أن تُعرض على القارئ- إليك الأدلة التي استخدمتها لتجميع الأمر: ماري ويستماكوت؛ خمسون ألف دولار؛ فكي؛ يدي؛ كاميرات الثلج في لودج

سكاي؛ دعوى سوء الممارسة الطبية ضد صوفيا؛ صندوق بريد في بريسبان؛ لوسي وهي تشير بمسدس وهمي إلى رأسها؛ تابوت مزدوج؛ قيء؛ مخالفة سرعة؛ فرامل اليد؛ عدسة مكبرة؛ جلسات علاج طبيعي؛ اعتداء لم يُعرف صاحبه؛ زوج شهم ومرتجف؛ كلمة ‹الرئيس›؛ سترة؛ آثار أقدام؛ انتظار لوسي المتوتر؛ مخطط هرمي؛ أصابع قدم مؤلمة؛ هاتف شاليهي؛ أحلامي بالاختناق؛ تصالح مايكل الذي كشفه حديثًا؛ و F-287: حمامة ميتة بوسام للشجاعة.

أعلنت كاثرين وصولها بصوت ضربات متعددة لحقيبة تُجرّ نزولًا من الدرج. لاحظتني وتوقفت، الحقيبة ووالدتي خلفها، إما لطلب المساعدة وإما لتخبرني بالتوقف عن مضيعة الوقت، لكنني لم أكتشف قطُّ لأنني قاطعتها.

سألت: «هل ستجمعين الجميع؟ أحتاج إلى إخبارهم بشيء. أحتاج إلى الجميع، لأن لدي أسئلة لبعضهم. ولكي لا يهرب أحد».

أومأت كاثرين، متفهمة نبرة صوتي: «أين؟».

نظرت حولي إلى الأرفف، النار المتأججة، والكراسي الجلدية الحمراء الفخمة: «إذا خرجنا من هنا أحياء بما يكفي لبيع قصتنا، أعتقد أن هوليوود ستشعر بخيبة أمل كبيرة إن لم نستخدم المكتبة، ألا تعتقدين ذلك؟».

الفصل السابع والثلاثون

جلس مارسيلو وأودري على الكراسي الجلدية، كأنهما ملوك على عروشهما. وقف كروفورد وجولييت عند المدفأة، كل منهما على جانب، بعدما تعلما، من قضاء عطلة نهاية الأسبوع بين شؤون عائلة كانينجهام، معنى عبارة 'المسافة الآمنة'. وقفت كاثرين وذراعها متكئةً على ظهر كرسي أودري. جلس آندي على طاولة جانبية، ولكنه بدا وكأنه يفتقر إلى ثقته في هيكل الطاولة، إذ رفع ركبتيه وحافظ على معظم ثقله مرتكزًا على رؤوس أصابعه. جلست صوفيا على الأرض. كان المشهد أشبه بلوحة فنية أخرى لحفل زفاف، مشابه لما حدث في صباح الأمس على السلم بالخارج، فيما عدا الوقت المتأخر من الليل عندما هدأت الحفلة، وأصبحت أنوف الجميع محمرة من الكحول، وملابسهم مهترئة قليلًا، وأيديهم محشورة في قفازات الفرن. أُعفي جافين، باعتباره بريئًا بموجب القاعدة الأولى، وكان يضع حقائبنا في المركبة الثلجية. تأكدت من سد المدخل، لأن القاتل دائمًا يحاول الهرب بمجرد كشفه.

اندفاع الاكتشاف قد تلاشى إلى حد ما، وأصبح عليَّ الآن أن أجد الطريقة الأنسب لعرض اتهاماتي بحيث تبدو منطقية. كان من الصعب إيجاد نقطة للبدء: فهناك الكثير من القتلة في الغرفة، لكن مجرمًا واحدًا فقط.

تحدث مارسيلو أولًا نافد الصبر مما ينم عن فضوله: «حسنًا؟». كان هذا يعني أنه حصل على الطرف القصير من القشة[1]. سأبدأ معه.

قلت: «حان الوقت لنكون جميعًا صادقين عن سبب وجودنا هنا». أخرجت جهاز تتبع المواقع من جيبي ورميته إلى مارسيلو.

استغرقه الأمر لحظة حتى يدرك ما هو. يمكنني القول إنه كان على وشك سؤالي من أين حصلت عليه، لكنه تذكر لقائي به في الثلج، عندما أعطاه لي أمام نافذته المحطمة.

- أنت المستثمر الجديد لجافين الذي يريد شراء هذا المكان. بالطبع أنت كذلك - أنت الوحيد هنا الذي لديه ما يكفي من المال، وكيف يمكن لكاثرين إقناعك بالمجيء وقضاء عطلة نهاية الأسبوع هنا؟ أنت تكره البرد أكثر من صوفيا؛ كنت تتذمر بشأنه طوال الوقت. كان واحد من الأسباب التي أزعجتك عندما وضعتنا كاثرين جميعًا في الشاليهات: كنت تعرف أن جافين يريد هدم بيت الضيافة، لكنك أردت أن ترى الغرف بنفسك، لتقرر ما إذا كانت تستحق الاحتفاظ به.

قال مارسيلو مدافعًا عن نفسه بحدة: «أنا أعمل على صفقة تجارية في أثناء وجودي هنا، بالتأكيد. لاحظت أن المكان معروض للبيع عندما حجزته كاثرين. هل يهم ذلك؟» كان معتادًا على توجيه الاتهام بدلًا من أن يُتهم. كان صامدًا، صدره منتفخًا بالغضب.

قلت: «لا يهم. لكن كذبتك الأولى كانت عندما قلت إن أودري كانت مريضة على العشاء قبل ليلتين، هل بدا غريبًا أنها طلبت منك الكذب بشأن ذلك ثم طلبت أن تأتي معك لاجتماعك مع جافين؟». كنت أعرف

(1) قرعة القشة وفكرتها أن من يحصل على الطرف الأقصر من القشة يقع عليه الاختيار. (المترجمة)

بالفعل أنها أرادت أن يكون لها عذر أمام مايكل بعد أن حاولت إقناع عائلة ماكولي بالهرب. مارسيلو سيدعم ادعاءاتها بأنها كانت مريضة، وستتمكن من التهرب من العشاء. رأيت الشك في عيني مارسيلو وهو ينظر إلى زوجته.

أخيرًا، بدأ في السعال وقال: «لم أقتل أحدًا».

- حسنًا، هذه كذبة أخرى، أليس كذلك؟

- لم ألمس مايكل. ولا لوسي. ولا ذلك الرجل في الثلج.

- هذا ليس ما قلته.

- فلتنِر بصيرتي إذًا. من الذي يُفترض أنني قتلته؟

- أنا.

زوج والدتي

(مرةً أخرى)

الفصل الثامن والثلاثون

كان الماء باردًا لدرجة توقف القلب عندما دخلت البحيرة، أليس كذلك؟ كان على جولييت إجراء الإنعاش القلبي الرئوي. هذا مجرد تفصيل تقني، بالتأكيد، لكنه تفصيل صادق.

قلت: «دعونا نفكر فيما نعرفه، كلنا نعرف أن مايكل قتل رجلًا يُدعى آلان هولتون. بعضنا يعرف أن آلان هولتون هو الرجل الذي أطلق النار على والدي، روبرت. قلة منا يعرفون أن السبب في مقتل والدي هو أنه كان يعمل سرًّا مع الشرطة. كانت وشايته الأخيرة، رسالته الأخيرة التي كان عليه إيصالها إلى المحققة همفريز...»

بدأت إيرين: «هل قلت همف...». كانت تجمع القطع التي كنت أضعها بسرعة، حيث كان الاسم مألوفًا كأحد ضحايا عصابة اللسان الأسود.

ابتسمت: «لقد قلت ذلك. حاولي ألا تسبقيني. رسالة روبرت الأخيرة كانت عبارة عن صور تدين جريمة قتل، التي سنأتي إلى تفاصيلها لاحقًا. لم يُعثر عليها قطُّ، رغم جهود آلان وأودري المتواصلة. ثم قبل ثلاث سنوات فجأة امتلك آلان الصور، وقرر بيعها. مارسيلو، أنت الشخص الذي حاول منعي من معرفة ذلك».

أصدرت أصابع مارسيلو صوت صرير على ذراع الكرسي الجلدي وهو يشد قبضته. لم يتكلم. كان يدعني أخرج كل ما لدي، يرى مقدار

ما أعرفه. لم يرغب في التدخل مبكرًا ليملأ أي فراغات، في حال احتاج لتحدي صدق ادعائي. لم يكن ذلك يهم، كنت أعلم أنني على حق.

مارسيلو، أنت من أبرم صفقة روبرت مع المحقق همفريز، وشاهدت بنفسك كيف سارت الأمور بشكل خاطئ. كما أن أودري أخبرتك بما فعلته عصابة السابرز بجيريمي عندما ساعدتها في إنهاء الجوانب القانونية لموته. وهذا يعني أنك كنت تعرف مدى خطورة الشيء الذي كان مايكل يمتلكه على كل من يتعامل معه. لم يكن معظم من في الغرفة يعرفون ما الذي كنت أشير إليه، لكنني كنت مركزًا في حديثي مع مارسيلو فقط: «عندما رأيت يديَّ مايكل القذرتين وخياره السخيف للمركبة، شككت في أنه قد نبش شيئًا. وكنت دائمًا تشك في أن هذا الأمر له علاقة بريبيكا ماكولي. لم تكن تعرف ما الذي يملكه مايكل، لكنك كنت قلقًا من أن يبدأ الناس بالموت للسبب نفسه الذي قُتل من أجله روبرت قبل سنوات. أردت التخلص مما كان بحوزته. (تركت هذه الكلمات لتأخذ وقتها). لكن... لم تفعل ذلك لتغطية آثارك. فعلتها لحماية مايكل، أليس كذلك؟».

غاص مارسيلو أكثر في كرسيه. اعترف: «لم أكن أقصد إيذاءك. كنت فقط أريد أن تنحدر المركبة عن التل. ظننت أن الأمر سيبدو كحادث، كانت السيارة من طراز قديم، لذلك تمكنت من إدخال عَلَّاقة ملابس من النافذة ورفع فرامل اليد، لكنني لم أكن أملك المفاتيح لتشغيل المحرك، لذلك سكبت بعض القهوة الساخنة تحت العجلات لإذابة الثلج. وقاطعني كروفورد وهو يركض لإخراجكم جميعًا من سقيفة الصيانة، فاضطررت إلى تركها قبل أن أتمكن من دفعها إلى أسفل المنحدر».

سمعت صوت إيرين في ذهني يقول: **هناك بعض السائل البني على الأرض، قد يكون سائل الفرامل**، وتذكرت كوب القهوة الفارغ الموجود عند طرف الباب الخلفي. قال مارسيلو: «لم أعتقد أن أحدًا

سيصعد في الخلف ويتجول بداخلها. أنا آسف بشأن يدك. أقسم، كنت أحاول فقط منعك من معرفة ما كان بداخلها حقًّا. اللعنة، لم أكن أعرف حتى ما هو! أصابني الذعر بسبب الجثة على المنحدر ذلك الصباح، وعندما سألتني عن همفريز، أدركت أن شيئًا ما قادم. أردت أن نغسل أيدينا من هذا الموضوع، ليشعر من لديه هذا السر بأنه مخفي وآمن. أردت فقط أن ينتهي كل هذا. أقسم بحياتي».

- أو حياتي، كما اتضح.

قال مارسيلو: «جلست بجانبك حتى استيقظت. لا أعرف ماذا كنت سأفعل لو لم تستيقظ. أنا آسف». وقد بدا أكثر خجلًا من كشف لطفه أكثر من اللحظة التي اتهمته بالتستر على جريمة قتل.

سأل آندي رافعًا يده: «من هي ريبيكا ماكولي مرة أخرى؟ هل لهذا علاقة بالزوجين العجوزين وكل أموالهما؟ (نظر حوله بخجل). ماذا؟ أنا مشوش!».

قلت: «أعتقد أنني أسبق الأحداث». وقررت أن أترك مارسيلو وشأنه. «مرة أخرى، دعونا نسأل أنفسنا لماذا نحن هنا. لم شمل، بالطبع. عائلة واحدة كبيرة وسعيدة». كانت السخرية تتدفق من بين كلماتي. «لكننا هنا لأن أحدنا اختار هذا المكان. أليس كذلك، كاثرين؟ لقد اخترت عن قصد أكثر الأماكن المعزولة التي استطعت العثور عليها. لا يمكننا المغادرة بسهولة. وقد كنت واضحة بشأن بقائنا هنا - بالتأكيد، كلنا نعرف رأيك في التأمين غير القابل للاسترداد، لكن الأمر أعمق من ذلك، صحيح؟».

قالت كاثرين بصوت خافت، لكن دون شعور بالذنب أو التهديد؛ بل بدا صوتها عاطفيًّا - محرجًا، ربما نيابة عن شخص آخر: «ليس أمام الجميع، إرن. هيا بحقك».

- كاثرين، إذا لم يكن لهذا الأمر معنى الآن، فلن يكون له أي معنى على الإطلاق. حان الوقت لنكشف كل شيء على الطاولة، وهذا يشملك أيضًا. لأنك اقتحمت شاليه صوفيا في الليلة التي مات فيها الحذاء الأخضر. أنت أو آندي. لا يهم من كان، ولكن دعينا نفترض أنه أنت لأن هذا سيخدم المنطق. في البداية، اعتقدتُ أن الأمر مجرد حظ جيد أن كاميرا الثلج لم تلتقط الشخص الذي اقتحم شاليه صوفيا. تلك الكاميرا تلتقط صورة كل ثلاث دقائق، لذا كان يتطلب الأمر مجهودًا واعيًا وتوقيتًا دقيقًا لتجنبها. بالطبع، أنتِ من النوع الذي يتحقق من الطقس لعطلة نهاية الأسبوع. أنتِ الأكثر تنظيمًا هنا، ومن المؤكد أنك تفحصتِ الموقع خمسين مرة قبل مغادرتك المنزل. مما يعني أنك كنتِ تعرفين بوجود كاميرا الثلج، وعرفتِ كيف تضبطين حركاتكِ لتجنب اكتشافك.

تبادلت كاثرين نظرةً مذنبةً مع آندي.

«إذًا، لماذا الاقتحام؟ كنتِ تبحثين عن شيء في شاليه صوفيا. وعندما وجدتِه، اتصلتِ بآندي لتخبريه أنك حصلتِ عليه، أو ربما ليخبركِ بالتوقيت، حتى تعرفي متى ستلتقط الصورة التالية بكاميرا الثلج، فتتمكنين من الهروب. لكنكِ نسيتِ أننا قد بدلنا الغرف، فاتصلتِ بالغرفة الخطأ. والسؤال هو، ما الذي كنتِ تبحثين عنه؟» رفعتُ قفاز الفرن الخاص بي: «تلك الحبوب خطيرة التأثير بالمناسبة. هل كانت أوكسيكودون؟».

أطلقت كاثرين نظرة اعتذار باتجاه صوفيا.

هززت الزجاجة لتتصادم الحبوب بداخلها بصوت يوحي بالاتهام: «أنت لا تأخذين مسكنات الألم، كاثرين - لم تفعلي ذلك منذ حادث السيارة. ألمك الشخصي هو نوع من الكفارة عن الأذى الذي تسببتِ

به، ولن تتراجعي عن هذا بسهولة. إذًا لماذا لديكِ زجاجة من مسكنات الألم القوية؟ أنا ممتن لها، بالمناسبة، لكنها ليست لكِ. أوكسيكودون هو العقار الذي يدمن عليه الكثير من الأطباء، أليس كذلك؟ إنه قوي وليس من الصعب الحصول عليه في المستشفى».

قالت كاثرين: «أخذتها من شاليه صوفيا. لا أهتم باسترداد المبالغ المدفوعة. لم نتمكن من المغادرة مبكرًا لأن صوفيا بحاجة إلى البقاء هنا. وتحتاج إلى الأيام الأربعة كلها. أنها تتخلص من الإدمان».

استدار الجميع لينظروا إلى صوفيا، التي كانت شاحبة ومتعبة، حيث لم تتمكن من فعل شيء سوى أن تحني رأسها بخجل.

قلت: «كانت صحتها تتدهور مع مرور الوقت منذ توقفها عن تناول الحبوب. يداها كانت ترتجفان، على سبيل المثال». متذكرًا الكوب المرتعش الذي كانت تحمله في البار. «كانت تتقيأ، شاحبة ومتعرقة منذ صباح الأمس».

سأقاطع نفسي هنا لتجنب أي شكوى محتملة. سأوضح أنني لم أقل إنه لا ينبغي لكم ملاحظة تقيؤ صوفيا في الفصل السابع. كل ما قلته هو أن ذلك لا يعني أنها حامل. لن أسمح لأحد باتهامي بالخداع.

أعتقد، يا صوفيا، أنك مدمنة عالية الكفاءة. فبالرغم من إدمانك، واصلتِ العمل وأداء العمليات الجراحية. وقلتِ لي بنفسك إنهم لا يجرون اختبارات للأطباء كما يفعلون مع الرياضيين، وحتى بعد حدوث وفاة، لا يُعدُّ الاختبار إلزاميًا. لكنكِ شعرتِ بالخوف بعد فشل تلك العملية الجراحية. وتم وضع علامة عليكِ - للسبب الخاطئ، كوب من النبيذ في حانة، ولكن وُضعت علامة عليك على أي حال. لأن ما يبحث عنه الطبيب الشرعي هو الأنماط المتكررة. ربما كانت هناك حوادث أخرى، صغيرة ويومية لا يمكن تفاديها، حولك. ربما، مثل كل حبة ثلج تتساقط على

هذا الجبل، لا تكون هذه الحوادث مميتة بحد ذاتها، ولكنها عندما تتراكم ترسم صورة واضحة. لذا تقربت منكِ، يا كاثرين، لأن إدمانها كان يخرج عن السيطرة، وكانت تدرك أنها تحت مراقبة مشددة وستفشل في اختبار المخدرات إذا طلب الطبيب الشرعي ذلك.» واصلتُ حديثي، «إذا ظهرت في محكمة الأسبوع المقبل ووجدوا آثار أوكسيكودون في نظامها الحيوي، فلن يكون لديها أي فرصة». كانت صوفيا قد سألتني مازحةً إذا كنتُ متفرغًا الأسبوع المقبل، عندما كنت أخطط للتظاهر بكوني محامي مايكل، كاشفةً عن توقيت المحاكمة بشكل غير مباشر. «لذا هذا الأسبوع يمثل فرصتها الأخيرة للتخلص من الإدمان. لهذا السبب كنتِ حادةً معها. في وجبة الإفطار الأولى، بذلتِ جهدًا لتؤكدي أنها لم تعد طبيبة، لأنكِ حينها كنتِ قد بحثتِ بالفعل في غرفتها ووجدتِ الحبوب. كنتِ غاضبةً لأنها أخفتها عنكِ، لكنكِ كنتِ تحاولين أيضًا إخافتها كي تفهم أنها على المحك: حياتها المهنية كلها، وهويتها بالكامل. طلبتِ من مارسيلو أن يقطع عنها المساعدة أيضًا - ولهذا السبب رفض مساعدتها. لكن إذا اضطر، فسيفعل، كلنا نعرف ذلك. لكن في هذا الأسبوع، أردتِ أن تخيفيها لتعود للطريق الصحيح. حاولتِ أن تزرعي الشك بداخلي تجاهها أيضًا. كان يجب أن تشعر وكأنها بمفردها».

أعطى مارسيلو إيماءة لطف واعتذار تجاه صوفيا. كنت قد اكتشفت ذلك بسبب ما اعترف به عندما اتهمته بالتحيز بين مايكل وصوفيا. لقد تلعثم قائلًا: **هذا ليس صحيحًا تمامًا.** مايكل أخبرني أن روبرت وأودري استخدما التكنيك نفسه مع كاثرين قبل سنوات عديدة: **قطعا علاقتهما بها.** كانت هذه أيضًا النصيحة التي قدمتها كاثرين لمايكل بمحاولة حل مشكلات لوسي المالية. كملاذ أخير.

- نعود للحبوب، كاثرين. لقد وضعتيها في سيارتكِ للحفاظ عليها بأمان. لكن صوفيا -كانت لا تزال تنظر إلى حضنها، وكتفاها يهتزان بدموع صامتة- لم تتوقف. حاولت استعادة الحبوب. صوفيا، عندما أخبرتني أنك رأيتِ شخصًا في سقيفة الصيانة، لم يكن بإمكانكِ رؤيتهم من البار. كانت العاصفة قد حجبت الرؤية تمامًا؛ لقد كنتُ أجلس بجوار النافذة ولم أتمكن من رؤية موقف السيارات. مما يعني أنه كان عليكِ أن تكوني في موقف السيارات لتشاهدي إيرين تدخل إلى سقيفة الصيانة. نافذة كاثرين لم تكسرها العاصفة، بل أنت من كسرها، في محاولة يائسة للحصول على زجاجة الحبوب التي اعتقدتِ أنها قد أقفلت عليها في سيارتها. لكن كاثرين كانت قد أرسلت آندي للخارج في أثناء العاصفة ليحضر حقيبتها في وقت سابق. كانت تشك بأنكِ ستقومين بمحاولة كهذه، لذا غيّرت رأيها وأرادت أن تحتفظ بها معها في جميع الأوقات. وهذا أيضًا سبب عدم سماحها لي بالاحتفاظ بالزجاجة طوال الليل.

ركعت أمام صوفيا ووضعت يدي على كتفها، وضغطت بلطف: «أنا لا أقول كل هذا بلا سبب، يا صوفيا. سنساعدكِ على تجاوز هذا. لكنني بحاجة إلى أن تكوني صادقة معي في السؤال التالي».

رفعت نظرها إليّ، كانت عيناها شديدتا الاحمرار، وسحبت ساعدها تحت أنفها: «أقسم. أجريت تلك العملية بالطريقة نفسها التي كنت سأقوم بها مع أي عملية أخرى. إنه مثل قصة الطيار المخمور الذي يهبط بالطائرة، أتعرف؟ لم... (تلعثمت) لا أعلم ما الذي حدث. فقط سارت الأمور بشكل خاطئ. منذ ذلك الحين، كانت كاثرين تساعدني. أريد التحسن».

عانقتها وهمستُ في أذنها: «أعرف. أنتِ جراحة ماهرة. لقد تركتِ إدمانك يخرج عن السيطرة، لكن يمكننا إصلاح الأمور. أحتاج فقط أن تكوني صادقة معي هنا، وأن تساعديني في العثور على القاتل الحقيقي. من أجل مايكل ولوسي. أنت قوية بما يكفي للتخلي عن هذا، وأنت قوية بما يكفي لمساعدتي، حتى لو شعرتِ بالإحراج في البداية. شعرت بأنفها يتحرك على رقبتي، صعودًا وهبوطًا. كانت إيماءة بالموافقة. وقفت. لم يكن من العدل أن أفضح أسرار الآخرين بينما أحتفظ بأسراري. حان دوري الآن».

«طلبت مني صوفيا خمسين ألف دولار قبل ليلتين. وهذا اعترافي: لدي أكثر من ذلك بكثير نقدًا معي. نحو مئتين وخمسين - حسنًا، خمسة وأربعين ألفًا. كان هذا المال الذي كان من المفترض أن يدفعه مايكل لآلان هولتون. طلب مني الاحتفاظ به بعد أن ساءت الأمور، ولم أخبر الشرطة. جزئيًّا لأن الموضوع لم يُطرح، وجزئيًّا لأنني... حسنًا... لم أرغب في ذلك. سأعترف بذلك» -رفعت يدي، على أمل أن يجعلني ذلك أبدو كشخص غير معصوم من الخطأ مثلهم، بما أنني كنت أوجه أصابع الاتهام حول الغرفة- «أحضرت المال معي في حال أراد مايكل استعادته. أخبرت صوفيا بما كنت أفعله، وطلبت مني بعضه، قائلة إنه سيساعدها». غيرت نبرتي ووجهت حديثي لصوفيا بتعاطف: «والآن بعد أن علمت أنك هنا لمحاولة التغلب على إدمانك، أصبحت أفهم الأمر بشكل أفضل. لأن مشكلات المال شائعة لدى المدمنين، لكن عندما طلبتِ مني المال، لم يبدُ أنك في حالة يائسة، حياتك لم تكن تعتمد عليه. طلبتِ مني لأن ذلك كان سهلًا، لأن المال كان غير قابل للتتبع ولأنه كان أمامك. دين خمسين ألف دولار لن يدمر حياتك - لديك منزل، لو وصلت الأمور إلى ذلك الحد- لكن صحيح أنك كنتِ تصرفين الكثير من المال على

الأوكسيكودون، وبما أن ما كنتِ تفعلينه قد ينهي حياتك المهنية بسهولة أكثر مما لو كنتِ، لنقل، مدققة مالية، كان المال غير القابل للتتبع مهمًّا. مشكلات المال شائعة بين المدمنين، وكذلك السرقة. لقد سرقتِ شيئًا من أحدنا للحصول على مال سريع، أليس كذلك؟».

أومأت صوفيا وهي تشهق.

«أنا من محبي القواعد - بعضكم يعرف هذا. والخطوة التاسعة في برنامج مدمني الكحول المجهولين هي تصحيح الأخطاء». نظرت إلى كاثرين، التي أومأت مؤكدة، ثم عدت لصوفيا: «أنت أحضرتِ الحبوب، نعم، لكن فقط لتشعري بالأمان. كنتِ تنوين حقًّا اتباع البرنامج هذا الأسبوع. لهذا السبب طلبتِ مني النقود. لم يكن دَيْنًا، لكن كان شيئًا شعرتِ بأنك بحاجة إلى سداده، حتى لو لم يعلم أحد آخر بذلك».

رفع مارسيلو صوته قائلًا: «أعتقد أن شخصًا ما كان ليلاحظ إذا كانت صوفيا قد سرقت خمسين ألفًا. لقد اعترفت بذلك. يجب أن تتوقف».

- صوفيا يمكنها إيقافي إن كنت مخطئًا.

أخذت صوفيا نفسًا عميقًا: «إذا كان هذا مهمًا لمايكل ولوسي... كنت أحتاج إلى المال لأشتري ما سرقته: ساعة رولكس الرئاسية البلاتينية بقيمة خمسين ألف دولار».

سقط فك مارسيلو من الفزع. تفحص ساعته، وضربها بيده عدة مرات، ثم أغلق فمه أخيرًا.

بدت صوفيا مرهقة من الاعتراف، فتوليت زمام الحديث مرة أخرى: «مارسيلو لا يخلع ساعته أبدًا، كلنا نعرف هذا. إلا عندما أجرى عملية إعادة بناء للكتف. كانت جراحة أجرتها له صوفيا. استغلت العملية كذريعة لتبديل ساعته بواحدة مزيفة. لاحظت ذلك لأن مارسيلو لكَمَني على فكي سابقًا وما زلت أحتفظ بجميع أسناني. هذا الطراز من رولكس،

بسلسلة بلاتينية، يُفترض أن يزن ما يقارب نصف كيلوجرام. اللكمة، حتى من رجل مسن -بلا إهانة- كانت ستطرحني أرضًا كأنه يرتدي مفاصل معدنية».

سخرت جولييت قائلة: «كان ليدرك الفرق بالتأكيد، لو كانت المزيفة خفيفة جدًّا».

«أنت محقة. لكن مارسيلو كان يتعافى من الجراحة. أي شيء كان سيشعر أنه طوبة على معصمه في البداية، لذا اعتاد على الوزن الأخف، معتقدًا أن ذراعه يزداد قوة خلال التعافي». رأيت مارسيلو يرفع أوزانًا غير مرئية بيده اليمنى، مختبرًا الثقل، والارتباك يغطي وجهه. «لكن المشكلة كانت أن الساعة لم تكن مجرد ساعة عادية. سأعترف، لقد كنت أشعر ببعض الغيرة تجاهها دائمًا. بحثت عن قيمتها على الإنترنت عدة مرات، فتخيلوا دهشتي عندما أخبرني مارسيلو أن الساعة كانت تخص والدي. صحيح أنه كان مجرمًا، لكنه لم يكن استعراضيًّا. لم يكن يشتري مجوهرات لافتة أو سيارات معدلة. بدا لي ذلك غريبًا. أفترض أنها كانت مسروقة في الأصل، لكن حتى وإن كانت كذلك، لم يكن والدي من النوع الذي يأخذها من غنيمة. ثم علمت بشأن الصور. تلك الصور التي كان الجميع يريدها ولم يجدها أحد، رغم أن رجال العصابة قلبوا البنك الذي كانت زوجته تعمل فيه رأسًا على عقب للوصول إلى صندوق الأمانات الخاص به».

تمتمت والدتي: «روبرت ترك الساعة لجيريمي».

«ساعات رولكس مصممة لتدوم - تعتمد حملتهم التسويقية بالكامل على إمكانية توريثها عبر الأجيال. على وجه الخصوص، إن ساعة رولكس البلاتينية ثقيلة لأنها متينة للغاية؛ حتى إن زجاجها مضاد للرصاص.» كان أحد الإعلانات التي غزت صفحاتي على وسائل التواصل الاجتماعي

يصيح: **محمية مثل خزينة البنك**». «لذا، ستدوم لفترة طويلة وستبقى محمية. لا يوجد مكان أفضل منها للاحتفاظ بشيء جوهري. بشرط أن يكون صغيرًا بما يكفي ليتناسب تحت الزجاج، صحيح؟». أخرجت العدسة المكبرة من جيبي ورفعتها: «جولييت، ألقِ لي ميدالية فرانك، هل تستطيعين؟»

عبست جولييت بارتباك، لكنها استجابت وألقت العلبة الزجاجية من تحت إبطها بحذر.

أمسكت بها. لقد تحققت بالفعل؛ كان ذلك الشيء الوحيد الذي فعلته لتأكيد شكوكي، ولذا كنت أعلم مدى أهميته. كما قلت في الصفحة 144، لم أكتب سبعين كلمة لوصف هذا الشيء عبثًا.

قالت لي جولييت إن F-287، أو فرانك -الطائر الميت فوق المدفأة- كان يحمل خريطة، ومواقع المشاة، وإحداثيات، ومعلومات مهمة أخرى عبر خطوط العدو. لكن، حتى مع التشفير، كانت الخريطة وحدها كافية لتُحمل ثقل على الطائر. «لم أدرك أن والدك قد وضع الرسالة الفعلية التي أنقذت الأرواح في إطار أيضًا، يا جولييت». رفعت العدسة المكبرة تحت الميدالية، حيث وُضعت قطعة صغيرة من الورق مع نقاط غير مفهومة. كان من الواضح، حتى من دون النظر في العدسة نفسها، أنها تُكبر خريطة مفصلة من النقطة الصغيرة: «نحن ننتقل من أسلوب كريستي إلى أسلوب لو كاريه هنا - **ترهات تجسس** كما كان يسميها والدي- لكن تابعني. رغم أن كتاب ‹كيف تفعل› عن هذا الموضوع لم يحقق مبيعات كثيرة، فإنه كان على وشك أن يربح المال. «يُطلق عليهم اسم المايكرودوت». إنها تقنية تُستخدم لتصغير المعلومات. يمكن وضع ورقة بحجم A4 كاملة، أو صورة، مثل خريطة مثلًا، على نقطة بحجم نقطة نهاية الجملة. كان الجواسيس مغرمين بهذه الطريقة خلال

الحرب العالمية الثانية - كانوا يضعونها على ظهر الطوابع البريدية». رفعت العدسة مرة أخرى، «تدحرجت في سيارة مايكل عندما دفن آلان. وأحضرها أيضًا إلى هنا. أخذتها إيرين عندما اعتقله كروفورد. أداة للرؤية يستعملها صائغ المجوهرات». (تذكر، لقد تعلمت كلمة «عدسة مكبرة» فقط في أثناء كتابة هذا الكتاب، لذا سيكون من غير الصادق تزوير حواري). «مارسيلو، ساعتك، الحقيقية، كان بها مايكرودوت تحت الزجاج. روبرت لم يكن يتعاطى المخدرات. الإبرة التي وجدوها على جثته، والتي قادت إلى استنتاج أنه كان مخدرًا ويحاول السطو على محطة بنزين، لم تكن مخصصة للحقن. المايكرودوتس صغير للغاية لدرجة أنني أعتقد أنك قد تحتاج إلى شيء دقيق مثل حقنة أو طرف قلم لتثبيته على سطح».

رفعت العدسة المكبرة.

«لكن كل صائغ رهن يمتلك واحدة من هذه، أو شيئًا أفضل. أي شخص كان سيلاحظ النقطة المجهرية فورًا عند فحص الجودة. كانت صوفيا تعتقد أنها تبيع مجرد ساعة، لكنها كانت تبيع شيئًا أكبر بكثير. أشك في أن صوفيا كانت سيئة الحظ إلى حد بيعها له مباشرة، لكن مايكل أخبرني أن البضائع المسروقة في سيدني تميل إلى المرور عبر متجر آلان. كان على صوفيا أن تذهب إلى مكان مشبوه. ربما أرشدك موزع الأوكسِيكودون إلى المكان المناسب، أو ربما بادلته مقابل مخدرات وباعوها هم. لا أستبعد أن آلان ربما يكون في الصور بنفسه وأن أحدهم نبَّهه. لا أعلم. في كلتا الحالتين، يبدو الأمر كالفراشة التي ترفرف بجناحيها في تركيا وتسبب إعصارًا في البرازيل. باختصار، الساعة الخطأ وصلت إلى الشخص الخطأ. آلان كان يعرف قيمة ما كان بحوزته، والأهم من ذلك، كان يعرف من قد يريده. لهذا التقى به مايكل

في تلك الليلة ومعه حقيبة من النقود. كان يحاول شراء المايكرودوت».
حظيت باهتمام الجميع بشكل كامل. «هل يرغب أحدكم في سد بعض الثغرات هنا، أم أكمل؟».

تطلق على شيء مثل المايكرودوت في كتاب كهذا اسم ماكغافن[1]. لا يهم تحديدًا ما هو، المهم أن الناس على استعداد للقتل من أجله. كما تعلم، الشيء الذي يطارده جيمس بوند دائمًا: محرك USB يحتوي على فيروس يدمر العالم؛ كلمات مرور حسابات بنكية؛ أكواد إطلاق نووية. أو، في حالتنا، صور فوتوغرافية.

قالت أودري، رافعة يديها بإشارة تدل على عدم الهجوم: «لدي سؤال، إرنست، كل ما تخبرنا به يتعلق بمدى صغر الشيء الذي نطارده. مايكل أحضر شاحنة أثاث. من أجل صورة صغيرة؟».

أدركت أن كل من في الغرفة، باستثناء أودري وكاثرين، كانوا يعرفون أن هناك تابوتًا في الشاحنة - إيرين من خلال نبشها له؛ صوفيا وكروفورد من خلال مطاردته؛ آندي وجولييت من محادثتنا مع عائلة ماكولي؛ ومارسيلو لأنني أخبرته.

«كان مايكل بحاجة إلى الشاحنة ليحضر معه تابوت براين كلارك، الذي نبشه هو وإيرين الليلة السابقة. براين هو الشرطي الذي أطلق والدي عليه النار في الليلة التي توفي فيها، وشريك آلان هولتون. مارسيلو لم يكن يعلم ما الذي كان يتخلص منه في الشاحنة، لكنني رأيت ما أراد مايكل مني أن أراه. كان تابوت براين يحتوي على جثتين: إحداهما لطفل». يسعدني أن أقول إن هذا أثار أول شهقة جماعية لهم. «آندي، إذا كان هذا يساعد، هذه **هي** ريبيكا ماكولي. لقد اختُطفت قبل

(1) ماكغافن في أدب الخيال، يعد الماكغافن غاية أو أداة أو واقعة ضرورية لسير أحداث القصة ومحفزا لشخصياتها. لكن لا أهمية لها في حد ذاتها. (المترجمة)

خمس وثلاثين سنة. حاول والداها خداع الخاطفين لتوفير بعض المال، لكن النتيجة كانت عكسية: لم يريا ابنتهما مجددًا».

قالت إيرين: «وروبرت كان لديه صور لذلك. هذا ما تظن أنه موجود على المايكرودوت. دليل على جريمة قتلها؟».

- تمامًا. كان آلان سعيدًا لأن الساعة وصلت إليه، لأنه كان يعرف أن عائلة ماكولي سيدفعون بسخاء مقابل الدليل الذي تحتويه. الجزء التالي يعتمد على التخمين، لكنني أستبعد آلان كقاتل لريبيكا، لأن مارسيلو أخبرني أنه كان رقيقًا، ولأن آلان لو كان الجاني لأتلف الصور بدلًا من بيعها. وبما أنه يبيعها، أعتقد أن خمس وثلاثين سنة كانت كافية وأن آلان قد دمر نفسه خلال حياته وشعر أن حماية الشخص الذي كان يحميه في ذلك الوقت لم تعد تستحق العناء.

توقفت لحظة لأرى إن كان معظم من في الغرفة يوافقون على أن هذا منطقي. كان بعضهم يهزون رؤوسهم بالموافقة. صوفيا بدت وكأنها على وشك التقيؤ. آندي بدا مرتبكًا، وكأني أشرح له الفيزياء الكمومية. جيد بما فيه الكفاية.

- لكن آلان يواجه مشكلة. ربما لم يكن قد قتل ريبيكا، لكنه ليس بريئًا: لقد كان يعمل لصالح عصابة السابرز. استهدف روبرت وساعد في إخفاء جثة ريبيكا، على الأقل، ومن المحتمل أنه تدخل في عملية تسليم الفدية أيضًا. لذا لا يمكنه ببساطة الظهور على عتبة عائلة ماكولي. سيعتبرونه مسؤولًا مثل القاتل تمامًا. لذا فهو بحاجة إلى وسيط.

سألت كاثرين: «لماذا مايكل؟».

- استغرق الأمر مني بعض الوقت لفهم هذا. أعتقد أن آلان أراد شخصًا آخر سيخرج بمكسب من الصفقة، ليكون متأكدًا من أنه يمكنه الوثوق به لتسليم مبلغ كبير من المال. كان لدى أحد أفراد عائلة كانينجهام الكثير ليكسبه من الصور، ومن الأشياء الأخرى التي يعرفها آلان بسبب تورطه. الواضح أكثر هو معرفته لحقيقة روبرت، بالطبع. أظن أن هذه ليست سوى نصف القصة، لكننا نقترب من فهمها. يبدو أن مايكل كان الخيار الأمثل - مارسيلو، أنت كنت محامي روبرت؛ كاثرين، أنت مستقيمة كشفرة حذاء التزحلق؛ أودري، سنك يجعلك خارج اللعبة هنا، دون إهانة. لكن هذا كان خطأ آلان. العلاقة الشخصية التي اعتقد أنها ستضمن الصفقة تحولت لتكون السبب في قتل مايكل له.

- والصفقة نفسها كانت الجزء البسيط في الأمر. السعر الذي حدده آلان هو مبلغ الفدية الأصلي: ثلاثمائة ألف دولار. لذا، يعطي آلان لمايكل ما يكفي من المعلومات ليجذبه هو وعائلة ماكولي، يحصل مايكل على المال من عائلة ماكولي لشراء المايكرودوت من آلان، يعطيه آلان جزءًا من المال، ثم يُعيد مايكل الصور لعائلة ماكولي. كل هذا بسيط جدًّا. بالطبع باستثناء أن مايكل في النهاية يقتل آلان ويحتفظ بالنقود.

قالت صوفيا، متلعثمة وفاجأتني بتركيزها: «لأن مايكل لم يكن لديه ثلاثمائة ألف دولار. لقد قلت لي إنه أعطاك مئتين وسبعة وستين».

قلت: «بينجو. مايكل أخذ جزءًا من المال قبل أن يعطيه لآلان. السبب في ذلك؟» بصراحة، لم يكن لدي أي دليل يدعم هذا، فقط شعور داخلي، لكنني كنت واثقًا للغاية. كما أنني في ذروة تدفق الأحداث، فلم أرغب في التوقف. «لوسي كانت تواجه مشكلات في عملها. كانت تخسر المال

وكانت عالقة بسيارة لا تستطيع تحمل تكاليفها وفق شروط الإيجار القاسية. عندما أخبرتك، يا مارسيلو، في أثناء الإفطار أن ديونها قد سُددت، ظن معظمنا أنها تدافع عن نفسها فقط بغضب كعادتها. لكن اتضح أنها لم تكن تكذب. مايكل استخدم المال لسداد ديونها، بما في ذلك سيارتها، قبل أن يذهب لمقابلة آلان. ربما فعل ذلك ليضمن أنها ستكون بخير إذا حدث أي خطأ». وأيضًا لأنه كان بحاجة إلى توفير فترة راحة هادئة لها ليتركها من أجل إيرين. كنت سعيدًا لأن لوسي لم تكن موجودة لسماع هذه الجزئية. «لكنه لم يدرك تأثير الاقتطاع من المبلغ. آلان ليس غبيًّا - لقد عدَّ المال، اكتشف أنه ناقص، سحب مسدسًا. تشاجرا عليه... وتعرفون الباقي».

قال آندي، غير قادر على احتواء نفسه: «كل هذا ممتع جدًّا. لكن ماذا عن اللسان الأسود؟».

لم أنتهِ بعد من الجميع. إيرين، صوفيا، مارسيلو، أنتم لا تعلمون أن والديَّ ريبيكا ماكولي هنا - إنهما يقيمان في المنتجع عبر التل. بما أن مايكل الآن يمتلك المايكرودوت ويعرف مكان دفن الجثة، يكتب إلى عائلة ماكولي من السجن، طالبًا منهم مضاعفة المبلغ». كشفت لي شيفان ماكولي هذا في سوبرشريد عندما قالت: يريد المزيد من المال مجددًا. أخبرني مايكل في غرفة التجفيف أن ما بحوزته يستحق أكثر بكثير من الثلاثمائة ألف التي حددها الآن كقيمة أصلية. «كان مايكل يخطط للقاء عائلة ماكولي على الجانب الآخر من التل ليبيع لهم كلًا من الصور وجثة ابنتهما - لهذا السبب أحضرها هنا. لقد أخبرك أنه كان ينوي هذا، أليس كذلك، أودري؟».

أكدت أودري: «حذرته من ذلك، وعندما أصرّ، ذهبت إلى هناك لتحذيرهم بنفسي».

قال آندي مجددًا، مقاطعًا من دون أي احترام تصاعد التشويق: «عذرًا، إرنست، لكن كل هذه الأمور المتعلقة بعصابات الخطف تعود لخمسة وثلاثين عامًا. ما علاقتها بالرماد اللعين؟».

رفعت يدي قائلًا: «حسنًا، وصلتني الرسالة. لنعد إلى الحذاء الأخضر. ضحيتنا المجهولة، أو على الأقل مجهولة بالنسبة إلى معظمنا. لوسي هي من حلَّت اللغز أولًا».

قالت صوفيا، وهي ترفع رأسها براحة يدها، وتهتز قليلًا: «إذا كنت تقترح أنها قُتلت لأنها اكتشفت كل شيء... نحن نعلم أنها سقطت - لم يكن هناك أي رماد عليها وكان لديها عدة عظام مكسورة. لم يكن هناك أي دليل على صراع».

وافقت: «لا. لقد قفزت بالفعل». متذكرًا حركتها بمسدس الإصبع عندما كنا نتحدث على السطح وقالت: **كنت أفضل...** «لكنها أخبرتني بالأمس أنها تفضل أن تقتل نفسها على أن تموت مختنقة تحت تعذيب اللسان الأسود. ألقت بنفسها من السطح، ولكن فقط كوسيلة للهرب مما كان على وشك الحدوث. أعتقد أنها صعدت للبحث عن شيء على الإنترنت، للتحقق من شكوكها. شعر القاتل بالخوف وواجهها هناك بعد أن غادرنا جميعًا الحانة. تتذكرون الخوف في وجهها عندما نظرت إلى صورة الحذاء الأخضر؟ كنت أعتقد أنها كانت مرعوبة فقط لرؤية ما حدث بالفعل لمايكل، خاصة لأنها كانت تعتقد جزئيًّا أن الأمر كان خطأها. لكنني كنت مخطئًا. كانت خائفة لأنها تعرفت عليه».

«لم يسبق لأي منا أن رآه من قبل. بحق الجحيم، كيف تعرف لوسي هذا الشخص الميت؟». كان هذا آندي، ولا يزال الأكثر حيرة. بدا على الآخرين أنهم فهموا أجزاء، لكن حواجبهم كانت معقودة، لا يزالون يحاولون فهم كل شيء. كان هناك شخص واحد فقط، بفك مشدود

ووجه خالٍ من التعابير، ومع كل جملة كنت كأنني أشد الرافعة، أشد عضلات عنق **ذلك** الشخص.

قلت: «لم أقل إنها تعرفه، قلت إنها **تعرفت** عليه. قابلته مرة واحدة فقط - أعطاها مخالفة سرعة في طريقها إلى هنا».

تركت ذلك ليستوعبه الجميع. التفتوا لينظروا خلفهم، ليثبتوا أنظارهم على شخص يقف في آخر الغرفة.

«كروفورد، تلك الخطوط من الدم على الجوانب الداخلية لأكمام زيك الرسمي، ليست من حمل الجثة أسفل الجبل. إنها على الجانب الداخلي من الرسغين. من تسبب في تلك البقع حصل عليها من الإمساك بحنجرته.» قلدت حركات تخيلية لحبل بلاستيكي حول رقبتي. «أنت ترتدي معطف رجل ميت».

سأل كروفورد: «ما الذي يفترض أن يعنيه ذلك بحق الجحيم؟».

منحت جولييت ابتسامة ذات مغزى قبل أن أقول ما كنت على وشك قوله، وأنا فخور بأنني لم أضف عليه أي شيء هنا، ثم وجهت انتباهي مجددًا إلى كروفورد: «أقول إن حتى آرثر كونان دويل كان يؤمن بالأشباح. أليس كذلك، جيريمي؟».

أخي

الفصل التاسع والثلاثون

جيريمي كانينجهام، الذي بدا الآن في غاية السخف (حتى إنه كان متنكِّرًا) مرتديًا معطف شرطة ملطخًا بدماء شخص آخر، أعطى ابتسامة ضعيفة وهزة خفيفة برأسه. حاول أن يقول شيئًا - ربما هذا يبدو سخيفًا- لكنه خرج، حسنًا، مختنقًا.

نظرت أودري بدهشة كالجميع؛ من الواضح أنها اعتقدت أن أفراد السابرز قد نفَّذوا تهديداتهم بقتل ابنها. كان جيريمي، مثل رواية أجاثا كريستي الموجودة على الرف، مختبئًا تحت اسم مختلف: داريوس كروفورد، وهو الاسم الذي أطلقه على نفسه حين تقمص دور الشرطي المحلي الأخرق. أما اسمه الآخر، الذي أطلقته عليه وسائل الإعلام، اللسان الأسود، فكان بعيدًا كل البعد عن كونه أخرق. لقد سجل خمس جرائم قتل وجريمة انتحار قسري. كما قلت، بعضنا أصحاب إنجازات كبيرة.

هذه ليست من قواعد نوكس، لكن لا يجب عليك أبدًا أن تصدق أن أحدًا قد مات حتى ترى جثته بنفسك.

توجهت إلى جيريمي مباشرة الآن. عرض المكتبة المسرحي انتهى: «كان يجب أن **يكون** الحذاء الأخضر من السكان المحليين. لهذا السبب أظهرت الصورة لعائلتنا فقط وأخفيتها عن الجميع، حتى عن جولييت، تحت ذريعة تجنب الفزع، لأن أي شخص محلي كان سيتعرف عليه. جميع العاملين هنا على الجبل موسميون – لقد كانوا هنا منذ أشهر.

ربما لم يكن هناك ما يثير الشك في وجود شرطي جديد من البلدة لم يقابلوه من قبل، لكنهم كانوا سيتعرفون على الرقيب فورًا. ولهذا السبب أردته بعيدًا عن الأنظار بسرعة، أقفلت عليه في السقيفة. وأخذت معطفه، لكنك لم تأخذ حذاءه: الأحذية ذات الرؤوس الفولاذية جزء معتاد من زي الشرطي الرسمي، والجثة كانت ترتديها، لكن إيرين داست على إصبع قدمك في أثناء ملاحقة الشاحنة، وتألمت، ما يعني أنك لا ترتديها. كان بإمكانك التظاهر بأنك أي شخص حقًّا، لكنني أعتقد أنك أردت أن تكون شخصًا لديه السلطة لفصلنا عن بعضنا بعضًا. وهذا أيضًا هو السبب الذي أضطرك إلى جعل موت الرقيب علنيًّا، حتى تتمكن من عزل مايكل. لكنك كنت متوترًا، متوترًا للغاية، وكل خطوة اتخذتها لتبدو وكأنك تقوم بعمل شرطي حقيقي - مثل تحديد هوية الجثة والسيطرة على الفزع- كان الهدف منها ضمان أن يبقى تنكرك صامدًا. لذا، عندما سأل أحد من عائلة كانينجهام، أظهرت لنا الصورة. بدا وكأنك تقوم بالأمر الصحيح، لكنك كنت تتأكد من أننا لا نعرف هوية الجثة الحقيقية. لهذا كنت متوترًا عندما كنا بالقرب من الجثة. اعتقدت فقط أنك حساس تجاه الأمر».

- لكن ما لم تتوقعه هو ردة فعل لوسي، حيث تعرفت على الضحية كشرطي كان قد حرر لها مخالفة سرعة في طريقها إلى هنا. عندما غادرت غاضبة، ظننت أنها قالت: «**أنت الرئيس**». لكنها في الواقع قالت: «**إنه رئيسك**». لم تكن تتهمك بعد -كانت تفكر بصوت عالٍ- لكنها شعرت بوجود شيء مريب. لم تدرك الأمر تمامًا إلا عندما وصلت إلى السطح وبحثت في جوجل عن قسم شرطة جنداباين. لكن في ذلك الوقت كنا قد انسحبنا إلى النوم، وتبعتها إلى هناك، ولم تكن تريد أن تموت مثل مايكل، لذا قفزت.

لقد كذبت أيضًا حول كيفية وصولك بهذه السرعة. قلت إنك كنت على الرادار الليلي لتقبض على السائحين المسرعين، لكن هذا لم يكن صحيحًا لأن لوسي، في مرحلة ما، كانت ستتهكم عليك بسبب المخالفة التي حصلت عليها. لم يكن هناك شرطة إضافية قادمة - أخبرتنا أنهم منشغلون بالتعامل مع الطرق، لكن كيف يمكن لحافلتين سياح أن تصلا إلى هنا بينما لا تستطيع سيارة شرطة واحدة العثور على طريقها بعد وقوع جريمتي قتل؟ بالطبع، لم أنتبه لكل هذا في البداية. بدوت جديرًا بالثقة. كانت هناك ثلاث مجموعات من آثار الأقدام متجهة إلى الجثة وواحدة عائدة: كافية لضحية، وشرطي قادم، وقاتل كان قد غادر. ظننت أن هذا يعني أن القاتل هو من أبلغ عن الجثة بنفسه، قبل أن - استخدمت إشارات اقتباس بيدي هنا- يصل **الضابط كروفورد** باعتباره المجموعة الثالثة. كنت محقًّا في أن القاتل هو من أبلغ عنها، أو على الأقل تظاهر بذلك. لأن لا أحد آخر اكتشف الجثة، بل أنت من اكتشفها -كان هذا جزءًا من مسرحيتك. ذهبت إلى هناك مرتين. أول مرة مع الرقيب، عندما وضعت الكيس على رأسه، وقمت باقتياده ليلاقي حتفه، ثم أخذت معطفه، ومرة أخرى في الصباح.

بدت جولييت غير متأكدة من استنتاجاتي: «لكنه وصل على الكاميرا في وقت لاحق، لقد رآه كلانا».

- أعتقد أنك كنت تتفقد المنتجع في أثناء تخطيطك لملاحقتنا هنا. الكاميرا الثلجية موجودة على صفحتهم الرئيسة، لذا كنت تعلم أن المدخل، بطريقة ما، تحت المراقبة. أفترض أنك هاجمت الرقيب على الطريق، حيث أوقف سيارة الدورية لإعداد جهاز مراقبة السرعة. أعلى التل كان بإمكانك الحصول على تغطية للهاتف للتحقق من الموقع الإلكتروني. كنت قد فكرت بنفسي أنه إذا

انطلقت بأقصى سرعة، يمكن للسيارة أن تتفادى الفترة الزمنية التي تُحدث فيها الكاميرا كل ثلاث دقائق. ثم كل ما عليك فعله هو العودة لاحقًا والتأكد من أنك ظهرت في الكاميرا وقت وصولك الصحيح. يبدو أنك تتجه نحو موقف السيارات في الصورة، صحيح، لكن ذراعك فوق مسند الرأس الخلفي. أنت تسير للخلف.

«جيريمي؟ لا يمكن أن يكون». كانت كاثرين تحدق إليه وكأنه عاد من جزيرة مهجورة. ثم التفتت إلى أودري: «كيف لم تعرفي؟».

أجابت أودري، «أفراد السابرز أخذوه، كاثرين. لكن لم يكن هناك طلب فدية - أرادوا الصور. الصور التي كان إرنست يتحدث عنها. لم أكن أعلم بشأن الساعة أو أي شيء آخر... وجيريمي، إذا كان هذا أنت، لقد حاولت - حاولت العثور عليهم. قالوا لي إنهم بحاجة للتأكد من أنني لا أخفيها. لذا قالوا إنهم اضطروا إلى.. (اختنقت وهي تقول الكلمة) ليتأكدوا من أنني أقول الحقيقة». تحرك مارسيلو باتجاه كروفورد/ كانينجهام (ما أهمية الاسم؟)، لكن أودري أمسكت بيده. رأيتها تضغط على يده وترك ذراعه يتدلى خلفه، كأنه كلب بيتبول مقيد بطوق: «لم أستطع إخبار الشرطة، ليس فقط لأن آلان **كان** شرطيًّا في ذلك الوقت، بل أيضًا لأنني كنت أخشى أن يعودوا من أجل مايكل وإرنست. عائلتنا فقدت الكثير بسبب هذه الصور التافهة، أردت فقط أن ينتهي كل شيء. لذا تظاهرت. إذا كنت حقًّا أنت، جيريمي، فأنا آسفة. هل أنت متأكد، إرنست؟ هل أنت متأكد حقًّا؟».

قلت: «أخبرني مايكل عن محاولة آلان فالتواصل معي أولًا، أخبرت مايكل أن هذا لم يكن صحيحًا، مقتنعًا بأنها كذبة نسجها آلان ليبني ثقة معه. لكن بعد ذلك فكرت في الأمر. آلان قال إنه تواصل مع **شقيق**

مايكل. لم تكن تعرف أنك متبنٍ حتى تواصل معك، أليس كذلك، جيريمي؟».

بلع جيريمي ريقه، وعض على شفته، ولم يقل شيئًا.

- لكن بالطبع، آلان كان يعرف أنك على قيد الحياة. مارسيلو أخبرني أنه لم يكن لديه الجرأة للقتل - ربما كان هو من تركك تذهب؟ لكنك لا تتذكر أي شيء من ذلك، ثم يأتيك رجل لا تعرفه، يتحدث عن عائلة لم تكن تعلم أنك جزء منها. مارك وجانين ويليامز كانا مشهورين برعايتهما للأطفال، وأعتقد أنهما استقبلاك، لكن ربما لم تعرف يومًا أنك لست ابنهما. وأظن أنك لم تتقبل الأمر بشكل جيد عندما اكتشفت أنهما لم يخبراك بكل شيء. كتبت رسالة إلى مايكل في السجن، تحاول فيها توضيح ما حدث، ومن الشخص الذي كنت تعتقد أنك عليه، بينما كنت تحاول جمع القطع معًا. لكن مايكل اعتبر اسم جيريمي كانينجهام في الرسالة تهديدًا. سألت مايكل إذا كان هناك اسم على الرسالة، فأجابني بابتسامة شبه ساخرة، أوه، **كان هناك اسم... كانوا يحاولون فقط استفزازي.** من المنطقي أن يعتقد ذلك، خاصةً إذا أخبره آلان أي شيء عما فعله أفراد السابرز بأمنا. فإنه لن يصدق الأمر، وأنا ظهرت في الإعلام كشخص خائن للعائلة على أي حال، فإلى من كان بإمكانك اللجوء؟ إلى شخص قريب منه. لوسي. كانت لوسي تنتظرك لتصل، وعندما لم تصل بعد، شعرت بالقلق من احتمال أنك قد تكون الحذاء الأخضر. عالقًا في الخارج بسبب حادث رهيب. لقد كانت قلقة بشأن وجود الشرطة العامة في حالة وقوع جريمة قتل لم تُحل، وسيكون هذا وضعًا صعبًا بالنسبة إلى مايكل. لكنها كانت قلقة من أنه إذا كنت قد تجمدت طوال

الليل، فسيخرب ذلك خطتها ليس فقط لتعيدك إلى مايكل، ولكن ليُنسب الفضل في ذلك. حاولت التعرف على الجثة: راجعت قوائم الضيوف قبلي. سألتني إذا كانت الجثة تشبه مايكل. لم تسألني إن كانت الجثة هي مايكل. كانت تسأل عن وجود تشابه عائلي. كانت على السطح تحاول إرسال رسالة نصية إليك لتتحقق من مكانك». لقد أخبرتني أن هذه العطلة كانت فرصتها **لإعادة العائلة** لمايكل. لم تكن تتحدث عن نفسها. سبب آخر لكونها كانت محطمة عندما أدركت من قد تكون حقًّا، وما الذي قد تكون تسبَّبت فيه: هي التي دعتك إلى هنا.

وكالعادة، كان آندي يسرق لحظات الانتصار الخاصة بي: «بالضبط كما خططتِ لها، كاثرين. إنه لم شمل عائلي لعين».

لم يكن هناك سوى صوت الرياح بينما كان الجميع في محاولة لاستيعاب الأمر.

أخيرًا، تحدث جيريمي: «هذا ليس ما توقعته، أن أكون في غرفة معكم جميعًا».

كانت يده تمسك بالرف، يحفر في الطلاء حتى سقطت رقائق منه، وعيناه تنتقلان بيننا. كان هناك الكثير منا بينه وبين الباب لمنعه من الهرب، وهناك نافذة المكتبة المغطاة بالجليد خلفه. كان بإمكانه ربما أن يخرج عبرها، اعتمادًا على نعومة الثلج في الأسفل، لكنني كنت واثقًا أن أحدنا كان سيتمكن من إمساكه إذا حاول هذا.

«أنا.... (تردد). انتظرت طويلًا لأقابلكم. كنت أظن أن الأمر سيكون مختلفًا». كان لديه نفس تلك النبرة الحزينة التي استخدمها عندما سمح لي بالدخول لرؤية مايكل في غرفة التجفيف. **أنت تهتم به حقًّا، أليس كذلك**؟ ... لم يكن لدي إخوة وأنا صغير. «كنت دائمًا مختلفًا عندما كنت

صغيرًا. لم أكن أندمج. كنت أتشاجر كثيرًا. ثم والدت...». توقف فجأة، وأمكنني رؤية الغضب يتصاعد عند فتحة أنفه. «كنت أظن أن آلان كاذب في البداية. كنت دائمًا أناديهم بوالديّ. سألتهم، وهم فقط...». كان واضحًا أنه يعاني بسبب الذكرى. «**اعترفوا** فقط. وهؤلاء الناس، الذين ظننتهم عائلتي طيلة حياتي، بدت عليهم السعادة حيال الأمر. لم يتمكنوا من إخباري من أنا. كان لدي إخوة وأخوات بالتبني، لكن آل ويليامز كانوا يخبرونني دائمًا أنني ابنهم. قالوا إنهم لا يعرفون أي شيء آخر، وأنهم أخذوني بلا اسم، عندما كنت في السابعة من عمري».

صاحت أودري: «السابعة؟ لا عجب أن لا أحد كان يعرف من تكون. ماذا حدث لك في هذين العامين؟».

«لا... أتذكر». بدا جيريمي وكأنه يبحث عن شيء غير موجود. لقد كان صغيرًا جدًّا، منكسرًا للغاية، أو مُعنَّفًا، ربما؛ كل تلك الذكريات كانت مكبوتة. كان السابرز خائفين جدًّا من أن تكشف أودري أسرارهم لدرجة أنهم أخبروها بأنهم قتلوا ابنها لضمان أنها لن تخونهم، لكنهم لم يمتلكوا الشجاعة لتنفيذ ذلك بأنفسهم؛ فقط تركوه في الشارع ليموت. كم من الوقت احتجزوه وكم عاش بمفرده شيء لن أعلمه أبدًا. ولكن كيف يمكن لتلك التجربة أن تُحَوِّل عقلًا صغيرًا - حسنًا، لم أحتج النظر بعيدًا لأفهم. في ذلك الوقت، لم تكن فحوصات الحمض النووي تُستخدم قبل ثلاثين عامًا، ولم تكن تقارير الأشخاص المفقودين منتشرة عبر الإنترنت البدائي. كان تحليل الشعر يمكنه كشف النسب العائلي، لكنه لم يكن مقبولًا في المحكمة - اسأل فقط المحقق الكوينزلاندي الذي عبر خطوط الولاية ليواجه أحد أفراد عائلة كانينجهام. **كنت أتشاجر كثيرًا.** عبر خطوط الولاية تلك، كان يوجد جيريمي. طفل بلا اسم في مدينة لا يعرفها.

تابع جيريمي: «لكن آلان أخبرني أنه يعرف من أكون، قال إنه راقبني، واعتنى بي عندما كنت أصغر سنًّا. قال إنه كان من المفترض أن يقتلني، لكنه تركني أرحل ويجب أن أكون ممتنًا لذلك. كان يعرف أن آل ويليامز لديهم المال، وأراده مقابل الصور التي قال إنها ستساعدني على إيجاد السلام. لكنني طلبت منه أن يبتعد، وآخر شيء رأيته كان على الأخبار. لقد قُتل».

شجعته على الاستمرار: «إذًا، هل واجهت آل ويليامز؟».

- هؤلاء الأشخاص الذين تجرأوا على القول إنهم عائلتي، استمروا في الكذب. فقط استمروا في الكذب، قائلين إنهم لا يعرفون من أكون! شعرت بالغضب و ... لم أكن أنوي... وجدت وسيلة لجعلهم يشعرون بما شعرت به -شدَّ ياقته من عند رقبته- فقط لا أستطيع التنفس عندما أكون غاضبًا.
- وأليسون؟ لقد تتبعتها بسبب مشاركتها في قضية عائلة ماكولي. كيف عرفت هذا الأمر؟

فرك جبينه، ومرر لسانه حول أسنانه: «لا. تتبعتها لأنني أردت أن أسألها بعض الأسئلة، لمعرفة المزيد عن آلان. فهمت أنها كانت رئيسته. (كانت ياقته تتعرض لمزيد من الشد). لم أدرك أن كل هذا كان خطأها. هي من جعلت والدي، والدي الحقيقي، يستمر في شيء قد يودي بحياته، فقط لتغطية عجزها. فقط أردت أن أسألها بعض الأسئلة. بصدق».

كان من الواضح أنه كان يبذل جهدًا واعيًا ليفصل نفسه عن أفعاله، لكنه كان يؤمن بأن يده كانت مجبورة. لا يمكن أن تكون مجبورة لتلك الدرجة، بما أنه جلب كل الأدوات اللازمة لإعادة بناء تقنية تعذيب قديمة، لكنني لم أكن لأصحح له.

كان هناك شيء مظلم خلف كلماته، يناشدنا كأننا متشابهون: «تتفهمون الأمر، أليس كذلك؟».

فتحت ذراعيَّ. «إذا كنت يائسًا لتكون جزءًا من عائلة، فنحن جميعًا هنا. لماذا قتلت مايكل؟».

قال بأسى: «مايكل كان من المفترض أن يكون مثلي. أقصد، في يوم من الأيام يظهر رجل لا أعرفه ليخبرني بأنني من عائلة كانينجهام، ثم أرى في الأخبار أن شخصًا من عائلة كانينجهام قد قتله. بعدها بدأت أبحث عن روبرت، ووجدت أنه قتل براين كلارك، وبدأت أفكر ربما لم أكن وحدي بعد كل شيء، ربما لم أكن الوحيد الذي يشعر... **بالاختلاف**».

- كان هذا الوقت الذي تواصلت فيه مع مايكل؟

«لم يرد على رسالتي. كنت أتفهم لماذا لم يصدقني. لذلك كنت بحاجة إلى طريقة أخرى. زوجته كانت أكثر استعدادًا للمساعدة. أخبرتني بموعد إطلاق سراحه. عن عطلتكم هنا. لم أستطع الانتظار: لم يكن لقائي بمايكل فقط بل بالآخرين أيضًا». كان يبتسم بطريقة غريبة، مستمتعًا بإعادة عيش الإثارة التي شعر بها عند تخطيطه للقائنا لأول مرة، عائلته الحقيقية. «لكنني أردت فعل الأمر بالطريقة الصحيحة - أردت أن تكون المرة الأولى التي ألتقي به أن تكون بيننا فقط، وأردت أن أثبت لنفسي أنني جدير بهذه العائلة. عندما ذهبت إلى السجن قبل يوم من خروجه، لم يكن هناك. فأسرعت إلى هنا. الشرطي المحلي، كان متوقفًا على الجانب الخطأ في الوقت الخطأ، وتضحيته أعطتني الفرصة لأظهر لكم من أكون».

تبادلنا أنا وجولييت نظرة قلق عند كلمة تضحية. كان جيريمي يتحدث بحماس شديد الآن، مأخوذًا بأسطورته الخاصة.

- لقد منحتني تلك **التضحية** الفرصة أيضًا للحصول على مايكل بمفرده. وكان بإمكاني أن أجعل مبرراتي مقنعة لأنني كنت أعلم أنه كذب عليكم جميعًا بشأن موعد إطلاق سراحه. أردت إخباره مباشرة، لكن الجميع كانوا يتملقون من أجله وعرفت أن تلك هي الفرصة الوحيدة التي سنكون فيها وحدنا طوال عطلة نهاية الأسبوع. ثم بدأ الجميع بالصراخ، وربما لم يكن اختياري للملابس ذكيًّا كما ظننت، لأنني فجأة أصبحت مضطرًا للمساعدة في كل شيء، وكانت جولييت ملتصقةً بي كالغراء، أو أن الناس سيبدؤون بطرح الأسئلة. لم أستطع الانفصال للوصول إلى مايكل. كان ذلك فقط بعد أن تحدثت إليه يا إرنست، حين تمكنت من أن أريه... أن أريه أنني أنتمي. أن أريه أنني مثله.

نظرية صوفيا كانت صحيحة: **اللسان الأسود يعلن عن نفسه. يريدنا أن نعرف أنه هنا.**

يبدو أن جيريمي ظن أنه وجد مكانه في عائلة من القتلة. وفاة الضابط كانت لا شيء أكثر من طائر ميت وضع عند باب المنزل من قِبل قطة برية، كقربان.

قاطعته قائلًا: «لكن مايكل لم يرحب بالأمر، أليس كذلك؟ لقد كان مرعوبًا. كان من الواضح عندما تحدثت إليه أنه أمضى السنوات الثلاث الماضية يتعلم كيف يتعايش مع حياته السابقة ومع القتل الذي قام به، وخرج من تلك التجربة وهو يرغب في أن يكون شخصًا أفضل. لكن هذا ليس ما كنت تتوقعه، أليس كذلك؟ هل جعلك تشعر وكأنك غريب مرة أخرى؟».

- كان من المفترض أن يكون مثلي. **أنتم** من المفترض أن تكونوا مثلي! حاولت التفاهم معه. كنت أعلم أنه سيخبركم عند أول

فرصة تتاح له. وكان يعرف - كان لديه تلك الصور التي حاول الآن بيعها لي أولًا وكان يعرف مَن آذاني، ألحق **بنا** الأذى، عندما كنت طفلًا، لكنه رفض أن يخبرني. قال إنني سأقتلهم، وأنه تعلم أن هذا ليس الطريق الصحيح للمضي قدمًا، وعندها أدركت أنه لم يكن مثلي على الإطلاق. لقد جعلني أشعر **بالوحدة**، تمامًا كما فعل والداي المزيفان. أحيانًا... **لا أستطيع التنفس** عندما يكون الناس... (كان يسحب ياقة قميصه مرة أخرى). الأشياء التي كان يقولها. لم أستطع التنفس... ثم المرأة...

«لوسي». لقد كنت متفاجئًا، ومتأثرًا قليلًا، حين سمعت أودري تصحح له.

صوته أصبح شجيًّا، يتوسل. لقد كان يعتقد حقًّا أننا سنكون جميعًا مثله، وكان مصدومًا لأننا لم نكن كذلك: «حاولت أن أجد طريقة للمغادرة، لكن كيف أستطيع ذلك بينما جميعكم ترفضون الرحيل وأنا مضطر إلى لعب دور الشرطي؟ وهي فهمت الأمر. كانت تنتظرني، ولم أظهر. وعندما علمت أن الجثة الأولى كانت لشرطي، انكشف أمري. توسلت إليها أن تلتزم الصمت. أعطيتها الخيار، تفهمون؟ لكنها اختارت القفز».

«لماذا؟» كانت تلك كاثرين، تعبير القرف في كلامها لخص شعور الغرفة بأكملها: «لماذا يظن أي شخص أن **عائلتنا** هي المكان المناسب الذي يمكنه الانتماء إليه؟».

كان جيريمي يصرخ الآن: «مايكل لم يمتلك الحق! لم يمتلك حق إخباري إلى أين أنتمي. أن يخبرني أن ما فعلته كان خطأً. يا له من منافق! (بصق الكلمات التالية). انظروا إلى أنفسكم. عائلة كانينجهام. جميعكم قتلة، أليس كذلك؟».

نظرنا جميعًا إلى بعضنا. رفع آندي يده على الأرجح ليشير إلى أنه لم يقتل أحدًا، لكنه أمتنع عن فعل ذلك.

تخيلت جيريمي، جالسًا مستندًا إلى حائط شقة أليسون همفريز المشبعة بالدخان، باب الحمام مغلق، ينظر إلى يديه المرتجفتين والرماديتين، بعد أن عرف عن عائلته الحقيقية. كان يسهل البحث عنا على الإنترنت. الجميع يعلمون أي نوع من العائلات نحن. مايكل، روبرت، كاثرين -وبعدها صوفيا- جميعهم كانت لهم حوادث علنية، بعد أن تم الإبلاغ عنهم كأشخاص يداهم ملطخة بالدماء. كنا سيئي السمعة، في دائرة الإعلام والشرطة. وجدنا جيريمي، واستجمع قواه وتفكيره، **لست مختلفًا كثيرًا بعد كل شيء.**

كان هناك ضجيج خطوات خلفنا. استدرنا لنرى جافين، الذي بدا متفاجئًا برؤية الجميع في حالة من الانفعال. قال: «الحقائب جاهزة». ثم توقف فجأة وقال: «من مات؟».

كانت هذه اللحظة كافية لجيريمي كي يتحرك. التفتنا لنراه وقد أسقط غطاء المدفأة بصوت مدوٍّ وتسلح بعصا حديدية. تقدمت جولييت نحوه، لكنه لوّح بها محدثًا قوسًا فتراجعت. لم يكن لديه مكان ليذهب إليه، لكنه كان يلوح بالسلاح الحديدي الثقيل في الهواء بلا مبالاة.

همس باستهجان: «كان بإمكاني أن أترككم هنا فقط، حتى الآن، ربما كنت سأفعل. بعد لوسي، ظننت أنني فعلت ما يكفي لأختفي. لكن الآن عرفت أنني تُركت **لأقاتل بمفردي**. تخليتم عني، وأصبحت منبوذًا. من قبلكم». كان يتحدث إلينا جميعًا، لكنه كان يحدق إلى أودري: «على الأقل سنحترق معًا».

اندفع نحو النار بالعصا الحديدية، فتراجع الجميع إلى الخلف، لكنه كان يغرسها في النار. مستخدمًا العصا كرافعة، قذف بجذع خشبي

مشتعل على السجادة. هبط الجذع على الأرض بصوت مكتوم، ناشرًا شرارات مشتعلة في الهواء. حبسنا جميعًا أنفاسنا. كانت جولييت قد أخبرتني أن والدها بنى بيت الضيافة في أواخر الأربعينيات، مما يعني أنه مبني من الأخشاب، واختصارات في البناء، والأسبستوس[1]: الجدران كانت أشبه بأعواد الثقاب. بعض أجزاء السجادة أصدرت صوتًا خافتًا وتحوّل لونها إلى بني، لكنها كانت رطبة جدًّا لتشتعل؛ فقط استقر الجذع هناك مغمورًا بالدخان. صمتنا جميعًا، بينما كان جيريمي بائسًا، والبقية مندهشين من خطة هروبه المفتقدة للإبداع.

ثم، فجأة ومن العدم، انفجر أحد الكتب على الرف. كانت هناك شرارة واحدة انتقلت، وأشعلت الصفحات الجافة التي بدت كالأوراق المتساقطة.

لم يكن مفاجئًا. كانت هذه الكتب، وربما أنا أيضًا، الشيء الوحيد في المنتجع الذي لم يكن مبللًا حتى النخاع. أتمنى لو أخبرتكم أن الكتاب الذي انفجر كان كتاب **جين إير** (سيكون ذلك مناسبًا، بالنظر إلى ما سيحدث)، لكن هذا لن يكون صحيحًا.

بمجرد اشتعال الكتاب الأول، تبعه البقية واحدًا تلو الآخر، مثل الفشار في الميكروويف، تشتعل فيها النيران بينما تهتز الشرارات. وبعضها، كما خمَّنت، نظرًا لأن الأمر كان تلقائيًّا. فقد خضعوا لضغط أقرانهم من الكتب المحيطة بهم. ثم أصبحت الجدران مشتعلة. بدأت الأرض تتبخر، وتجف بفعل الحرارة، ثم ظهرت بقع متوهجة في المناطق الجافة.

اندفعنا جميعًا نحو الباب. كانت إيرين أول من خرج. سحبت صوفيا لتقف على قدميها، ووضعتها على كتفي بذراعي السليمة. كان

(1) هي مادة كانت تُستخدم قديمًا في البناء بسبب قدرتها على مقاومة الحرارة، لكنها معروفة بأنها ضارة للصحة وقد تؤدي إلى أمراض رئوية عند استنشاقها. (المترجمة)

مارسيلو يسحب أودري، التي كانت مذهولة وتبكي؛ لقد أسقطوا أحد كراسي العروش الحمراء، مما أشعل نارًا صغيرة في وسط الغرفة. كانت جولييت تصرخ، وتلوح بذراعيها. الآن بدأت النيران تشتعل بقوة. أسقط جيريمي العصا الحديدية وضرب نافذة خلفه بمرفقه، محطِّمًا إياها. دخل الهواء، ليغذي اللهب، الذي تضاعف حجمها ثلاث مرات بصوت هسيس الرياح القوي. أصبحت الغرفة F-287 كتلة متفحمة. لم أكن سأغادر أنا وصوفيا حتى يتجاوز مارسيلو وأودري الباب، لأتأكد من سلامتهما. فقدت رؤية عمتي وعمي، لكنني لمحت كاثرين تتحرك في الاتجاه الخاطئ.

صرخت: «كاثرين، اذهبي فقط!». لكن فحيح النيران كان لا يصدق. كل شيء غرق في صوت فحيح اللهب. شعرت بالألم من شدة الحرارة، وعرفت أننا نقترب من نهاية الوقت. خلفي كان المدخل يصدر صوت همسات بالبخار. حالما يجف الإطار، سيشتعل بدوره، ثم السجادة في الممر، الدرابزين، السلالم، وسرعان ما سيحترق المبنى بأكمله.

تجاوزني مارسيلو، وأودري الآن بمفردها. وضعت صوفيا على كتفيه وركضت نحو النافذة، متجنبًا منطقة النار حيث الكرسي الأحمر. بينما مررت بجانبها، اشتعلت النار بالكامل. لقد احترقت الأرضية أسفلها، وسقطت إلى الطابق السفلي. إذا لم نتحرك بسرعة، ستشتعل تلك المنطقة أيضًا، وتصل إلى المدخل وتسد طريقنا نحو الباب الرئيس.

وصلت كاثرين إلى جيريمي، الذي وضع قدمًا واحدة خارج النافذة. كان قد أزال أكثر القطع حدة من عتبة النافذة، واستعدّ للقفز. مدت كاثرين يدها وأمسكت بكتفه، لكن جيريمي شعر بحركتها، فاستدار وأمسكها من عنقها. اختنقت، ودفعها نحو غطاء المدفأة، فارتطم رأسها بالزاوية الحادة محدثًا صوت **فرقعة**. ضغط على عنقها بقوة أكبر،

وانتفخت عينا كاثرين. صرختُ مجددًا، لكن صوتي تلاشى مع انبعاث اللهب، الذي تغذيه الرياح، فأحرق جانب وجهي. شممت رائحة شعر محروق. كنت بعيدًا جدًّا. رآني جيريمي، ثم نظر مرة أخرى إلى كاثرين. كان هناك دم على زاوية الغطاء. انعكست النيران في عيني جيريمي، لكن كان هناك شيء مشتعل بداخلهما أيضًا. سحب رأس كاثرين للخلف، ودفعها مرة أخرى باتجا...

كان صراخ الحرب الصادر من آندي مدويًا لدرجة أنه تغلب على عواء النار. كان قد أمسك بالعصا الحديدية واندفع نحو جيريمي. اتسعت عينا جيريمي. رفع آندي ذراعه ليوجه ضربة - قوسًا واسعًا طويلًا، بوقفة مرتخية مثلما كان يستعد لضرب كرات الجولف التي لم تتح له الفرصة لضربها من على السطح - ثم أطلق الضربة بالعصا الحديدية.

عمي

أحدث جانب وجه جيريمي صوت **فرقعة،** لقد ضربه تحت أذنه وعلى خده. بدا أن فكه قد انفصل عن وجهه، مما أعطاه تعبيرًا واسعًا من الدهشة. ثم بدأ الدم يتدفق من فمه. أسقط كاثرين، التي زحفت نحو ذراع آندي الممدودة. أخذ جيريمي خطوتين باتجاهي (وفكه المتأرجح كالبندول يتمايل).

لكنه لم يصل إليَّ. ربما كان متفاجئًا عندما انهارت الأرضية تحته، لكن فكه لم يكن بإمكانه أن يسقط من التفاجؤ أكثر من ذلك. اختفى، إلى النيران العاتية في الطابق الأول.

أنا وكاثرين وآندي هرعنا حرفيًّا للخروج من الغرفة. كانت كاثرين بيننا، ساقاها تدوران على الأرض بينما كنا نسحبها نحو الأسفل عبر السلالم. كانت إيرين تقف عند المدخل، تلوح لنا لنسرع. كانت بقع النيران تتراقص عبر المدخل، لم تصبح عائقًا بعد، لكن الطلاء على السقف كان يغلي، والنيران تزحف عبر العوارض الحديدية. سقطت الثريا بتحطم هائل تمامًا عندما وصلنا إلى الباب.

انهرت عند أسفل درجات المدخل الأمامية. الزحف في الثلج من دون قفازات يشبه العدو عبر الرمال الساخنة - يحرق ويلسع الجلد. ثم شعرت بأنني أُرفع، وأدركت أن إيرين كانت تمسك بي، تسحبني عبر الثلج حتى وصلنا أخيرًا إلى حفر مائية[1] وجلسنا نراقب الجحيم، وأعيننا

(1) الحفر المائية، يتسبب فيها لاعبو الجولف في أثناء تصويبهم بكرة الجولف على الهدف. (المترجمة)

شاردة، نسعل، ومندهشون أننا ما زلنا أحياء. كان هذا هو الحريق الذي رأيته في المنشور السياحي، أخيرًا.

لم تهدأ العاصفة. كانت الرياح باردة، وندف الثلج ما زالت تلسع جفوننا وخدودنا، ولأول مرة لم أمانع ذلك على الإطلاق.

•

الفصل الأربعون

لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى انهار السقف. تبعته الجدران بسرعة، وهي تنهار للداخل، مرسلة وابلًا من الشرر في الليل مع صوت هسيس، لو كنا في فندق مختلف وفي كتاب من نوع أدبي آخر، لربما كان هذا تحررًا للأرواح.

التفتت جولييت إلى جافن وقالت: «أعتقد أنني مستعدة للبيع، بما أنني أنجزت أعمال الهدم من أجلك».

بعضنا، ممن كان لديه طاقة متبقية، ضحك. بدأ الناس يحتضنون بعضهم بعضًا. آندي، رغم كل ملاحظاتي الحادة حتى الآن، كان يحتضن كاثرين كما لو كانت تمثل له الشيء الوحيد في العالم. مارسيلو وأودري ضما صوفيا بينهما. ربتت جولييت على ظهر جافين بروح من الصداقة المتينة. لم نفعل أنا وإيرين شيئًا من هذا القبيل، لكننا كنا بالقرب من بعضنا. كنت أعرف أن النار بعيدة جدًّا لتكون مصدر شرارة لنا، لتعيد إشعالنا، وهذا كان جيدًا.

سألت كاثرين، مشيرة إلى الأنقاض: «ما هذا؟».

كان هناك ظل مظلم يتحرك عبر الثلج الأبيض، مضاءً من الخلف بجمرات متوهجة. ربما قطع مسافة خمسين مترًا من الحريق، ثم انهار في الثلج.

قال آندي: «لنغادر من هنا».

«هل يتحرك؟». لا أستطيع أن أتذكر من قال ذلك.

قالت جولييت معللة: «إذا كان مصابًا، لا يهم من يكون أو ما فعله، لا يمكننا فقط تركه هنا بهذه الحالة».

فوجئت بسماع نفسي أتطوع بذلك: «سأذهب لأتفقده». كانت هناك همهمة اعتراض ضعيفة لم تتغلب على شعور الارتياح بأنهم ليسوا من يتوجب عليهم الذهاب، فنهضت متثاقلًا واتجهت نحو الشكل. كانت لدي ذاكرة حية لظل أسود آخر في حقل من البياض، لكنني أبعدتها.

وصلت إلى الجسد. كان جيريمي. مستلقيًا على ظهره، وعيناه مغمضتان. شعره كان محترقًا، وخدوده مشوية في بعض الأماكن وملطخة بالرماد في أماكن أخرى. صدره يرتفع وينخفض ببطء شديد. جلست بجانبه، لأنه لم يكن هناك شيء آخر لأفعله.

تحدث جيريمي ببطء، وقال بصوت خافت بلدغة مع انزلاق فكه المكسور ولسانه المغطى بالدماء السوداء: «من هذا؟».

- إرنست... أخوك.

ساد الصمت لفترة.

ثم سأل: «هل تحلم بالاختناق؟».

اعترفت: «أحيانًا». كنت أفهم الآن سبب الرماد، والاختناق، والعذاب. تلك الصدمة المكبوتة التي تسربت، بسبب شعوره بأنه محاصر في تلك السيارة. الأشياء التي لا يستطيع تذكرها، لكنها تظهر لتطارده. **لا أستطيع التنفس عندما أكون غاضبًا.**

قال: «حسنًا.» بدا راضيًا. ربما لأنه شعر أنني مثله. كان هذا كل ما أراد معرفته.

استمر في اللهث لوقت طويل. توقف صدره عن التحرك.

ثم، عندما كنت على وشك المغادرة، بدأ يتحرك مرة أخرى.

نظرت من خلف أخي إلى الخزان الأصفر لجافين. كان هناك مجموعة من الأشخاص، قلة منهم فقط يشاركونني الدم، وحتى أقل منهم يحملون لقبي. كانوا مزيجًا من شرطات الوصل والبادئات وألقاب الأزواج وأسماء الأزواج السابقين والألقاب التي تحتوي على كلمة غير. وكان هناك فرد آخر من عائلة كانينجهام يرقد بجانبي، يكافح ليتنفس.

كنت متلهفًا جدًّا لتكوين عائلة، لإجبار إيرين على تكوينها لي، لدرجة أنني نسيت العائلة التي تشكلت حولي. **العائلة هي الجاذبية.** أدركت حينها ما قالته لي صوفيا في بداية كل هذا. العائلة ليست بمن يجري دمهم في عروقك، بل فيمن تُضحي بدمك لأجله.

أنـــا

الفصل الحادي والأربعون

قلت، وأنا أسحب نفسي إلى أعلى الدرج وأدخل العربة الثلجية: «يمكننا الذهاب».

كانوا جميعهم قد تجمعوا في المركبة عندما عدت. ضغط جافن على المحرك، الذي شق الهواء الليلي بسعال إيقاظه.

سألتني كاثرين بينما جلست بجانبها: «ماذا حدث؟».

- وصلت هناك، ثم توقف عن التنفس.

- توقف عن التنفس فقط؟

- توقف فقط.

سألت أودري، وكان في صوتها أمل، لكن لم أكن متأكدًا إن كان بسبب موته أو بقائه على قيد الحياة: «هل مات؟».

- نعم.

- هل أنت متأكد؟

- نعم.

- كيف؟

- توقف عن التنفس فقط. لنعد للمنزل.

الخاتمة

ثُبتت لافتة للبيع في الأرض بتراخٍ وشكل غير متوازن ينبع من ثقة بالعمولة الأكيدة. جاءت جولييت لتساعدني في تعبئة آخر أغراضي. كنت أنا وإيرين قد قررنا أن أفضل طريقة للمضي قدمًا، إن كنا نريد بداية جديدة، هي بيع البيت وترك جميع الذكريات والأفعال وراءنا. التقيت بجولييت عند المنزل، قادمًا لتوي من إفطار كان هادئًا بشكل رائع.

فتحت جولييت الباب. كان المنزل خاليًا، وأشباح الأثاث تركت ظلالًا داكنة على الأرضيات الخشبية التي تلاشى لونها بفعل الشمس. كانت آخر صناديقي في العلية. أنزلت السلم وصعدت؛ كنت أنا الموجود بالأسفل كملتقط النفايات. مررت لي بعض الصناديق ثم حقيبة صغيرة بعجلات، مناسبة للمطارات ولكن غير مجدية في منتجعات الثلج. عندما عدت أخيرًا إلى المنزل -بعد محطات الشرطة والمستشفيات والضجة الإعلامية- لم تكن لدي رغبة تفريغها.

بالطبع، كنت قد أخرجت الحقيبة الرياضية من الأعلى. عائلة ماكولي رفضت استعادتها. لقد قبلوا بأن الصور قد ضاعت للأبد، ولكنهم مع ذلك أرسلوا غواصين إلى البحيرة لاسترجاع التابوت. أتمنى أنهم تمكنوا من إقامة الجنازة التي كانوا يتمنونها لابنتهم. أخبرت الجميع عن المال، وقررنا ما يجب فعله معًا كعائلة. أعطينا نصفه لعائلة لوسي، لوالديها

وأخواتها وإخوتها، ودفعنا أيضًا تكاليف جنازتها. ثم اتفقنا على تقسيم المتبقي. تنازلت عن حصتي، إذ شعرت أنني قد أنفقتها بالفعل.

جنازة مايكل كانت قصيرة وباردة ومحبطة. لم يكن هذا بسببه؛ الطقس لم يساعده على الإطلاق. لقد تأكدت من التابوت قبل أن يُدفن. أما جنازة لوسي فقد نظمتها عائلتها. كانت مأساوية وحزينة وجميلة. الكنيسة كانت مكتظة، واستغرق الأمر بعض الوقت لأفهم السبب، ولكن اللغز حل نفسه: لم يطرح عليّ أحد فرص عمل في جنازة كما حدث في جنازة لوسي. رغم أنها لم تعد معنا، أشعر أنه تمت ترقيتها الأسبوع الماضي إلى نائب رئيس تنفيذي لمنطقة أوقيانوسيا[1].

آندي وكاثرين أصبحا أكثر مودةً من أي وقت مضى، وكاثرين أكثر استرخاءً. الأمر يبدو مبالغًا فيه قليلًا. آندي لا يزال الشخص الذي تنظر من فوق كتفه في الحانة للبحث عن شخص أكثر إثارة للاهتمام، لكن بعد أن رأيتُه يضرب أحدهم بقوة، يمكنني تحمل محادثة عادية معه لمدة خمس عشرة دقيقة على الأقل.

أما بالنسبة لصوفيا، فقد كانت أكثر من تعرض للحروق في الحريق، وهذا كان لصالحها في النهاية، لأنهم أعطوها جرعات من الأوكسيكودون لتخفيف الألم. هذا جعل حالتها سليمة من الناحية الطبية، ولم يكن هناك داعٍ لتفحص حالتها من قبل الطبيب الشرعي، لأن أي نمط إدمان لن يكون واضحًا. وجدوا أنها تصرفت كما هو متوقع منها. كاثرين تراقبها، وهي تتحسن. يمكن القول إنهما صديقتان تقريبًا الآن.

(1) تبدل مصطلح أوقيانوسيا، بمفهوم أستراليا كقارة في الخمسينيات. اليوم، غالبًا ما يستخدم مصطلح أوقيانوسيا للإشارة إلى المنطقة التي تشمل القارة الأسترالية وزيلانديا والعديد من الجزر في المحيط الهادئ التي لم يتم تضمينها في القارات السبع. (المترجمة)

أنا، مارسيلو، وأودري نتناول العشاء معًا مرة كل أسبوع. أودري أقل حركة من قبل، وهذا أمر جيد. سأدعو إيرين قريبًا؛ ستكون دائمًا جزءًا من العائلة، سواء كنّا معًا أو لا. كلمة الطلاق مخيفة ورسمية، لكننا نحاول العمل عليها، بشكل ساخر. تعرفت على جولييت بشكل أفضل خلال الجولات الترويجية، لأنها وقعت أيضًا على صفقة كتاب عن هذه القصة. كتابها يحمل عنوانًا مثل **فندق الرعب**. ناشري يحاولون نشر كتابي قبل شهر من كتابها.

ماذا أيضًا؟

هناك بعض الأمور التقنية التي يجب التطرق إليها، على ما أظن.

ربما تعتقد أن والدتي لم تقتل أحدًا، وقد تكون محقًّا. لكن سأدَّعي أنني وعدت بإخباركم بالحقيقة كما أعرفها في الوقت الذي اعتقدت فيه أنني أعرفها. قلت أيضًا إن استخدامي للقواعد النحوية لم يكن خادعًا عمدًا. ربما يمكنني القول إن سيارة مغلقة في يوم صيفي حار كانت نهاية جيريمي كانينجهام. وأن والدتي كانت مسؤولة عن إنهاء تلك الحياة وخلق حياة أخرى: حياة تحلم بالاختناق. تحديد أين ينتهي جيريمي وأين يبدأ اللسان الأسود متروك لكم. أو على الأقل، هذا هو عذري. يمكننا مناقشة الجوانب الأدبية لهذا المنطق لاحقًا. راسلوا وكيل أعمالي.

أما أنا وآندي، وكلّ منا لديه فصله الخاص؟ لا أعرف ما أقوله هنا. آندي ضرب جيريمي. يمكنني القول إنها كانت ضربة قاتلة. كان جيريمي محترقًا ومصابًا بجروح، وكان بالتأكيد يحتضر في الثلج بسبب إصاباته عندما وصلت إليه. أما بالنسبة لي؟ يقول محامي أن أتحدث بحذر هنا. كل ما أخبرتكم به هو الحقيقة: عندما مات أخي، كنت جالسًا بجانبه. تستطيعون تكوين آرائكم بأنفسكم.

بالمناسبة، اسم كاثرين ميلوت هو تلاعب بالأحرف لتكوين جملة «أنا لست القاتلة» (I Am Not The Killer). أما اسم داريوس، فهو يعود إلى ملك فارسي، من بلاد فارس بدأ التعذيب بالاختناق بالرماد. لم أغير ذلك في الكتاب، فقد كان فعلًا اللقب الذي أعطاه جيريمي لنفسه. من المؤسف أنه لم يستهدف مجموعة من أساتذة التاريخ؛ كانوا سيحلون اللغز فورًا.

رن هاتف جولييت بصوت عالٍ حتى تردد صداه في العلية. أطلقت ضحكة قوية من الفتحة التي كنت أقف أسفلها، وظهرت وجهها فوقي. قالت: «كاثرين تخطط للم الشمل القادم»، جولييت كانت على مجموعة الواتساب العائلية؛ أعرف، خطوة كبيرة: «تريد اقتراحات».

- مكان دافئ

ضحكت مرة أخرى وابتعدت لرمي المزيد من الصناديق.

عدت لحقيبتي، وأخرجت سترة متعفنة ومتجعدة. كانت لا تزال رطبة عندما وضعتها بسرعة في أثناء المغادرة. كانت رائحتها كريهة، وهذا قرر الأمر؛ سأرمي الحقيبة بأكملها. لم يكن هناك شيء أحتاجه فيها، ولم يكن لدي القدرة على تفحصها. تحققت من الجيوب للتأكد، وسحبت ورقة مطوية. بطاقة البينجو الخاصة بصوفيا.

نظرت إلى تعديل مايكل: **إرنست ~~يفسد~~ يُصلِح شيئًا.**

وقد فعلت. على الرغم من كل ما تمثله، شعرت بدفء عندما أخرجت قلمًا وشطبت المربع. لم يكن كافيًا للحصول على بينجو، لكنه كان مرضيًا للغاية.

عندها أدركت أنني لم أكن أتبع نصيحتي الخاصة.

أخرجت هاتفي الجديد (البطارية: 4%؛ أشعر بالخجل لأنها كانت أقل هنا من وقت العاصفة الثلجية على قمة الجبل). حمّلت تطبيقًا مكبرًا، لم يكن بجودة العدسة نفسها، لكنني فكرت أنه سيكون كافيًا.

تذكرت أن مايكل أخذ لحظة ليفكر قبل أن يكتب على البطاقة. أو ربما قضى تلك الثواني القليلة، وبجانبه علبة عدسات لاصقة (عرفت أنه لم يكن يرتدي عدسات!)، يتلاعب بشيء آخر. شيء صغير لدرجة أن والدي كان يحتاج إلى إبرة للتعامل معه... لكني افترضت أن رأس القلم قد يكون كافيًا. **لا تفقدها**، قال لي، وهو يضغط بإبهامه على البطاقة حين أعادها لي، كما لو كان يطبع الحبر بقوة. **أنا أثق بك.** كتب بعض الكلمات، لكنه أيضًا أضاف النقطة. أخبرتك: في الرواية البوليسية، توجد أدلة في كل كلمة - بل في كل علامة ترقيم...

خفق قلبي من الإثارة باكتشاف شيء جديد. فتحت كاميرا الهاتف (البطارية: 2%) وشغلت تطبيق المكبر، ومررت العدسة فوق النقطة التي أضافها مايكل. صور. ستة عشر صورة، مرتبة في شبكة 4*4.

التقط المصور الصور من أسفل طريق طويل، ينظر إلى عقار ضخم، مع خطوط سياج أمني تظهر بوضوح في الصور. هناك سيارة سيدان، صندوقها الخلفي مفتوح، قرب المدخل المزود بالأعمدة. المشهد ثابت في كل الصور الستة عشر، لكن يوجد شخصان في الإطار، لا تظهر وجوههما، يتحركان من صورة إلى أخرى. في الصورة الخامسة، يختفي الشخصان، لكن باب المدخل مفتوح كفجوة سوداء. يعود الشخصان في الصورة الثامنة، وهما يحملان شيئًا - يبدو كأنه كيس نوم. كلاهما يمسك بطرف من الكيس. في الصورة التاسعة، وصلا إلى منتصف الطريق نحو السيارة، وأمكنني رؤية جزء لولبي من خصلات شعر طويلة تتدلى من أحد أطراف الكيس. في الصورة العاشرة، اختفى كيس

النوم، وصندوق السيارة مغلق. في الصورة السادسة عشرة، تغير موقع السيارة. يقف أحد الشخصين على الشرفة، يراقب السيارة وهي تغادر. وأخيرًا، وجه.

قد يكون مخيبًا للآمال أنني لا أستطيع منحكم النهاية التقليدية حيث يحصل الأشرار على جزائهم الكامل، لكن محرري أخبرني أننا يجب أن نذهب إلى الطباعة وكل شيء ما زال أمام المحاكم، لذا لا أملك التفاصيل الكاملة. سيكون عليكم الاكتفاء بمعرفة أنني كبرتُ الصورة لأقصى حد على وجه إدجار ماكولي، الذي ظهر في ضوء الشرفة لقصره، وإذا لم يُحجب اسمه هنا، فيمكنكم الافتراض بأمان أنه قد ذهب إلى السجن لفترة طويلة للغاية.

هل أراك مايكل الصور؟

كان إدجار ماكولي قد سألني هذا السؤال مرتين. وفي المرة الثانية كان أكثر إلحاحًا، كما أتذكر. اعتقدت حينها أنه كان غاضبًا، لكنني أدركت الآن أن نبرته لم تكن نفاد صبر، بل يأس. كان يريد أن يعرف إن كنت قد شاهدت الصور، إن كنت قد رأيته فيها.

تذكرت شعور شيفان بالأسى عندما اختفى الجسد وكلماته الهادئة لها: **يمكننا استئجار غواصين.**

لم يكن آل ماكولي مستعدين لدفع نصف ما دفعوه لاستعادة ابنتهم وهي على قيد الحياة، مقارنة بما كانوا على استعداد لدفعه لاستعادة جثتها وصور قاتلها. لم يكن آلان يبيع لهم الخلاص، بل كانت عملية ابتزاز قديم الطراز. لقد توجه إلى جيريمي أولًا، على أمل أن يتمكن من خداع عائلة ويليامز بدلًا من المخاطرة ببيع الصور إلى عائلة ماكولي. وعندما فشل في ذلك، اضطر إلى سلك الطريق الأكثر خطورة. كان بحاجة إلى شخص يلعب دور الحاجز بينه وبين إدجار، لكن وجود أحد أفراد عائلة

كانينجهام منحه نوعًا من المصداقية في تهديده، ولهذا السبب اتجه بعد ذلك إلى مايكل. ثم عندما أُطلق سراح مايكل من السجن ورأى من كان في الصور، قرر أن عائلة ماكولي تدين له أيضًا. ماذا قال لي في غرفة التجفيف؟ **من حقنا عليهم أن يدفعوا لنا.**

كانت خطة الاختطاف الوهمي للتغطية على جريمة القتل ذكية. استعانوا بعصابة معروفة لتنفيذ المهمة، خلقوا دافعًا باستخدام الفدية المزيفة، وخرجوا في النهاية بمظهر الضحية بدلًا من المشتبه فيهم. تمامًا كما أخبرني مارسيلو، كانت قصة قديمة أعرف جميع تفاصيلها: سهلة الفهم وأسهل قبولًا، كما فعل الجميع في ذلك الوقت. كانت ريبيكا ميتة بالفعل قبل تقديم أي طلب فدية.

اتصلت بالشرطة. قال لي المحقق إنهم سيأتون بعد ظهر ذلك اليوم لأخذ الأدلة، ثم نفدت بطارية هاتفي.

ظهر وجه جولييت مرة أخرى، وهي تحمل زجاجة نبيذ مغطاة بالغبار: «مرحبًا، إرن. إما أن هذه الزجاجة قد أصبحت عتيقة للغاية وإما أصبحت سيئة للغاية. هل تود أن تأتي للأعلى؟».

لقد وعدت بأن أمورًا معينة لن تحدث في هذا الكتاب، لذا من الأفضل أن أنتهي هنا حتى لا يجعلني هذا الفصل كاذبًا.

تبعتها إلى الأعلى عبر السلم.

يتوفر كتاب «عشر خطوات سهلة من إرنست كانينجهام لكتابة الجريمة وكأنك عشت في الثلاثينيات ومن العصر الذهبي إلى صفحتك الذهبية» كيف تكتب لغزًا بسعر 1.99 دولار على أمازون.

الشكر والتقدير

يجب أن تكون نبرة كل قسم مخصص للشكر جيدة على هذا النحو: **شكرًا لتحمُّلكم.** الكثير من الأشخاص تحمَّلوني في أثناء كتابة هذه الرواية، وأنا ممتنٌّ لهم على شغفهم وصبرهم ومساعدتهم في كل مرحلة.

بيفرلي كوزينز، ناشري. شكرًا لك على السماح لي بالطموح عاليًا وإعادتي برفق حينما كان طموحي يتجاوز حدود المعقول. شكرًا لك على عدم خوفك من أي فكرة، وقراءتك للعديد من المسودات التي لم تكن تعمل بالشكل المطلوب، وإيمانك بي لأجد صوتي والقصة التي أردت سردها. أشعر بالفخر والحظ بأن أكون أحد مؤلفيك - شكرًا لك.

أماندا مارتن، محررتي. شكرًا لك على رؤيتك التحريرية الحادة، وتعديلاتك المتفهمة، وحلولك الذكية. تحرير رواية غموض يشبه بناء بيت من الورق: يسقط جزء واحد فينهار كل شيء. المحررون هم الصمغ الذي يحافظ على البرج قائمًا. أعتذر عن المزحة حول المحررين في الفصل السابع والعشرين. كتبت رقم الفصل هنا وليس رقم الصفحة تحسبًا إذا كان لديك أي ردود فعل عصبية تجاه أرقام الصفحات. وبالمناسبة، أعتذر أيضًا عن أرقام الصفحات.

نيرلي وير وأليس ريتشاردسون قامتا بعمل رائع في إيجاد فرص لوصول هذا الكتاب إلى القراء حول العالم. أشعر بالإعجاب عندما أفكر

أنني أستطيع مشاركة قصتي مع العديد من الناس، وأنا ممتن لكل العمل الشاق، الليالي الطويلة/الصباحات المبكرة واجتماعات زووم.

شكرًا كيلي جينكنز وهانا لودبروك في التسويق والعلاقات العامة، على كونكما صوتين متحمسين لهذا الكتاب -أي مؤلف سيكون محظوظًا بوجود داعمين مثلكما.

أنا مهووس بتصميم الغلاف من جيمس رندال. (أعرضه للناس في الحفلات كما يعرض الآخرون صور كلابهم، وغالبًا يتجنبني الناس كما يتجنبون مهووسي الحيوانات.) شكرًا لك على إبداعك الرائع. شكرًا سونيا هاين على نظرتك الدقيقة، وشكرًا ميدلاند تايب سيتيرز على التنسيق الداخلي الرائع - مجددًا، أعتذر عن أرقام الصفحات.

بيبا ماسون، وكيلتي، بدعم كفء من كايتلان كوبر ترينت - شكرًا لكما على التشجيع والإرشاد، وعلى إيمانكما بقدرتي على الارتقاء بهذا الكتاب إلى المستوى التالي في كل خطوة. لا أستطيع فعل أي من هذا من دونكما في جانبي. مساعدتكما كانت بمنزلة تغيير للحياة بالفعل.

جيري كالاچيان، شكرًا على دعمك المتحمس لحقوق الشاشة. كما أود أن أقول إن الوكلاء، بكونهم مستشارين ومعالجين نفسيين في آن، يجب أن يكونوا مؤهلين لاسترداد تكاليفهم من خدمات الرعاية الصحية.

ريبيكا ماكولي تبرعت بسخاء لخدمة مكافحة الحرائق الأسترالية لدعم تعافي أستراليا من حرائق الغابات مقابل استخدام اسمها كاسم للشخصية - شكرًا لك.

أشكر والديَّ، بيتر وجودي، وأشقائي جيمس وإيميلي، وعائلة باز: جابرييل، إليزابيث وأدريان، على دعمهم لجميع مشاريعي الإبداعية. جيمس، آسف لأنني أستمر في قتل الأخ في رواياتي. أعدك بأنني لا

أقصد أي شيء من وراء ذلك. وبالمناسبة، لا أحد من عائلتي قد قتل أحدًا، على حد علمي على الأقل.

وإلى أليشا باز. لقد وعدتك منذ زمن أن أخصص لكِ كتابي الثالث. الطريف في الأمر أنه لولاكِ لا أعتقد أنني كنت سأتمكن من إنهائه. لذا هذا الكتاب لكِ. لنكن صادقين - جميعها لكِ.

شكرًا لجميع الكُتّاب الذين تكرموا بتقديم التوصيات أو الدعم على وسائل التواصل الاجتماعي لأعمالي. لن أذكر أسماء، لكني أود أن أقول للقراء: اخرجوا واقرؤوا أكبر قدر ممكن من روايات الجريمة الأسترالية. إنها الأفضل في العالم. أؤمن أننا بعد مئة عام سننظر إلى الوراء ونرى أننا مررنا بعصرنا الذهبي، وربما سيكتب كاتب ما ساخرًا عن ذلك. لذا أقول فقط: اغتنموا هذه الفرصة من البداية.

وأخيرًا - شكرًا لك على القراءة. هناك العديد من الكتب في العالم، وأنت اخترت كتابي، وهذا أمر مميز حقًّا. آمل أن تكون قد استمتعت به.

كل شخص في هذا القطار يخفي شيئًا ما.

بنجامين ستيفنسن.

كيف يمكنك العثور على قاتل عندما يعرف جميع المشتبه بهم كيفية الإفلات من جريمة قتل؟

أنا أكره الدعوات. آخر دعوة قبلتها أدت إلى مقتل نصف عائلتي على يد قاتل متسلسل. لكن جمعية تقدير أعمال أجاثا كريستي وعدتني بمهرجان كتّاب أدب الجريمة لا مثيل له: سلسلة من المحاضرات على متن قطار غان الشهير الذي يسير بين داروين وأديلايد، حيث قد أجد بعض الإلهام لكتابي القادم.

الضيوف كلهم مميزون في مجالاتهم:

- *الكاتب المبتدئ (أنا!).*
- *كاتب في علوم الأدلة الجنائية.*
- *كاتب روايات شهيرة.*
- *كاتب الإثارة القانونية.*
- *كاتب الأدب.*
- *كاتب التشويق النفسي.*

لكن عندما يُقتل أحدنا، يتحول ستة كتّاب إلى خمسة محققين. معًا، يجب أن نعرف كيف نحل لغز جريمة...

أو ربما كيف نرتكبها.